الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الشريعة

قسم التفسير وعلوم القرآن

التفسير العلمي لخلق الإنسان الجسدي في القرآن الكريم في العصر الحديث – دراسة تحليلية نقدية

أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن

إعداد

أحمد شرف الدين برهان

بإشراف

الدكتور عبد العزيز حاجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

في كلية الشريعة بجامعة دمشق

المشرف المشارك

الدكتور مروان الحلبي

وزير التعليم العالي والبحث العلمي

وأستاذ علم الجنين في كلية الطب بجامعة دمشق

١٤٤٦هـ – ٢٠٢٥م







[الذَّاريات: ٢٠ - ٢١]

الإهداء

إلى من علَّمنا أنَّ التَّفكُّر عبادة، وأنَّ طلب العلم فريضة

إلى من بلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة

إلى سيِّدي وحبيبي محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم

أُهدي ثمرة هذا الجهد، عربون محبَّة واتِّباع، لا يفي بشيءٍ من حقِّك راجيًا أن يحشرني الله في زمرتك.

وإلى الأُمَّة الإسلاميَّة

الَّتي لا يزال الخير فيها ما دامت تفتح قلبها لكتاب الله وتتدبَّر آياته

أُهدي هذا الجهد المتواضع، عسى أن يكون لَبِنةً في صرح الوعي

وخُطوةً في طريق نهضةٍ تبدأ من القرآن وتنتهي إليه.

التَّفسير العلميُّ لخلق الإنسان الجسديّ في القرآن الكريم في العصر الحديث

دراسة تحليليَّة نقديَّة

المستخلص

يتناول هذا البحث موضوع التَّفسير العلميّ لخلق الإنسان الجسديّ في القرآن الكريم، حيث يتقاطع فيه القرآن الكريم بوصفه كتاب هدايةٍ ووحيٍ، مع العلوم التَّجريبيَّة الحديثة بوصفها نِتاجًا للعقل البشريّ في سعيه لفهم الكون والإنسان. وتبرز أهميَّته في ضوء الملاحظات المتكرِّرة بشأن وجود اختلالات منهجيَّة في العديد من الدِّراسات المعاصرة الَّتي تناولت خلق الإنسان من منظورٍ علميٍّ، سواء في التَّوظيف غير المُنضبِط للمعطيات العلميَّة، أو في التَّعامل مع النَّصِّ القرآنيّ دون الالتزام الدَّقيق بقواعد التَّفسير، وهو ما يستدعي وِقْفَةً تحليليَّة نقديَّة تتَّسِم بالتَّوازن والموضوعيَّة، وتستحضر ضوابط كلٍّ من المعرفة الشَّرعيَّة والعلميَّة معًا. ويسعى البحث إلى تحقيق هدفين رئيسين: أوَّلهما: فَهم القضايا المتعلِّقة بخلق الإنسان الجسديّ كما وردت في القرآن الكريم، من خلال دراسة تحليليَّة نقديَّة للأقوال المعاصرة الَّتي تناولت تفسير الآيات ذات الصِّلة تفسيرًا علميًّا، وثانيهما: تقويم هذه الأقوال التَّفسيريَّة في ضوء ميزانَي الشَّريعة والعِلم التَّجريبيّ، بما يُراعي قواعد التَّفسير وضوابط المعرفة العلميَّة، وصولًا إلى قراءةٍ أكثر اتِّزانًا ودقَّة للآيات ذات الصِّلة. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفيّ التَّحليليّ لتتبُّع الأقوال التَّفسيريَّة المعاصرة وتحليلها وفقًا للقواعد الشَّرعيَّة والعلميَّة، وعلى المنهج الموضوعيّ في تصنيف الآيات المتعلِّقة بخلق الإنسان وتحليلها ضمن سياقاتها القرآنيَّة، كما استعمل المنهج المقارن لمقارنة الأقوال التَّفسيريَّة المختلفة وتقييم توافقها مع العلم الحديث، والمنهجَ النَّقديَّ لتقويم مدى التزام التَّفسير بالضَّوابط المنهجيَّة والتَّأكد من دقَّة المعطيات العلميَّة المستعمَلة في تفسير الآيات. وأسفر البحث عن جملةٍ من النَّتائج الَّتي تسلِّط الضَّوء على الجوانب المختلفة للتَّفسير العلميّ لمراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم، إضافة إلى النَّتائج الإجماليَّة الآتية: يتَّسم القرآن الكريم بنظمه الفريد الَّذي يُعَدُّ أصلَ إعجازه، ومنه تتفرَّع جميع جوانب الإعجاز الأخرى، بما في ذلك الإشارات العلميَّة المتعلِّقة بخلق الإنسان. وتشير الآيات القرآنيَّة إلى مراحل الخلق والنُّموّ الجنينيّ للإنسان بطريقة تتوافق الحقائق العلميَّة الحديثة معها، وتتميز هذه الإشارات بالمرونة الَّتي تسمح بتعدُّد التَّأويلات على مرِّ العصور، والهدف الرَّئيس منها هو إقامة الحجَّة وتعميق الإيمان، دون فرض تفسير علميٍّ قاطع. ويكمن الإعجاز العلميُّ الحقيقيُّ للقرآن الكريم في خلوِّه من أيِّ تناقض مع الحقائق العلميَّة الثَّابتة، رغم نزوله في عصر لم تكن فيه العديد من حقائق العلم الحديث مثبتة. ويتطلَّب التَّفسير العلميُّ لخلق الإنسان في القرآن الكريم أدوات منهجيَّة دقيقة، بحيث يجب أن يكون المفسِّر ملمًّا بكلٍّ من العلوم الشَّرعيَّة والتَّجريبيَّة ذات الصِّلة، ولا سيَّما في مجالات طبِّ التَّوليد وأمراض النِّساء وعلم الأجنَّة، ويُعَدُّ التَّوازن بين تلك العلوم أمرًا بالغ الأهميَّة للحفاظ على دقَّة التَّفسير ومواءمته للحقائق العلميَّة دون الخروج عن دلالات النُّصوص القرآنيَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: التَّفسير العلميُّ، العلم التَّجريبيُّ، خَلْقُ الإنسان، النُّموُّ الجنينيُّ، التَّفسير النَّقديُّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد لله الَّذي خلق الإنسـان وقوَّمه، فسـوَّى خَلْقَه وعدَّله، ونفخ فيه من روحه فكرَّمه، وفضَّـله على كثير ممَّن خلق تفضـيلًا. والصَّـلاة والسَّـلام على من نُزِّل عليه الكتاب تِبيانًا لكلِّ شـيء، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فقد وجَّه القرآن الكريم إلى التَّفكُّر والبحث في خَلْقِ الإنسـان وتكوينه، قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِـكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِـرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، وشـغلت آيات خَلْقِ الإنسـان في القرآن الكريم مسـاحةً واسـعةً من خطاب الوحي، لما تنطوي عليه من دلائل الخَلْقِ والإعجاز والتَّدبير الإلهيّ، ولما تُثيره من أسـئلة كُبرى عن أصـل الإنسـان، ومراحل وجوده، وعلاقته بالكون والحياة. ومع وجود محاولات لربط المعاني القرآنيَّة بالمكتشـفات العلميَّة في التفاسـير القديمة، فقد أدَّى تطوُّر العلوم الحديثة في مجالات الطِّب، والأحياء، والوراثة، إلى ظهور محاولاتٍ جديدة لقراءة هذه الآيات من منظورٍ علميّ. وقد تعدَّدت الدِّراسـات في هذا الباب، وبرزت طروحات متنوِّعة في تفسير خلق الإنسان في ضوء المعطيات العلميَّة، بين مُنبهرٍ بالمكتشَفات الحديثة، ومُتحفِّظٍ إزاء إسقاطاتها على النَّصِّ القرآنيّ. وهنا تَبرُز الحاجة إلى دراسة تحليليَّة نقديَّة تستقري هذا النِّتاج، وتقف على معالمه المنهجيَّة، ومكامن الإشكال فيه، بما يضمن التَّوازن بين احترام دلالة النَّصِّ ووعي الواقع العِلميّ.

مشكلة البحث:

شكَّلت الآيات الكريمات المتعلِّقة بخلق الإنسان الجسديّ مركز جذبٍ لكثيرٍ من الـمُفسِّرين حتَّى في أقدم التَّفاسير المُدوَّنة والمنقولة إلينا؛ حيث نجد فيها محاولات للرَّبط بين تفسير هذه الآيات والعلوم السَّائدة في عصر كلِّ مُفسِّر. ولئن وُجِد هذا النَّوع من التَّفسير في التَّفاسير القديمة، إلَّا أنَّه شاع في العصر الحديث الَّذي سادت فيه العلوم التَّجريبيَّة، ولم يَعُد التَّفسير العلميُّ مقصورًا على الـمُفسِّرين، بل تعدَّاهم إلى المتخصِّصين في العلوم الدُّنيويَّة، كلٍّ في مجاله. ولكن، للوصول إلى التَّفسير العلميّ الدَّقيق، يجب أن يكون الباحث مُؤهَّلًا بالجمع بين قواعد التَّفسير الشَّرعي وأُسس المعرفة العلميَّة، وفي ظلِّ غياب هذا التَّوازن في العديد من الدِّراسات ظهرت بعض الإشكالات المنهجيَّة والمعرفيَّة؛ حيث تفتقر بعض الدِّراسات إلى الانضباط في تطبيق منهج التَّفسير من جهة، وعدم التَّحقُّق من صحَّة المعطيات العلميَّة أو فَهمها من جهة أُخرى، ممَّا يُؤدِّي إلى نتائج غير دقيقة أو مُتسرِّعة. وعليه، تكمُن مشكلة هذا البحث في تحليل وتقويم هذه

الدِّراسات من خلال تسليط الضَّوء على الثَّغرات المنهجيَّة الَّتي تضمَّنتها، وتقويم مدى انضباطها بقواعد التَّفسير الشَّرعيّ وأُسس المعرفة العلميَّة. ومن هنا يُصبح من الضَّروري تقديم دراسة تحليليَّة نقديَّة لهذه الأقوال التفسيريَّة تَميزُ المردود منها من المقبول، وتُبرِز التَّفسير العلميَّ الصَّحيح الَّذي يَتَّسِم بالانسجام بين فهم النُّصوص القرآنيَّة والحقائق العلميَّة. ومن هنا تتمثَّل مشكلة هذا البحث في الإجابة عن السُّؤال الرَّئيس الآتي:

ما أبرز الأقوال التَّفسيريَّة في التَّفسير العلميّ لخلق الإنسان في القرآن الكريم؟ وما مدى التزامها بمنهجٍ علميٍّ متوازنٍ يجمع بين أدوات التَّفسير الشَّرعيّ وأُسس المعرفة العلميَّة، وصولًا إلى الفَهم الصَّحيح لهذه الآيات؟

أهميَّة البحث والجديد فيه:

تنبع أهميَّة هذا البحث من اعتبارات عديدة، أبرزها:

- يتناول موضوعًا يتقاطع فيه القرآن الكريم بوصفه كتاب هداية مع العلوم التَّجريبيَّة بوصفها نتاجًا للعقل البشريّ.
- يسلِّط الضَّوء على آيات الخلق الإنسانيّ الَّتي كانت وما زالت محورًا لتطبيقات التَّفسير العلميّ والإعجاز العلميّ.
- يكشف عن اختلالات منهجيَّة في بعض الدِّراسات المعاصرة الَّتي تناولت موضوع خلق الإنسان من منظور علميّ.
- يدعو إلى إعادة النَّظر في طريقة توظيف المعطيات العلميَّة في التَّفسير القرآنيّ، مع الالتزام بضوابط التَّفسير.
- يسهم في بناء منهجيَّة متوازنة تجمع بين المعرفة الشَّرعيَّة والعلوم الطَّبيعيَّة بروح نقديَّة موضوعيَّة.

ويتمثَّل الجديد في هذا البحث في كونه يُقدِّم قراءةً تحليليَّة ونقديَّة للدِّراسات المعاصرة في موضوع التَّفسير العلميّ لخلق الإنسان، ولا يقتصر على العرض أو التَّلخيص، كما يجمع بين قواعد التَّفسير وضوابط المعرفة العلميَّة الحديثة في تقويم الأقوال التَّفسيريَّة، وهو بذلك يسعى إلى رسم معالم منهجٍ متوازن، يمكن أن يُسترشَد به في قراءة الآيات المتضمِّنة للإشارات العلميَّة، دون الانزلاق إلى التَّكلُّف أو التَّفسير الإعجازيّ غير المُنضبط علميًّا.

الهدف من البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق هدفين رئيسين:

أوَّلهما: فَهم القضـايا المتعلِّقة بخلق الإنسـان الجسـديّ كما وردت في القرآن الكريم، من خلال دراسـة تحليليَّة نقديَّة للأقوال المعاصرة الَّتي تناولت تفسير هذه الآيات تفسيرًا علميًّا.

وثانيهما: تقويم هذه الأقوال التَّفسـيريَّة في ضـوء ميزانَي الشَّـريعة والعِلم التَّجريبيّ، بما يُراعي قواعد التَّفسير وضوابط المعرفة العلميَّة، وصولًا إلى قراءةٍ أكثر اتِّزانًا ودقَّة للآيات ذات الصِّلة.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث استعمال مزيجٍ من مناهج البحث، ومن أبرزها:

المنهج الوصفيُّ التَّحليليُّ: اعتُمِد هذا المنهج في تتبُّع الأقوال التَّفسيريَّة المعاصرة المتعلِّقة بخلق الإنسان، من خلال وَصـف هذه الأقوال كما وردت في مصـادرها، وتحليل مضـامينها وتفكيك بنيتها العلميَّة والتَّفسيريَّة، لفهم منطلقاتها ومدى انسجامها مع القواعد الشَّرعيَّة والمعرفيَّة.

المنهج الموضوعيُّ: اتُّبع هذا المنهج في جمع الآيات المتعلِّقة بخلق الإنسان وتصنيفها موضوعيًّا بحسب مراحل الخلق، ثمَّ تحليلها ضـمن سـياقاتها القرآنيَّة، وبالاسـتعانة بأقوال المفسِّـرين، بغرض الوصـول إلى فهمٍ شموليّ ومنضبطٍ للموضوع.

المنهج المقارن: اسـتُعمِل هذا المنهج عند مقارنة الأقوال التَّفسـيريَّة المختلفة وتحليل أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، وكذلك عند مقارنة مضـامينها بنتائج العلوم التَّجريبيَّة الحديثة، بهدف الوقوف على مدى توافقها أو تعارُضها، ورُجْحان بعضها على بعض.

المنهج النَّقديُّ: فُعِّل هذا المنهج في تقويم الأقوال التَّفسـيريَّة ومدى التزامها بضـوابط المنهج التَّفسـيريّ العلميّ الصَّحيح، ولا سيَّما الَّتي استندت إلى معطياتٍ علميَّة، ومناقشة مدى دقَّة هذه المعطيات، وسلامة توظيفها في التَّفسير.

الدِّراسات السَّابقة:

تنوَّعت الدِّراسـات الَّتي تناولت موضـوع التَّفسير العلميّ لخلق الإنسـان في القرآن الكريم، وشـهد هذا المجال إنتاجًا علميًّا غزيرًا تمثَّل في عدد كبير من المؤلَّفات، توزَّعت ما بين أطروحات دكتوراة، ورسـائل ماجستير، ومقالات منشورة في مجلَّات محكَّمة وغير محكَّمة، فضلًا عن كتب مطبوعة، وغيرها. وقد سعت تلك الدِّراسـات إلى الرَّبط بين النُّصـوص القرآنيَّة وما توصَّـلت إليها العلوم التَّجريبيَّة، محاولةً إبراز أوجه

الإعجاز العلميّ في آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم. ويغلب على هذه الدِّراسات الطَّابع التَّفسيريُّ التَّوفيقيُّ، الَّذي يميل إلى عرض أوجه التَّوافق الممكنة بين النَّص القرآنيّ والمعارف العلميَّة، مع غيابٍ ملحوظ في معظمها للمنهج النَّقديّ القائم على تحكيم قواعد التَّفسير وضوابط العلم التَّجريبي، وصولًا إلى قبول أو ردِّ الأقوال التَّفسيريَّة في إطار التَّفسير العلميّ لخلق الإنسان في القرآن الكريم. وفيما يأتي استعراض لأهمّ تلك الدِّراسات السَّابقة، وأقربها صلة بموضوع هذا البحث:

(مع الطِّبِّ في القرآن الكريم): وهو كتاب للدُّكتور عبد الحميد دياب والدُّكتور أحمد قرقوز، وأصله رسالة تخرُّج لنيل درجة الإجازة في الطِّبِّ البشريّ من جامعة دمشق، ونُشِرت لاحقًا ضمن إصدارات مؤسَّسة علوم القرآن في القاهرة سنة (١٩٨٠م). وقد اطَّلعت على الطَّبعة الثَّالثة من الكتاب الَّتي صوَّرتها مطبعة أمير في قمَّ سنة (١٣٧١هـ/ ١٩٩٢م). ويتألَّف الكتاب من خمسة أبواب، يستعرض أوَّلها بعض الإعجازات الطِّبِّيَّة في القرآن الكريم، ويعرض الباب الثَّاني مراحل تكوُّن الإنسان وأمورًا أخرى تتعلَّق بخلقه، ويناقش الباب الثَّالث بعض سنن الحياة كالرَّضاعة والنَّوم والشَّيخوخة، ويتناول الباب الرَّابع نواحيَ مختلفةً من الطِّبِّ الوقائيّ، بينما يبيّن الباب الخامس بعض جوانب الطِّبِّ العلاجيّ في القرآن. ويتميَّز الكتاب بأسلوبه الواضح ولغته الطِّبِّيَّة المبسَّطة، ممَّا يجعله ميسَّرًا للقارئ غير المتخصِّص، مع سعيه للرَّبط بين الآيات القرآنيَّة والمعطيات العلميَّة المتاحة في زمن تأليفه. غير أنَّ معالجة المؤلِّفَين يغلب عليها الطَّابع الوعظيُّ والانتقائيُّ، حيث تميل إلى تأويل الآيات بما يوافق المعارف الطِّبِّيَّة لإثبات الإعجاز العلميّ؛ إذ تُعرَض بعض الادِّعاءات بوصفها حقائق نهائيَّة دون مناقشة أوجه النَّقد أو التَّفسيرات البديلة، ويشير ذلك جزئيًّا إلى غياب المنهج التَّحليليّ النَّقديّ في التَّعامل مع قضايا الإعجاز العلميّ. كما يُلحَظ فيه ضعف التَّوثيق العلميّ الأكاديميّ، سواء في الإحالة إلى مصادر التَّفسير أو إلى المراجع الطِّبِّيَّة المعتمَدة، ممَّا أضعف من قوة استدلالاته العلميَّة المعروضة. ورغم ما يمثِّله الكتاب من محاولة مفيدة لربط المعرفة الطِّبِّيَّة بالنَّصِّ القرآنيّ، إلَّا أنَّه بحاجة إلى مراجعةٍ علميَّةٍ أعمقَ تراعي تطوُّرات المعرفة الطِّبِّيَّة وتلتزم بصرامة التَّوثيق الأكاديميّ، وتقدِّم نقاشًا متوازنًا للتَّفسيرات المختلفة.

(دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث): وهو كتاب للدُّكتور محمَّد عزِّ الدِّين توفيق، وأصله رسالة ماجستير في العلوم الإسلاميَّة، قُدِّمت إلى كليَّة دار العلوم بجامعة القاهرة، بإشراف الأستاذ الدُّكتور مصطفى حلمي عام (١٩٨٥م)، ونُشِر لاحقًا ضمن إصدارات دار السَّلام في القاهرة. وقد اطَّلعت على الطَّبعة الثَّالثة منه الصَّادرة عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م). وينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب؛ تناولَ الباب الأوَّل الحديث عن منهج القرآن الكريم في عرض حقائق العقيدة وأركان الإيمان، مع إبراز دعوته الإنسان إلى النَّظر إلى آيات الله في نفسه، وعرضَ الباب الثَّاني مراحل خَلْقِ الإنسان وحياته وبعض وجوه الحكمة في خَلْقِ أعضاء الإنسان ووظائفها، وبيَّنَ الباب الثَّالث العلاقة بين دليل الأنفس والإيمان بأركان الغيب، وخُصِّص

الباب الرَّابع للحديث عن النَّفس الإنســانيَّة ومعانيها في القرآن الكريم. ويُعالِج الكتاب موضــوع الخلق من منظور قرآنيٍّ، مســتعينًا بالعلوم الحديثة لفهم الإشــارات القرآنيَّة المتَّصــلة بتكوين الإنســان ومراحل خلقه، معتمدًا على النَّصِّ القرآنيِّ بشــكل أســاســيٍّ مع الاستعانة بعدد محدود من التَّفاسير المعتمَدة. ويُؤخَذ عليه التَّوسُّــع في عرض الجانب العلميِّ على حســاب الجانب التَّفســيريِّ المنهجيِّ، حيث يَعرِض في الغالب قولًا واحدًا أو أقوالًا محدودة من أقوال المفسِّـــرين، تُؤيِّد طَرْحَه العلميَّ، ممَّا أضـــعف من أُفُق المقارنة والتَّعدُّد في وجهات النَّظر التَّفســيريَّة. وبشــكل عامٍّ، تُمثِّل الدِّراســة جهدًا متميِّزًا في الجمع بين المعالجة القرآنيَّة والمعرفة العلميَّة في معالجة قضايا الإنسان من زاوية دينيَّة ومعرفيَّة متكاملة، وتَكشِف عن اهتمام صادق بإبراز المعاني القرآنيَّة المتعلِّقة بالإنسان في ضوء ما تراكَم من معارف حديثة، رغم ما شابَها من محدوديَّةٍ في التَّنوع المرجعيِّ والبُعد المقارن والمنهج النَّقديِّ.

(مراحل خَلْقِ الإنسان في آيات القرآن الكريم): وهي رسالة ماجستير تقدَّمت بها الباحثة منى رفعت ادعيس عبد الرَّزاق إلى جامعة النَّجاح الوطنيَّة في فلســطين، بإشــراف الدُّكتور محســن سميح الخالديِّ، وقد نُوقِشَت عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م). وتتناول الدِّراسة موضوع خلق الإنسان كما ورد في النُّصوص القرآنيَّة، مُركِّزة على مراحل خلقه، وتتألَّف من فصل تمهيديٍّ يتحدَّث عن التَّفسير العلميِّ للقرآن الكريم، وعن صورة الإنســان في القرآن، وعن خلق آدم وحوَّاء وعيســى عليهم السَّــلام. كما تشــتمل على فصــلين آخَرين، استعرض أوَّلهما مراحل خلق الإنسان كما جاءت في القرآن الكريم، بينما خُصِّص الفصل الثَّاني للحديث عن الاستنساخ وأنواعه ودوافعه وحكمه في الشَّريعة الإسلاميَّة. وقد اعتمدت الباحثة على المنهج التَّحليليِّ، مستعينة بالتَّفاسير الـــمُعتبَرة، مُبيِّنة رأي الطِّب الحديث في كلِّ مسألة. ومن أبرز مزايا الدِّراسة وضوح البناء المنهجيِّ والدِّقَّة في ترتيب مراحل الخلق وفق السِّـياقات القرآنيَّة، مع عناية ظاهرة بالجانب اللغويِّ والبيانيِّ في ألفاظ الآيات، إلَّا أنَّه يُؤخَذ عليها غياب المرجعيَّة العلميَّة الحديثة، إذ خلت الدِّراسة تقريبًا من الاستناد إلى مراجع أجنبيَّة أو دراســات طبيَّة حديثة، واقتصــرت فيما أوردته من اســتدلالات علميَّة على ما نقلته كتب الإعجاز السَّـابقة دون العودة إلى المراجع العلميَّة الأصـيلة إلَّا في مواضـع محدودة، كما يُؤخَذ عليها سـيطرة طابع التَّســليم للإعجاز، دون إعمال النَّظر النَّقديِّ في الأقوال التَّفســيريَّة المطروحة. ورغم ذلك، تُشــكِّل الرِّسـالة جهدًا مُنظَّمًا في تتبُّع التَّصــوُّر القرآني لخلق الإنســان، مع الحاجة إلى مزيد من التَّعمُّق في الرَّبط بين التَّفسير القرآنيِّ والمعرفة العلميَّة الحديثة.

(خَلْقُ الإنســان في القرآن الكريم: دراســة وصــفيَّة تحليليَّة): وهي أطروحة دكتوراة تقدَّمت بها الباحثة إلهام محمَّد البعدانيُّ إلى جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميَّة في السُّودان، وقد نُوقِشَت عام (١٤٣٧هـــ/ ٢٠١٦م). وتتناول الأطروحة بالنَّظر والتَّحليل النُّصــوص القرآنيَّة المتعلِّقة بخلق الإنســان، موضِّــحَة مظاهر الإعجاز العلميِّ في بيان مراحل التَّكوين البشـريِّ، وجاءت في خمسـة فصـول رئيسـة، ناقشَ الفصـل الأوَّل

أصـل خلق الإنسـان ورَدَّ على نظريَّة التَّطوُّر، وعَرَضَ الفصـل الثَّاني خلق آدم عليه السَّـلام وذريَّته، وتناول الفصـل الثَّالث أطوار خلق الإنسـان ومراحله، واسـتعرضَ الفصـل الرَّابع صـفة خلق الإنسـان، واسـتعرضَ الفصـل الخامس مباحث متفرقة تتعلَّق بخلق الإنسـان. واتَّبعت الباحثة المنهج الوصـفيَّ التَّحليليَّ، فجمعت بين استقراء النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بخلق الإنسان وتحليلها لغويًّا وموضوعيًّا، مع استعراض أقوال المفسِّرين فيها. وتتميَّز الأطروحة بشـمولها النِّسـبيّ واسـتيعابها لعدد كبير من الآيات المتعلِّقة بخلق الإنسـان، مع عرض منظَّم ومتسـلسـل، فضـلًا عن لغتها الواضـحة وانضـباطها المنهجيّ. ومع ذلك يغلب على الدِّراسـة الطَّابع الوصفيُّ، ممَّا يجعلها أقرب إلى العرض التَّجميعيّ منها إلى التَّحليل النَّقديّ العميق. ويُؤخَذ على الرِّسالة ندرة الإحالات إلى المراجع الأجنبيَّة الأصـليَّة أو الدِّراسـات العلميَّة الحديثة، واعتمادها في الغالب على النَّقل من كتب الإعجاز العلميّ السَّـابقة، مع عرض ما فيها على أنَّه حقائق مُسَـلَّمَة، تُدافِع عنها وتَتَبَنَّاها بصـرف النَّظر عن مدى دقَّتها أو قوَّتها العلميَّة، ممّا أضـــفى على الطَّرح طابعًا تقليديًّا غابت عنه النَّزعة النَّقديَّة، فبدت الدِّراسة أقرب إلى التَّوثيق والعرض منها إلى بناء رؤية تفسيريَّة جديدة، ومع ذلك، تُعَدُّ هذه الأطروحة مرجعًا مفيدًا للمهتمِّين بالتَّفسـير العلميّ، بما يتميَّز به من منهجيَّة واضـحة وتوثيق جيِّد، واهتمام بالرَّدِّ على الشُّبهات المتعلِّقة بخلق الإنسان.

ويمكن تلخيص أبرز الإشـكالات المنهجيَّة والمعرفيَّة في الدِّراسـات السَّـابقة والكتابات المعاصـرة في موضوع التَّفسير العلميّ لخلق الإنسان في القرآن الكريم في النُّقاط الآتية:

١. غياب التَّمييز المنهجيّ بين التَّفسير العلميّ والإعجاز العلميّ: خلطت العديد من الدِّراسات بين التَّفســـير العلميّ بوصـــفه مقاربة تأويليَّة للنَّصّ القرآنيّ، وبين الإعجاز العلميّ الَّذي ينتمي إلى خطابٍ إثباتيّ ذي طابعٍ دعويّ، ممَّا أدَّى إلى تداخل المقاصد واضطراب النَّتائج.
٢. ضـعف الالتزام بأصـول المنهج التَّفسـيريّ: تفتقر بعض الكتابات إلى الانضـباط بالقواعد العلميَّة للتَّفسير، كالجمع بين الآيات ذات العلاقة، وتحليل السِّياقَين اللغويّ والموضوعيّ، ومراعاة أسباب النُّزول، وغيرها من الضَّوابط، ممَّا انعكس سلباً على دقَّة النَّتائج.
٣. التكلُّف في تأويل النُّصوص وفق معطيات العلم الحديث: لوحظ لجوء بعض الدِّراسات إلى تحميل الآيات معانيَ علميَّةً بعيدةً عن دلالاتها الأصـليَّة أو سـياقاتها القرآنيَّة، في محاولةٍ لإثبات التَّطابق مع المكتشفات الحديثة، ممَّا أضعف مصداقية الطَّرح التَّفسيريّ وعرَّضه للنَّقد.
٤. تقرير الوجه الإعجازيّ بالاقتصار على التَّحليل اللفظيّ دون مراعاة السِّياقات القرآنيَّة: اقتصرت بعض الدِّراســـات في بيانها للوجه التَّفســـيريّ أو الإعجازيّ على الدَّلالات المعجميَّة للكلمات، دون مراعاة السِّـياقات الموضـوعيَّة للآيات، وهو ما أضـعف التَّكامل البنيويَّ للطَّرح التَّفسـيريّ وأفقده شموليته وتوازنه.

٥. الاستناد إلى فرضيَّات علميَّة غير مستقرَّة: بَنَتْ بعض المؤلَّفات تفسيراتها على فرضيَّات لم ترسخ بعد في المجتمع العلميّ، ما يجعل التَّفسير عرضة للنَّقض بمجرَّد تغيُّر تلك الفرضيَّات.
٦. نقص التَّوثيق الدَّقيق للمعلومات العلميَّة والطِّبيَّة: استخدمت بعض الدِّراسات معطيات علميَّة دون الإشارة إلى مصادر معتمَدة أو دراسات محكَّمة، ممَّا يثير إشكالات تتعلَّق بموثوقية المعلومات المقدَّمة.
٧. غلبة الطَّابع الوعظيّ والدِّفاعيّ على المنهج العلميّ: شاب بعض الدِّراسات الميلَ إلى إثبات الإعجاز دون عرض وجهات نظرٍ نقديَّة بديلة، ممَّا قلَّل من قيمة التَّحليل الموضوعيّ وأضعف الطَّرح الأكاديميَّ[1].

حدود البحث:

يتمحور نطاق هذا البحث حول دراسات التَّفسير العلميّ لخلق الإنسان الجسديّ في القرآن الكريم؛ حيث يركِّز على الآيات الَّتي تتناول خلق الإنسان وتفسيرها في ضوء العلوم التَّجريبيَّة الحديثة، ويستعرض الأقوال التَّفسيريَّة المعاصرة الَّتي تناولت هذه الآيات من خلال مختلف التَّخصُّصات العلميَّة، ويُحلِّل تطوُّر هذه التَّفسيرات منذ بداية القرن العشرين وحتَّى الوقت الرَّاهن، كما يُسلِّط الضَّوء على تأثير العلم الحديث في تشكيل هذه التَّفسيرات. ويشمل المؤلَّفات التَّفسيريَّة المنشورة في العالم الإسلاميّ بشكلٍ عامّ، مع تركيزٍ خاصٍّ على كتب التَّفسير المُعتمَدة، إضافةً إلى الأبحاث العلميَّة الَّتي أعدَّها مختصُّون في العلوم الشَّرعيَّة والعلوم التَّجريبيَّة.

الصُّعوبات الَّتي واجهت الباحث:

واجه الباحث خلال إعداد هذا البحث عددًا من الصُّعوبات العلميَّة والمنهجيَّة، يمكن حصر أهمِّها في تحدِّيين اثنين:

أحد أبرز التَّحدِّيات تمثَّل في غزارة الإنتاج العلميّ في مجال التَّفسير العلميّ لخلق الإنسان، وتنوُّع المصادر المتعلِّقة بهذا الموضوع، فقد شملت هذه المصادر رسائل جامعيَّة، ومقالاتٍ علميَّةً محكَّمة، وكُتبًا مطبوعة، إلى جانب منشورات هيئة الإعجاز العلميّ في مكَّة المكرَّمة، ومحاضرات مؤتمرات الهيئة العالميَّة

---

[1] ويلخِّص أستاذنا الدُّكتور نور الدِّين عتر رحمه الله أبرز مآخذه على من كتبوا في التَّفسير العلميّ بما يأتي: "أوَّلًا: التَّحكم في تفسير الآية أو الآيات باختيار قولٍ من أقوالٍ متعدِّدة للمفسِّرين وإغفال الأقوال الأخرى بما يوهم أنَّ الرَّأي موضع إجماع عليه وفق قواعد التَّفسير. ثانيًا: الاعتماد في معلوماته العلميَّة على مصادر عربيَّة ليست من تأليف أصحابِ اختصاصٍ في هذه المواد. ثالثًا: أنَّه لا يبيِّن انضباط ما يفسِّر به على قواعد التَّفسير". من تقديمه لكتاب: سقا، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، صفحة ج.

للإعجاز العلميّ في القرآن والسُّنَّة، بالإضافة إلى المواد المنتشرة على الشَّبكة العنكبوتيَّة، مثل التَّسجيلات الصَّوتيَّة والمرئيَّة، والمنشورات والمحاضرات المكتوبة. وقد شكَّل هذا التَّنوُّع الواسع تحدِّيًا في الحصر والتَّصنيف تطلَّب جهدًا شاقًّا في جمع شتات هذه المصادر والاطِّلاع عليها، كما استلزم انتقاءً علميًّا دقيقًا ومُنهجًا لما يتناسب مع أهداف البحث منها.

وأمَّا التَّحدِّي الآخر، فكان اتِّساع المادَّة العلميَّة المتعلِّقة بخلق الإنسان الجسديّ من منظور العلوم التَّجريبيَّة، حيث كان من الضَّروريّ الإلمام بالمصطلحات العلميَّة الدَّقيقة، وفَهم التَّخصُّصات المتعدِّدة المرتبطة بها، ممَّا استلزم متابعةً مستمرَّةً لأحدث ما توصَّلت إليه الأبحاث في هذا المجال. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تطلَّب الأمر ترجمة عددٍ كبيرٍ من البحوث والمراجع الأجنبيَّة المتخصِّصة، لا سيَّما تلك الَّتي تناولت الجوانب العلميَّة لخلق الإنسان، ممَّا أضاف عبئًا لغويًّا ومعرفيًّا ملحوظًا.

الطَّريقة المتَّبعة في العمل:

- أُجرِي استقراءٌ تامٌّ للآيات المتعلِّقة بخلق الإنسان الجسديّ في القرآن الكريم.
- صُنِّفت الآيات بناء على التَّرتيب الزَّمنيّ والموضوعيّ للمراحل النَّمائيَّة لخلق الإنسان، مع ملاحظة الآتي:
  - وجود العديد من الآيات الَّتي تتناول المرحلة النَّمائيَّة نفسها، وقد دُرِست مجتمعة ضمن الفقرة المتعلِّقة بها.
  - وجود العديد من الآيات الَّتي تتضمَّن أكثر من موضع استشهاد أو إشارات متعدِّدة إلى مراحل مختلفة من خلق الإنسان، وقد دُرِس كلّ موضع استشهاد أو دلالة ضمن المرحلة النَّمائيَّة الخاصَّة به؛ أي: جزِّئت دراسة الآية بحيث يُدرَس منها كلُّ موضع استشهاد في فقرته المناسبة.

  وساعد التَّصنيف الزَّمنيُّ للآيات حسب المراحل النَّمائيَّة لخلق الإنسان في توزيع فصول البحث وتسميتها مع تحديد الآيات التي ستُدرَس في كلٍّ منها، بينما ساعد التَّصنيف الموضوعيُّ للآيات المتعلِّقة بكلِّ مرحلة من مراحل خلق الإنسان في تقسيم الفصول إلى مباحث.
- اعتُمِدَت التَّفاسير الحديثة الَّتي اهتمَّت بالتَّفسير العلميّ، باعتبارها مصادر رئيسة لرصد أقوال المفسِّرين، وقد رُوعي في اختيار هذه التَّفاسير أن تغطِّي التَّسلسل الزَّمنيَّ خلال القرن الماضي، وأن يكون لها اهتمام ظاهر بالتَّفسير العلميّ، وقد وقع الاختيار على سبعة تفاسير، استُقرِيَ ما ورد فيها من تفسيرٍ للآيات موضوع البحث استقراءً تامًّا، بهدف تتبُّع آراء المفسِّرين، ورصد تطوُّر الدَّلالات المعرفيَّة، ومدى تأثُّر التَّفسير بتطوُّر المعرفة البشريَّة، وهذه التَّفاسير هي: تفسير (جزء عمَّ) لمحمَّد عبده (المتوفَّى: ١٣٢٣هـ)، محاسن التَّأويل للقاسميّ (المتوفَّى: ١٣٣٢هـ)، تفسير المنار لرشيد رضا (المتوفَّى: ١٣٥٤هـ)، الجواهر في تفسير القرآن لجوهريّ (المتوفَّى: ١٣٥٨هـ)، تفسير المراغيّ (المتوفَّى: ١٣٧١هـ)،

التَّحرير والتَّنوير للطَّاهر بن عاشور (المتوفَّ: ١٣٩٣هـــ)، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن للخطيب (المتوفَّ: ١٤٠٦ هـ)، إضافة إلى الرُّجوع إلى العديد من التَّفاسير الأخرى عند الحاجة.

- نُوقِشَت أقوال غير المفسِّرين الَّتي قيلت في التَّفسير العلميِّ للآيات المتعلِّقة بخلق الإنسان الجسديِّ من خلال الرُّجوع إلى خمسة أنواعٍ من المصادر؛ هي: الأبحاث والرَّسائل الجامعيَّة ذات الصِّلة، والمقالات العلميَّة المنشورة في المجلَّات الشَّرعيَّة المحكَّمة، وكُتب أعدَّها مختصُّون في مجالات الطِّبِّ وعِلم الجنين وعِلم الأحياء، وإصدارات الهيئة العالميَّة للكتاب والسُّنَّة التَّابعة لرابطة العالم الإسلاميِّ، ولا سيَّما بحوث مجلَّة الإعجاز العلميِّ، وبحوث المؤتمرات العالميَّة للإعجاز العلميِّ في القرآن والسُّنَّة، إضافةً إلى مواقع متخصِّصة في التَّفسير العلميِّ والإعجاز العلميِّ.
- عُرِضَت الحقائق الَّتي وصل إليها العلم التَّجريبيُّ في كلِّ ما يتعلَّق بخلق الإنسان ونمائه، بالاعتماد على المصادر الآتية: الكُتب المرجعيَّة (Textbooks) المُعتمَدَة في مجالات التَّشريح، وعلم الأجنَّة، والأمراض النِّسائيَّة وطبِّ التَّوليد، وطبِّ الأطفال، ووظائف الأعضاء، وعلم الأحياء، وغيرها، إضافةً إلى الأبحاث العلميَّة المنشورة في أهمِّ الدَّوريَّات العالميَّة المتخصِّصة.
- عند توسُّع المفسِّرين في نقل الآراء الفقهيَّة عن أئمَّتها، تمَّ الرُّجوع إلى كتب الفقه المُعتمَدة في كلِّ مذهب، وتوثيق الآراء الفقهيَّة من مصادرها الأصليَّة بدلًا من نقلها من التَّفاسير، حرصًا على دقَّة النَّقل وصحَّة التَّوثيق.

منهج الكتابة والتَّوثيق:

- كُتِبَت الآيات القرآنيَّة وفق رواية حفص عن عاصم، ووُضِعت بين قوسين زهراويَّين ﴿﴾، مع ذِكْرِ اسم السُّورة ورقم الآية بين معقوفتين [ ] مباشرة بعد الآية في المتن، تجنباً لإثقال الحواشي.
- كُتِبَت الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة بين قوسين من الشَّكل: « » في المتن، وخُرِّجَت في الحاشية، فإن كان الحديث في صحيحَي البخاريِّ ومسلم أو في أحدهما اكتُفِيَ بهما، أمَّا إن لم يكن فيهما أو في أحدهما فقد خُرِّج من بقيَّة الكتب السِّتَّة إن وُجِدَ فيها، وإلَّا فمن كتب السُّنَّة الأخرى، مع ذِكْرِ حُكْمِ علماء الحديث عليه إن وجد.
- ضُبِطَت الآيات القرآنيَّة والأحاديث الشَّريفة والأشعار بالشَّكل التَّامِّ، وضُبِطَ ما يحتاج إلى ضبط ممَّا عداها.
- وُضِعت النُّصوص المنقولة حرفيًّا بين علامتي تنصيص من الشَّكل: " "، أمَّا النُّصوص المنقولة بالمعنى فعُرِض فحواها دون علامات تنصيص، مع الإشارة إلى المصدر باستخدام كلمة (انظر) في الحاشية.
- ضُبِطت القراءات القرآنيَّة الَّتي ذكرها المفسِّرون وخُرِّجت بالرجوع إلى كتب القراءات، سواء منها المختصَّة بالقراءات المتواترة أو الشَّاذَّة.

- خُرِّجت الأبيات الشِّعريَّة من ديوان الشَّاعر إن كان له ديوان مطبوع، فإن لم يُوجَد، فمن كتب الأدب المتخصِّصة، مع الإشارة إلى البحر الَّذي ينتمي إليه البيت.
- شُرِحَت الألفاظ الغريبة، والمصطلحات العلميَّة، بما في ذلك العقائديَّة، والأصوليَّة، واللغويَّة، والبلاغيَّة، ومصطلحات العلوم التَّجريبيَّة بالرُّجوع إلى مظانِّها المُعتمَدة في كلِّ علم.
- استُعين في سياق شرح بعض المعطيات العلميَّة بعددٍ من الأشكال المأخوذة من مراجع أجنبيَّة، وقد أُدرِجت هذه الأشكال بعد ترجمة المصطلحات والتَّسميات والشُّروح الواردة فيها إلى اللغة العربيَّة من قِبل الباحث، مع الإشارة إلى مصادرها الأصليَّة.
- نظرًا لطبيعة البحث الَّتي تجمع بين المراجع العربيَّة والأجنبيَّة، وحرصًا على توحيد طريقة الاستشهاد داخل المتن، فقد تمَّ اعتماد إحدى الطَّرائق الأكاديميَّة العالميَّة في التَّوثيق، وهي طريقة شيكاغو (Chicago Manual of Style) بنظام الهوامش (Notes and Bibliography System)، مع إجراء تعديلات طفيفة تراعي خصوصيَّة المراجع العربيَّة والشَّرعيَّة. وتُعَدُّ هذه الطريقة من أكثر أساليب التَّوثيق شيوعًا في الدَّوريات الشَّرعيَّة الَّتي تعتمد نظام الهوامش، حيث يُذكَر اسم الشُّهرة لأصحاب المؤلَّفات القديمة، والاسم الأخير لأصحاب المؤلَّفات الحديثة في المراجع العربيَّة، بينما يُذكر الاسم الأخير للباحث في المراجع الأجنبيَّة. ويُذكَر بعد اسم المؤلِّف عنوان المرجع مفصولًا عنه بفاصلة، ثمَّ يُشار إلى رقم الجزء والصَّفحة في الكتب متعدِّدة الأجزاء على النَّحو الآتي: (جزء/صفحة)، ويُكتفى برقم الصَّفحة مسبوقًا بحرف (ص) في الكتب ذات الجزء الواحد، سواء أكان ذلك عند الورود الأوَّل للمرجع أو في المواضع اللاحقة. وعند ورود أكثر من مرجع في الحاشية الواحدة، يُفصل بينها بفاصلة منقوطة، مع مراعاة ترتيب المراجع بحسب تاريخ وفاة أصحابها. وأمَّا في قائمة المراجع، سواء العربيَّة أو الأجنبيَّة، فيتمُّ ترتيبها ألفبائيًّا وفق الاسم الأخير للكاتب، يليه عنوان الكتاب أو المؤلَّف، ثمَّ سائر التَّفاصيل المرجعيَّة الأخرى الخاصَّة بكل نوع من أنواع المصادر.
- ترجمة الأعلام المسلمين، باستثناء الأعلام المشهورين كالخلفاء الرَّاشدين، وزوجات النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، حيث يتمُّ تقديم ترجمةٍ موجزةٍ في الهامش تتضمَّن اسم العَلَم ونسبته وكنيته، وأهمَّ ما اشتُهِر به، وأهمَّ مؤلَّفاته إن وُجِدَت، وتاريخ وفاته. واكتُفِيَ بمصدرٍ واحد عند التَّرجمة، إلَّا إن لم يحتوِ على كامل المعلومات المراد إثباتها، فيُلجأ حينها إلى مصدرٍ آخر، مع إضافة العزو إلى أحد الكتب المعاصرة المِفتاحيَّة، ككتاب (الأعلام) أو (معجم المُؤلِّفين)، والَّتي تُعَدُّ معينًا لمن أراد التَّوسُّع في ترجمة العَلَم، تدلُّه على مصادر ترجمته. أمَّا ترجمة الأعلام الغربيِّين، فاقتصرت على ذِكْرِ اسمه وبلده وإنجازه الَّذي استدعى الاستشهاد به وتاريخ ولادته ووفاته في سياق المتن.

خطَّة البحث:

يتألَّف هذا البحث من مقدِّمة، وفصل تمهيديٍّ، وسبعة فصول، وخاتمة.

وقد تناولت المقدِّمة أبرز العناصر الأساسيَّة، بدءًا من تحديد مشكلة البحث، وبيان أهميَّته، وما يقدِّمه من جديد، مرورًا بتوضيح أهدافه، والمنهج المعتمَد في معالجته، واستعراض أبرز الدِّراسات السَّابقة في مجاله. كما تضمَّنت بيانًا بالصُّعوبات الَّتي واجهت الباحث أثناء العمل، والطَّريقة المتَّبعة في تنفيذ البحث، وانتهاءً بعرض خطَّته التفصيليَّة.

وأما الفصول فقد كانت كما يأتي:

الفصل التَّمهيديُّ: التَّفسير العلميُّ ومقاصده في آيات خلق الإنسان.

المبحث الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلْمِيّ والإعجاز العِلْمِيّ.

المطلب الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلْمِيّ.

المطلب الثَّاني: تعريف الإعجاز العِلْمِيّ.

المطلب الثَّالث: تعريف المعجزة وشروطها ونظائرها.

المبحث الثَّاني: العِلْم عند علماء المسلمين وعلماء العِلْم التَّجريبيّ.

المطلب الأوَّل: العِلْم عند علماء المسلمين.

المطلب الثَّاني: العِلْم التَّجريبيُّ.

المطلب الثَّالث: مصادر العلم وأدلته عند علماء المسلمين وفي العِلْم التَّجريبيّ.

المبحث الثَّالث: مقاصِد تفسير آيات خلق الإنسان.

المطلب الأوَّل: مقاصد الشَّريعة ومقاصد القرآن.

المطلب الثَّاني: التفسير المقاصديُّ والمقاصد القرآنيَّة لخلق الإنسان.

الفصل الأوَّل: أصل الإنسان.

المبحث الأوَّل: خلق آدم وحوَّاء.

المطلب الأوَّل: خلق البشر من نفس واحدة.

المطلب الثَّاني: خَلْق زوج النَّفس الواحدة.

المبحث الثَّاني: خَلْق ذرِّيَّة آدم وتصويرها.

المطلب الأوَّل: خَلْق الذُّرِّيَّة وتصويرها مع خَلْق آدم عليه السَّلام وتصويره.

المطلب الثَّاني: إنشاء الذُّرِّيَّة بعضها من بعض.

الفصل الثَّاني: تكوين الجنين.

المبحث الأوَّل: دور الوالدين في تشكيل الجنين.

المطلب الأوَّل: خَلْق النَّاس من الذَّكر والأنثى.

المطلب الثَّاني: خَلْق الإنسان من النُّطفة الأمشاج.

المبحث الثَّاني: جنس الجنين.

المطلب الأوَّل: دور الوالدين في تحديد جنس الجنين.

المطلب الثَّاني: توقيت تحديد جنس الجنين.

الفصل الثَّالث: تشكُّل الجنين في المرحلة المضغيَّة.

المبحث الأوَّل: خلق الإنسان على مراحل.

المطلب الأوَّل: السِّياقات القرآنيَّة لذكر خلق الإنسان على مراحل.

المطلب الثَّاني: دلالة اختلاف حروف العطف بين آيات مراحل الخَلْق.

المطلب الثَّالث: تطوُّر مفهوم خلق الإنسان على مراحل في العلم التَّجريبيّ.

المبحث الثَّاني: خَلْقُ الماء المَهين الدَّافق.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ لوصف الماء بكونه مهينًا.

المطلب الثَّاني: المعنى اللغويُّ لوصف الماء بكونه دافقًا.

المطلب الثَّالث: السِّياقات القرآنيَّة لذكر الماء المَهين الدَّافق.

المطلب الرَّابع: هل الماء الدَّافق هو ماء الرَّجل أم ماء المرأة أم ماء كليهما؟

المبحث الثَّالث: خلق النُّطفة.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للنُّطفة.

المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر النُّطفة.

المطلب الثَّالث: تشكُّل النُّطفة.

المبحث الرَّابع: خلق العلقة.

المطلب الأوَّل: المعنى اللُّغويُّ للعلقة ومناسبة التَّسمية.

المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر العلقة.

المطلب الثَّالث: تشكُّل العلقة في العلم التَّجريبيّ.

المطلب الرَّابع: مرحلة العلقة كبداية للخلق.

المبحث الخامس: خلق المضغة.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للمضغة ومناسبة التَّسمية.

المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر المضغة.

المطلب الثَّالث: المضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة عند المفسِّرين.

الفصل الرَّابع: تشكُّل الجنين في المرحلة الجنينيَّة.

المبحث الأوَّل: تشكُّل العظام واللحم.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للعظام واللحم.

المطلب الثَّاني: أقوال المفسِّرين في تشكُّل العظام واللحم.

المطلب الثَّالث: تشكُّل العظام واللحم في العلم التَّجريبيِّ.

المبحث الثَّاني: التَّسوية والإنشاء ونفخ الرُّوح.

المطلب الأوَّل: معاني التَّسوية والإنشاء.

المطلب الثَّاني: نفخ الرُّوح في الجنين.

الفصل الخامس: مدَّة الحمل.

المبحث الأوَّل: المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل.

المطلب الأوَّل: المقدار والقَدَر المعلوم للحمل.

المطلب الثَّاني: الأجل المُسمَّى للحمل.

المبحث الثَّاني: أدنى مدَّة الحمل وأقصاها.

المطلب الأوَّل: أدنى مدَّة الحمل.

المطلب الثَّاني: أقصى مدَّة الحمل.

الفصل السَّادس: مكان الحمل والولادة.

المبحث الأوَّل: مكان الحمل.

المطلب الأوَّل: الخلق في البطون والأرحام.

المطلب الثَّاني: معنى القرار المكين.

المطلب الثَّالث: الخلق في الظُّلمات الثَّلاث.

المطلب الرَّابع: عِلْم الله بما في الأرحام.

المبحث الثَّاني: مفهوم الولادة والألفاظ الدالة عليها في القرآن الكريم.

المطلب الأوَّل: الولادة والوضع وتيسير السَّبيل.

المطلب الثَّاني: استعمال الفعل (يخرج) في القرآن الكريم للدَّلالة على الولادة.

المبحث الثَّالث: الخروج من بين الصُّلْب والتَّرائب.

المطلب الأوَّل: معنى الصُّلْب والتَّرائب.

المطلب الثَّاني: عود الضَّمير في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.

الفصل السَّابع: أحكام الرَّضاعة

المبحث الأوَّل: الرَّضاعة الطَّبيعيَّة.

المطلب الأوَّل: الرَّضاعة من الأمِّ.

المطلب الثَّاني: الرَّضاعة من المُرضِع.

المبحث الثَّاني: مدَّة الرَّضاع.

المطلب الأوَّل: مدَّة تمام الرَّضاع.

المطلب الثَّاني: العلاقة بين مدَّة الحمل ومدَّة الرَّضاعة.

المبحث الثَّالث: التَّحريم بالرَّضاع.

المطلب الأوَّل: تحريم الأمَّهات والأخوات من الرَّضاعة.

المطلب الثَّاني: من يَحْرُم بالرَّضاع.

المطلب الثَّالث: علَّة التَّحريم.

المطلب الرَّابع: شروط التَّحريم.

وأمَّا الخاتمة، فقد اشتملت على أبرز نتائج البحث وتوصياته.

وقد ذُيِّل البحث بمجموعة من الفهارس؛ هي: فهرس الآيات القرآنيَّة المدروسة، وفهرس الأحاديث النَّبويَّة والآثار، وفهرس الأشعار، وفهرس الأعلام المسلمين، وفهرس الأعلام الغربيين، وفهرس المصطلحات الشَّرعيَّة واللغويَّة والاجتماعيَّة، وفهرس المصطلحات المتعلِّقة بالعلوم الطِّبيَّة والطَّبيعيَّة، وفهرس الأشكال، وقائمة المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

وإنِّي، إذ أضع بين يدي القارئ هذه الصفحات، أخلع عن نفسي كلَّ حولٍ وقوَّة، وألتجئ إلى حول الله وقوّته، راجيًا منه التَّوفيق والقبول، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافِعًا لعباده، والحمد لله ربِّ العالمين.

الفصل التَّمهيديُّ: التَّفسير العلميُّ ومقاصده في آيات خلق الإنسان

المبحث الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلْميّ والإعجاز العِلْميّ.

المطلب الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلْميّ.

المطلب الثَّاني: تعريف الإعجاز العِلْميّ.

المطلب الثَّالث: تعريف المعجزة وشروطها ونظائرها.

المبحث الثَّاني: العِلْم عند علماء المسلمين وعلماء العِلْم التَّجريبيُّ.

المطلب الأوَّل: العِلْم عند علماء المسلمين.

المطلب الثَّاني: العِلْم التَّجريبيُّ.

المطلب الثَّالث: مصادر العلم وأدلته عند علماء المسلمين وفي العِلْم التَّجريبيّ.

المبحث الثَّالث: مقاصِد تفسير آيات خلق الإنسان.

المطلب الأوَّل: مقاصد الشَّريعة ومقاصد القرآن.

المطلب الثَّاني: التفسير المقاصديُّ والمقاصد القرآنيَّة لخلق الإنسان.

يُعَدُّ التَّفسيرُ العلميُّ أحدَ المواضيعِ المثيرةِ الَّتي تربطُ بينَ القرآنِ الكريم والعلمِ التَّجريبيّ؛ إذ يسعى هذا النَّوعُ من التَّفسيرِ إلى الاستفادةِ من حقائقِ العلمِ التَّجريبيّ الحديثِ في تفسيرِ الآياتِ القُرآنيَّةِ الَّتي تتناولُ موضوعاتٍ علميَّةً، ولعلَّ المثالَ الأبرزَ لذلك هو الآياتُ المتعلِّقةُ بخلقِ الإنسانِ. ويتداخلُ التَّفسيرُ العلميُّ مع مفهومٍ آخرَ هو الإعجازُ العلميُّ، الَّذي يشيرُ إلى وجودِ إشاراتٍ في القرآنِ الكريمِ تتوافقُ الحقائقُ العلميَّةُ الحديثةُ معها. وفي هذا الفصلِ التَّمهيديّ، ستتمُّ مناقشةُ ثلاثةِ مباحثَ رئيسةٍ؛ يتضمَّن الأولُ منها تعريفَ التَّفسيرِ العلميّ والإعجازِ العلميّ، إضافة إلى تعريفِ المعجزةِ وبيان شروطِها، ويستعرض الثَّاني مفهومَ العلمِ عندَ علماءِ المسلمينَ وعندَ علماءِ العلمِ التَّجريبيّ، ويتناولُ الثالثُ مقاصدَ تفسيرِ آياتِ خلقِ الإنسانِ في القرآنِ الكريمِ.

المبحث الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلْمِيّ والإعجاز العِلْمِيّ:

يهدفُ هذا المبحثُ إلى توضيحِ المفاهيمِ الأساسيَّةِ المرتبطةِ بالتَّفسيرِ العلميّ والإعجازِ العلميّ، ويتضمَّنُ ثلاثةَ مطالبَ رئيسة؛ يتناولُ الأوَّلُ منها تعريفَ التَّفسيرِ العلميّ، ويعرضُ الثَّاني تعريفَ الإعجازِ العلميّ، ويركِّزُ الثَّالثُ على تعريفِ المعجزةِ وبيانِ شروطِها.

المطلب الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلْمِيّ:

يتناول هذا المطلب تعريفَ التَّفسير العِلْمِيّ باعتبار جزأيه لغة واصطلاحاً، وباعتباره مركبًا وصفيًّا، ثمَّ باعتباره عَلَمًا دالًّا على فنٍّ معيَّن.

الفرع الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلْمِيّ باعتبار جزأيه:

التَّفسير **في اللُّغة:** "الفَاءَ وَالسِّين وَالرَّاء كَلِمةٌ وَاحِدةٌ تَدُلُّ على بَيَانِ شَيءٍ وَإِيضاحِهِ، مِن ذلك الفَسْرُ، يُقالُ: فَسَرْتُ الشَّيءَ وَفَسَّرْتُهُ"(١) والتَّفْسير كَشْف المراد عَنِ اللَّفْظِ المشْكِل(٢)، أو "إظهار المعنى المعقول"(٣). وأمَّا **في الاصطلاح** فَقَدْ عَرَّفه الزَّرْكَشِيُّ(٤) بأنَّه "علم يُعْرَفُ به فهم كتاب الله المنزَّل على نبيِّه محمَّد صلَّى الله

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤/ ٥٠٤، مادة: (فسر).

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٥٥، مادة: (فسر).

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٦٣٦، مادة: (فسر).

(٤) هو محمَّد بن عبد الله بن بهادر المصريُّ الزَّركشيُّ الشَّافعيُّ، أبو عبد الله، كان فقيهًا أصوليًّا مفسِّرًا أديبًا، وله تصانيف كثيرة، منها: (البحر المحيط في الأصول)، و (البرهان في علوم القرآن)، و (شرح جمع الجوامع)، وتُوُفِّيَ سنة أربع وتسعين وسبعمئة للهجرة. انظر: الداودي، طبقات المفسرين، ٢/ ١٦٣؛ الزركلي، الأعلام، ٦/ ٦٠.

عليه وسلَّم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وَحِكَمه"[١]. وَعَرَّفه ابن عاشور[٢] بأنَّه "اسمٌ لِلْعِلْم الباحِث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يُستفاد منها باختصار أو توسُّع"[٣]. وَعَرَّفه الزُّرْقانيُّ[٤] بأنَّه "عِلْمٌ يُبحَث فيه عن القرآن الكريم مِن حيث دلالته على مراد الله تعالى بِقَدْرِ الطَّاقة البشريَّة"[٥]. وَتَكْثُر التَّعاريف الاصطلاحيَّة للتَّفسير، وَمَعَ ذلك فَهِي تلتقي مع التَّعاريف اللُّغويَّة في كَوْن التَّفسير هو البيان والإيضاح، وتتَّفق جميعها في كَوْن التَّفسير عِلْمًا، وأكثر التَّعاريف شمولًا التَّعريف الآتي: "عِلْم يُبحَث فِيه عن بيان القرآن الكريم، ومعرفة مراد الله تعالى مِنْه، واستخراج أحكامه وَحِكَمه وعلومه بِقَدْر الطَّاقة البشريَّة"[٦].

والمقصود بصفة النِّسبة إلى العِلْم هنا العلمُ التَّجريبيُّ بالمفهوم الغربيّ لِلْعِلْم، لا بالمعنى الاصطلاحيّ عند علماء المسلمين، وسيأتي بيان ذلك بالتَّفصيل في مبحث مستقلٍّ. ويكون التَّفسير العلميُّ **كمركَّب وصفيٍّ** مختصًّا بتفسير القرآن الكريم والآيات الكريمة من خلال ربطها بمعارف وحقائق العلوم التَّجريبيَّة.

الفرع الثَّاني: تعريف التَّفسير العِلْمِي باعتباره عَلَمًا دالًّا على فنٍّ معيَّن:

إنَّ مصطلح التَّفسير العِلْمِي مستحدَثٌ، ولعلَّ أقدم تعريف له هو أنَّه "التفسير الَّذِي يُحَكِّم الاصطلاحات العلميَّة في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفيَّة منها"[٧]. وقد تعدَّدت تعاريفه بين مؤيِّد ومعارِض، فَعُرِّف بأنَّه "الكشْف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما تُرجِمت صِحَّته من نظريَّات العلوم الكَوْنيَّة"[٨]. وعُرِّف بأنَّه "التَّوسُّع في مدلول الكلمات والآيات القرآنيَّة والاستيحاء من الكلمة منقطعة عن سِياقها في الآية أحيانًا، والاعتماد على الإشارات من هنا وهناك أحيانًا

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ١٣.

(٢) هو محمَّد الطَّاهر بن محمَّد الشَّاذليّ بن عبد القادر بن محمَّد بن عاشور، أبو محمَّد، نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، له العديد من المصنَّفات النَّافعة منها: (مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة) و (أصول النِّظام الاجتماعيّ في الإسلام) و (التَّحرير والتَّنوير) في تفسير القرآن. وتُوُفِّيَ سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة وألف للهجرة. انظر: الزركلي، الأعلام، ٦/ ١٧٤؛ يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، ٢/ ٦٢٨.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ١١.

(٤) هو محمَّد عبد العظيم الزُّرقانيُّ، من علماء الأزهر بمصر، تخرَّج في كليَّة أصول الدِّين، وعمل بها مدرِّسًا لعلوم القرآن والحديث، ومن أشهر كتبه: (مناهل العرفان في علوم القرآن)، تُوُفِّيَ سنة سبع وستِّين وثلاثمئة وألف للهجرة. انظر: الزركلي، الأعلام، ٦/ ٢١٠؛ يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، ٢/ ٦٤٢.

(٥) الزُّرقاني، مناهل العرفان، ٢/ ٣.

(٦) سقَّا، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ١/ ٢٦.

(٧) أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص٢٧٧.

(٨) الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص٢٤. وهذا التَّعريف شامل للقرآن والحديث.

أخرى"[١]. وعُرِّف بأنَّه "توظيف كُلِّ المعارف المتاحة لِحُسْـــن فَهْم دلالة الآية القرآنيَّة، وهذه المعارف قد تكون حقائق وقوانين كما قد تكون فروضًـا ونظريَّات"[٢]. وعُرِّف بأنَّه "التَّفسـير الَّذِي يجتهد في اسـتخراج مختلَف العلوم والآراء الفلسفيَّة من القرآن"[٣]. وعرِّف بأنَّه "بيان معاني القرآن الكريم باستنباط مُختلف العلوم الكونيَّة والنَّفسـيَّة والعقليَّة، أو بِتَوظيف العلوم التَّطبيقيَّة والبحثيَّة والمعارف التَّجريبيَّة الصَّـحيحة بِقَدْرِ الطَّاقة البشـريَّة وفق القواعد الشَّـرعية المقرَّرة"[٤]، وَكُلُّ تعريفٍ من التَّعاريف السَّـابقة يُعبِّر عن المنهج الَّذِي يرتضـيه صاحب التَّعريف للتَّفسير العلميِّ.

ويقترح الباحث التَّعريف الآتي للتَّفسـير العلميِّ: "بيان معاني الآيات القرآنيَّة وربطها بالحقائق الكونيَّة والنَّفسيَّة والعقليَّة الثَّابتة، من خلال توظيف المعارف العلميَّة التَّجريبيَّة الموثوقة، وفق منهج تفسـيريٍّ منضـبط بقواعد اللغة والشَّـريعة، دون إخراج النَّصَّ القرآنيَّ عن دلالاته المحتمَلة، وذلك بغرض إظهار اتِّسـاق الوحي مع سنن الكون، وإبراز شواهد الإعجاز العلميِّ عند وجودها".

ويتميَّز هذا التَّعريف بعدد من العناصر المنهجيَّة التي تُضفي عليه طابع الدِّقَّة والشُّمول، فالتَّعبير بـــ: **"بيان معاني الآيات القرآنيَّة"** يُعيد التَّفسـير العلميَّ إلى أصـله اللغويِّ والاصـطلاحيِّ، بوصـفه فرعًا من علم التَّفسـير لا نوعًا مستقلًّا عنه، ممَّا يقتضـي الالتزام بدلالات الألفاظ ضـمن سياقاتها اللغويَّة والشَّرعيَّة. وأمَّا عبارة: **"وربطها بالحقائق الكونيَّة والنَّفســيَّة والعقليَّة الثَّابتة"**، فَتُحدِّد نطاق هذا اللون من التَّفســير تحديدًا دقيقًا، بحصره في ربط نصوص الوحي بالمعارف المنضبطة الَّتي تنتمي إلى العلوم الطَّبيعيَّة والإنسانيَّة والعقليَّة، بشرط ثبوتها. ويُراد بـ: **"المعارف العلميَّة التَّجريبيَّة الموثوقة"** ما ثبت من حقائق وقوانين علميَّة بطريقة تجريبيَّة قطعيَّة، وهو ما يستبعد الفرضيَّات غير المستقرَّة، صيانةً للنَّص القرآنيِّ من أن يُربَط بما لم يثبت يقينًا. كما أن التَّنصـيص على: **"منهج تفسـيريٍّ منضـبط بقواعد اللغة والشَّـريعة"** يُبرز ضـرورة الالتزام بالأدوات الأصـوليَّة واللغويَّة المعتمَدة لدى أهل العلم، ويحول دون التَّفسـير المبنيِّ على الانطباع الشَّـخصـيِّ أو الإسـقاط غير المنضبط أو الإيحاءات الذِّهنيَّة المجرَّدة. وقد تضـمَّن التَّعريف قيدًا دقيقًا في القول: **"دون إخراج النَّص القرآنيِّ عن دلالاته المحتمَلة"**، وهو قيد يَحول دون التَّأويل البعيد أو التَّحميل القســريِّ لمعانٍ لا ينهض عليها دليل معتبَر، ويُسهِم في ضبط هذا المسلك التَّفسيريِّ ضمن حدوده المنهجيَّة. وقد خُتِم التَّعريف ببيان الغاية منه، وهي: **"إظهار اتِّســاق الوحي مع ســنن الكون، وإبراز شــواهد الإعجاز العلميِّ عند وجودها"**، ليُفهَم أنَّ

---

(١) الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص١٩٣.

(٢) النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ١/ ٣٥.

(٣) عتر، علوم القرآن الكريم، ص١١٤.

(٤) سقَّا، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ١/ ٦٢.

المقصود الرَّئيس من التَّفسير العلميّ هو الرَّبط بين كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور، مع التَّنبيه إلى أنَّ الإعجاز العلمي يُعَدُّ نتيجة لاحقة لهذا النَّوع من التَّفسير لا غاية أولى له.

المطلب الثَّاني: تعريف الإعجاز العِلْمِيّ:

يتضمَّن هذا المطلب تعريفَ الإعجاز العِلْمِيّ باعتبار جزأيه لغة واصطلاحاً، وباعتباره مركبًا وصفيًّا، ثمَّ باعتباره عَلَمًا دالًّا على فنٍّ معيَّن.

الفرع الأوَّل: تعريف الإعجاز العِلْمِيّ باعتبار جزأيه:

الإعجاز **لغةً** مصدر من (عَجَزَ) الَّتِي تدلُّ على مَعْنَيَيْن اِثْنَيْنِ؛ الأوَّل: مؤخَّر الشّيء، فَعَجُزُ الإنسان مؤخَّره، وبه شُبِّه مؤخَّرُ غَيْرِه، كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، فالعَجُز بهذا المعنى يدلُّ على التَّأخُّر عن الشَّيء، وَحُصُوله عند عَجُز الأمرِ. والثَّاني: الضَّعْف وَالقُصُور عن فِعْل الشَّيء، وهو ضِدُّ القُدْرَة. كما في قوله تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ [المائدة: ٣١]، وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢]، وقوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٣١]، فَتَقُول: أَعْجَزْتُ فلانًا وعَجَّزْتُهُ وعَاجَزْتُهُ بمعنى: جَعَلْتُه عاجِزًا[١]، وَيَبْدو أنَّ الصِّلةَ وثيقةٌ بين المعْنَيَيْن، فَمَنْ تأخَّرَ عن الشّيء فإنَّما يكون ذلك لِضَعْفٍ فِيه وَعَدَم قُدْرَته على الإتيان به على الوَجْه المطلوب.

ويُستعمَل الإعجاز بمعنى الفَوْت والسَّبق، فَيُقَال: أعجزَني فلانٌ، أَي: فَاتَنِي، كما يُستعمَل أيضًا في نسبة العجز للآخَر، فَيُقَال: أعجزَني فلانٌ، إذا عَجز عَن طَلَبِه وإدراكِه[٢].

وأمَّا **اصطلاحًا** فالإعجازُ هو: "ضعفُ القدرةِ الإنسانيَّةِ في محاولةِ المعجزةِ ومزاولتها، على شدَّةِ الإنسانِ واتصالِ عنايتهِ في ذلك، ثمَّ استمرارُ هذا الضَّعفِ على تراخي الزَّمنِ وتقدُّمهُ"[٣]. وَقَدْ وردت تعاريف متعدِّدة لإعجاز القرآن، منها ما خصَّ الإعجاز بالجانب اللُّغويّ كَتَعريف الكَفَويّ[٤] الَّذِي قال:

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٥٤٨، مادة (عَجَزَ)؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣٦٩/٥، مادة (عَجَزَ).

(٢) انظر: الهروي، تهذيب اللغة، ١/ ٢١٩.

(٣) البغا ومستو، الواضح في علوم القرآن، ص١٥١.

(٤) هو أيُّوب بن موسى الحنفيُّ القريميُّ الكَفَويُّ، أبو البقاء، قاضي القدس، ومن أشهر مؤلَّفاته: (تحفة الشاهان) في فروع الحنفية و (الكليَّات) في اللغة، تُوُفِّيَ سنة أربع وتسعين وألف للهجرة. انظر: البغدادي، هدية العارفين، ١/ ٢٢٩؛ الزركلي، الأعلام، ٢/ ٣٨.

"إعجاز القرآن ارتقاؤه في البلاغة إلى أنْ يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته"[١]، وكذلك تعريف الزُّرْقانيّ للإعجاز بأنَّه "إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحدَّاهم به"[٢]، وغيرهما. وَلَعلَّ مِن أشمل التَّعاريف تعريف الإعجاز بأنَّه "إظهار صِدْق النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم في دَعْوى الرِّسالة بإظهار عَجْزِ العرب عن معارضته في مُعْجِزته الخالدة، وهي القرآن، وعجز الأجيال بعدهم عن ذلك"[٣]؛ إذ ينطبق هذا التَّعريف على جميع أنواع الإعجاز.

وسَبَقت الإشارة إلى أنَّ المراد بوصف (العلميّ) هنا هو العلم التَّجريبيُّ بالمفهوم الغربيّ لِلْعِلْم، لا بالمعنى الاصطلاحيّ عند علماء المسلمين، وسيأتي بيان ذلك لاحقًا. ويكون تعريف الإعجاز العلميّ **كمركَّب وصفيّ** بأنَّه إثبات استحالة أن يأتي البشر بكتاب مثل القرآن يتضمَّن حقائق علميَّة دقيقة قبل أن يكتشفها العلم التَّجريبيُّ لاحقًا.

الفرع الثَّاني: تعريف الإعجاز العلميّ باعتباره عَلَمًا دالًّا على فنٍّ معيَّن:

اعتمدت هيئةُ الإعجاز العلميّ للقرآن والسُّنَّة تعريفَ الإعجاز العلميّ بأنَّه "تأكيد الكشوف العلميَّة الحديثة الثَّابتة والمستقرَّة، لِلحقائق الواردة في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة بأدلَّة تفيد القطع واليقين باتِّفاق المختصِّين"[٤]، وأكَّدت الهيئة على تحقُّق شرط اليقين فيما ظَهَرَ من العلوم التَّجريبيَّة؛ إذ لا بُدَّ مِنْه لِلقول بالإعجاز العلميّ.

المطلب الثَّالث: تعريف المعجزة وشروطها ونظائرها:

اهتمَّ العلماءُ بوضعِ تعريفٍ دقيقٍ للمعجزةِ وبيانِ الشُّروطِ الَّتي تميِّزُها عن غيرِها من الظَّواهرِ الخارقةِ للعادة. وسيتم في هذا المطلب تناولُ تعريفِ المعجزةِ وبيانُ شروطِها، ثمَّ مناقشةُ ذلك التَّعريفِ وتلك الشُّروطِ، كما سيتمُّ التَّطرُّقُ إلى نظائرِ لفظِ (المعجزةِ) في القرآنِ الكريمِ، يلي ذلك محاولةُ تأطيرِ مفهومِ الإعجازِ العلميّ من منظورٍ علميّ وشرعيّ.

---

(١) الكفوي، الكليات، ص١٤٩.

(٢) الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/ ٣٣١.

(٣) البغا ومستو، الواضح في علوم القرآن، ص١٥١.

(٤) من توصيات المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي الذي عُقِد في باكستان في إسلام آباد ٢٥-٢٨ صفر ١٤٠٨هـ. الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ٧٧.

الفرع الأوَّل: تعريف المعجزة وشروطها:

المعجزة لغةً: أصل المعجزة من مادة (عجز) الَّتِي سَبَق بيانها في تعريف الإعجاز. والإعجاز حقيقةً هو إثبات العَجْز، فاستعير لِإظهاره، ثمَّ أُسنِد مجازًا إلى ما هو سَبَبُ العَجْز، ثمَّ جُعِل اسمًا له، فقيل: معجزة، مع كَوْن الله تعالى هو مُعْجِز الخلائق بها، والتَّاء للنَّقل مِن الوَصْفيَّة إلى الاسميَّة أو للمبالغة(١).

المعجزة اصطلاحًا: أَوَّلُ مَنْ عَرَّفَ المعجزةَ اصطلاحًا -في حدود ما اطَّلعت عليه- هو الباقِلَّانيُّ(٢) بقوله: "هي أَفْعَالُ اللهِ تعالى الخارقة لِلْعَادة، المطابقة لِدَعوى الأنبياء وَتَحَدِّيهم الأمم بالإتيان بِمِثْلِ ذلك"(٣)، وَعَرَّفها القاضي عبد الجبَّار المعتزليُّ(٤) بأنَّها "الفِعْل الَّذِي يدلُّ على صِدْق المدَّعي لِلنُّبُوَّة"(٥)، وَعَرَّفَها أبو المَعين النَّسفيُّ الماتريديُّ(٦) بأنَّها "ظهور أَمْرٍ بِخِلَاف العادةِ في دار التَّكليف لِإظهار صِدْقِ مُدَّعِي النُّبُوَّة مع نُكُول مَنْ يُتَحَدَّى بِهِ عَنْ معارضته بِمِثْلِه"(٧)، وَعَرَّفَها الرَّازيُّ(٨) بأنَّها "أَمْرٌ خارقٌ لِلْعَادة مقرونٌ بالتَّحَدِّي

---

(١) انظر: الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ٢/ ٢٠٣.

(٢) هو القاضي محمَّد بن الطيِّب بن محمَّد المعروف بالباقلَّانيّ، البصريُّ الأشعريُّ، أبو بكر، المتكلِّم المشهور، صنَّف التَّصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، منها: (إعجاز القرآن) و (الإنصاف) و (الملل والنِّحل)، وتُوُفِّيَ سنة ثلاث وأربعمئة للهجرة. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٢٧٠؛ الزركلي، الأعلام، ٦/ ١٧٦.

(٣) الباقلاني، الإنصاف، ص٥٨.

(٤) هو القاضي عبد الجبَّار بن أحمد بن عبد الجبَّار بن أحمد الهمذانيُّ الأسدابادِيُّ، وهو الَّذي تُلقِّبه المعتزلة قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه ولا يعنون به عند الإطلاق غيرَه، وهو إمام أهل الاعتزال في زمانه، وكان ينتحل مذهب الشَّافعيِّ في الفروع، تُوُفِّيَ سنة خمس عشرة وأربعمئة للهجرة. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٨/ ٢٠؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٥/ ٩٧.

(٥) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٥٦٨.

(٦) هو ميمون بن محمَّد النَّسفيُّ، أبو المَعين، الفقيه الحنفيُّ والأصوليُّ، من تصانيفه: (تبصرة الأدلة في علم الكلام) و (التَّمهيد لقواعد التَّوحيد)، و (شرح الجامع الكبير للشَّيبانيّ في الفروع)، تُوُفِّيَ سنة ثمان وخمسمئة للهجرة. انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٢/ ٤٨٧؛ الزركلي، الأعلام، ٧/ ٣٤١.

(٧) النسفي، التمهيد لقواعد التوحيد، ص٧٤.

(٨) هو محمَّد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن عليّ التَّيميُّ البَكريُّ، فخر الدِّين الرَّازيُّ، أبو عبد الله، الفقيه الشَّافعيُّ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له تصانيف كثيرة منها: تفسيره المشهور (مفاتيح الغيب)، ومنها في علم الكلام: (المطالب العالية) و (نهاية العقول) و (مُحصَّل أفكار المتقدِّمين والمتأخِّرين)، ومنها في أصول الفقه: (المحصول) و (المعالم)، وغيرها الكثير، تُوُفِّيَ سنة ست وستمئة للهجرة. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٢٥٢؛ الزركلي، الأعلام، ٦/ ٣١٣.

مع عَدَمِ المعارضـــة"[١]. ويلتقي المعنى الاصـــطلاحيُّ للمعجزة مع معناها اللُّغويّ في عدم قدرة الخلق على الإتيان بالشّيء المعجز.

واشترط القاضي عبد الجبَّار في المعْجِز شروطًا؛ هي: أنْ يكون مِن جهة الله تعالى، أو في الحُكْم كَأَنَّه مِن جهته، وأن يكون واقعًا عَقِبَ دعوى المدَّعِي لِلنُّبُوَّة، فَلَوْ تَقَدَّم عليها لم تتعلَّق به فَلَا يكون بالدَّلالة على صِدْقه أحقَّ مِنْه بالدَّلالة على صِدْق غَيْرِه، وأن يكون مطابقًا لِدَعْواه، وأن يكون ناقضًا لِعَادة مَنْ بَيْنَ ظهرانيه[٢]. ووافقه عَضُد الدّين الإِيْجِي[٣] فاشترط في المعجز أن يكون فِعْلًا لله أو ما يقوم مَقَامه، وأن يكون خارقًا للعادة، وأن يكون ظاهرًا على يد مُدَّعِي النُّبُوَّة لِيُعْلَمَ أنَّه تصـديقٌ له، وأن يكون موافقًا للدَّعوى، وَأَلَّا يكون ما ادَّعَاه وأظهره مُكَذِّبًا له، وَأَلَّا يكون مُتَقَدِّمًا على الدَّعوى بَلْ مقارنًا لها، وزاد عليه أن تتعذَّر معارضته[٤].

الفرع الثَّاني: مناقشة تعريف المعجزة وشروطها:

يبدو من خلال اسـتعراض تعاريف المعجزة وشـروطها أنَّ تلك الشُّـروط ليسـت على درجةٍ واحدة، فَبَعْضُـها يسـتند إلى أدلة نقليَّة، وبعضـها الآخر يرتكز على قواعد عقليَّة، وَبَعْضُـها مُجْمَعٌ عليه، وَبَعْضُـها مُختلَفٌ فيه، ومن المفيد بيان المسائل والفروق الآتية:

- **المعجزة أَمْرٌ أم فِعْلٌ؟**

أطلَقَتْ بعضُ التَّعاريف لفظَ الأَمْر بينما قَيَّدَتْهُ بعضُ التَّعاريف الأخرى بِلَفْظِ الفِعْلِ، والأَمْرُ أعمُّ مِن الفِعْل فهو يشـــتمل عليه وعلى عَدَمِه، والمعْجِز قد يكون إتيانًا بِغَيْرِ المعتاد، وقد يكون مَنْعًا مِن المعتاد[٥]. وَمَنْ اعتمدَ (الفِعْل) في التَّعريف قصـد أنَّ المعجزة فِعْلٌ لله تعالى يُقصَـد بِمِثْلِه التَّصـديق، أو قائمٌ مَقَام الفِعْل بِقَصْـد التَّصـديق، وَجَعَلَ انتفاء الفِعْل فِعْلًا[٦]، فَجَعَلَ المعجزة في عَدَم الإحراق كَوْن النَّار بردًا وسـلامًا أو

---

(١) الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص٢٠٧.

(٢) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٥٦٩.

(٣) هو عضد الدّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن عبد الغفَّار بن أحمد الإِيْجِيُّ، كان إمامًا في المعقولات عارفًا بالأصلين والمعاني والبيان والنَّحو، له مصنَّفات كثيرة أشهرها: (المواقف في علم الكلام) و (شرح مختصر ابن الحاجب)، و (القواعد الغيَّاثيَّة)، تُوُفِّيَ سنة ست وخمسين وسبعمئة للهجرة. انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٠/ ٤٧؛ الزركلي، الأعلام، ٣/ ٢٩٥.

(٤) انظر: الإيجي، المواقف، ٣/ ٣٣٩.

(٥) انظر: الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص٢٠٨.

(٦) انظر: الجُوَيْني، الإرشاد إلى قواطع الأدلَّة في أصول الدِّين، ص: ٣٢٩.

بقاء الجسم على ما كان عليه دون احتراق[١]. وَفَصَّل بعضُهم في عَرْض ذلك فقال: لو قال مُدَّعِي النُّبُوَّة: آيَتِي أنْ يمتنع على أهل هذا الإقليم القيامُ مُدَّة قيام هذه المعجزة، فَمَعَ كَوْن هذا الامتناع عن القيام انتفاء فِعْل لا فِعْل، إلَّا أنَّ الوَجْه أنَّ القعود المستمِرَّ مع محاولة القيام هو المعْجِز، فَرَجَع المعْجِز إلى الفِعْل، فَإنْ اعتُرِضَ بِأنَّ القعودَ مُعتادٌ والمعْجِزَ خارقٌ لِلْعَادة، أُجيبَ بأنَّ القعودَ المستمِرَّ مع محاولة القيام خارقٌ للعادة، وهذا شرط المعجزة[٢].

ويبدو أنَّ الخِلَاف نظريٌّ لفظيٌّ يَسْقُط عند التَّطبيق، فَكِلَا الفريقَين أدرج الخوارق القَوْليَّة والامتناع عن الفِعْل ضمن المعجزات فَلَمْ يَحْصُر المعجزات بِخَوارق العادات من الأفعال، كما أنَّ لفظ الأمر مفضَّلٌ على لفظ الفعل في تعريف المعجزة؛ لأنَّه يُعَبِّر عن المقصود في أصل وَضْعه.

- **خرق العادة:**

يعود فَهْمُ أصلِ هذا الشَّرط إلى معرفة أقسام الحُكْم العقليِّ، ثُمَّ تحديد قُدْرَة الله بالممكنات، يقول الدَّردير[٣]:

أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْلِ لا مَحَالَهْ ... هِيَ الوُجوبُ ثُمَّ الاسْتِحَالَهْ

ثُمَّ الجَوازُ ثَالِثُ الأَقْسَامِ ... فافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأَفْهامِ[٤]

فالتَّفريق بين الواجب والمستحيل والجائز وما يُبْنَى عليه من التَّمييز بين المستحيل العقليِّ والمستحيل العُرْفِيِّ يجعل المعجزات محصورةً بالثَّاني، لِمَانعٍ من حدوث المستحيل العقليِّ في ذاته لَا للعجز عن إحداثه، يقول الدَّردير:

فالواجبُ العقليُّ ما لم يَقبَلِ ... الانتِفا في ذاتِه فابتَهِل

والمُستَحيلُ كلُّ ما لم يَقْبَلِ ... في ذاتِه الثُّبوتَ ضِدُّ الأوَّلِ

---

(١) انظر: فودة، الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية، ص٤٦٢.

(٢) انظر: الجُوَيْني، الإرشاد إلى قواطع الأدلَّة في أصول الدِّين، ص: ٣٢٩.

(٣) هو أحمد بن محمَّد بن أحمد بن أبي حامد العَدَويُّ المالكيُّ الأزهريُّ الخَلْوَتِيُّ ، الشَّهير بأحمد الدَّردير، عالم زمانه في الفنون العقليَّة والنَّقلية وشيخ أهل الإسلام، وله مؤلَّفات كثيرة، منها: (أقرب المسالك لمذهب مالك) في الفقه المالكيّ، و (الخريدة البهيَّة) في التَّوحيد، و (تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان) في التَّصوف، تُوُفِّيَ سنة واحدة ومئتين وألف للهجرة. انظر: البيطار، حلية البشر، ص١٨٥؛ الزركلي، الأعلام، ١/ ٢٤٤.

(٤) الدردير، شرح الخريدة البهية، ص ١١، والأبيات من بحر الرَّجز.

وكُلُّ أَمْرٍ قَابِلٍ للانْتِفا ... وللثُبوتِ جائِزٌ بلا خَفا[١]

وبذلك لا يمكن للمعجزات أنْ تُلْغِيَ الواجبَ عقلًا، وَلَا أنْ تُحَقِّق المستحيلَ عقلًا، وإنَّما ينحصر دورها في الجائزات، وَبِمَا أنَّ الجائزات هي ما يمكن حدوثه ويمكن انتفاؤه، فَحُدوثه أو انتفاؤه مجرَّد عادة يمكن خرقها من خلال التَّأثير في علاقة الاقتران المطَّرِد بين الأسباب والمسبَّبات، فيكون خرق العادات بخلق المسبَّبات دون الأسباب أو إحداث أسباب على منهج غير معتاد[٢]. كما يعود هذا الشَّرط إلى تَصَوُّر العلاقة بين الأسباب والمسبَّبات، فَيَرى الأشاعرة[٣] أنَّ هذه العلاقة هي علاقة اقتران لا غير، وإنَّما تحدث المسبَّبات عند الأسباب لا بها، يقول الدَّردير:

تَخَالُفٌ للغيْرِ وحدانية ... في الذَّاتِ أو صِفَاتِهِ العليَّة

والفِعلِ فالتأثيرُ ليسَ إلا ... للواحِدِ القَهَّار جلَّ وعَلا

ومن يَقُل بالطَّبعِ أو بالعلَّة ... فذاكَ كُفرٌ عند أهلِ المِلَّة

ومَن يَقُل بِالقُوَّةِ المُودَعَةِ ... فَذَاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلتَفِتِ[٤]

فالله تعالى مُتَّصف بوحدانية الأفعال، ولا يوجد مَنْ له فعل من الأفعال إلَّا هو، وما سِواه عاجِزٌ لا تأثير له في شيء من الأشياء[٥]، فليس للماء مثلًا طبيعة مودعة يحصل بها إخراج النَّبات، ولا للنَّار طبيعة يحصل بها الإحراق، بل إنَّ الإنبات يحصل عند الماء لا به، وكذلك الإحراق يحدث عند النَّار لا بها، فالعلاقة بين السَّبَب والمسبَّب لا تعدو مجرَّد العادة، و"الاقتران بين ما يُعتقَد في العادة سببًا وبين ما يُعتقَد مسبَّبا ليس ضروريًّا، فلا إثبات أحدهما يتضمَّن إثبات الآخر، ولا نفيه يتضمَّن نفيَ الآخر، وليس مِن ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا مِن ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر، مثل: الرِّي والشُّرب، والشِّبع والأكل، والاحتراق ولقاء النَّار، والنُّور وطلوع الشَّمس، والموت وَجزِّ الرَّقبة، والشِّفاء وشرب الدَّواء، وإسهال

---

(١) الدردير، شرح الخريدة البهية، ص ١١.

(٢) انظر: الغزالي الطوسي، تهافت الفلاسفة، ص ٣٠٦.

(٣) الأشاعرة: هم أتباع الإمام أبي الحسن الأشعريّ (المتوفى ٣٢٤هـ)، إحدى فرق أهل السُّنَّة والجماعة التي اعتمدت منهجًا وسطيًّا يجمع بين النَّقل والعقل، مع تأويل بعض الصِّفات الإلهيَّة بما يناسب تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، وقد رَكَّز الأشاعرة على العقائد وردِّ شبهات المعتزلة والجهميَّة وغيرهم. انظر: الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص ٢٠-٣٤. ومن أبرز كتب الإمام أبي الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، حيث شرح فيه مقالات الفرق الإسلامية بما في ذلك الأشاعرة.

(٤) الدردير، شرح الخريدة البهية، ص ١١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٥٩.

البطن واستعمال المسهل، وَهَلُمَّ جَرًّا، إلى كلِّ المشاهدات من المقترنات في الطِّبِّ والنُّجوم والصِّناعات وَالحِرَف، فإنَّ اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقها على التَّساوق لا لِكَوْنه ضروريًّا في نفسه غير قابل للتَّخلُّف، بل في المقدور خلق الشِّبع دون الأكل، وخلق الموت دون جزّ الرَّقبة، وإدامة الحياة مع جزِّ الرَّقبة، وَهَلُمَّ جَرًّا إلى جميع المقترنات"(١).

وأمَّا القول بِطَبائع الأشياء والسَّببية فقد نسبه الغزاليُّ(٢) للفلاسفة وَرَدَّ عليهم(٣)، فَهُمْ يرون أنَّ علاقة الأسباب بالمسبَّبات هي علاقة تلازمٍ بالضَّرورة، وليس في المقدور ولا في الإمكان إيجاد السَّبب دون المسبَّب، ولا وجود السَّبب دون المسبَّب، وقد بُنِيَ على هذا إنكارهم للمعجزات باعتبارها خوارق للعادات فقاموا بتأويلها(٤)، وقد صنَّف الغزاليُّ كتابه التَّهافت لِلرَّدِّ عليهم في عشرين مسألة، ثمَّ حصر أسباب تكفيرهم في ثلاث مسائل فقط، وهي: قولهم بِقِدَمِ العالم وقِدَم الجواهر كلِّها، وقولهم: إنَّ علم الله لا يحيط بالجزئيَّات الحادثة، وإنكارهم لِبَعث الأجساد وحشرها، ولم يَجعل منها القول بطبائع الأشياء أو حتميَّة ارتباط الأسباب والمسبَّبات(٥).

وأمَّا القول بالقوَّة المودعَة فقد قال به فريق آخر من المسلمين، يقول ابن تيميَّة(٦): "ومعلوم أنَّه ليس في المخلوقات شيءٌ هو وحده عِلَّةٌ تامَّة وَسَببًا تامًّا للحوادث، بمعنى أنَّ وجوده مستلزِم لوجود الحوادث، بل ليس هذا إلَّا مشيئة الله تعالى خاصَّة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وأمَّا الأسباب المخلوقة كالنَّار في الإحراق والشَّمس في الإشراق والطَّعام والشَّراب في الإشباع والإرواء ونحو ذلك، فجميع هذه الأمور سبب لا يكون الحادث به وحده، بل لا بُدَّ من أنْ ينضمَّ إليه سبب آخر، ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الأثر، فكلُّ سبب فهو موقوف على وجود الشُّروط وانتفاء الموانع، وليس في المخلوقات واحد يصدر

---

(١) الغزالي الطوسي، تهافت الفلاسفة، ص٢٣٩.

(٢) هو محمَّد الغَزَّاليُّ الطُّوسِيُّ النَّيْسَابُوريُّ الصُّوفيُّ الأشعريُّ، أبو حامد، حجَّة الإسلام والفقيه الشَّافعيُّ، صنَّف الكتب الكثيرة منها: (الوسيط) و (البسيط) و (الوجيز) و (المستصفى) و (إحياء علوم الدِّين) و (تهافت الفلاسفة)، وتُوُفِّيَ سنة خمس وخمسمئة للهجرة. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٢١٨؛ الزركلي، الأعلام، ٧/ ٢٢.

(٣) انظر: الغزالي الطوسي، تهافت الفلاسفة، ص١٣٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٢٣٦.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٣٠٧.

(٦) هو تقيُّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمَّد بن تيميَّة الحرَّانيُّ الدِّمشقيُّ الحنبليُّ، أبو العبَّاس، الفقيه المجتهد النَّاقد المفسِّر الأصوليُّ، له الكثير من التَّصانيف والتَّعاليق المفيدة والفتاوى في الأفرع والأصول والحديث، منها: (تأسيس التَّقديس) و (كتاب السِّياسة الشَّرعيَّة) و (كتاب التَّصوف)، تُوُفِّيَ سنة ثمان وعشرين وسبعمئة للهجرة. انظر: الداودي، طبقات المفسرين، ١/ ٤٦؛ الزركلي، الأعلام، ١/ ١٤٤.

عنه وحده شـــيء"[١]، كما يقول: "وإنْ أريد بالتَّأثير أنَّ خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بِتَوسُّـــط القُدْرَة المحدَثة، بِمَعْنى أنَّ القُدْرَة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه وتعالى الفعل بهذه القُدْرَة، كما خَلْقُ النَّبات بالماء وكما خَلْقُ الغيث بالسَّـــحاب، وكما خَلْقُ جميع المســـبَّبات والمخلوقات بوســـائط وأسباب فهذا حقٌّ، وهذا شأن جميع الأسباب والمسبَّبات"[٢].

ويبدو واضـــحًا أنَّ الخِلَاف بين الفريقين هو حول طبيعة تخلُّف أثر السَّـــبب، هل هو خرقُ عادةٍ أم توقُّفٌ على الشُّـروط والموانع؟ فَعَلاقةُ السَّبب بالمسبَّب عند ابن تيميَّة علاقةُ علَّةٍ بِمَعلولها وشـرطٍ بِمَشـروطه، وله فيه نوعُ تأثيرٍ، كما أنَّ خلقَ المسبَّب بالسَّبب ناتجٌ عن قوَّةٍ محدَثة ومخلوقة في السَّبب عند ابن تيميَّة بينما هي علاقةُ اقترانٍ مجرَّدٍ كَمَا يرى الغزاليُّ، وينبني على هذا الخِلَاف كَوْن المعجزة هي خرقٌ لِلْعَادة من خلال التَّأثير في علاقة الاقتران المطَّرد بين الأســـباب والمســـبَّبات، فيكون خرق العادات بخلق المســـبَّبات دون الأسـباب أو إحداث أسـباب على منهجٍ غير معتاد عند الأشـاعرة[٣]، بينما هي خرقٌ لِلْسُّـنَنِ الكَوْنيَّة في التَّلازم الثابت بين الأسباب والمسبَّبات عند ابن تيميَّة[٤].

- **الاقتران بالتَّحَدِّي:**

يبدو أنَّ اشـتراطَ الاقتران بالتَّحَدِّي في المعجزة راجعٌ إلى اشـتراط كَوْن المعجزة خارقةً للعادة، حيث إنَّ المقصود بالعادة ما اعْتَادَه النَّاس في زمانٍ مُعَيَّنٍ أو مكانٍ مُحَدَّدٍ، ولا يُشترَط له أنْ يكون مطلقًا عامًّا، وسبق بيان أنَّ هذا مَبنيٌّ على مفهوم العلاقة بين الأسباب والمسبَّبات الَّذِي اعتمدوه والتزموا بِلَوازمه.

وَيرى الرَّازيُّ أنَّ اشـتراطَ الاقتران بالتَّحَدِّي لازم لِئَلَّا يَتَّخِذ الكاذبُ حُجَّةَ مَنْ سَـبَقَهُ حُجَّةً لِنَفْسـه، وَلِيَتَمَيَّز عن الارهاصـات والكرامات، وَلَكِنَّه مع اشـتراطه اقتران المعجزة بالتَّحَدِّي لم يَشـترط التَّصـريح بهذا التَّحَدِّي، وإنَّما اكتفى بِدَلالة قرائن الأحوال عليه وَالَّتي تُشـكِّل دعوى النُّبُوَّة ذروةَ سـنامه، فتراه لا يتمسَّـك بهذا الشَّـرط عند تحقيق المعجزات آحادًا، فَجَعَل من المعجزات إشـباعَ الخلق الكثير بالطَّعام القليل[٥]، وَنَبعَ

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٨/١٣٣.

(٢) المرجع السابق، ٨/ ٣٨٩.

(٣) انظر: الغزالي الطوسي، تهافت الفلاسفة، ص ٣٠٦.

(٤) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٨/ ٣٨٩.

(٥) تَكَرَّرتْ هذه المعجزة لِلنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أكثر من مَرَّة، منها ما كان في يوم الخندق حينما أطعم ألف نفرٍ من شاة صغيرة وصاع من شعير، كما في الحديث المرويّ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وغيره الكثير. والحديث في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ٥/ ١٠٨، رقم ٤١٠٢، وهو في صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار مَن يثق بِرِضاه، ٣/ ١٦١٠، رقم ٢٠٣٩.

الماء من بين أصابعه الشَّريفة[١]، والإخبارَ عن الغيب[٢]، وغيرها ممَّا لم يلابس فيها التَّحَدِّي ظهورَ المعجزة، وَقَدْ صرَّح الرَّازيُّ بأنَّ كلَّ مَن ادَّعى النُّبُوَّة ثمَّ ظهر الأمر المعجز على يديه كان نبيًّا[٣]. ولم يشترط العَضُد التَّصريح بالتَّحَدِّي، بل إنَّه صرَّح بأنَّ الحقَّ في عدم اشتراطه، وبكفاية قرائن الأحوال، كَأَنْ يَدَّعي النُّبُوَّةَ وتُطلَب منه المعجزات فيأتي بها[٤].

ويبدو أنَّ اشتراط الاقتران بالتَّحَدِّي موجود في إطار التَّعريف النَّظريّ للمعجزة وَيَتخلَّف عند التَّطبيق؛ إذ يسقط في سياق إثبات الكثير من المعجزات الظَّاهرات كَانْشقاق القمر[٥] وحنين الجذع[٦] ونبع الماء والإسراء والمعراج[٧]، وإخبار الأنبياء المتقدِّمين بِنُبُوَّتِه صلَّى الله عليه وسلَّم[٨]، وغيرها الكثير، وهذا ما لا يقول به أحد، ولذلك فمِن الأجدر عدم اشتراط اقتران المعجزات بالتَّحَدِّي، واعتبار كلِّ ما أظهره الله تعالى على يد نبيٍّ من الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام معجزة سواء تحدَّى بها أم لا.

---

(١) ورد ذلك في الحديث المرويّ عن جابر بن عبد الله في صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النُّبُوَّة في الإسلام، ٤/ ١٩٣، رقم ٣٥٧٦.

(٢) كما في إخباره صلَّى الله عليه وسلَّم عن انتشار الإسلام وظهور أمره، كما في الحديث المرويّ عن ثوبان في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب هلاك هذه الأمَّة، ٤/ ٢٢١٥، رقم ٢٨٨٩. وكما في إخباره صلَّى الله عليه وسلَّم بِفَتح مصر في الحديث المرويّ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه في صحيح مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة، باب وصيَّة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بأهل مصر، ٤/ ١٩٧٠، رقم ٢٥٤٣. وكما في إخباره صلَّى الله عليه وسلَّم بِوَفاة فاطمة رضي الله عنها وأنَّها أوَّل أهله موتًا ولحوقًا به، كما في الحديث المرويّ عن عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب فضائل فاطمة بنت النَّبيِّ عليها السَّلام، ٤/ ١٩٠٤، رقم ٢٤٥٠، وغيرها الكثير.

(٣) انظر: الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص٢٠٨.

(٤) انظر: الإيجي، المواقف، ٣/ ٣٣٨.

(٥) الحديث مرويٌّ عن عبد الله بن مسعود في صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (وانْشقَّ القمر)، ٦/ ١٤٢، رقم ٤٨٦٤، وفي صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار، باب انشقاق القمر، ٤/ ٢١٥٨، رقم ٢٨٠٠.

(٦) وردت قصة حنين الجذع له صلَّى الله عليه وسلَّم لَمَّا تحوَّل عنه واتَّخذ منبرًا في الحديث المرويّ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النُّبُوَّة في الإسلام، ٤/ ١٩٥، رقم ٣٥٨٣.

(٧) وردت قصة الإسراء والمعراج في الحديث المرويّ عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما في صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ٥/ ٥٢، رقم ٣٨٨٧.

(٨) والأحاديث في ذلك كثيرة، منها ما ورد عن إخبار علماء أهل الكتاب بِصِفَته صلَّى الله عليه وسلَّم ومكانه ووقت خروجه وهو ما كان سببًا في إسلام سلمان الفارسيّ رضي الله عنه، كما في الحديث المرويّ في مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه، ٣٨/ ١٠٢، رقم ٢٢٩٩٧.

- **دعوى النُّبُوَّة والسَّلامة عن المعارضة:**

يتمُّ غالبًا ربطُ النُّبُوَّة بالمعجزة، وهو المراد من التَّحدّي[١]، وذلك بأنْ يقوم النَّبيُّ بِفِعلٍ ثُمَّ يطلب من الخصم معارضتَه والإتيان بمثله، ويكون النَّبيُّ عندها على يقينٍ بأنَّ خصمَه غير قادرٍ على الإتيان بمثل هذا الفعل. وهذا ما فَعَلَه صلَّى الله عليه وسلَّم حين تلا على مشركي العرب القرآنَ، وجاهرهم بأنَّه كلام الله يوحى به إليه، وأنَّه وحده الدَّليل على أنَّه نبيُّ الله المرسَل إليهم[٢]، فالمعجزة تختصُّ بالصَّادق، وفي نفس المعنى يقول الجُوَيْني[٣]: "لا تظهر المعجزة على يَدَي الكاذِب؛ لأنَّها لو ظهرت لَدَلَّت على صِدْقه، وتصديق الكاذِب مستحيل في قضيَّات العقول، فإنْ قيل: هل تجوِّزون في المقدور وقوع المعجزة على حسب دعوى الكاذب، أم تقولون ليس ذلك من المقدور؟ قلنا: ما نرتضيه في ذلك أنَّ المعجزة يستحيل وقوعها على حسب دعوى الكاذب؛ لأنَّها تتضمَّن تصديقًا، والمستحيل خارج عن قبيل المقدورات، ووجوب اختصاص المعجزة بدعوى الصَّادق كَوُجوب اقتران الألم بِالعِلْم به في بعض الأحوال، وجنس المعجزة يقع من غير دعوى، وإنما الممتنع وقوعه على حسب دعوى الكاذب"[٤]. وبذلك فإنَّ "ظهور المعجزة على يد الكاذب لِأَيِّ غَرَضٍ فَرَضٌ، وإنْ جاز عقلًا -بناء على شمول قدرة الله- فهو ممتنع عادةً معلوم الانتفاء قطعًا"[٥]؛ إذ لا بُدَّ من تميُّز الأنبياء عن غيرهم فيما يتعلَّق بأمر المعجزة، وذلك باستحالة حصولها لِغَيْرهم.

واشتُرِط في المعجزة السَّلامة عن المعارضة لِيَتميَّز الأمر المعجز عن السِّحر والشَّعوذة[٦]. فإنْ تمَّ الأمر المتحدَّى به وفقًا لهذا الشَّرط مع الشُّروط المتقدِّمة، فهو معجزة دالَّة على نُبُوَّة مَن ظهرت على يده، فإنْ أقام الله تعالى مَن يعارضه حتَّى يأتي بمثل ما أتى به، خرج عن كَوْنِه معجزًا وَبَطل كَوْن المدَّعي نبيًا، ولهذا قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]؛ أي: إنْ ادَّعيتم أنَّ القرآن مِن نَظْمِه صلَّى الله عليه وسلَّم فانظموا عَشْر سُور مثله، فإذا أمسيتم في معارضته عاجزين فَأَيقنوا أنَّه ليس

---

(١) انظر: الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ٢/ ٢٠٣.

(٢) انظر: محمود شاكر، مداخل إعجاز القرآن، ص ٢٩. مع ملاحظة أنَّ القرآن دليلٌ أساسيٌّ وليس وحيدًا على رسالة رسولنا عليه الصَّلاة والسَّلام.

(٣) هو عبد الملك ابن الإمام أبي محمَّد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمَّد بن حَيُّوَيْه الجُوَيْنيُّ النَّيسابوريُّ، أبو المعالي، شيخ الشَّافعيَّة وإمام الحرمين، صاحب التَّصانيف الكثيرة منها: (نهاية المطلب في المذهب) و (الإرشاد في أصول الدِّين) و (الرِّسالة النِّظاميَّة في الأحكام الإسلاميَّة) و (البرهان في أصول الفقه)، وتُوُفِّيَ سنة ثمان وسبعين وأربعمائة للهجرة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٤٦٨؛ الزركلي، الأعلام، ٤/ ١٦٠.

(٤) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٥) التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، ٢/ ١٧٩.

(٦) انظر: الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص٢٠٨.

مِن نظمه[١]. فإعجاز القرآن يتَّصف بِعَدَم قدرة الكافرين على معارضته، وعجزهم عن الإتيان بمثله، مع تَوفُّر الملَكة البيانيَّة لديهم، وقيام الدَّاعي على ذلك، وهو استمرار تَحدِّيهم، وتقرير قصورهم عن ذلك[٢]. و"معلوم أنَّ سبيلَ الكلام سبيلُ ما يدخله التَّفاضل، وأنَّ للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض، ومنازل يعلو بعضها بعضًا، وأنَّ علم ذلك علم يَخصُّ أهله، وأنَّ الأصل والقدوة فيه للعرب، وَمَنْ عداهم تَبَعٌ لهم وقاصرٌ فيه عنهم، وأنّه لا يجوز أنْ يُدَّعى للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، الَّذِي نزل فيه الوحي، وكان فيه التَّحدِّي، أنّهم زادوا على أولئك الأولِين، أو كَمُلوا في علم البلاغة أو تعاطيها لما لم يكملوا له... ونرى الجاحظ[٣] يدَّعي للعرب الفضل على الأمم كلِّها في الخطابة والبلاغة، ويناظِر في ذلك الشُّعوبيَّة[٤]، ويجهِّلهم وَيُسَفِّه أحلامهم في إنكارهم ذلك، ويقضي عليهم بالشِّقوة وَبِالتَّهالُك في العصبيَّة، ويطيل ويطنب... والأمر في ذلك أظهر مِن أنْ يخفى، أو أنْ ينكره إلَّا جاهلٌ أو معاندٌ"[٥]. والخلاصة أنَّ القرآن الكريم لم يُعارَض في الماضي ولا في الحاضر، وَلَنْ يُعارَض في المستقبل؛ تصديقًا لِقَوله سبحانه: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤].

الفرع الثَّالث: نظائر لفظ (المعجزة):

لم يَرِدْ لفظ المعجزة بمعناه الاصطلاحيّ في القرآن الكريم وإنَّما تتعدَّد الألفاظ الدَّالَّة على الاستدلال فيه، وتنقسم إلى دليلٍ وَحُجَّة وَبَيِّنَة وَسُلْطَان وَبُرْهَان[٦]، وقد ذهب الكثير من العلماء إلى ترادف تلك الألفاظ، يقول الباقِلَّانيُّ: "الدَّليل والدَّلالة والمستدَل به أَمْرٌ واحِدٌ وهو البيان والحُجَّة والسُّلطان والبرهان،

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٧١.

(٢) انظر: صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص ١٧.

(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، أبو عثمان، كان عالماً بالأدب، مصنِّفًا في فنون العلوم، وكان من أئمَّة المعتزلة وتلميذ أبي إسحاق النظَّام، له الكثير من التَّصانيف، أشهرها: (البيان والتَّبيين) و (الحيوان)، وتُوُفِّيَ سنة خمس وخمسين ومئتين للهجرة. انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٥/ ٢١٠١؛ الزركلي، الأعلام، ٥/ ٧٤.

(٤) يقصد بالشُّعوبيَّة: "تعصُّبُ كلِّ شعب لقوميَّته وحضارته، وبُغضِ العرب، وقد اشتدَّت هذه الحركة في العصر العبَّاسيّ، ولا سيَّما الزَّمن الَّذي عاش فيه الجاحظ، ونجمت عن تعدُّد الشُّعوب الَّتي ضمَّها المجتمع العبَّاسيُّ من فُرسٍ وزَنجٍ وروم وهُنودٍ، إلى جانبِ العرب الَّذين يمثِّلون الأمَّة الحاكمة، فكانت محاولة هذه الشُّعوب إثباتَ وجودها، والإدْلالَ بمآثرها وحضاراتها، والبرهنة على أنَّ العرب ليسوا أفضل من سائر الأمم، بل هم دونها شأنًا". الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٣.

(٥) عبد القاهر الجرجاني، الرسالة الشافية، ص ١١٧، ١١٨.

(٦) انظر: القيسي، البرهان واستدلالاته في القرآن، ص٢٦١.

كلُّ هذه الأسماء مُترادِفة على الدَّلالة نفسها"[١]، ويرى ابن عقيلٍ[٢] أنَّ الحُجَّة بِمَنزلة النَّاطقة بأنَّ الحُكْم حقٌّ أو باطلٌ، ثمَّ يشير إلى أنَّ الحُجَّةَ والدَّلالة والآية والعلامة والدَّليل والبرهان نظائرُ ينوب بعضها عن بعض في أكثر المواضع[٣]. ويرى البعض أنَّ الأدلَّة قد تكون الأدلَّة عقليَّة أو نقليَّة أو حسيَّة، والأدلَّة الَّتي ذكرها القرآن متفاوتة في قُوَّتها، فأعلاها رُتْبة البرهان ثمَّ السُّلطان ثمَّ الحُجَّة ثمَّ البينة ثمَّ الدَّليل. وَتُعَدُّ معرفة أوجه الاستدلال في القرآن مهمَّة لكلِّ مسلم، وأهميتها نابعة من كَوْنها أدلَّة يحتاجها للجدل مع الخصم في مناظراته، فَيَدْفَع المرءُ خصمَه عن إفساد قوله، فَيَثْبت بالبرهان إنْ كان الدَّليل عقليًّا، وبالنُّصوص إنْ كان نقليًّا، وبالتَّجربة إنْ كان حسيًّا، وبالشَّهادة إن كان قضائيًّا[٤]. وسيتمُّ فيما يأتي التَّفصيل في بيان أكثر هذه المصطلحات استعمالًا في القرآن الكريم، وهي: الحُجَّة، وأقواها دلالة، وهو: البرهان[٥].

- **الحُجَّة:**

"الحَجُّ: القصدُ. حَجَّ إلينا فلانٌ أَي قَدِمَ؛ وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا: قَصَدَهُ. وحَجَجْتُ فُلَانًا واعتَمَدْتُه، أَي: قَصَدْتُهُ. ورجلٌ محجوجٌ، أَي: مَقْصُودٌ"[٦]. وَ"يُقال: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجًا ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه؛ أي: غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها... والمِحَجَّةُ: الطَّرِيقُ؛ وَقيل: جادَّةُ الطَّرِيق... والحَجَوَّجُ: الطَّرِيقُ تَسْتَقِيمُ مَرَّةً وتَعْوَجُّ أُخْرى... والحُجَّة: البُرْهان، وقيل: الحُجَّة مَا دُوفِع به الخَصْم... وهو رَجُلٌ مِحْجاجٌ، أي: جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم، وَجَمْع الحُجَّة: حُجَجٌ وَحِجاجٌ، وحاجَّه مُحاجَّةً وَحِجاجًا: نَازَعَه الحُجَّة، وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه... وإنَّما سُمِّيَت حُجَّة لأنَّها تُحَجُّ، أي: تُقْصَد؛ لأنَّ القَصْد لها وإليها، وكذلك مَحَجَّة الطَّريق هي المقْصِد والمسْلَك. وفي حديث الدَّجَّال: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ»[٧]؛ أي:

---

(١) الباقلاني، التقريب والإرشاد، ١/ ٢٠٧.

(٢) هو عليٌّ بن عقيل بن محمَّد بن عقيل بن عبد الله البغداديُّ الظفريُّ، أبو الوفاء، المتكلِّم وشيخ الحنابلة، وصاحب التَّصانيف الكثيرة، أعظمها كتاب (الفنون)، وهو أزيد من أربعمئة مجلد، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتَّفسير والفقه والأصلين والنَّحو واللغة والشعر وغيرها، وتُوُفِّيَ سنة ثلاث عشرة وخمسمئة للهجرة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٩/ ٤٤٣؛ الزركلي، الأعلام، ٤/ ٣١٣.

(٣) انظر: ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، ١/ ٣٣٠.

(٤) انظر: القيسي، البرهان واستدلالاته في القرآن، ص٢٦١.

(٥) ورد لفظ الحجَّة ومشتقَّاتها في القرآن الكريم في سياق الحجاج عشرين مرَّة، كما ورد لفظ البرهان ثماني مرَّات، انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص١٩٣، ص١١٨.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٢٢٦.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ٤/ ٢٢٥١، رقم ٢٩٣٧.

مُحاجُّهُ ومُغالِبُه بإظهار الحُجَّة عَلَيه. والحُجَّة: الدَّلِيل وَالبُرْهَان. يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ، فَعِيل بِمَعْنى فاعِلٍ"(١).

وَيُقصَد بالحُجَّة في كلام العرب مَا به إثبات المخالِف، فَلَا يجد منه تفصّيًا، ولذلك يُقال لِلَّذِي غَلَب مُخالِفه بِحُجَّتِه: قَدْ حَجَّه، وأمَّا الاحْتِجاج فهو إتيان المحْتَجّ بِمَا يَظُنُّه حُجَّة ولو مغالطة، فَيُقال: احْتَجَّ، ويقال: حَاجَّ، إذا أتى بِمَا يَظُنُّه حُجَّة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ومِن ثَمَّ لا تُطْلَق الحُجَّة حقيقةً إلَّا على البُرْهان والدَّليل النَّاهض المبكِّت لِلمُخالِف، وأمَّا إطلاقها على الشُّبهة فَمَجَاز؛ إذ تَرِد في صورة الحُجَّة، وَمِنْه قوله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦](٢).

وَذُكِرَ لفظ الحُجَّة بِتَصريفاته المختلفة في القرآن والسُّنة وأمثال العرب، فَقَدْ ورد في قوله تعالى في قصة إبراهيم مع قومه: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وَفِي قوله تعالى في مَعْرض الرَّدّ على الكافرين: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]؛ أي: ما جاء به أهل الباطل والضَّلال من أدلَّة على مذهبهم ليس له اعتبار، بل هي أدلَّة باطلة زائلة لا تقوم ولا تصمد أمام ما هو واقِعٌ وحقٌّ. وَوَرَدَ في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»(٣)؛ أي: قَدَّم كلٌّ منهما حُجَّتَه، فَغَلَبَتْ حُجَّة آدم عليه السَّلام. وَمِن أَمْثَال العرب: لَجَّ فَحَجَّ، مَعْنَاه: لَجَّ فَغَلَبَ مَن لاجَّه بِحُجَجِه؛ أي: نازَعَ خَصْمَهُ فَحَمَلَهُ اللَّجاج على أنْ غَلَبَهُ بالحُجَّة، وَيُقال: بَلْ مَعْنَاه أنَّ رَجُلًا خَرَجَ يَطُوف في البلاد، فَاتَّفَق حُصُولُه بِمَكَّة فَحَجَّ مِن غَيْرِ رَغْبة مِنْه، فقيل: لَجَّ في الطَّوَاف حتَّى حَجَّ؛ أي: بلغ من لَجَاجَتِه أنْ خَرَج إلى شَيءٍ ليس مِن شأنه(٤).

- **البُرْهان:**

"البُرْهان هو الحُجَّة الفاصِلة البَيِّنَة، يقال: بَرْهَنَ يُبَرْهِنُ بَرْهَنةً إذا جاءَ بِحُجَّةٍ قاطِعةٍ لِلَدَد الخَصم... وَقَدْ بَرْهَنَ عَلَيه: أَقام الحُجَّةَ. وفي الحديث: «الصَّدَقةُ بُرْهانٌ»(٥)؛ والبُرْهان: الحجّةُ وَالدَّليلُ؛ أي: إنَّها حُجَّةٌ لِطَالِبِ الأَجْر مِنْ أَجل أنَّها فَرْضٌ يُجازِي اللهُ بِهِ وَعَلَيْه، وَقيل: هِي دَليلٌ عَلَى صِحَّةِ إِيمَانِ صَاحِبِهَا

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٢٢٨.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حِجَاج آدم وموسى عليهما السلام، ٤/ ٢٠٤٣، رقم ٢٦٥٢.

(٤) انظر: الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، ٢/ ١٩٧.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ١/ ٢٠٣، رقم ٢٢٣.

لِطِيبِ نَفْسه بإخْراجها، وَذَلِكَ لعَلاقةٍ مَا بَيْنَ النَّفْسِ والمال"[١]. وبذلك فالبُرْهانُ بيانٌ للحُجَّة، وَصِيغته فُعلان، وهو أوكد الأدلَّة؛ إذ يقتضي الصِّدقَ أبدًا[٢]، وَمِن ثَمَّ يكون البُرْهانُ عَلَمًا قاطعَ الدَّلالة غالبَ القوَّة بما تُشعِر به صِيغته[٣].

وَذَكَر ابن عاشور أنَّ البُرْهَان هو الحُجَّة، وَقَدْ يُخَصَّصُ بِالحُجَّةِ الواضِحة الفاصِلة، وَهِي مَا يُقْصَدُ بِالبُرْهَان فِي الْقُرْآنِ غالبًا، وَلذلك سَمَّى حُكَماءُ الإسلام أَجَلَّ أنواعِ الدَّلِيل، بُرْهانًا[٤]، فالبُرْهان هو الحُجَّة القاطِعة المفيدة للعِلْم، وأمَّا ما يفيد الظَّنَّ فهو الدَّليل؛ لذلك أفْحَم الله تعالى الكافرين بِطَلب البُرْهان منهم، فقال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١][٥].

- **الاستعمال القرآنيُّ للحُجَّة والبُرْهان:**

يتَّفق الاستعمال القرآنيُّ للحُجَّة والبُرْهان تمام الاتفاق مَعَ معانيهما اللُّغويَّة والاصطلاحيَّة، فقد وَرَدَ استعمال الحُجَّة وتصريفاتها في القرآن الكريم في آياتٍ عديدةٍ؛ منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]، وَيُلاحَظ في دلالة استعمال الحُجَّة في الآية أمران؛ أوَّلهما: نفيُ امتلاك النَّاس للحُجَّة، وفيه قَطْعٌ لاعتراضهم وتبكيتٌ لهم وإظهارٌ لِضَعْف دعواهم؛ لأنَّهم إنْ عجزوا عن تقديم الحُجَّة فهذا يدلُّ على عجزهم عن تقديم برهان على دعواهم مِن باب أولى، والآخر: تنبيهٌ إلى وجود فئة ظالمة ومعاندة من النَّاس، مَا تَفتأ تُعانِد بِحُجَجِها الواهية، تحاول بها دفع البراهين الواضحات، وهؤلاء لن يكون لهم سبيل على المؤمنين.

كما وردت الحُجَّة في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۞ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩]. وقد ذَكَرَ الله تعالى حُجَج المشركين الَّتِي يتذرَّعون بها في شِرْكهم، ثمَّ قال: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾، وَيُلاحَظ أنَّ في هذا الاستعمال لِلَفْظ الحُجَّة تنبيهًا إلى أنَّ ما تذرَّع به المشركون لا يعدو الحُجَّة المردودة بِحُجَّة الله البالغة، إذ لَمَّا كان المشركون يتذرَّعون بالحُجَجِ ناسب ذلك رَدَّ الله لها بالحُجَّة، وَلَكِنْ شتان بين

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٥١، مادة: (بَرْهَنَ).

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ١٢١، مادة: (بره).

(٣) انظر: الحرالي، تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، ص ٢٥٢.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٦/ ٦٢.

(٥) انظر: العسكري، الفروق اللغوية، ص ٩٧.

حُجَّتهم الضَّعيفة وَحُجَّة الله البالغة، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى شِدَّة ضَعْف دَعْواهم؛ فإنْ كانت تُرَدُّ بالحُجَّة، فَهِي تُرَدُّ بالبراهين الكثيرة الدَّالَّة على الوحدانيَّة مِن باب أولى، وفيه إشـــارةٌ إلى تهافت دَعْواهم. وقد ورد لفظ الحجة وتصريفاته في العديد من الآيات الكريمة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦]، وقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٥، ٢٦]، وهي في جميع المواضع أتت بمعنى الدَّليل الذي يُرَدُّ بالدَّليل، وليست من باب البرهان القطعيّ.

وقد ورد استعمال البُرْهان في القرآن الكريم في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]؛ إذْ لديهم حُجَجٌ كثيرة لِكُفْرهم، فلذا طالَبَهم بالبرهان، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النســـاء: ١٧٤]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَـــابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقوله: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، وقوله: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢]، وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ٧٥]. وَيُلاحَظ مِن استعمال القرآن الكريم لكلمتَي الحُجَّة والبُرْهان، مَا يأتي:

١- لا تُشَكِّل الحُجَّة دليلًا دامغًا بَلْ قَدْ تُدْفَعُ الحُجَّة بالحُجَّة.

٢- عندما يُطالَب الكفَّار بِتَقديم دليلهم يُطالَبون بالبُرْهان؛ إذ قد يكون لديهم حُجَجٌ وَلَكِنَّها مردودة، أمَّا البُرْهان فَلَا يكون إلَّا صحيحًا.

٣- يعبِّر القرآن الكريم عن ضعف الكفَّار وعجزهم عن تقديم دليلٍ على دَعْواهم بنفي قُدْرَتهم على تقديم الحُجَّة، وهو بهذا ينفي قُدْرَتهم على تقديم البُرْهان من بابٍ أولى.

الفرع الرَّابع: تأطير الإعجاز العلميّ:

الإعجاز -كما مرَّ- يتضمَّن التَّحَدِّيَ مع عجز من يُتَحَدَّى، ولهذا يرى البَعْض أنَّ الإعجازَ ينطبق على بلاغة القرآن وأسلوبه بِشَكل خاصٍّ؛ أي: هو إعجاز لغويٌّ، ولكنَّ آخرين يؤمنون بِشُمولية الإعجاز في القرآن لِلعلوم بِشَكلٍ مُطْلَق؛ إذ كان التَّحَدِّي عامًّا.

وَمِمَّنْ عرَّف الإعجاز اللُّغويَّ ابن عاشور، حيث يقول: "حَدُّ الإعجازِ هو الطَّرفُ الأعلى لِلبلاغةِ الجامِعُ لِأَقْصى الخُصُوصِيَّات"(١). ولا يوجد خِلَاف بين العلماء في وجود الإعجاز اللُّغويّ في القرآن لِتَحَدِّي القرآن الكريم لِلْكفَّار بِأنْ يأتوا بِمِثْلِه. ومن الملاحَظ أنَّ القرآن الكريم لم يُصَرِّح بأنَّ التَّحَدِّي خاصٌّ بالفصاحة والبلاغة، وإنَّما استخرَج العلماء ذلك من المقام، فقالوا: إنَّ العربَ أهلُ فصاحةٍ وبلاغة؛ لذلك كان من الطَّبيعي أنْ يتحدَّاهم القرآن بِمَا هُم بارعون فيه. وَيمكن من خلال استقراء معجزات الأنبياء عليهم السَّلام ملاحظة التَّناسب الواضح بين تلك المعجزات وما نَبَغَ فيه أقوامهم، فموسى عليه السَّلام أُرْسِل إلى قومٍ فَشَى فيهم السِّحر وبرع فيه السَّحرة، فَتَحَدَّاهم بِقَلْبِ العصا حيَّةً، فَعَلِمَ السَّحرة أنَّ ذلك خارجٌ عن حقيقة السِّحر لِخُروجه عن ضوابط السِّحر وَلِخَرْقه لعاداته، فَكَان أوَّلُ مَن سَارع إلى الإيمان بِرِسالة موسى عليه السَّلام هُمُ السَّحرة أَنْفسهم مُدْرِكين خَرْقَ ما أتى به موسى عليه السَّلام لعادات السِّحر وضوابطه. وكذلك عيسى عليه السَّلام جاء في زمان طِبٍّ ومداواةٍ فأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، فأتى بما هو خارجٌ عن الطِّبِّ، خارِقٌ للعادة فيه، فَآمَنَ برسالة عيسى عليه السَّلام مَنْ أدرك بأنَّ ما أتى به خارجٌ عَنْ قُدْرَة أيِّ مخلوق. وكذلك نبيُّنا صلَّى الله عليه وسلَّم بُعِثَ في قومٍ هُمُ أهلُ الفصاحةِ والبلاغة والنَّظم والخُطَب فَأَتاهم بِمَا هو أفصح وأجزل وأوجز، فَآمَنَ به كلُّ مَن أدرك أنَّ القرآن الكريم لا يمكن أنْ يكون كلامَ بَشَرٍ، كَوْنَه خارجًا عن نظمهم ونثرهم، خارقًا لِعَاداتهم في ذلك كلِّه(٢).

وَيعيش البشر اليوم في ظلِّ تَقَدُّمٍ غَيْرِ مَسْبوق في العلوم التَّجريبيَّة، وما زال القرآن الكريم المعجزة الدَّالَّة على صِدْق نُبُوَّة النَّبيِّ الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم، وَبِاعتبار مناسبة المعجزة لِمَا يَبْرَع فيه القومُ، يُتَنَبَّه إلى كَوْنِ أحد أوجه إعجاز القرآن الكريم الأبرز اليوم هو الإعجاز العلميُّ، فَلَئِنْ كان الإعجاز اللُّغويُّ هو الأبرز عند قوم برعوا في الفصاحة والبيان، فالإعجاز العلميُّ سوف يَبْرُزُ في ظِلِّ التَّقدم الهائل في العلوم التَّجريبيَّة اليوم؛ إذْ يتكشَّف في القرآن الكريم ما يُبْهِر العقول وما يجعل كبار العلماء يقفون بِذُهول يعلنون

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ٢٤٥.

(٢) انظر: الباقلاني، الإنصاف، ص ٥٨.

إيمانهم بالمعجزة الخالدة بعد أنْ تبيَّن لهم أنَّ كلَّ ما توصَّلوا إليه من علوم لا يتناقض قيد أُنْمُلة مع ما هو مذكور في القرآن الكريم، وهذا خارقٌ لِعَادة العلوم المدوَّنة الَّتِي لا تنفك تُعَدَّل وَتُصَحَّح وتُنَقَّح مع حداثة تدوينها، فَكَيْفَ بكتاب مدوَّن منذ قرون!

وَلَقد خُتِمَتْ الرِّسالات بِرِسالة نبيِّنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم، فَكَان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الصَّالحة لِكُلِّ الأزمان إلى يوم الدين. وَمَعَ كَوْنِ القرآن الكريم محدودَ الألفاظ بِمَا هو مكتوب في المصحف، إلَّا أنَّه غير مُتَنَاهٍ في معانيه الَّتِي لا تنفد، وعجائبه الَّتِي لا تنقضي، فالقرآن الكريم مُعْجز بِكُلِّ مَا فيه؛ مُعْجز بِنَظمه، وَمُعْجز بأحكامه وَحِكَمه، وَلَعَلَّ الإعجاز القرآنيَّ الأبرز هو اتِّساع الألفاظ المتناهية للمعاني غير المتناهية، فَتُعَبِّر الآيات الكريمات عَنْ معانٍ مُتَجَدِّدَة بحسب اتِّساع مدارك البشر في الأزمنة المتعاقبة دون أنْ تُسَبِّب تشويشًا أو صعوبة في فهمها على الرَّغم مِنْ احتوائها لِتلك المعاني، فالآيات تَحْمِل معانيَ استطاع القارئ الَّذِي عاش في عصر التَّنزيل أنْ يَفْهَمها، كَمَا أنَّها تختزن الكثير من المعاني الأخرى الَّتِي ما زالت تتكشَّف تِبَاعًا منذ عصر التَّنزيل، وهي مع اختزانها لِتلك المعاني الغزيرة القابلة للتَّطْوِير والاتِّساع، لا تُسَبِّب تشويشًا لِلْقارئ بِسَبب احتوائها على معانٍ لا يَفْهَمها، بل هي معجزة في كَوْنها تُعَبِّر عَنْ المضامين الَّتِي يحتاجها أهل كلِّ عصرٍ بِقَدَرِ حاجتهم، ويشعرون معه بالرِّضا، وتتحقَّق به الهداية.

وَإنَّ احتواء الآيات على حقائق علميَّة هو مِن هذا الباب؛ أي: هذا النَّوع مِن الإعجاز، والَّذي يمكن تسميته (مرونة الدَّلالة) أو (اتِّساع المعنى)، فَتِلك الآية الكريمة الَّتِي كان يقرؤها النَّاس في عصر مَا ويستخرجون منها معانيَ يفهمونها، كانت تختزن الكثير من المعاني الأخرى الَّتِي وُضِعَتْ فيها دون أنْ تُسَبِّب أيَ لَبْسٍ أو غموض، وبذلك يَتَّضِحُ أنَّ ما يَعيبُه منكرو الإعجاز العلميِّ على هذا النَّوع من الإعجاز وهو عَدَم دلالته القطعيَّة الحصريَّة على المعنى هو الإعجاز ذاته! فالإعجاز العلميُّ مُتحقِّق لَا لِدَلالة الآيات القطعيَّة على معلومات علميَّة، بَلْ في اختزان الآيات لِتلك المعاني العلميَّة، فالتَّحَدِّي إذن ينطبق على منطوق الآيات أنْ يأتوا بِمِثْلِ هذا القرآن، بِسُورةٍ أو آياتٍ تَحْمِلُ معانيَ وتختزن أخرى وأخرى، وتحتفظ بالمعاني المختزَنة ولا تطرحها إلَّا بِقَدَرِ الحاجة وَإلَّا بِالقَدَرِ المطلوب لِتَحقيق الهدف منها، وهو الهداية، وَلَمَّا كان المقدار المطلوب من تلك المعاني مُتغيِّرًا من عصر إلى عصر، كان على تلك الآيات الكريمات إنجازُ المعايرة الدَّقيقة لِلْمِقدار المطلوب طَرْحه في كلِّ عصر بِمَا ينسجم مع علوم ذلك العصر دون أنْ تَحْمِل أيَّ دلالاتٍ خاطئة في أيٍّ مِنْهُم.

وَالحقيقة أنَّ من إعجاز القرآن الكريم -الكتاب الخاتِم للرِّسالة- امتلاكه لهذه المزيَّة الفريدة، وهي مرونة دلالاته واتساع معانيه، فلو كانت المعاني العلميَّة في الآيات قطعيَّة وواضحة منذ البداية لَنَتَجَتْ جملةٌ من الطلاسم الَّتِي لا يمكن فَهْمها، وَلَرُبَّمَا أدَّتْ إلى إنكار النَّاس لِتلك المعاني، ولن تتحقَّق الغاية الأساسيَّة من القرآن الكريم. وَلَمَّا كانت الغاية الأساسيَّة للقرآن هي الهداية فقد ناسب ذلك أنْ يُزَوِّد القارئَ بالجرعة

الَّتِي تناسبه وتناسب حاله، فَنَقْصُ جرعة المعاني لن يصل بالقارئ إلى الحدِّ اللَّازم لِلتَّأثير به، وزيادة الجرعة أيضًا قد تؤدِّي لِاخْتِلَاطاتٍ كثيرة ليس أخطرها التَّشكيك في صِحَّة الآيات، بل قد تكون قاتلة تصل بصاحبها إلى الكفر، فَكَمْ مِن بديهيَّات يقبلها الصَّغير قبل الكبير اليوم، كانت يومًا ما من قبيل الخيال العلميّ.

ويجب التَّأكيد على كَوْن الإعجاز العلميّ هو من باب الحِجَاج، والإعجازِ العلميُّ الحقيقيُّ البرهانيُّ للقرآن الكريم هو أنَّه أُنْزِلَ منذ أكثر من ١٤٠٠ سَنَة، وفيه حوالي أَلْف آية تتكلَّم عن الكون والإنسان وليس فيه خطأٌ علميٌّ واحد، بينما يحوي أيُّ كتاب آخر يتناول قضايا علميَّة أخطاء تُكتشَف بعد سنوات معدودة من طباعته. كما أنَّ في القرآن قضايا علميَّة وحقائق علميَّة يستحيل رَدُّها إلى ثقافة عصر التَّنزيل، فَهِيَ إذًا مِن باب الإخبار بالغيب، والإخبار عن الغيب مُعْجِز[١].

ولم يَقْصُر البيضاويُّ[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] الاخْتِلَافَ الَّذِي كان مِن الممكن أنْ يوجد في القرآن على تناقُض معانيه وتفاوت النَّظم فيه، أو على كَوْن بعضه فصيحًا وبعضه ركيكًا، أو كَوْن بعضه تَصْعُبُ معارضتُه وبعضه تَسْهُلُ، بل نبَّهَ إلى عناصرِ إعجاز أخرى في القرآن الكريم، منها مُطابَقة أخباره المستقبلة كلِّها لِلواقع، وموافقة العقل لِجَميع أحكامه[٣]، وفي هذا بيانٌ لتنبُّه علمائنا الأجلاء إلى كَوْنِ جوانب الإعجاز المختلفة؛ ومنها: الغيبيّ والتَّشريعيّ، أجزاء لا تتجزَّأ من الإعجاز اللُّغويّ.

وهذا ما يُؤَكِّده القَرضاويُّ[٤]؛ إذ يرى أنَّ الإعجاز العلميَّ، عند التَّأمل والتَّحليل، لونٌ من ألوان الإعجاز اللُّغويّ للقرآن، فالإعجاز هنا يكمن في الصِّياغة القرآنيَّة العجيبة للآيات، أو أجزاء الآيات، الَّتِي

---

(١) انظر: الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص٢٠٨.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن محمَّد بن عليّ البيضاويُّ الشَّافعيُّ، أبو سعيد، كان إمامًا عارفًا بالفقه والتَّفسير والأصلين والعربيَّة والمنطق، له الكثير من المصنَّفات منها: (أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل) و (المنهاج في الأصول) و (شرح الكافية) لابن الحاجب، وتُوُفِّيَ سنة خمس وثمانين وستُّمئة للهجرة. انظر: الداودي، طبقات المفسرين، ١/ ٢٤٩، الزركلي، الأعلام، ٤/ ١١٠.

(٣) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢/ ٢٢٥.

(٤) هو الدُّكتور يوسف عبد الله القرضاويُّ، مصريٌّ أزهريٌّ يحمل الجنسيَّة القطريَّة، عضو المجمَّع الفقهيّ لرابطة العالم الإسلاميَّة بمكَّة، والمجمَّع الملكيّ لبحوث الحضارة الإسلاميَّة بالأردن، ومركز الدِّراسات الإسلاميَّة بأُكسفورد، ومجلس أمناء الجامعة الإسلاميَّة العالميَّة بإسلام أباد، ومنظَّمة الدَّعوة الإسلاميَّة بالخرطوم، وجاوزت مؤلَّفاته الخمسين بعد المئة في مختلف جوانب الثَّقافة الإسلاميَّة، وتُوُفِّيَ سنة أربع وأربعين وأربعمئة وألف للهجرة. انظر: إسلام ويب، الشيخ العلامة القرضاوي فقيه العصر في ذمة الله. https://www.islamweb.net/ar/article/237172.

تتناول هذه الشُّـؤون الَّتِي لها صِـلَة بالعِلْم، أو بالآفاق والأنفس، كما أشـار إلى ذلك القرآن حيث قال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. ذلك أنَّ العبارة القرآنيَّة أو الجملة القرآنيَّة، قد جعل الله فيها من المرونة والسَّـعَة بحيث يَفْهَمها العقل العربيُّ العاديُّ في عصـر نزول القرآن، ويجد فيها المسلم ما يُشبع فكره ووجدانه معًا، بالفَهْم الفطريّ السَّهل الميسَّر لِكُلِّ قارئٍ للقرآن. وَمَعَ هذا أودع الله الجملة القرآنيَّة مِن السَّعة والخصوبة ما يتَّسع لما يَكْشِف عنه الزَّمن من حقائق، وما يبلغه العِلْم من تَطَوُّرٍ وَتَقَدُّمٍ، كَمَا يُشَاهَد في العصر الحالي. وَلَو كان القرآن كتابًا من تصنيف البشر وتأليف عقولهم، ما كان يمكن لِعَباراته أنْ تَتَّسِع لِمُخْتلَف الأزمان، وتطوُّرات الإنسان، بل كان مرور الزَّمن يَكْشِف عن كثير من القضايا الَّتِي ذُكِرَتْ في الكتاب على أنَّها حقائق مُسَلَّمَة، فَإِذا هي أوهام مرفوضة[١].

(١) انظر: القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص٣٩٧.

المبحث الثَّاني: العِلْم عند علماء المسلمين وعلماء العِلْم التَّجريبيّ:

يُعَدُّ العِلْمُ من أهمِّ المفاهيم الَّتي حظيت باهتمام علماء المسلمين، حيث بَنَوا منظومةً معرفيَّةً قائمةً على الاستدلال العقليّ والنَّقل الشرعيّ، وأسَّسوا لمنهجٍ علميٍّ شارك في تطوُّر الحضارة الإسلاميَّة والإنسانيَّة. وقد تطوَّر العِلْمُ التَّجريبيُّ في العصر الحديث ليُصبح أحدَ الرَّكائز الأساسيَّة في البحث العلميّ، معتمدًا على المنهج التَّجريبيّ القائم على الملاحظة والاختبار. ويتناول هذا المبحث دراسة مفهوم العِلْمِ عند علماء المسلمين والعِلْمِ التَّجريبيّ، وذلك من خلال ثلاثة مطالب رئيسة: يتناول الأوَّل التَّعريف بالعِلْم عند علماء المسلمين، ويعرِّف الثَّاني بالعلم التَّجريبيّ مبيِّنًا منهجه وخصائصه وحدوده، ويبيِّن الثَّالث مصادر العِلْم وأدلته عند علماء المسلمين وفي العِلْم التَّجريبيّ.

المطلب الأوَّل: العِلْم عند علماء المسلمين:

تدلُّ معاني (العلم) لغةً على الأثر والعلامة الدَّالَّة على الشَّيء، والعِلْم: ضِدّ الجَهْل، والمعلوم: ما أدركه عِلْم العالم، والمعلوم أيضًا ما كانت له علامة دالَّة على جودته ورداءته، والرَّجل الأعْلَم: مَنْ كانت له علامة انشقاق في شفته العليا[١].

والعِلْم اصطلاحًا: "هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[٢]، وإدراك الشَّيء بحقيقته، وهو نوعان: إدراك ذات الشَّيء، وعندها يتعدَّى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أو الحُكْم على الشَّيء بِوُجود شَيء، هو موجودٌ له، أو نفي شيء هو منفيٌّ عنه، وعندها يتعدَّى إلى مفعولين، نحو قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠][٣].

المطلب الثَّاني: العِلْم التَّجريبيُّ:

العِلْم التَّجريبيُّ هو فرع من المعرفة يعتمد على الملاحظة والتَّجربة لجمع البيانات والتَّحقق من الفرضيَّات. ويُعَدُّ المنهج التَّجريبيُّ من أكثر المناهج العلميَّة موضوعيَّةً ودقَّةً في البحث عن الحقيقة واكتشافها وتفسيرها والتَّنبُّؤ بها والتَّحكم فيها، ويتضمن خطوات أساسيَّة تبدأ بالملاحظة، ثمَّ صياغة الفرضيَّات، يليها إجراء التَّجارب للتَّحقُّق من صحَّة هذه الفرضيَّات، بهدف الوصول إلى استنتاجات أو قوانين علميَّة. وتُعرَّف التَّجربة العلميَّة بأنها اختبار منظَّم للفرضيَّات يتمُّ من خلال ملاحظة مقصودة تحت ظروف محكومة،

---

(١) انظر: ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، ٢/ ٩٤٨؛ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٥/ ١٩٩٠، مادة: (علم).

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص١٥٥.

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٥٨٠.

بهدف اكتشاف العلاقات السَّببيَّة بين الظواهر. ويُعَدُّ هذا المنهج أساسًا للعلوم الطَّبيعيَّة، حيث يُستخدَم لاختبار الفرضيَّات وبناء النَّظريَّات من خلال جمع البيانات القابلة للقياس والملاحظة المباشرة، ممَّا يساعد في فهم الظَّواهر الطَّبيعيَّة وتحليلها وتفسيرها بشكل دقيق(١). وسيُعرَض فيما يلي تعريفُ المنهجِ العلميّ التَّجريبيّ وخصائصُه، ثم تُناقَشُ حدودُ العِلْمِ التَّجريبيّ، ويتبع ذلك بيانُ مدى تغيُّره ومستوى الثِّقة في نتائجه.

الفرع الأوَّل: المنهج العلميُّ التَّجريبيُّ وخصائصه:

يتألَّف المنهج العلميُّ أو الطَّريق المؤصِل إلى المعرفة مِن مجموعة مِن العمليَّات الَّتي تهدف إلى جمع المعلومات والبيانات لِلْتَّوصُّل إلى إجاباتٍ عن الأسئلة القابلة للإجابة، والحلول القابلة للتَّطبيق للمشكلات، وهذه العمليَّات هي:

١. الملاحظات والبحث عن البيانات.
٢. اقتراح فرضيَّات لِتَفسير الملاحظات.
٣. إجراء تجارب لاختبار الفرضيَّات.
٤. صياغة نظريَّة.
٥. التَّأكيد التَّجريبيُّ للنَّظريَّة.
٦. التَّأكيد الرِّياضيُّ للنَّظريَّة.
٧. استخدام هذا التَّأكيد لِتَشكيل قانونٍ علميٍّ.
٨. استخدام القانون العلميّ لِلْتَّنبُّؤ بِسُلوك الظَّواهر الطَّبيعيَّة.

وَيرتبط المفهوم البشريُّ لِتَحديد العمليَّات السَّابقة واستخدامها بِطَريقة التَّفكير وَالتَّصرُّف البشريّ، وَلَقَدْ تمَّ تَطْوِير هذه الإجراءات العقلانيَّة لاكتساب المعرفة الجديدة وتطبيقها في وقت مبكر من تاريخ البشريَّة، فَكَثير من هذه العمليات كانت معروفة ومستخدمة من قِبَل البشر الأوائل، فعلى سبيل المثال، تَعَلَّم البشر الأوائل الفَرْق بين النَّباتات السَّامة والنَّباتات الآمنة للأكل كَوَسِيلة للبقاء على قيد الحياة من خلال تطبيق عمليَّات المراقبة، وَالتَّمْييز عَنْ طريق المقارنة بين المتشابِهات، ورَبْط الأشياء الجديدة بما هو معروف، والتَّوصُّل إلى استنتاجاتٍ كَفِلَتْ استمرار بقاء البشريَّة، وَتَطَوُّر الثَّقافات والمجتمعات، ونتج عن ذلك قوانين مَدَنِيَّة وعلميَّة بلغت ذروتها في الاستخدام الحديث للمعرفة المكتسبَة للحفاظ على حياة الإنسان وتحسينها(٢).

---

(١) انظر: Wilson، An introduction to scientific research، ص٢١.

(٢) انظر: Krebs، Encyclopedia of scientific principles, Laws, and Theories، صxxiv.

الفرع الثَّاني: حدود العِلْم التَّجريبيّ:

يمكن للفرضيَّات العلميَّة الإجابة فقط عن الأسئلة الَّتِي يمكن الحصول على إجابات لها من خلال المراقبة والاختبار والقياس وجمع البيانات والمعالجة الإحصائيَّة للبيانات وتحليلها، وتصبح النَّتائج صحيحةً وموثوقةً فقط عندما يُكَرِّر باحثون آخرون التَّجربة ويحصلون على نتائج مماثِلة، وهكذا فإنَّ حدود العِلْم تنحصر في التَّعامل مع هذا النَّوع من الأسئلة، بينما معظم الأسئلة الأخرى ليست قابِلة للإجابة بالمعنى العلميّ ولا يمكن ذِكْرها كَفَرضيَّة علميَّة؛ لأنَّ إجاباتها لا يمكن قياسها أو تحليلها بِشَكلٍ منهجيّ، على سبيل المثال، أسئلة مِثْل: ما سرُّ النَّجاح؟ أو كيف يمكنني أنْ أصبح أكثر شهرة؟ أو كيف يمكنني أنْ أصبح ثريًّا؟ فَهَذِه الأسئلة تُعَدُّ هراءً من النَّاحية العلميَّة لا تَصْلُح لإجابات عقلانيَّة، ومع ذلك فَهِي أكثر أنواع الأسئلة الَّتِي يطرحها النَّاس، ولا يمكن استخلاص إجابات لها من خلال التَّجربة الخاضِعة للرَّقابة وتحليل البيانات. وَيجب تَغْيِير الفرضيَّة العلميَّة (وكذلك النَّظريَّة والقانون) إذا كانت الحقائق أو التَّجارب المرصودة الجديدة تتعارض أو حتَّى تُغَيِّر بِشَكلٍ طَفيفٍ التَّصريح أو البيانات الَّتِي قامت عليها الفرضيَّة الأصليَّة، وعملية التَّصحيح الذَّاتي هذه هي إحدى المميزات الأساسيَّة الَّتِي تُعْطِي العِلْمَ قِيْمته[١].

وَيمكن وصف النَّظريَّات العلميَّة بأنَّها تَنَبُّؤات واعِية -تستند إلى معرفة العالِم- بحوادث محتمَلة ضمن مجموعة مُعَيَّنة من الظُّروف أو الشُّروط، ويتمُّ الحُكْم على صِحَّة النَّظريَّة من خلال قُدْرَتها على التَّنَبُّؤ بِحَدَثٍ واحدٍ أو أكثر. وتتمثَّل طبيعة العِلْم في أنَّ الشَّيء نفسه في الطَّبيعة قد لا يحدث دائمًا بالطَّريقة ذاتها تمامًا، لكن هذا لا ينفي إمكانية التَّنَبُّؤ بالقانون أو النَّظريَّة الَّتِي تُفَسِّر حدوثه، لذلك غالبًا ما يبحث العلماء من خلال التَّجارب عن متوسط إحصائيّ يبنون عليه تَنَبُّؤاتهم، ومع ذلك، فإنَّ القانون أو النَّظريَّة العلميَّة الأساسيَّة الَّتِي أَثْبَتَتْ جدواها هي أقصى ما يمكن للبشر الوصول إليه من الحقيقة. وَمِن السِّمات المهمَّة للنَّظريَّة أنَّه يجب ذِكْرها بِطَريقة لا لَبْس فيها؛ إذ لا يمكن إثبات أو دَحْض نظريَّة غامضة، ويتطلَّب تأكيد النَّظريَّة شروطًا مُحَدَّدة وتجارب -مضبوطة إنْ أمكن- ونتائج مُقاسة يتمُّ تحليلها إحصائيًّا، وإذا كانت الحقائق ذات الصِّلة تشير إلى وجود احتمال كبير لِصَلاحيتها وموثوقيتها، فيمكن عندئذٍ القول إنَّ النَّظريَّة مُبَرَّرَة وَمَقبولة، ومع ذلك، يجب أنْ يبقى هناك احتمال أنَّ النَّظريَّة قد لا تكون صحيحة تمامًا وستتطلب اختبارات إضافيَّة، وتصبح عِنْدها المعرفة الجديدة المسْتَمَدَّة من النَّظريَّة مقبولة وَمُعتمَدة[٢].

---

(١) انظر: Krebs، Encyclopedia of scientific principles, laws, and theories، صxxxi.

(٢) انظر: المرجع السابق، صxxiv.

وَيحمل بعض النَّاس أفكارًا غير دقيقة حول هذه المصطلحات فَيَسْتخدمونها بِشَكلٍ غير صحيح، فتقع الأخطاء في التَّمْيِيز بين الفرضيَّة والقانون والنَّظريَّة[١]، وسيتمُّ فيما يأتي بيان المقصود من تلك المصطلحات.

- **الفرضيَّة:**

يقابل مصطلح (الفرضيَّة) المصطلح الانكليزيَّ (Hypothesis)، وهو لفظ ذو أصل يونانيٍّ يعني: الأساس. وتشير الفرضيَّة إلى تفسيرٍ منطقيٍّ وعقلانيٍّ مؤقت لمجموعة من الملاحظات، لم يُثبَت بعد، ولم يُدحَض أو يُقبَل بشكل قاطع من قبل المجتمع العلميّ. وتتميَّز الفرضيَّة بكونها عبارة عن إفادات وعبارات معقولة، وافتراضات قابلة للقياس، وتعميمات مستمَدَّة من سلسلةٍ من الملاحظات والحقائق المحدَّدة، وتقوم على استنتاجات يمكن اختبارها تجريبيًّا، حيث يستطيع العلماء تأكيد صِحَّتها أو نفيها من خلال التَّجارب في ظِلِّ ظروف مضبوطة، وإذا كانت البيانات النَّاتجة عن التَّجارب لا تَدْعَم الفرضيَّة الأصليَّة، يَتِمُّ تَغْيِيرها أو تجاهلها. فالفرضيَّة هِي تفسير منطقيٌّ وعلميٌّ لِظَاهِرة مُعَيَّنة نستطيع التَّحقُّق من صِدْقه أو كَذِبه. وتشكِّل الفروض العلميَّة أبرز صور الإبداع في العِلْم، لأنّها تَكشِف عن التَّماثل في المختلِف والوَحْدَة في المتنوّع عندما يقوم العالِمُ بِرَبط الوقائع. وَتَصنع الفروض تركيبًا جديدًا له نتائجُه المترَتِّبَة على مُقدِّماته، ويكون الواقع هو الاختبار الحقيقيَّ لهذه الفروض[٢].

وَيُعَدُّ مصطلح (الفرضيَّة) من أكثر المصطلحات شيوعًا واستخدامًا في العلوم التَّجريبيَّة، ويمكن أنْ تَحمِل هذه الكلمة أكثر من دلالة اعتمادًا على السِّيَاق الَّذِي يتمُّ استعمالها فيه؛ فقد يُقْصَد بها الفرضيَّات الَّتِي تُقَدِّم التَّخمين العلميَّ المبْنِيَّ على الدَّليل للتَّفسيرات أو الحلول المقترَحة لِظَاهِرةٍ أو مشكلة مُعَيَّنة، أو يُقْصَد بها الفرضيَّات الَّتِي تُوضَع قبل إجراء التَّجارب العلميَّة للتَّنَبُّؤ بِنَتائجها، أو قد يُقْصَد بها الفرضيَّات الَّتِي تُقَدِّم تفسيرات مَبدئيَّة أو مقترحات حول سبب ملاحظة شيء ما.

ولكي تكون الفرضيَّة علميَّة يجب أنْ يكون العالِمُ قادرًا على اختبار التَّفسير الَّذِي تُقَدِّمه الفرضيَّة لمعرفة ما إذا كان يعمل وما إذا كان قادرًا على التَّنَبُّؤ بِشَكل صحيح بما سيحدث؛ أي: إذا كانت الفرضيَّة

---

(١) انظر: LibreTexts، Scientific terminology، https://chem.libretexts.org/@go/page/213127.

(٢) انظر: Krebs، Encyclopedia of scientific principles, laws, and theories، صxxxi.

صـــحيحة، يجب أنْ تَحْدُث النَّتيجة المتوقَّعة عندما يُجْرَى الاختبار. وتكون الفرضـــيَّات عادة مؤقتة وَهَشَّـــة لِلغاية، ويمكن تَغْيِيرها بِسُهولة[١].

ويمكن أنْ تقوم الفرضـــيَّات على أصـــول غير ماديَّة؛ إذ تأتي من الحَدْس أو الأحلام أو الأفكار الَّتِي توصَّل إليها العلماء الَّذِينَ لديهم معرفة وَفَهْم للموضوع المتعلِّق بالفرضيَّة، فَهِي إذًا نتاج التَّخمينات المستنيرة القائمة على المعرفة للعلماء، لا التَّخمينات الجامِحَة؛ إذ يجب على الباحث الَّذِي يُقَدِّم فرضـــيَّة مَا أنْ يكون على دِرَاية بِطَرَائق البحث العلميّ، وأنْ يكون قد اختبر فرضيَّته بشكل منهجيّ قبل طَرْحها. ويجب صياغة الفرضـيَّة العلميَّة بِمَا يتوافق مع الحقائق المرصـودة، وَبِطَريقة تجعل من الممكن إثباتها أو دَحْضـها، وذلك من خلال الاســـتمرار في ملاحظة الظَّواهر وإجراء المزيد من التَّجارب، ويتمُّ قَبُول الفرضـــيَّات فقط عندما يتمُّ اختبارها وتأكيدها مِن قِبَل باحثين آخرين عبر تجارب علميَّة مستقلة[٢].

- **القانون:**

القانون هو علاقة بين ظاهرتين، قد تكون رياضـــيّة أو تركيبيّة أو تلازم؛ أي: إنَّه علاقة توجد بين المتغيرات في مجموعة من البيانات، وَتَصِـــف القوانينُ الأنماطَ الَّتِي يمكن رؤيتها في الكمِّيَات الكبيرة من البيانات، لكنها لا تَصِف سبب وجود الأنماط. وَالشُّروط الواجب توافرها لِتَحوُّل الفرضيَّة إلى قانون علميّ مقبول أنْ تَسمَح الفرضيَّة باشتقاق نتائج تكون موضوع ملاحظة مباشرة أو غير مباشرة، وألَّا تتعارض الفرضيَّة العلميَّة مع قوانين الفكر.

ويرى المنهج الاستقرائيُّ أنَّ الملاحظة هي الأسبق من أَجْل الوصول إلى القانون؛ لأنَّ العقل البشريَّ عندما يضع القوانين يستند إلى الواقع التَّجريبيّ، بينما يرى المنهج الاستنباطيُّ أنَّ الفرضيَّة هي الأسبق في ذلك؛ لأنَّ العقل البشريَّ يستعمل الملاحظة لِتَدقيق الفرضيَّات ورفضها أو قَبُولها، ذلك أنَّ القانون العلميَّ هو فرضية أَثْبَتَتْ الملاحظة صِحَّتَها. وتتشابه القوانين العلميَّة مع النَّظريَّات العلميَّة من حيث كَوْنها مبادئ يمكن اســـتعمالها لِلْتَّنَبُّؤ بِسُـــلوك العالَم الطَّبيعيّ، كَمَا أنَّ كُلًّا من القوانين العلميَّة والنَّظريَّات العلميَّة يَمْلِك الكثيرَ من الأدلَّة الَّتِي تدعم صِحَّتَها، وَالَّتِي تمَّ جمعها من خلال الملاحظات أو الأدلَّة التَّجريبيَّة أو كليهما.

---

(١) انظر: LibreTexts، Hypothesis, theories, and laws، https://chem.libretexts.org/@go/page/129635.

(٢) انظر: Krebs، Encyclopedia of scientific principles, laws, and theories، صxxxi.

وتشير القوانين العلميَّة إلى القواعد الخاصَّة بِكَيفيَّة وقوع الظَّواهر الطَّبيعيَّة في ظِلِّ ظروفٍ مُعَيَّنة، وكثيرًا ما تُكتَب على شكل معادلة، بينما تُقَدِّم النَّظريَّات العلميَّة تفسيرات شاملة لِكَيفيَّة حدوث هذه الظَّواهر ولماذا تتَّصف بخصائص مُعَيَّنة، فالقوانين تَصِف ما يَحْدُث، والنَّظريَّات تشرح لماذا يَحْدُث(١).

وَتَكْمُن أهَمِيَّةُ القوانين في كَوْنها تضع القواعد الَّتِي تنتظم من خلالها الظَّواهر مع بعضها، وهذا يُمَكِّن من فَهْم الطَّبيعة وَضَبْطها، وَكُلُّ قانونٍ علميٍّ يُنِيرُ الطَّريقَ أمام القوانين العلميَّة الأخرى، وهذا التَّراكُم العلميُّ يُساعِد على تَقَدُّم العِلْم وَتَطَوُّره.

- **النَّظريَّة:**

يقابل مصطلح (النَّظريَّة) المصطلح الانكليزيَّ (Theory)، وهو لفظ يعود إلى الكلمة اليونانيَّة (Theorein أو Theoria) الَّتِي تعني: (النَّظر إلى) أو (المراقبة)، واستُعمِلتْ في البداية للدَّلالة على مراقبة الممثِّلين في الإنتاج المسرحيّ، ثُمَّ تطوَّرت دلالة (النَّظريَّة) في الاستعمال الحديث حتَّى أصبحت تدلُّ على نوعٍ من الطُّروحات المقدَّمة كَبَياناتٍ تفسيريَّة عامَّة حول طريقة حدوث الظَّواهر الطَّبيعيَّة، وقد يُنظَر لها على أنَّها فرضيَّة تمَّ اختبارها بالتَّجارب، ويمكن استعمال النَّظريَّات للتَّنَبُّؤ بالظَّواهر الطَّبيعيَّة ويمكن أنْ تؤدِّيَ إلى استنتاج قوانين أكثر دِقَّة. ولا تدلُّ هذه الكلمة في أيٍّ من معانيها على حقائق مرحليَّة لم تؤكَّد بعد، أو على مجرَّد تخمين أو حَدْس، ومع أنَّه يمكن في بعض الأحيان العثور على استثناء لا يتوافق مع النَّظريَّة، فَعَادَةً ما يتمُّ تحرِّي سَبَب هذا الاستثناء وتصحيحه، وإلَّا فَسَتُسْتَبْدَل النَّظريَّة بِنَظريَّةٍ أخرى.

والنَّظريَّة هي مجموعة من الفروض التَّفسيريَّة ذات الدَّعم التَّجريبيّ القويّ، وَتُمَثِّل إطارًا علميًّا نضع فيه الفرضيَّات والحقائق والقوانين الَّتِي توصَّلنا إليها، والخاصِّيَّةُ الأَهَمُّ في النَّظريَّة هي أنَّها تقوم بِتَفسير الحوادث والوقائع وتعطي أسبابًا لِحُدوثها، فالنَّظريَّة إطارٌ تحليليٌّ وتفسيريٌّ عريض واسع يُفسِّر جملةً هائلة من الحقائق على أحسن وَجْهٍ متاح، وَتُعَدُّ النَّظريَّة مقبولةً ما لم توجد نظريَّة غيرها تُفسِّر عددًا أكبر من الحقائق، أو تُفسِّر العدد نفسه من الحقائق بِفُروضٍ أقل، فالنَّظريَّة أعلى من الحقائق، بل لا مَعْنَى للحقائق دون نظريَّة تَنْظُمُهَا(٢).

وتستند بعض العلوم، كَعِلْم الفيزياء، إلى عدَّة نَّظريَّات؛ أشهرها: نظريَّة الكَمّ (Quantum

---

(١) انظر: LibreTexts، Hypothesis, theories, and laws، https://chem.libretexts.org/@go/page/129635.

(٢) انظر: Krebs، Encyclopedia of scientific principles, laws, and theories، صxxviii.

Theory)[١] والنَّظريَّة النِّسبيَّة (The Theory of Relativity)[٢]، كما يستند عِلْم الأحياء، إلى نظريَّات؛ أهمها: نظرية الخلية (Cell Theory)، ونظريَّة التَّطوُّر (Evolution Theory)[٣].

وَيُعتمَد في طَرْح النَّظريَّات على تخمينات واعية مَبنيَّة على المعرفة وَمُستنِدَة إلى نتائج الملاحظات الدَّقيقة، وَالتَّجريب، والاستنتاجات المنطقيَّة، وَالتَّفكير الإبداعيّ، فَهِي ليست تخمينات بالمعنى الشَّائع لِلتَّخمينات في الحياة اليوميَّة، كما أنَّها ليست تصريحات غير موثَّقة وَلَا آراء غير مُطَّلِعَة. وَيُطْلِق بعضُ النَّاس اسمَ النَّظريَّة على بعض المفاهيم أو الافتراضات والطُّروحات الاجتماعيَّة أو السُّلوكيَّة، وغالبًا ما يتمُّ قَبُول تلك النَّظريَّات غير العلميَّة من خلال الإيمان بها دون دليل تجريبيّ، ونادرًا ما تستند إلى الرِّياضيات والحقائق الَّتِي يمكن التَّحقُّق منها والبيانات القابِلة لِلْقياس والأدلَّة. وَيَمُرُّ البناء العلميُّ بمرحلة الفروض ثُمَّ تتوضَّح الظَّواهر الصَّحيحة أكثر وَتَصِل إلى مرحلة القانون، ثُمَّ تتوضَّح الظَّواهر أكثر فأكثر لِنَصِل إلى النَّظريَّة، فالنَّظريَّة إذًا تَحْتَلُّ قِمَّة الهرَم العلميّ[٤].

وَيُشترَط في النَّظريَّة العلميَّة أنْ تَستهدِف ظاهرةً أو مجموعة ظواهر غير واضحة، وتبدأ بِفَرضيَّاتٍ صحيحةٍ لِتَفسير تلك الظَّواهر عبر مسارِ بَرْهَنَةٍ منطقيّ أو رياضيّ، وتكون مُتَّسِقة ذاتيًّا؛ أي: لا تتناقض، فَهِي مُتكاملة الأجزاء والقوانين، وتستطيع أنْ تُقَدِّم تَنَبُّؤات. وَتكون بعض التَّفسيرات العلميَّة لِبَعض الظَّواهر مُثْبَتَة جيدًا لِدَرجة أنَّه مِن غير المحتمل وجود دليل جديد يمكن أنْ يُغَيِّرها، وَعِنْدَها تصبح تلك التَّفسيرات نظريَّة علميَّة. وَتُستعمَل كلمة النَّظريَّة في اللُّغة اليوميَّة لِلْتَّعبير عن الحَدْس أو التَّخمين، وليس الأمر كذلك في العِلْم، حيث تشير كلمة النَّظريَّة في العِلْم إلى شرحٍ شاملٍ لِسِمَة مِن سِمَات الطَّبيعة مدعومٍ

---

(١) نظريَّة الكم (Quantum theory): هي إحدى نظريَّات الفيزياء الحديثة الَّتِي تَصِف الخصائص الفيزيائيَّة لِلذَّرات والأجسام دون الذَّريَّة. انظر: Levin، An introduction to quantum theory، ص٣.

(٢) النَّظريَّة النِّسبيَّة (Theory of relativity): إحدى أهمِّ نظريَّات الفيزياء الحديثة، طُوِّرت من قِبَل ألبرت أينشتاين في بداية القرن العشرين، وتنقسم إلى نظريَّتَين؛ الأولى: هي النِّسبيَّة الخاصَّة، الَّتِي نشرها أينشتاين عام ١٩٠٥م، وَالَّتِي تتناول بِشَكلٍ رئيس ثبات سرعة الضوء والآثار المترتِّبة على ذلك وأهمُّها أنَّ الأشياء تتحرَّك بسرعات نسبيَّة لا يمكن أنْ تَفُوق سرعةَ الضوء، والثَّانية: هي النِّسبيَّة العامَّة، الَّتِي نشرها عام ١٩١٦م، وَالَّتِي تَصِف بِشَكلٍ رئيس الجاذبية كَخَاصيَّة للزَّمان والمكان (الزَّمكان)، أو بِشَكلٍ أَدَقّ: بأنَّها انحناء في استمرارية الزَّمكان. انظر: Einstein، Relativity: the special and the general theory، ص١، ٦٩.

(٣) انظر: LibreTexts، Scientific theories،

https://bio.libretexts.org/Bookshelves/Introductory_and_General_Biology/Introductory_Biology_(CK-12)/01%3A_Introduction_to_Biology/1.03%3A_Scientific_Theories.

(٤) انظر: Krebs، Encyclopedia of scientific principles, laws, and theories، صxxx.

بالحقائق الَّتِي تمَّ جَمْعها عبر الزَّمن، كما تَسْـــمَح النَّظريَّات للعلماء بعمل تَنَبُّؤات حول الظَّواهر الَّتِي لم تتم ملاحظتها بَعْد(١).

وَحَدَّدَتْ الأكاديميَّة الوطنيَّة للعلوم في الولايات المتَّحدة تعريفَ النَّظريَّة العلميَّة بأنَّها تفســـيرٌ مدعومٌ جيدًا لِبَعض جوانب العالَم الطَّبيعيّ، استنادًا إلى مجموعة من الحقائق الَّتِي تمَّ تأكيدها مِرَارًا وَتَكْرَارًا من خلال الملاحظة والتَّجريب، وهذه النَّظريَّات المدعومة بالحقائق ليست تخمينات بل حسابات موثوقة لِحقيقة العالَم، لكنَّها تظل خاضعة للنَّقد والتَّطوير المستمرَّين، ومثالها: النَّظريَّة الذَّريَّة لِلمادَّة الَّتِي تَنُصُّ على أنَّ كُلَّ شَيءٍ مصنوعٌ من الذَّرات(٢)، أو نظريَّة جرثومة المرض الَّتِي تَنُصُّ على أنَّ العديد من الأمراض تُسَبِّبها الجراثيم(٣). وَبِناءً على هذا التَّعريف، تُعَدُّ النَّظريَّة تفســـيرًا لِظَاهرة طبيعيَّة، ونظرًا لِكَوْنها تتمتَّع بأدلَّة داعمة كثيرة، وَكَوْنها قادِرة على شَـــرْح مجموعة مُتنوِّعة من الملاحظات، فَمِنْ غير المرجَّح أنْ تتغيَّر(٤)، وبالتالي فإنَّ عبارة (مجرَّد نظريَّة) ليس لها مكان في العِلْم؛ إذ إنَّ النَّظريَّة العلميَّة لها وزنٌ كبير، وَهِي ليست مجرَّد فكرة لِشَخْصٍ واحد عن شَيءٍ مَا(٥). وَقَدْ تتغيَّر النَّظريَّات، لكن تَغْيِيرها عمليَّة طويلة وصعبة، وحتَّى يمكن ذلك يجب أنْ يكون هناك العديد من الملاحظات أو الأدلَّة الَّتِي لا تستطيع النَّظريَّة تفسيرها(٦).

---

(١) انظر: LibreTexts، Scientific terminology، https://chem.libretexts.org/@go/page/213127.

(٢) يُطلِق المتكلِّمون على هذه الأجسام مسمَّى (الجَوْهَر الفَرْد)، فالجوهر: ماهيَّة إذا وُجِدَت في الأعيان كانت لا في موضوع؛ أي: ليست قائمة في شيء آخر كالعرض. وهو مختصَر في خمسة: هيولى، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل. والجوهر الفرد هو أصغر وحدة أو الجزء الَّذي لا يتجزَّأ؛ أي: لا يمكن تقسيمه إلى أجزاء أصغر. انظر: التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، ١/ ٢٨٦؛ الجرجاني، التعريفات، ص٧٩.

(٣) انظر: LibreTexts، Scientific terminology، https://chem.libretexts.org/@go/page/213127.

(٤) انظر: LibreTexts، Hypothesis, theories, and laws، https://chem.libretexts.org/@go/page/129635؛ LibreTexts، Scientific terminology، https://chem.libretexts.org/@go/page/213127.

(٥) يبدي بعض علماء المسلمين تحفُّظًا تجاه بعض النَّظريَّات العلميَّة الَّتي يرون أنَّها تقوم على افتراضات غير يقينيَّة وتتضمَّن تصوُّرات تتعارض مع أسس عقديَّة، كما هو الحال مع نظرية التَّطور البيولوجيّ، الَّتي تُعَدُّ محلَّ جدل علميّ وفلسفيّ عالميّ، وليس مقتصرًا على علماء المسلمين.

(٦) انظر: LibreTexts، Hypothesis, theories, and laws، https://chem.libretexts.org/@go/page/129635.

وَيَعتقِد الكثير من النَّاس أنَّ النَّظريَّة والفرضيَّة كلمتان مترادفتان إلى حدٍّ ما، ويمكن أنْ يُعْزَى ذلك إلى عَدَمِ فَهْمِهما بنحوٍ دقيق؛ إذْ يبدأ بناء العِلْم بِطَرْحٍ يحاولُ تفسيرَ الظَّواهر، يمكن أنْ يُطْلَق عليه في هذه المرحلة اسم الفرضيَّة، وهذا الطَّرْح قد تُثْبَتُ صِحَّتُه وَقَدْ يُثْبَتُ خَطَؤه، فَإذا تآزرَتْ الأدلَّة على تأكيد الفرضيَّة الَّتِي تُفسِّر مجموعةً من الظَّواهر والحقائق المترابطة تتحوَّل الفرضيَّة إلى نظريَّة.

وَقَدْ يَحصُل الالتباس بين هذين المصطلحين؛ لِكَوْنِهما يحاولان تفسيرَ نفس الظَّواهر ولكنْ بِمَراحل مختلفة، فالفرضيَّة عبارة عن بيانٍ يُستعمَل في المراحل الأولى من البحث في الظَّواهر، ويؤدِّي هذا البحث عادةً إلى استبدال الفرضيَّة كَرَّات وَمَرَّات عديدة قَبْل أنْ تَصِل إلى مرحلة النَّظريَّة العلميَّة، وَالَّتِي تعني التَّفسير الأكثر قَبُولًا واعتمادًا من قِبَل المجتمع العلميّ لِمَجموعةٍ من الظَّواهر والحقائق العلميَّة، وفي حال وصلت تجارب أخرى إلى تفسيرات مختلفة وأكثر قابلية لِلتَّطبيق، فإنَّ النَّظريَّة القديمة حِيْنَها تُستبدَل بالنَّظريَّة الأحدث.

وتُستعمَل النَّظريَّات العلميَّة في سِيَاق عمليَّات البحث المنهجيَّة عن الحقيقة؛ أي: البحث عن تفسيرات لِحَقائقِ الظَّواهر كما هي لا كما يَوَدُّ بعض البشر أنْ تكون. والحقائق ليست نسبيَّة كما يحاول البعض تصويرها، والنَّظريَّات العلميَّة المقبولة هي حقائق ثابتة وطروحات مؤكَّدة بالقوانين العلميَّة. وغالبًا ما يتمُّ التَّعامل مع طروحات النَّظريَّات العلميَّة على أنَّها قابلة لِلْتَّطْوِير والتَّعديل المستمِرَّين، حيث تتمُّ مراجعتها مع تَوَفُّر أيّ أدلَّة جديدة؛ لذلك يُنظَر إلى النَّظريَّات العلميَّة بِاعْتبارها تفسيرات ثابتة لِكَيفيَّة حدوث الأشياء في الطَّبيعة، فَهِي تُمثِّل المحصلة النِّهائيَّة لِلأدلَّة الَّتِي تمَّ جَمْعها علميًّا حول أحداث مُعَيَّنة قد تتضمَّن قوانين وفرضيَّات أخرى(١).

وَتتشابه القوانين العلميَّة مع النَّظريَّات العلميَّة مِن حيث كَوْن كلٍّ منهما مبادئ يمكن استعمالها للتَّنَبُّؤ بِسُلوك العالَم الطَّبيعيّ. وَعَادةً ما يتمُّ تأكيد صِحَّة كُلٍّ من القوانين العلميَّة والنَّظريَّات العلميَّة من خلال الملاحظات أو الأدلَّة التَّجريبيَّة أو كليهما. وفي حين أنَّ النَّظريَّات هي تفسيرات شاملة لِكَيفيَّة حدوث الظَّواهر الطَّبيعيَّة ولماذا تُظْهِر خصائص مُعَيَّنة، ولماذا يُلاحَظ شَيءٌ مَا، تشير القوانين إلى القواعد الَّتِي تُمْلي كيف ستحدث تلك الظَّواهر في ظل ظروف مُعَيَّنة(٢). ومن المفاهيم الخاطئة الشَّائعة أنَّ النَّظريَّات العلميَّة هي أفكار بدائيَّة يمكن أنْ تتحوَّل إلى قوانين علميَّة عندما تجتمع بيانات وأدلَّة كافية على صِحَّتها، والصَّحيح أنَّ النَّظريَّات تفسيراتٌ والقوانين أنماطٌ تُرَى في كَمِّيَّات كبيرة من البيانات، وكثيرًا ما تُكْتَب كَمُعادلة، ولا يتحوَّل أحدهما للآخر، بل تبقى النَّظريَّة دائمًا نظريَّة ويبقى القانون دائمًا قانونًا. والخلاصة

---

(١) انظر: Krebs، Encyclopedia of scientific principles, laws, and theories، صxxix.

(٢) انظر: LibreTexts، Scientific terminology،
https://chem.libretexts.org/@go/page/213127.

هي أنَّ الفرضيَّة هي تفسيرٌ مؤقتٌ يمكن اختباره من خلال مزيدٍ من التَّحقيق، والنَّظريَّة هي تفسيرٌ مدعومٌ بالأدلَّة والحقائق للملاحظات، والقانون العلميُّ هو بيان يلخِّص العلاقة بين المتغيِّرات(١).

الفرع الثَّالث: تَغيُّر العِلْم التَّجريبيّ والثِّقَة بنتائجه:

كثيرًا ما يُطْرح السُّؤال الآتي: **إذا كان العِلْم دائمَ التَّغيُّر فكَيْف يمكن الوثوق به؟ وكيف يُستنَد إليه في تفسير النُّصوص الشَّرعيَّة بما فيها الآيات الكريمة ما دام مُتَغيِّرًا بِطَبيعته؟**

وتؤكِّد الإجابة عن هذا السؤال أنَّه من الصَّحيح أنَّ من طبيعة العِلْم أنَّه مُتغيِّر، وَلَكِنَّ هذا لا يعني أنَّه هُلاميٌّ لا حدود له ولا ثوابت، كما أنَّه ليس مُتغيِّرًا عشوائيًا تتغيَّر نتائجه نحو الخطأ والصَّواب كيفما اتَّفق، بل هو مُتغيِّر مُتَّجِه؛ أي: ذو اتِّجَاه، يتَّجه من الصَّواب إلى الأصوب، وكَمَثَال على ذلك: يقول العِلْم: إنَّ درجة حرارة غليان الماء هي مئة درجة مئويَّة، ثمَّ مع الاختبار المستمِرّ لهذه الحقيقة يتبيَّن عَدَم صِحَّتها في جميع الظُّروف، فَيَتغيَّر العِلْم ويقول: إنَّ درجة حرارة غليان الماء هي مئة درجة مئويَّة ضمن ظروف الضَّغط المثاليَّة، وتتغيَّر هذه الدَّرجة بِتَغيُّر الضَّغط الجويّ، وَكُلَّمَا قَلَّ الضَّغط تَقِلُّ نقطة الغليان(٢). وهكذا يتبيَّن أنَّ التَّغيُّر المستمِرَّ للعِلْم هو نقطة قُوَّةٍ له لا نقطة ضعف، فهو ينتقل من حقيقة لأخرى مع كُلِّ اختبار جديد، ودائمًا يُصحِّح نَفْسَه سعيًا للوصول إلى الحقيقة الكاملة، وبهذا يمكن القول: إنَّ العِلْم يُصحِّح نَفْسَه، وَيَتَّجِه نحو الكمال كُلَّمَا تَعَلَّم النَّاس المزيد عن الكَوْن، فَالعِلْم لا يَتغيَّر بالانتقال عشوائيًا وإنما يَتَّخِذ شكل (التَّرَاكُم)؛ أي: إضافة الجديد إلى القديم، وَلَيْس نَقْضَ القديم. وهو يَتغيَّر بِاسْتمرار؛ لأنَّه يتمُّ اختباره باستمرار لِلعثور على أيِّ عُيُوب، وعندما يتمُّ اكتشاف العُيُوب فإنَّها تُحَفِّز على الفور نُشُوء فرضيَّات جديدة، وَالَّتِي تَخضع للاختبار بِدَوْرِها، فَهَيْكَلُ العِلْم ثابتٌ بِمُعْظمه، وَمَا يَتغيَّر فيه هو إضافةُ مزيدٍ من الفَهْم والوضوح لِبَعض تفاصيله، فالعِلْم يَتغيَّر عبر تَغْيِيرات دقيقة وتدريجيَّة، ينتقل نتيجةً لها من كَوْنِه حقيقة سطحيَّة لِيُصبح حقيقةً أعمق، وليس من خطأ إلى صواب(٣). أمَّا القضايا العلميَّة المدروسة في البحث الحاليّ فَمُعْظمها نَضَجَ حتَّى احترق وأصبح من الحقائق المقطوع بها، فالنُّطفة والبُيَيْضة واللاقحة رُئِيت بِأُمِّ العَيْن، ومراحل تَشَكُّل الجنين في رَحِم أمِّه يمكن مراقبتها، فضلًا عن إنجازها صناعيًا.

---

(١) انظر: LibreTexts، Hypothesis, theories, and laws، https://chem.libretexts.org/@go/page/129635.

(٢) انظر: Krebs، Encyclopedia of scientific principles, laws, and theories، ص٨٢.

(٣) انظر: Asimov، The relativity of wrong، ص٣٥-٤٤.

المطلب الثَّالث: مصادر العلم وأدلَّته عند علماء المسلمين وفي العِلْم التَّجريبيّ:

تَختلِف مصـــادر المعرفة الَّتِي تَوافَق عليها علماء المســـلمين عن تلك المعتمدَة عند أصـــحاب العِلْم التَّجريبيّ؛ إذ يرى علماء المسـلمين أنَّه يمكن من خلال الاسـتقراء حصـر أسـباب العِلْم بِثَلاثة هي: الحواسُّ السَّليمة، والخبر الصَّادِق، والعقل. فالحواسُّ الخمسُ يمكن التَّوصُّل من خلال كُلِّ واحدةٍ منها إلى ما يَتوافَق مع ما وُضِعَتْ له. والخبر الصَّادق على نوعين؛ أحدهما: الخبر المتواتِر، وهو الخبر الثَّابت على ألسنة قوم لا يُتصوَّر تواطؤهم على الكَذِب، وهو موجِبٌ للعِلْم الضُّروري، كالعِلْم بِمَا جرى في الأزمنة الماضِيَة أو البلدان النَّائيَة. والآخر: خَبَرُ الرَّسول المؤيَّد بالمعجِزة، وهو يوجِب العِلْم الاستدلاليَّ، والعِلْم الثَّابت به يُضَاهي العَلْم الثَّابت بالضُّـرورة في التَّيَقُّن والثَّبَات. وَأمَّا العقل فهو سَـبَبٌ للعِلْم، وَمَا ثَبَتَ مِنْه بِالبديهة فهو ضـروريٌّ، كَالعِلْم بأنَّ كُلَّ شَيءٍ أعظمُ مِنْ جِزْئه، وَأمَّا ما ثَبَتَ بِالاستدلال فهو كَسْبِيٌّ[1].

ويرى الباقِلَّانيُّ أنَّ جميع ما يُستدَل به على الأحكام على ضربين؛ الأوَّل: أدلَّة يُوصِل صحيحُ النَّظر فِيها إلى العِلْم بِحَقيقة المنظور فيه، وتُدعى (الدَّليل) باتِّفاق المتكلِّمين والفقهاء، وَيَدخل في ذلك جميع الأدلَّة العقليَّة المتوصَّل بها إلى العِلْم بِحَقائق الأشياء وأحكامها وسائر القضايا العقليَّة، وَيَدخل فيه أيضًا جميع أدلَّة السَّمع الموجبة لِلْقَطْع وللعِلْم من نصوص الكتاب والسُّنَّة ومفهومهما ولحنهما، وإجماع الأمَّة، والمتواتر من الأخبار، وأفعال الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم الواقعة موقِع البيان، وَكُلُّ طريقٍ من طرق السَّمع يُوصِل النَّظرُ فيه إلى العِلْم بِحُكْم الشَّـرع، دون غلبة الظَّنّ. والضَّـرب الثَّاني: أَمْرٌ يُوصِـل النَّظرُ فيه إلى الظَّنّ وغالب الظَّنّ وَيُوصَـف هذا النَّوع بأنَّه أَمارةٌ على الحُكْم، وَيُخَصُّ بِهَذِه التَّسْـمية لِلتَّفريق بينه وبين ما يؤدِّي النَّظر فيه إلى العِلْم وَالقَطْع، وهذا التَّقسيم وَضْـعيٌّ من الفقهاء والمتكلِّمين، وليس مِن مُوجَب اللُّغة؛ لأنَّ أهلَها لا يُفرِّقون بين الأَمارة والدَّلالة وَالسِّمَة وَالعلامة[2].

وَبِالمقابل يُلاحَظ أنَّ لِلدَّليل العلميّ في العلوم التَّجريبيَّة مراحِلَ مُتَتَالِيَة متدرِّجة في القُوَّة، كما يُوضِّـح الشَّكل رقم (١):

---

(١) انظر: التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص١٥-٢٢.

(٢) انظر: الباقلاني، التقريب والإرشاد، ١/ ٢٢١.



الشَّكل رقم (١) يُظْهِر أنواعَ الدَّليل العلميِّ[١].

ويبدو من الجدول السَّابق أنَّ آراء العلماء والخبراء لا تفيد سوى الاستئناس، والَّتي يمكن أن تُعَدَّ الدَّافع للقيام بالدِّراسات الحيوانيَّة أو المخبريَّة، ومن ثمَّ تقارير الحالات الَّتي تعطي نتائجَها ضمن مجال ثقة

(١) Brunning، A rough guide to types of scientific evidence، https://www.compoundchem.com/2015/04/09/scientific-evidence/.

(confidence Interval) محدَّد، فإذا ما كانت تلك النَّتائج إيجابيَّة، كان ذلك إشعاراً بالسَّماح بإجراء المزيد من الدِّراسات السريريَّة وصولاً إلى الدِّراسات ذات النَّوعيَّة الأعلى؛ وهي الدِّراسات السَّريريَّة المضبوطة المُعشَّاة (randomized controlled trial)، والَّتي تفيد غالب الظن، فإذا ما اجتمع العديد من تلك الدِّراسات ذات النوعيَّة العالية كان من الممكن إجراء المراجعات المنهجيَّة عليها، إضافة إلى التَّحاليل التِّلويَّة (systematic reviews and meta-analyses)، والَّتي تكون نتائجها قريبة من اليقين.

المبحث الثَّالث: مقاصِد تفسير آيات خلق الإنسان:

يُعدُّ التَّفسير المقاصديُّ منهجًا مهمًّا في استنباط الدَّلالات القرآنيَّة، حيث يُبرز الغاياتِ الَّتي يسعى النَّصُّ القرآنيُّ إلى تحقيقها. وتمثِّل آيات خلق الإنسان أحدَ المحاورِ الرَّئيسةِ لهذا المنهج لما تحمله من دلالاتٍ عميقةٍ حول الحكمةِ من الخَلْقِ والتَّكريمِ الإلهيِّ للإنسان. ويتضمَّن هذا المبحث ثلاثة مطالب: يُبيّن الأوَّل منها المقصود بمقاصد الشَّريعة وبمقاصد القرآن، ويوضِّح الثَّاني المقصود بالتَّفسير المقاصديِّ لآيات خلق الإنسان، ويعرض الثَّالث أهمَّ المقاصد والغايات من خلقه.

المطلب الأوَّل: مقاصد الشَّريعة ومقاصد القرآن:

المقاصد: جمع مَقْصِد، وهو الغاية الَّتي يريدها المتصرِّف أو الشَّارع وهدفه[١]، ويرى الشَّاطبيُّ[٢] أنَّ "المقصود الشَّرعيَّ من الخطاب الوارد على المكلَّفين [هو] تَفْهيم ما لهم وما عليهم، ممَّا هو مصلحة لهم في دنياهم وَأُخراهم"[٣]. كما يعرِّف ابن عاشور المقاصد العامَّة للشَّريعة بأنَّها "المعاني والحِكَم الملحوظة للشَّارع في جميع أحوال التَّشريع أو معظمها، بحيث لا تَختصُّ ملاحظتُها بالكَوْن في نوع خاص من أحكام الشَّريعة، فَيَدخل في هذا أوصاف الشَّريعة وغايتها العامَّة والمعاني الَّتي لا يخلو التَّشريع عن ملاحظتها، وَيَدخل في هذا أيضًا معانٍ من الحِكَم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"[٤].

وبالمقابل، يمكن القول: إنَّ مقاصد القرآن هي "الغايات الَّتي أُنزِل القرآن لأجلها تحقيقًا لمصالح العباد"[٥]. وَعَرَّفَها العِزُّ بن عبد السَّلام[٦] بأنَّها "الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزَّجر عن اكتساب

---

(١) انظر: الفيومي، المصباح المنير، ٢/ ٥٠٤، مادة (قصد)؛ قلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٢٣.

(٢) هو إبراهيم بن موسى بن محمَّد اللخميُّ الغُرناطيُّ المالكيُّ الشَّهير بالشَّاطبيّ، أبو إسحاق، محدِّث وفقيه وأصوليٌّ ولُغويٌّ ومفسِّر، وهو صاحب (الموافقات في أصول الشَّريعة)، وتُوُفِّيَ سنة تسعين وسبعمئة للهجرة. انظر: التكروري، نيل الابتهاج، ص٤٨؛ الزركلي، الأعلام، ١/ ٧٥.

(٣) الشاطبي، الموافقات، ٤/ ١٤٠.

(٤) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ٣/ ١٦٥.

(٥) حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، ص٢٩.

(٦) هو عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السُّلَميُّ الدِّمشقيُّ، فقيه شافعيٌّ بلغ رتبة الاجتهاد ولُقِّب بسلطان العلماء، من كتبه: (التَّفسير الكبير) و(الإلمام في أدلَّة الأحكام) و(في مجاز القرآن)، وتُوُفِّيَ سنة ستِّين وستُّمئة للهجرة. انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٠٩؛ الزركلي، الأعلام، ٤/ ٢١.

المفاسد وأسبابها"[١]. ويظهر من هذا التَّعريف أنَّ العِزَّ يرى أنَّ مقاصد القرآن هي المقاصد العامَّة للشَّريعة ذاتها؛ أي: جلب المصالح ودرء المفاسد. ومقاصد القرآن تتألَّف من المقاصد الَّتِي تَدُور عليها سور القرآن الكريم وآياته تعريفًا بِرِسالة الإسلام وتحقيقًا لمنهجه في هداية البشر[٢]. وَحَصَر القَرضاويُّ مقاصد القرآن الأساسيَّة بِسَبعة مقاصد هي: "تصحيح العقائد والتَّصورات لِلألوهيَّة والرِّسالة والجزاء، تقرير كرامة الإنسان ورعاية حقوقه خصوصًا الضُّعفاء من النَّاس، تَوَجُّه البشر إلى حسن عبادة الله تعالى وَتَقْواه، الدَّعوة إلى تزكية النَّفْس البشريَّة، تكوين الأسرة الصَّالحة وإنصاف المرأة، بناء الأمَّة الشَّهيدة على البشريَّة، والدَّعوة إلى عالَم إنسانيٍّ مُتعاون"[٣]. ويمكن تحديد المراد بالمقاصد القرآنيَّة من خلال بيان مستويات الخطاب القرآنيّ وَالَّتِي يمكن حَصْرها بِثَلاثة مستويات؛ المستوى الأوَّل: مَا جاء به القرآن الكريم من مضامين سواء أكانت خبرًا أم إنشاءً ويمكن أنْ تكون جوابًا عن السُّؤال الآتي: لماذا نَزَلت الآية القرآنيَّة؟ فيكون الجواب نَزَلت لِتُخبِر أو نَزَلت لِتَأمُر أو لِتَنهى. والمستوى الثَّاني: العِلَل والحِكَم والمعاني المستنبَطة من الخطاب، ويمكن أنْ تكون جوابًا للسُّؤال الآتي: لماذا نزل الأمر بكذا أو النَّهي عن كذا أو الخبر بكذا؟ فيكون الجواب بِبَيان العِلَّة أو الحِكْمة أو المعنى أو العِبْرة. والمستوى الثَّالث: هي المقاصد العُليا والعامَّة والغايات الَّتِي يمكن تحصيلها من مجموع أدلَّة الخطاب القرآنيّ أو مجموع المعاني والحِكَم أو العِلَل. فالمقاصد القرآنيَّة شاملة للمستويات الثَّلاثة[٤].

المطلب الثَّاني: التفسير المقاصديُّ والمقاصد القرآنيَّة لخلق الإنسان:

يُقصَدُ بالتَّفسيرِ المقاصديّ "ذهاب المفسِّر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التَّشريع في العقائد والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودَعة في الكلام، ليتحقَّق فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأنعام: ١٥٤] ونحوهما من الأوصاف"، وعدم الاكتفاء بحلِّ الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنِّيَّة[٥]. فالتَّفسير المقاصديُّ هو "ذلك النَّوع من التَّفسير الذي يبحث في معاني ألفاظ القرآن الكريم، وتوسيع دلالاتها اللغويَّة، مع بيان الحِكَم والغايات الَّتِي أُنزِل من أجلها القرآن الكريم، وشُرِعت من أجلها الأحكام"[٦].

---

(١) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ١/٣.

(٢) انظر: المصري، التفسير المقاصدي للقرآن الكريم خلق الإنسان نموذجًا، ص١٦٦٧-١٧٣٦.

(٣) القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص٧١.

(٤) انظر: أسعد، مقاصد قرآنية يناط بها التمكين الأسري، ٤٥٩-٥٠٢.

(٥) انظر: رضا، تفسير المنار، ١/ ٢٢.

(٦) الأطرش وقائد، الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، ص١٨٥-٢٢١.

ويُشَكِّل الإنسان مركزَ اهتمام الشَّريعة الإسلاميَّة، وقد بَيَّن القرآن الكريم الغاية مِن خلقه ونشأته والمصير الَّذِي سَيَنْتَهي إليه، إضافةً إلى بيان ما يَعْرُض له في حياته، وقد بَيَّن أيضًا أهمَّ المقاصد والغايات من خلق الإنسان، ويمكن تلخيصها في ثلاثة مقاصد رئيسة هي: الخلافة، والعبادة، والعمارة(١).

لقد بَيَّنَ الله مقصدَ خلق الإنسان لِاستخلافه في الأرض في العديد من الآيات الكريمات منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. وَقَدْ عرَّف الرَّاغب الأصفهانيُّ(٢) الخلافةَ المذكورة في هذه الآية وغيرها من الآيات، وَبيَّن الحِكْمةَ منها قائلًا بأنَّها "الاقتداءُ بالباري سبحانه على قَدْر طاقة البشر في السِّياسة باستعمال مكارم الشَّريعة. ومكارم الشَّريعة هي الحِكْمة، والقيام بالعدالة بين النَّاس، والحلم، والإحسان، والفضل، والقصد منها أنْ تبلغ إلى جنَّة المأوى، وجوار ربِّ العِزَّة تعالى"(٣).

وأمَّا مقصد خلق الإنسان لِلعِبَادة فيدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَقَدْ ذَكَر الشَّاطبيُّ ضَرْبَي العبادةِ قائلًا: "ما تُعُبِّد العِبَاد به على ضربين: أحدهما: العبادات المُتَقَرَّب بها إلى الله بالأصالة، وذلك الإيمان وتوابِعه من قواعد الإسلام وسائر العبادات. والثَّاني: العادات الجارية بين العِباد الَّتِي في اِلْتِزامِها نشر المصالح بإطلاق، وفي مخالفتها نشر المفاسد بإطلاق، وهذا هو المشروع لمصالح العباد وَدَرْءِ المفاسد عنهم، وهو القِسْم الدُّنيويُّ المعقولُ المعنى، والأوَّل هو حقُّ الله من العِبَاد في الدُّنيا، والمشروعُ لِمَصالحهم في الآخرة وَدَرْءِ المفاسد عنهم"(٤).

وأمَّا مقصد خلق الإنسان لِلعمارة فيدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. وتعمير الأرض يكون بالعمل الصَّالح الماديِّ والمعنويِّ المؤدِّي إلى الانتفاع بِخَيراتها بلا إفساد، واستصلاح أحوالها بِمَا ييسِّر للإنسان الحياة الطَّيبة، وَبِمَا يُحقِّق مرضاة الله تعالى، فاقترانُ استعمار الأرض بإنشاء الإنسان قرينةٌ على أنَّ عمارةَ الكَوْن غايةٌ من غايات خلق الإنسان(٥).

---

(١) انظر: المصري، التفسير المقاصدي للقرآن الكريم خلق الإنسان نموذجًا، ص١٦٦٧-١٧٣٦.

(٢) هو الحسين بن محمَّد بن المُفَضَّل، أبو القاسم الأصفهانيُّ أو الأصبهانيُّ المعروف بالرَّاغب، أديب، من الحكماء العلماء، واشتُهِر حتَّى كان يُقْرَن بالإمام الغزاليّ، وله تصانيف كثيرة، منها: (المفردات في غريب القرآن)، و (محاضرات الأدباء)، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة)، وتُوُفِّيَ سنة اثنتين وخمسمئة للهجرة. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٤٤٧؛ الزركلي، الأعلام، ٢/ ٢٥٥.

(٣) الراغب الأصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص٨٣.

(٤) الشاطبي، الموافقات، ٢/ ٣٥٧.

(٥) انظر: عبد الحميد النجار، مبدأ الإنسان، ص٦٠.

ومن المفسِّرين الَّذِينَ اعتنوا بالمقاصد القرآنيَّة ابن عاشور الَّذِي أشار في العديد من المواضع في تفسيره إلى مقصد الآية الَّتي يفسِّرها، فهو يرى أنَّه ممَّا ينبغي أنْ يكون غرضُ المفسِّر "بيانَ ما يَصِلُ إليه أو ما يَقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتمّ بيانٍ يَحتمله المعنى ولا يَأْبَاه اللَّفظ من كلِّ ما يوضِّح المرادَ من مقاصد القرآن، أو ما يتوقَّف عليه فَهْمُه أكمل فَهْمٍ، أو يخدم المقصد تفصيلًا وتفريعًا"(١). وقد استعمل ابن عاشور التَّفسيرَ العلميَّ خدمةً للمقصد القرآنيّ أو لمقصد الآية، ومن ذلك أنه ذَكَر أنَّ في قَوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦] "اسْتِدلالًا بِتَطوُّرِ خَلْق الإِنسان على عظيمِ قُدْرَةِ اللَّه وَحِكْمَته وَدَقائق صُنْعِه"(٢). وَأَسْهب في بيان الأطوار العشرة لِخَلْق الإنسان مع أنَّها غير مذكورة بالتَّفصيل في الآية الَّتِي أشارت فقط إلى أنَّ تخلُّقَ الإنسان في بطن أمِّه يكون على مراحل؛ أي: إنَّ الاستدلال بالآية كان غيرَ مباشرٍ، وَلَمْ يرَ ابن عاشور مانعًا من هذا الإسهاب ما دام يضفي على المعنى وضوحًا وَيُحقِّق الغاية الَّتِي سيقت مِن أَجلِها الآية(٣).

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ٤١.

(٢) المرجع السابق، ٢٣/ ٣٣٣.

(٣) انظر: المرجع السابق. وسيأتي التَّعليق على ما تضمَّنه كلام ابن عاشور عن هذه الأطوار العشرة في الفصل الثَّالث عند الحديث عن الخلق على مراحل.

الفصل الأوَّل: أصل الإنسان

تمهيد.

المبحث الأوَّل: خَلْق آدم وحوَّاء.

المطلب الأوَّل: خَلْق البشر من نفس واحدة.

المطلب الثَّاني: خَلْق زوج النَّفس الواحدة.

المبحث الثَّاني: خَلْق ذرِّيَّة آدم وتصويرها.

المطلب الأوَّل: خَلْق الذُّرِّيَّة وتصويرها مع خَلْق آدم عليه السلام وتصويره.

المطلب الثَّاني: إنشاء الذُّرِّيَّة بعضها من بعض.

تمهيد:

تُمثِّلُ قصةُ خَلْقِ الإنسانِ الأوَّل بدايةَ مسيرتِهِ على هذه الأرضِ، وقد تناولَ القرآنُ الكريمُ أصلَ البشريّةِ ونشأتَها الأولى بشيءٍ من التَّفصيلِ، فأشارَ إلى خَلْقِ النَّاسِ مِن نَفْسٍ واحدةٍ، ثمَّ خَلْقِ زوجٍ لها، ونبَّهَ إلى أنَّ خَلْقَ تلكَ النَّفْسِ يَتضمّنُ خَلْقَ ذرّيَّتها، وأنّ الأجيالَ تتوالى مِن تلكَ الذُّرّيةِ جيلًا بعدَ جيلٍ. إلّا أنّ قضيّةَ أصلِ الإنسانِ شهدَتْ اختلافًا واسعًا وتنوُّعًا في الآراءِ التَّفسيريّةِ لم تشهدْهُ أيُّ قضيّةٍ أخرى، ويرجعُ ذلكَ إلى ظُهورِ النَّظريَّاتِ العلميَّةِ الَّتي غيَّرتِ المفهومَ السَّائدَ عن أصلِ البشرِ. فقد أدَّى اطّلاعُ بعضِ المفسّرينَ على تلكَ النَّظريَّاتِ إلى استحداثِ أقوالٍ تفسيريَّةٍ جديدةٍ أصبحتْ موضعَ جدلٍ، ممَّا استدعى محاولةَ التَّمييزِ بينَ المقبولِ منها والمردودِ، وَفْقًا لقواعدِ تفسيرِ النُّصوصِ وحقائقِ العلمِ التَّجريبيّ. وسيتناولُ هذا الفصلُ تفصيلَ هذه المسألةِ من خلالِ مبحثينِ: يُعنى الأوَّلُ بخَلْقِ آدمَ وحوّاءَ، بينما يتناولُ الثَّاني خَلْقَ ذريّةِ آدمَ وتصويرَها.

المبحث الأوَّل: خلق آدم وحوَّاء:

يُمثِّل خلق آدم وحواء بداية الوجود البشريّ، وهو الحدث الَّذي أرسى أساس وجود الإنسان في هذه الحياة. وقد تناول القرآن الكريم قصة خَلْقِهما، مؤكِّدًا أنَّ أصل البشريَّة واحد، وأنَّ نشأتها لم تكن عبثًا، بل جاءت وفق حكمة إلهيَّة دقيقة، فمن هذه البداية تكوَّن الجنس البشريُّ، وتحقَّقت سنَّة الله في الاستخلاف على الأرض. ويتضمَّن هذا المبحث مطلبين؛ يتناول الأوَّل خلق البشر من نفس واحدة، ويتناول الثَّاني خلق زوج لها.

المطلب الأوَّل: خلق البشر من نفس واحدة:

يؤكِّد القرآن الكريم أنَّ أصل البشريَّة يعود إلى نفس واحدة، وقد أشار إلى خَلْق البشر وإنشائهم من تلك النَّفس في آيات عديدة هي: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٨]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]، وسيُكتفى باستعراض أقوال المفسّرين في معنى النَّفس الواحدة كما وردت في تفسير آية سورة النِّساء؛ لأنَّ الأقوال التَّفسيريَّة الواردة فيها شاملة للأقوال الواردة في المواضع الأخرى. وقد اختلف المفسّرون في معنى النَّفس الواحدة فيها على أقوال:

القول الأوَّل: النَّفس الواحدة هي نفس آدم عليه السَّلام؛ و(خَلَقَكُمْ): فرَّعكم من أصل واحد وهو نفس أبيكم آدم[١]، ومن المفسِّرين من ذكر هذا القول ونسبه للجمهور، ثمَّ قال: "وهم لم يأخذوا هذا من نصِّ الآية، بل أخذوه تسليمًا؛ وهو أنَّ آدم هو أبو البشر"[٢].

المناقشة: تدلُّ الآية الكريمة على أنَّ كلَّ البشر خُلِقوا من نفس واحدة دون أن تصرّح بهويَّتها في هذا الموضع، وفي هذا مراعاة لمقام[٣] بيان الأصل الواحد للبشر؛ فليس الغرض من الآية الكريمة هنا بيان هوية الإنسان الأوَّل الَّذي نشأ منه كلُّ البشر، بل بيان فضل الله تعالى في خلق النَّاس جميعًا من أصل واحد، وحَضِّهم على التَّقوى في تعامل بعضهم مع بعض؛ إذ تؤكِّد الآية أُخوَّتَهم، وتذكِّرهم بأصلهم الواحد، وهو أدعى لأنْ يتَّقوا الله في بعضهم بعضًا. ولئن لم تشر الآية الكريمة هنا إلى آدم عليه السَّلام كأصل واحد للبشريَّة فإنَّ المفسِّرين أخذوا هذا من آيات كريمة أخرى عديدة؛ منها آيات بدء خلق الإنسان في سورة البقرة[٤]، لا تسليمًا كما ذكر بعض أصحاب هذا القول.

القول الثَّاني: يرى أصحابه أنَّ الخطاب في القرآن الكريم مُوَجَّه لقريش الَّذين كانوا في عهد النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وهم آل قصي، ومن ثمَّ يكون المراد بالنَّفس الواحدة قصي[٥]. وقريب من هذا القول قول من يرى أنَّ المقصود بالنَّفس الواحدة يتغيَّر بحسب المخاطَبين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾؛ فإن كان الخطاب لأهل مكَّة، أو قريش، جاز أن يُفهَم منه أنَّ النَّفس الواحدة هي قريش أو عدنان، وإذا كان الخطاب للعرب عامَّة جاز أن يُفهَم منه أنَّ المراد بالنَّفس الواحدة يعرب أو قحطان، وإذا كان الخطاب لجميع الأمم فكلُّ أمَّة تفهم منه ما تعتقده[٦].

المناقشة: يمكن ردُّ محلِّ النِّزاع في هذا القول إلى صرف عموم التَّعريف في (النَّاس)؛ وهو على ما يبدو من العامِّ المطلق، وهذا النَّوع دلالته على العموم ظنِّيَّة فيما ذهب إليه الجمهور[٧]، فضلًا عن أنَّه قد يحاجج

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٥؛ جوهري، الجواهر، ٣/ ٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢١٥.

(٢) المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ١٧٥.

(٣) مراعاة المقام: أن يُنظَم الكلامُ على خصوصيَّات بلاغيَّة تناسب مقامات الكلام المتفاوتة، كالتَّرغيب والتَّرهيب، والجِدِّ والهزل، وغيرها. انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص ١٦٨.

(٤) هي الآيات ٣٠-٣٧ من السُّورة.

(٥) ذكره المراغيُّ، ونسبه إلى محمَّد بن عليٍّ الشَّاشيِّ المعروف بالقفَّال الكبير (ت ٣٦٥ هـ). انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ١٧٥.

(٦) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٢٦٥، نقلًا عن محمَّد عبده.

(٧) للعموم ثلاثة أنواع: عامٌّ أريد به العموم قطعًا وهو ما صاحبته قرينة تنفي احتمال تخصيصه، وعامٌّ أريد به الخصوص قطعًا وهو ما صاحبته قرينة تنفي أن يكون العامُّ مرادًا، وعامٌّ مطلَق وهو ما لم تصحبه قرينة تنفي احتمال تخصيصه ولا

بعضهم في كونه من العامِّ الَّذي أريد به الخصوص، بقرينة قوله تعالى بعدها: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[النساء: ١]، فهو خطاب يستخدمه العرب الَّذين اعتادوا أن يسألوا بعضهم بعضًا بقرابة الرَّحم فيقول قائلهم: (أسألك بالله وبالرحم)(١). وقد يُجاب عن ذلك بأنَّ الامتنان بالخلق والأمر بالتَّقوى ينطبق على كلِّ البشر، فيكون قرينة لكون (النَّاس) من العامِّ الَّذي أريد به العموم قطعًا، إضافة إلى أنَّ النِّداء في القرآن الكريم بـ (يا أيها الناس) ورد في عشرين آية، وباستقراء تلك الآيات يلاحظ أنَّ الخطاب هو خطاب عامٌّ من ناحية المُخاطَب ومن ناحية موضوع الخطاب، ومنه آية النساء هذه(٢)، كما أنَّ الخطاب في القرآن الكريم عمومًا يكون للنَّاس كافَّة، ومن ثَمَّ يمكن قبول أن يكون آل قصي أو أهل مكَّة أو غيرهم معنيِّين بالخطاب، ولكن دون أن يقتصر ذلك الخطاب عليهم وحدهم.

القول الثَّالث: "المُتبادَر من لفظ النَّفس... أنَّها هي الماهيَّة أو الحقيقة الَّتي كان بها الإنسان هو هذا الكائن الممتاز على غيره من الكائنات؛ أي: خَلَقَكم من جنس واحد وحقيقة واحدة، ولا فرق في هذا بين أن تكون هذه الحقيقة بُدِئت بآدم كما عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين، أو بُدِئت بغيره وانقرضوا كما قاله بعض الشِّيعة والصُّوفيَّة، أو بُدِئت بعدَّة أصول انبث منها عدَّة أصناف كما عليه بعض الباحثين، ولا بين أن تكون هذه الأصول أو الأصل ممَّا ارتقى عن بعض الحيوانات، أو خُلِق مستقلًّا على ما عليه الخلاف بين النَّاس في هذا العصر"(٣). ويأبى ظاهر هذه الآية أن يكون المراد بالنَّفس آدم، لمعارضته المباحث العلميَّة والتَّاريخيَّة الَّتي تقول بوجود أكثر من أبٍ للبشر، ولقوله تعالى: ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾، ولم يقل: (النِّساء والرِّجال)(٤)، وما جاء من مخاطبة النَّاس بقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ لا يُعَدُّ نصًّا في كون جميع البشر من أبنائه إذ يكفي في صحَّة هذا الخطاب أن يكون من وُجِّه إليهم في زمن التَّنزيل من أولاد آدم(٥).

المناقشة: يمكن تقسيم الأدلَّة الَّتي استدل بها أصحاب هذا القول إلى قسمين رئيسين: أدلَّة لُغويَّة، وأدلَّة علميَّة؛ أمَّا الأدلَّة اللغويَّة فأوَّلها: أنَّ الله تعالى قال: ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، ولم يقل: (الرِّجال والنِّساء)، ويمكن أن يُجاب عنه بأنَّه لم يقل: (وبثَّ منهما الرِّجال والنِّساء)؛ لأنَّ ذلك يوجب كون جميع الرِّجال والنِّساء مبثوثين عنهما مباشرة، وذلك محال، فعَدَلَ إلى قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

قرينة تنفي دلالته على العموم، وهذا النَّوع الأخير دلالته ظنيَّة فيما ذهب إليه الجمهور. انظر: صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، ٢/ ١٠٢.

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ٧/ ٥١٩.

(٢) انظر: العمراني، تأملات في عالمية الخطاب القرآني، ص٤٣.

(٣) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٢٦٨.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٢٦٨؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ١٧٥.

(٥) نُقِل هذا القول عن الأستاذ محمد عبده. انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ١٧٥.

وَنِسَاءً﴾[١]، فليس في هذا دليل على وجود أنفس أخرى نشأ منها بشر آخرون. وثانيها: أنَّ الخطاب ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ لا يُعَدُّ نصًّا في كون جميع البشر من أبنائه إذ يكفي في صحَّة هذا الخطاب أن يكون من وُجِّه إليهم في زمن التَّنزيل من أولاد آدم. وهذا الدَّليل مردود باستقراء الآيات الَّتي جاء فيها هذا الخطاب؛ حيث يُلاحظ أنَّ الخطاب موجَّه لجميع البشر لا لقسم منهم[٢]، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فهل أشهد الله ذرِّيَّة بني آدم وترك سواهم من بقيَّة البشر إن وُجِدوا! وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فهل كرَّم الله بني آدم وترك بقيَّة البشر المفترَضين دون تكريم! وفي قوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]، فهل اقتصر العهد في عدم عبادة الشَّيطان على بني آدم وسمح بذلك لبقيَّة البشر! وغيرها الكثير من البيان الشَّريف الواضح.

وأمَّا الأدلَّة العلميَّة الَّتي استدلُّوا بها فهي قولهم: إنَّ كون المراد بالنَّفس الواحدة آدم يعارض المباحث العلميَّة والتَّاريخية الَّتي تقول بوجود أكثر من أب واحد للبشر. ويُفصِح هذا القول عن تأثُّرِ أصحابه الواضح بنظريَّة التَّطوُّر. ولفهم هذا الاستدلال لا بدَّ من إلقاء بعض الضوء على هذه النَّظريَّة وما تقول به.

الدَّاروينيَّة (Darwinism) أو نظرية التَّطوُّر (Theory of Evolution): نظرية تشرح تنوُّع الكائنات الحيَّة وظهور أنواع جديدة منها عن طريق التَّطوُّر البيولوجيّ[٣] والانتقاء الطَّبيعيّ والبقاء للأصلح[٤]، طوَّرها كلٌّ من دَارْوِين و وُوْلاس (Charles Robert Darwin، ١٨٠٩– ١٨٨٢م؛ Alfred Russel Wallace، ١٨٢٣– ١٩١٣م) في القرن التاسع عشر، والَّتي أصَّلها داروين في كتابه (أصل الأنواع On the Origin of Species) عام (١٨٥٩م). وتنصُّ النَّظريَّة على أنَّ جميع أنواع

---

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٧٨.

(٢) انظر: العمراني، تأملات في عالمية الخطاب القرآني، ص٤٣.

(٣) التَّطوُّر البيولوجيُّ (Biological evolution): هو التَّغيير الجِيْنِيُّ الَّذي يحدث لمجموعة سكانيَّة خلال الانتقال من جيل إلى آخر، وتكون سرعة واتجاه هذا التَّغيير متغايرة في الأنواع المتباينة وفي الأوقات المختلفة، ويمكن أن يؤدِّي التَّطوُّر المستمرُّ عبر العديد من الأجيال إلى تطوير أصناف وأنواع جديدة، كما يمكن أن يؤدِّي الفشل في تطوير الاستجابات المناسبة للتَّغيُّرات البيئيَّة إلى الانقراض. انظر: O'Neil، Biological anthropology tutorials، https://www2.palomar.edu/anthro/tutorials/biological.htm.

(٤) تقوم فكرة الانتقاء الطَّبيعي (Natural selection) على أنَّ البقاء يكون للأفراد القادرين على التَّكيُّف مع الظُّروف المحيطة حتَّى يصلوا إلى مرحلة النُّضج والتَّكاثر ونَقْلِ سماتهم إلى الجيل التَّالي، بينما ينقرض الأفراد الأقلُّ قدرة على التَّكيُّف، وتتجمَّع الأنماط الظَّاهريَّة الأصلح داخل الأفراد مع مرور الوقت ويتسبَّب الانتقاء الطَّبيعيُّ بذلك في نشوء أنواع جديدة. انظر: السَّابق. لقد طُوِّرت هذه الفكرة كمحاولة لتفسير وجود الأنواع المختلفة دون الحاجة للإيمان بالخلق المستقلِّ لكلٍّ منها.

الكائنات الحيَّة نشأت بالصُّدفة[١] في ظروف مناسبة من أصل مُشترَك هو خليَّةٌ حيَّة واحدة، ثمَّ تطوَّرت تلك الخليَّة عبر ملايين السِّنين تطوُّرًا تدريجيًّا بطيئًا عبر عمليَّة الانتقاء الطَّبيعيّ ممَّا أدَّى لظهور الأنواع الجديدة[٢].

لقد خضعت هذه النَّظريَّة منذ أن طُرِحت لتطوير وتعديل مستمرَّين، ولعلَّ التَّطوير الأبرز فيها هو ظهور ما يُسمَّى **بالدَّاروينيَّة الحديثة (Neo Darwinism)**، وهي تفسير معدَّل لنظريَّة داروين يجمع بين الانتقاء الطَّبيعيّ وعلم الوراثة المِنْدِليَّة[٣]، إضافة إلى العديد من التَّفسيرات الَّتي وضعها علماء الأحياء والوراثة السُّكانيَّة[٤] وغيرهم منذ أوائل القرن العشرين حتى اليوم. وتعزو النَّظريَّة الدَّاروينيَّة الحديثة القوَّة الرَّئيسة الدَّافعة لظهور الأنواع الجديدة إلى جَمْعِ الاختلافات الجِيْنِيَّة المفضَّلة عبر الأجيال (الطَّفرات الجِيْنِيَّة

---

(١) للصُّدفة في نظريَّة التَّطوُّر دور أساسيٌّ؛ إذ لم يعتقد داروين أنَّ التَّطوُّر يتبع اتِّجاهًا محدَّدًا مسبقًا أو أنَّ له هدفًا حتميًّا، وإنَّما يحدث نتيجة الانتقاء الطَّبيعيّ، وهذا يعني أنَّ الصُّدفة تلعب دورًا رئيسًا في تحديد نتيجته، فلقد اعتقد أنَّ الحظَّ هو من سيقرِّر ما إذا كان لدى أيِّ فرد أو مجموعة من السُّكان اختلافات تسمح لها بالبقاء والتَّكاثر، وفي حالة عدم وجود مثل هذه الاختلافات سوف تنقرض بسرعة؛ لأنَّها لا تستطيع التَّكيُّف مع البيئة المتغيِّرة.

انظر: O'Neil، Biological anthropology tutorials،

..https://www2.palomar.edu/anthro/tutorials/biological.htm

(٢) انظر: السَّابق.

(٣) علم الوراثة المِنْدِليَّة (Mendelian genetics): نِسبةً إلى مِنْدِل Gregor Mendel، راهب من القرن التَّاسع عشر، أجرى تجارب عدَّة على ما يقارب ٥٠٠٠ نبتَةٍ من نباتات البازلَّاء الَّتي زرعها في حديقة الدَّير بين عامي (١٨٥٦ و ١٨٦٣م) وتوصَّل إلى ما يُعرَف اليومَ باسم مبادئ مِنْدِل للوراثة أو الوراثة المِنْدِليَّة. انظر: Gliboff، Gregor Mendel and the laws of evolution، ص٢١٧.

(٤) علم الأحياء والوراثة السُّكانيَّة (Population genetics and biology): هو علم يجمع بين علم الأحياء التَّطوُّريّ وعلم الوراثة، متخصِّصٌ في دراسة التَّباين الجِيْنِيّ داخل وبين المجموعات السُّكانيَّة، ويدرس العديد من الظَّواهر مثل: التَّكيُّف وظهور الأنواع الجديدة والبنيَّة السُّكانيَّة. انظر: Ewens، Population genetics theory ، ص١٧٧.

العشوائيَّة[١]) عبر الانتقاء الطَّبيعيّ للجينات[٢] الأكثر ملاءمة ما يؤدي إلى نشوء أنواع جديدة[٣]. وتلقَّت هذه النَّظريَّة قبولًا واسعًا في المجتمع العلميّ نظرًا لما تمتلكه من حجج؛ أهمُّهما: السِّجلُّ الأُحفوريُّ، والتَّشابهات الكيميائيَّة والتَّشريحيَّة بين الكائنات الحيَّة المتقاربة، والتَّغيُّرات الجِيْنِيَّة المُثبَتة في الكائنات، والتَّوزُّع الجغرافيُّ للأنواع المتقاربة، وغيرها[٤]، وبالمقابل، هناك بعض العلماء الَّذين ردُّوا هذه النَّظريَّة وردُّوا على الكثير من حُجَجِها[٥].

ومن المفيد بيان الموقف الشَّرعيّ المتَّزن من هذه النَّظريَّة، بعد أن أصبح ذكرها مألوفًا في عدد من التَّفاسير الحديثة:

تقوم النَّظريَّة على ركنين رئيسين؛ أوَّلهما: مفهوم الأصل المشترك للكائنات الحيَّة، والَّذي يقول: إنَّ جميع الكائنات الحيَّة انحدرت من سلف مشترك، وبالنَّظر في الآيات القرآنيَّة الَّتي تتحدَّث عن خلق الإنسان، يُلاحَظ أنَّها تُفصِّل مراحل خلق الإنسان، ابتداءً من الطِّين، ومرورًا بالمراحل المتعاقبة، ووصولًا إلى التَّسوية ونفخ الرُّوح، مع تأكيدٍ واضحٍ على خصوصيَّة خلق الإنسان وتكريمه، وهذا أصل عَقَدِيٌّ قطعيٌّ لا يتغير، ومع ذلك، فإن هذا الجانب من النَّظريَّة -في حال ثبوته- لا يتعارض مع نصوص القرآن الكريم، ولا مع الإيمان بوجود الله الخالق العظيم[٦]. وأمَّا الركن الآخر من النَّظرية، وهو آلية ظهور الأنواع الجديدة، والَّتي تُعزَى إلى الطَّفرات العشوائيَّة والانتقاء الطَّبيعيّ، دون أيّ توجيه أو قصد، فهو تفسير مادِّيٌّ فلسفيٌّ محضٌ، يتناقض مع التَّصوُّر الإسلاميّ القائم على الإيمان بالله الخالق الحكيم، الَّذي أحسن خلق كلّ شيء وفق مشيئته وتقديره. وهذا التَّفسير لا يعبِّر عن نتائج علميَّة خالصة، بل يعكس رؤية فلسفيَّة مادِّيَّة تتجاوز نطاق العلم التَّجريبيّ إلى قضايا ميتافيزيقيَّة. ويكمن الخطأ الَّذي وقع فيه بعض المفسِّرين في تناولهم النَّظريَّة

---

(١) الطَّفَرات (Mutations): هي تعديلات تحدث على المادَّة الوراثيَّة، وغالبًا ما تحدث أثناء نَسْخ الحمض النَّوَوِيّ خلال انقسام الخلايا. انظر: O'Neil، Biological anthropology tutorials، https://www2.palomar.edu/anthro/tutorials/biological.htm.

(٢) الجِيْنَات (Genes): الوحدات الأساسيَّة للوراثة في الكائنات الحيَّة، وتتضمَّن المعلوماتِ المهمَّةَ الَّتي يتمُّ عَبْرَ فَكِّ تَشْفِيرِها تكوينُ أعضاء الجنين والوظائف العُضْوِيَّة الحيويَّة له. انظر: السابق؛ الخياط، المعجم الطبي الموحد، ص٥٩٣.

(٣) انظر: O'Neil، Biological anthropology tutorials، https://www2.palomar.edu/anthro/tutorials/biological.htm.

(٤) انظر: السابق.

(٥) Gauger وزملاؤه، Science and human origins، ص١٥؛ قنيبي، سلسلة رحلة اليقين، https://www.youtube.com/playlist?list=PL56IcDjrf3YJr__TEOJ2UOv3jCzht1_yc.

(٦) حسين الجسر، الرسالة الحميدية، ص٢٩٧؛ نديم الجسر، قصة الإيمان، ص١٩٤.

دون التَّمييز بين ركنيها، أو التَّنبيه إلى ما يتعارض مع الأصول العقديَّة فيها، والمنهج الرَّشيد هو النَّقد المتَّزِن، الَّذي يقبل ما لا يخالف الوحي، ويردُّ ما يعارضه، مع الالتزام بفهم النُّصوص ضمن مقاصدها، وسعة دلالاتها، ودون إخراجها عن سياقاتها أو تحميلها ما لا تحتمله.

ولكن: هل استطاع العلمُ أن يؤكِّد عشوائيَّة الطَّفرات؟

تُشكِّل عشوائيَّةُ الطَّفرات الدَّعامة الأهمَّ الَّتي تقوم عليها نظريَّة التَّطوُّر، والَّتي تحدَّث عنها أنصار النَّظريَّة لعقود طويلة، وهذا ما تنفيه الأبحاث العلميَّة الحديثة الرَّصينة؛ حيث تؤكِّد أنَّ الطَّفرات الَّتي تحدث اليوم ليست عشوائيَّة، وقياسًا عليها فإنَّ الطَّفرات الَّتي حدثت في قديم الزَّمان ونتجتْ عنها الكائناتُ المختلفةُ -حسب النَّظريَّة- ليست عشوائيَّة؛ فهي تحدث بشكل رئيس في المناطق غير الجِيْنِيَّة من الصِّبغيَّات[1]، بينما تكون المناطق الجِيْنِيَّة الرَّئيسة المسؤولة عن تصنيع البروتينات في الجسم محميَّة إلى درجة كبيرة نسبيًّا من حدوث الطَّفرات[2]. إنَّ هذه النَّتائجَ تنفي العشوائيَّة والصُّدفيَّة الَّتي تقوم عليها النَّظريَّة ، وتؤكِّد وجود التَّوجيه والقصد والإرادة؛ أي: وجود الخالق.

والسُّؤال الأهمُّ في سِياق مناقشة هذا القول: هل حقًّا استطاع العلم أن ينفيَ نسبة البشر إلى أبوين اثنين فقط، ويُثْبِتَ نسبتهم إلى أكثر من أبوين؟

اعتمادًا على علم الوِراثة السُّكانيَّة، جادل بعض العلماء بأنَّ هناك قدرًا كبيرًا من التَّنوُّع الجِيْنِيّ لدى البشر اليوم لا يمكن أن يكون قد انتقل إليهم من خلال شخصين فقط (أي: لا صحَّة لوجود أبوين فقط للبشريَّة هما آدم وحوَّاء). وتأتي حُجَجُ علم الوراثة السكانيَّة ضِدَّ وجود آدم وحوَّاء في أشكال عديدة، لا يخلو أيٌّ منها من اعتراضات وحُجَجٍ مقابلة. ولتوضيح المكان الَّذي وصلتْ إليه أدلَّةُ العلم حول هذه القضيَّة من المفيد عرض إحدى الحجج لبيان حقيقتها ودرجة قوَّتها. واحدة من أقوى الحجج ضدَّ وجود

---

(١) الصِّبْغِيَّات (Chromosomes): هي عبارة عن بُنَى تقع في نواة الخليَّة، وتحتوي على المعلومات الوِراثيَّة الَّتي تُحدِّد الميراث الحَيَويَّ للفرد. وقد اكتُشِفت في العام ١٨٨٢م، ويأتي اسمها من كونها تصبح مرئيَّةً عندما تُصبَغ بملوِّنات اصطناعيَّة.

انظر: O'Neil، Biological anthropology tutorials،
https://www2.palomar.edu/anthro/tutorials/biological.htm.

(٢) Monroe وزملاؤه، Mutation bias reflects natural selection in Arabidopsis thaliana، ص١٠١.

أبوين وحيدين للبشريَّة تلك الَّتي تقوم على التَّباين الجِيْنِيّ في جينات مُستَضِدَّات[١] الكريَّات البيضاء البشريَّة (human leukocyte antigen)، وهي من الجينات الأكثر تنوُّعًا في الجينومِ البشريّ. ويمكن تلخيص هذه الحجَّة بأنَّ هناك الكثيرَ من الأَلِيْلَات[٢] المعروفة حاليًّا لجينات مُستضِدَّات الكريَّات البيضاء البشريَّة، والسُّؤال المطروح: كيف يمكن عزوُ هذا التَّنوُّع الكبير لهذه الأَلِيْلَات إلى شخصَين فقط مع العلم أنَّه يمكن لشخصين نقلُ أربعة أنواع من الأَلِيْلَات على الأكثر؟ وهنا تنتصر للوهلة الأولى فكرة تعدُّد الأصول الَّتي تقول بها نظرية التَّطوُّر على فكرة وحدة الأصل البشريّ الَّتي تقول بها الأديان السَّماويَّة، ولكنَّ الموضوع لم ينتهِ هنا، فقد استطاعتْ الدِّراسات العلميَّة تحديد السَّبب وراء هذا التَّنوُّع، وهو أنَّ وظيفة هذه المُستضِدَّات هي التَّعرُّفُ على العديد من البِيْتِيْدَات[٣] الأجنبيَّة المختلفة وربطُها، وهو أمر مرغوب؛ لأنَّه يشير إلى وجود مناعة قويَّة. وكلَّما ظهر طفيليٌّ جديد أو مَيْكْرُوبٌ (Microbe) مسبِّبٌ للمرض تزداد فُرِصُ حصول بعض الأفراد على أَلِيْلٍ جديدٍ قادرٍ على ربط البروتينات المتكسِّرة للغزاة، وتحفيز الجهاز المناعيّ ليقوم بالدِّفاع ضدَّهم. ومن ثَمَّ فإنَّ التَّنوع في هذه المُستضِدَّات يأتي نتيجةً لقابليَّة التَّغَيُّر الكبيرة والتَّطفُّر وإعادة التركيب الجِيْنِيّ في أماكن محدَّدة منها؛ من أجل توليد أنواع كثيرة من مُستَضِدَّات الكريَّات البيضاء البشريَّة بسرعة. والشيء المثير للاهتمام أنَّ كلَّ الاختلاف الجِيْنِيّ في هذه المُستضِدَّات، وبالتَّالي التَّباين في البِيْتِيْدَات الَّتي يمكن ربطها، يأتي تحديدًا من جزء واحد فقط من الجِيْنِ، أمَّا بقيَّة الجِيْنِ فلا يختلف كثيرًا[٤]. وإنَّ وجود مثل هذه العمليَّة يهدِم هذه الحجَّة لعلم الوراثة السكانيَّة حول حجم الأسلاف، وبذلك لم تسلم الحجَّة الأقوى في مواجهة الأصل الواحد للبشر، ولم يدحض العلم وجود آدم وحوَّاء، ومن يدَّعي خلاف ذلك فهو يحرِّف الأدلَّة العلميَّة[٥].

---

(١) المُستَضِدات أو مولِّدات الضد (Antigens): هي مواد تدخل في تركيب الجرثوم أو الفيروس أو غيرها، وتثير استجابةً مناعيَّة في الجسم عندما تدخله، فيبدأ الجسم في توليد جُسيمات ومواد خاصَّة مضادَّة لذلك الجرثوم أو الفيروس للقضاء عليه، وتُدعى تلك الجُسيمات بالأضداد أو الأجسام المضادة (Antibody). انظر: Warren، Review of medical microbiology and immunology، ص٣٩.

(٢) الأليل (Allele): هو نسخة أو شكل بديل للجِيْنِ، ولكلِّ جِيْنٍ نُسختان أو شكلان بديلان على الأقل. انظر: O'Neil، Biological anthropology tutorials، https://www2.palomar.edu/anthro/tutorials/biological.htm.

(٣) البِيْتِيْدَات (Peptides): هي سلسة من الحموض الأمينيَّة أو البروتينات الصَّغيرة. انظر: Warren، Review of medical microbiology and immunology، ص٢.

(٤) انظر: Doxiadis وزملاؤه، Extensive DRB region diversity in cynomolgus macaques، ص١٣٧.

(٥) انظر: Gauger وزملاؤه، Science and human origins، ص١١٧.

توضِّح قصة مُستضِدَّات الكريَّات البيضاء البشريَّة السَّابقة بعض نقاطَ القوَّة والضعف الَّتي تتحكَّم بالعلم التَّجريبيّ، وبخاصة ما يتعلَّق منها بالماضي السَّحيق؛ بسبب العدد الكبير من المتغيّرات غير المعروفة الَّتي لا يمكن ضبطها، والعوامل المُرْبِكَة (Confounders)[1] الَّتي لا يمكن استبعادها، ومن ثَمَّ فلا يمكن الاعتماد على العلم التَّجريبيّ في الوصول إلى حقائق وعقائد راسخة فيما يتعلَّق بالتَّاريخ الجِيْنِيّ القديم.

القول الرَّابع: المراد بالنَّفس الواحدة حوَّاء؛ ولذلك أنَّثها حيث وردت، وذكَّر زوجها الَّذي خُلِق منها، وهذا أوضح في آية الأعراف في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الأعراف: ١٨٩]؛ حيث قال: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾، فالزَّوج هنا واضح أنَّه الذَّكر، وآية الأعراف هي آية النِّساء ذاتها ليس هناك فرق بينهما، فقطعًا النَّفس الواحدة في آية سورة النِّساء هي المؤنَّث وهي حوَّاء، والزَّوج المذكَّر هو آدم[2].

المناقشة: يخالف هذا القول ما أكَّده القرآن الكريم في مواضع عديدة من كون الأصل الأوَّل للبشر هو آدم وليس حوَّاء، لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢]، فالآية الكريمة تؤكِّد أنَّ الله أمر الملائكة بالسجود للبشر الأوَّل المخلوق من طين، ويشير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] إلى أنَّ ذلك البشر هو آدم عليه السَّلام؛ فالآية الكريمة تشير إلى أنَّ سجود الملائكة كان لآدم وليس لحوَّاء. وأمَّا قولهم: (المُراد بالنَّفس الواحدة الأنثى ولذلك أنَّثها وذكَّر زوجها الَّذي خُلِق منها)، فمردود؛ لأنَّ وصْفَ النَّفس بالواحدة لتأنيث النَّفس[3]؛ فالنَّفس حيثما وردت في القرآن الكريم وردت مؤنَّثة باستمرار، سواء أكان مَاصَدَقَهَا مؤنَّثًا أم مذكَّرًا كما في قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: ٢٥] وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ [إبراهيم: ٥١]، وغيرها. وأمَّا الزَّوج فهو حوَّاء كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وكذلك قوله: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۞ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه: ١١٦، ١١٧]، وأصل لفظ الزَّوج أنْ يُطلَق على مجموع

---

(١) العامل المُربِك (Confounding factor): مصطلح إحصائيٌّ يشير إلى متغيّر خارجيّ أو كامن يؤثّر على كلٍّ من المتغيّر التَّابع والمتغيّر المستقِلّ، ممَّا يتسبَّب في تَوَهُّم وجود علاقة ارتباط، دون وجود أيّ ارتباط حقيقيّ بين السَّبب والنتيجة. انظر: Greenland وزملاؤه، Confounding and collapsibility in causal inference، ص٢٩.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٢٧١؛ إبراهيم، حوَّاء:هل خلقت من ضلع آدم؟، https://www.youtube.com/watch?v=Dijc7fiEcTc.

(٣) انظر: الفرَّاء، معاني القرآن، ١/ ٢٥٢؛ الطبري، جامع البيان، ٧/ ٥١٤؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٧٧.

الفردين، وإطلاق الزَّوج على كلِّ واحد من الرجل والمرأة المتعاقِدَين تسامح عربيٌّ، وهو من الوصف بالجامد ولذلك استوى فيه الرجل والمرأة، فلا يقال للمرأة: زوجة، وعدَّه بعض أهل اللغة لحنًا[١]. وأمَّا تذكير وتأنيث الضَّمائر في آية الأعراف فقد وُجِّه بأنَّ تذكير الضَّمير المرفوع في الفعلين: (يسكن) و(تغشَّى) جاء باعتبار من يعود عليه -وهو النَّفس الواحدة- ذِكْرًا، لِيُبَيِّنَ أنَّ المراد بالنَّفس الواحدة آدم، ولأنَّ الذَّكر هو الَّذي يسكن إلى الأنثى ويتغشَّاها، وأتى تأنيث الضَّمير المنصوب في (تغشَّاها)، والمرفوع في (حَمَلَتْ) و(مَرَّتْ) باعتبار من يعود عليه -وهو زوجها- أنثى[٢].

القول الخامس: من الممكن أن يكون آدم قد أُخِذَ أخذًا خاصًّا من أنثى كائن هو خلاصة خطة التَّطوُّر وقمَّتها، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] يشير إلى التَّشابه بين خَلْق آدم وخَلْق عيسى عليهما السَّلام، وقد أتى عيسى من أنثى بشريَّة ولم يُخلَق من التُّراب مباشرة، وكذلك آدم قد يكون خُلِق من أنثى كائن آخر وصل لقمة هرم التَّطوُّر وأُعِدَّ ليُؤخَذ منه آدم، وليس من التَّراب مباشرة، وهكذا ابتدأ الله زوجيَّة جديدة بآدم ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] يمكن أن يُفهَم منه أنَّه كان هناك كائن موجود يسفك الدِّماء وهو الكائن الَّذي كان سيُؤخَذ منه الإنسان ثمَّ أُبيد هذا الكائن، كما أنَّ قوله: ﴿خَلِيفَةً﴾ يشير إلى أنَّنا خلفاءُ لكائنات مَضَتْ[٣].

المناقشة: ليس الهدف هنا هو مناقشة حُجَج أصحاب هذا القول وبيان صحَّتها أو خطئها، بل المطلوب بيان إن كانت الآيات الَّتي استند إليها أصحابه تحتمل هذا المعنى أو لا، والحقيقة أنَّ الآيات الَّتي تتحدَّث عن النَّفس الواحدة لا تحتمل هذا المعنى، فبالنَّظر في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]، نجد أنَّ الضميرين (ها) في (منها) وفي (زوجها) لهما العائد ذاته؛ وهو النَّفس الواحدة، وهذا يلزم منه أن يكون الزَّوج المخلوق من النَّفس هو زوج للنَّفس ذاتها الَّتي هي أنثى كائنٍ خُلِق منها آدم وليس لآدم أو حوَّاء، بل إنَّ آدم سيأتي منهما معًا، وهذا ما لا يقول به حتَّى أصحاب هذا القول أنفسهم.

القول السَّادس: لا يُقصَد بالنَّفس الواحدة الكائنُ البشريُّ آدم، وإنَّما هي المادَّة المهيَّأة لخلق البشر، أو البذرة الواحدة الَّتي أنبتها الله بحكمته، ونفخ فيها من روحه، فآدم هو وليد دورة طويلة في سلسلة التَّطوُّر،

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢١٦.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ١٨٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٩/ ٢١٢.

(٣) انظر: جرار، كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين، https://www.youtube.com/watch?v=TposI7gfFto.

وإن أوَّل سلسلة الحياة الَّتي تطوَّر منها كانت الإيميبيا[١] الَّتي تتوالد بالانقسام[٢]، فالنَّفس الواحدة كانت جامعة لأعضاء الذُّكورة والأنوثة كالدُّودة الوحيدة، ثمَّ ارتقت فصار أفرادها زَوجين كما يقول بعض الباحثين[٣].

المناقشة: يرى أصحاب هذا القول أنَّ (النَّفس) تعود على كائنات قديمة في أوَّل سلسلة الحياة، ووفقًا لنظرية التَّطوُّر الَّتي استندوا إليها فإنَّ هذه النَّفس كانت أصلًا لكائنات أخرى عديدة إلى أن جاء الإنسان. ولا يصحُّ قولهم هذا في معنى (النَّفس) إلَّا بانتزاعها من سياقها؛ إذ إنَّ التَّذكير بأنَّ النَّاس أُنشِؤوا من نفس واحدة في الآية الكريمة كان لدفعهم إلى أنْ يتَّقوا الله بعضُهم في بعض، ولا يتحقَّق هذا الهدف بتذكيرهم بأنَّهم وكل الكائنات الحيَّة الأخرى من أصل واحد، فلا مزيَّة جامعة للنَّاس دون باقي الأحياء الذين نشؤوا من هذا الأصل المشترك.

القول السَّابع: يرى أصحاب هذا القول أنَّ الله تعالى أبهم أَمْرَ النَّفس الَّتي خُلِق النَّاس منها، ولا يرون داعيًا لإزالة إبهامها، فإذا ثبت أنَّ لكلِّ صنف من أصناف البشر أبًا كان ذلك غير مخالف للقرآن كما هو مخالف للتوراة الَّتي نصَّت صراحة على أن آدم هو أبو البشر[٤].

المناقشة: من خلال النَّظر في الآية الكريمة يبدو أن لفظ (النَّفس) قد ورد في سياق تعليل الأمر بالتَّقوى، فالله تعالى يأمر النَّاسَ بأنْ يتَّقوا الله بعضُهم في بعض، ويحفِّزهم على تنفيذ أمره بتذكيرهم أنَّهم جميعًا مخلوقون من نفس واحدة، ومن غير المقبول أن يُعلَّل الأمر بشيء مبهم، كما أنَّ التَّصريح بإفراد لفظ النَّفس ثمَّ إضافة قيد الوحدة يجعل من غير الممكن أن تحتمِل الآية معنى تعدُّد الأنفس الَّتي خُلِق منها البشر، وبخاصَّة أن الآيات القرآنيَّة قد تآزرت على التَّأكيد على هذه الحقيقة، بل سمَّت هذه النَّفس وعيَّنتها كما سبق بيانه في سياق مناقشة الأقوال السَّابقة، فالآية الكريمة نصٌّ[٥] في الأصل الواحد للبشر، وليس من المقبول أن يُدَّعى أنَّ الآية تحتمِل تعدُّد الأنفس أو الآباء الَّذين خُلِق منهم البشر.

يُبدي هذا القول حِرْصَ أصحابه على سلامة القرآن الكريم من احتمال التَّناقض مع ما يخافون أن يَثْبُتَ كحقيقة علميَّة، ولكنَّ هذا الموقف فيه من الخطر والخَطَل الشيء الكثير؛ إذ يُشَكِّك بمعاني النُّصوص

---

(١) الأَمِيبَة (Amoeba): وحيدات خليَّة من ذوات الأقدام الكاذبة، ليس لها شكل ثابت، وتتكاثر بالانقسام الثنائي البسيط. انظر: مبارك، معجم المصطلحات العلمية في الأحياء الدقيقة، ص٣٠.

(٢) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢/ ٦٨٢.

(٣) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٢٧١.

(٤) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ١٧٥.

(٥) النَّصُّ: هو الكلام الصَّريح في معناه المحتمِل لمعنى واحد. انظر: الطوفي، شرح مختصر الروضة، ١/ ٥٥٣.

القرآنيَّة البَيِّنَة الواضحة، ويجعل العلم حاكمًا على النَّص القرآنيّ، والحقيقة المسلَّم بها أنَّ النُّصوصَ القرآنيَّةَ القطعيَّة الدَّلالة حاكمة على موجودات العلم التَّجريبيّ ظنِّيّ الدَّلالة، فإذا أصبح العلم قطعيًا فلا يُتصوَّر التَّعارض أصلًا؛ إذ لا تعارض بين القطعيَّات[١]، فإذا ظُنَّ وجود التَّعارض، فإنَّما سببه من الخطأ في فهم أحدهما.

وقد سبق بيان أنَّ العلمَ التَّجريبيَّ لم يستطع نَفْيَ نسبة البشر إلى أبوين اثنين، أو أن يُثبِت نسبَهم إلى أكثر من أبوين، فضلًا عن أنَّه من الثَّابت اليوم أنَّ **كلَّ البشر الأحياء** يعودون لأصل واحد مشترك، أَطلَق عليه التَّطوُّريون أنفسُهم مصطلح آدم الصِّبْغِيّ وَاي (Adam Y-Chromosom)، وحوَّاء الميْتُوكُونْدْرِيَّة (Mitochondrial Eve)، تشبيهًا لهما بآدم وحوَّاء الوارد ذكرهما في الأديان السَّماوية.

فمن هو آدم الصِّبْغِيُّ واي؟ ومن هي حوَّاء المِيْتُوكُونْدْرِيَّة؟

آدم الصِّبْغِيُّ واي: تتألَّف الصِّيغة الصِّبغيَّة لكلِّ خليَّة من خلايا الإنسان من (٢٢) زوجًا من الصِّبغيَّات الجسديَّة وزوج واحد من الصِّبغيَّات الجنسيَّة، ويكون زوج الصِّبغيَّات الجنسيَّة عند الذُّكور مكوَّنًا من الصِّبْغِيّ (X) والصِّبْغِيّ (Y)، بينما يكون عند الإناث مؤلفًا من صِبْغِيَّين متماثلين (XX). وينقل كلُّ واحد من الأبوين واحدًا من صِبغيَّاته الجنسيَّة إلى نسله؛ فيأخذ النسل الصِّبْغِيَّ (X) من الأمِّ، بينما يمكن أن يأخذ أحد الصِّبْغِيَّين (X) أو (Y) من الأب، ويتحدَّد جنسه اعتمادًا على نوع الصِّبْغِيّ الجنسيّ المنقول له من الأب؛ فيكون ذكرًا عندما يكون الصِّبْغِيُّ المنقول له من الأب (Y)، ويكون أنثى عندما يكون الصِّبْغِيُّ المنقول له من الأب (X). وما سبق يشير إلى أنَّ الصِّبْغِيَّ (Y) ينتقل من الأب إلى الابن الذَّكر بشكل مباشر ولا يتعرَّض لإعادة ترتيب جينيّ خلال الانقسام المنصِّف الَّذي تمرُّ فيه بقيَّة الصِّبغيَّات الجسميَّة، وهو بالتَّالي يحافظ على نفسه خلال الانتقال من جيل لآخر[٢].

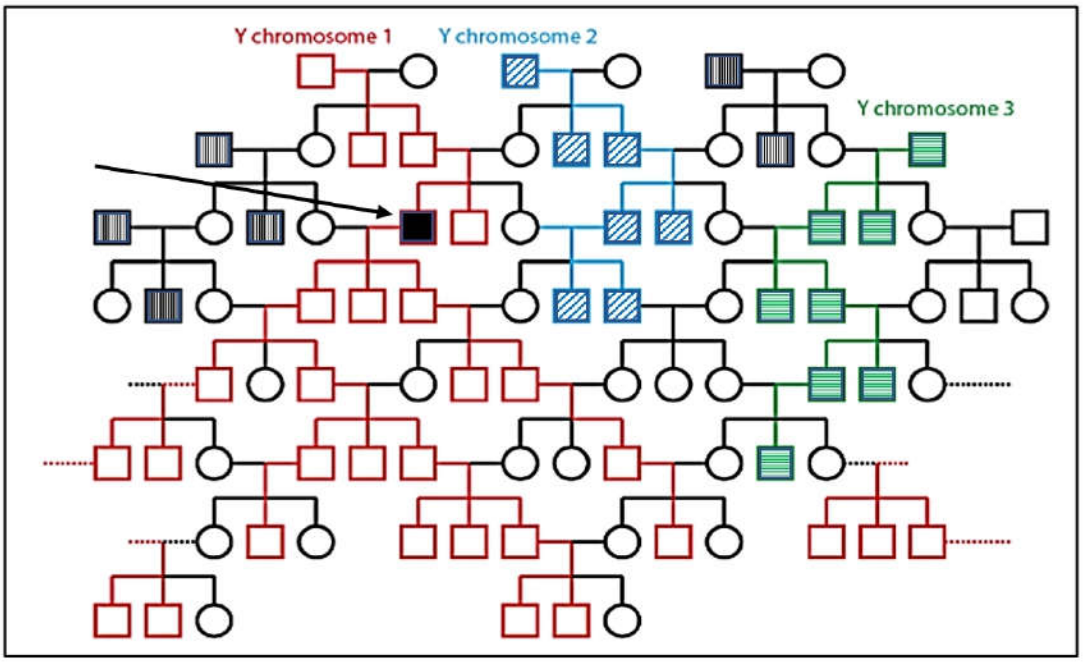
وتحدث الطَّفرات بشكل مستمرٍّ في هذا الصِّبْغِيّ كما في باقي الصِّبغيَّات الأخرى، ولكنَّ الطَّفرات هنا تنتقل من الأب إلى الابن الذَّكر الَّذي ينقلها بدوره إلى ابنه وهكذا، ومن ثَمَّ يمكن اعتبار هذه الطَّفرات علامة مميِّزة للصِّلة بين الابن والأب، فلو عُثِر على شخصين يحملان الطفرة ذاتها فهذا يعني أنَّهما ينحدران من سلف مشترك حدثت عنده هذه الطَّفرة للمرَّة الأولى، واعتمادًا على هذا الأساس يمكن إنشاء شجرة عائلة للبشريَّة تعتمد على الطَّفرات الوراثيَّة. وقد لوحظ أنَّ كلَّ البشر الأحياء اليوم ينحدرون من شخص

---

(١) انظر: السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، ٣/ ٢١٠.

(٢) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص ٣٧.

واحد تفرعت منه كل الطَّفرات، وقد أُطلِق عليه أدم الصِّبْغِيُّ واي[١]، ولا يعني هذا أنَّه كان الوحيدَ أو أنَّه لم يكن للبشر أسلاف أخرى في زمانه، الشَّكل رقم (٢).



الشكل رقم (٢) يبين مثالًا يوضح كيفية وجود آدم الصِّبْغِيّ واي ابتداء من عدَّة أسلاف[٢].

يُلاحظ من الشَّكل أنَّه في هذه الحالة كان للنسل ثلاثة أسلاف، ولكن نتيجة لبعض الظروف الصُدفيَّة سيطر الصِّبْغِيُّ (Y1) على السُّكان، وكلُّ شخص في الأجيال الأخيرة أصبح يحمل هذا الصِّبْغِيَّ، وانقرضت بقيَّة الأسلاف. وقد تمَّ تمييز الرَّجل المُشار له بالسَّهم باعتباره أحدث سلف ذكر مشترَك؛ أي: آدم الصِّبْغِيُّ واي الحاليُّ[٣]. ويختلف آدم الصِّبْغِيُّ واي الحاليُّ عن آدم أبي البشر المذكور في الأديان السَّماويَّة، فالأوَّل هو أحدث سلف مشترك لجميع البشر الأحياء، بينما الآخر هو السَّلف الأوَّل لجميع البشر.

حوَّاء الـمِيْتُوكُونْدْرِيَّة: يشارك الوالدان بشكل متساوٍ تقريبًا في تكوين صبغيَّات الجنين الَّتي تحدِّد جميع خصائصه، إلَّا أنَّ عضيَّات الخليَّة تأتي بأكملها من بُيَيْضَة الأمِّ؛ حيث إنَّها الخليَّة الَّتي يحدث فيها الإخصاب. والـمُتَقَدِّرَات (Mitochondria): هي واحدة من أهمِّ العضيَّات في الخليَّة، وهي تلعب دورًا

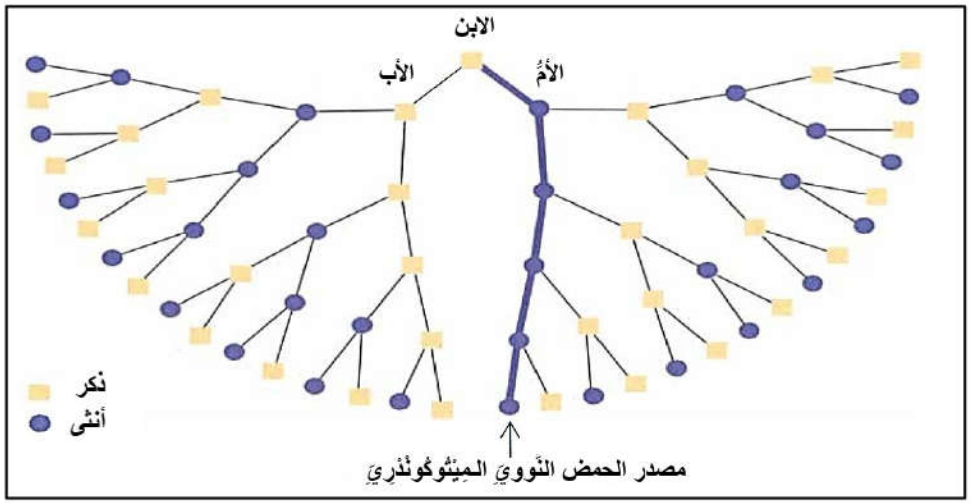
---

(١) انظر: Beckman، The Eden chronicles: tracking 'Y chromosome Adam'، https://www.science.org/content/article/eden-chronicles-tracking-y-chromosome-adam.

(٢) انظر: Venema، Mitochondrial Eve and Y chromosome Adam، https://biologos.org/series/evolution-basics/articles/mitochondrial-eve-and-y-chromosome-adam.

(٣) انظر: المرجع السابق.

مهمًا في إنتاج الطَّاقة، فهي تُعَدُّ مصنع الطَّاقة داخل الخلايا الحيَّة. وتحتوي هذه العضيَّات على جينومات خاصة بها، منفصلة تمامًا عن جينوم الخليَّة النَّوويّ، وبالتَّالي تحتوي الخلايا البشريَّة على جِيْنُومَيْنِ: أحدهما في النَّواة، والآخر في الـمُتَقَدِّرَات الَّتي تأتي من بُيَيْضَات الإناث، وتنتقل من الأمِّ إلى أطفالها، لذلك ينتقل الجِيْنُومُ الخاصُّ بها من جيل إلى جيل فقط من خلال الإناث[١]، الشَّكل رقم (٣).



الشَّكل رقم (٣) يوضح شجرة النَّسب لشخص واحد، يلاحظ فيه الفرق بين نمطي الوراثة النَّوويَّة والمِيْتُوكُونْدرِيَّة؛ حيث شارك جميع الأسلاف البالغ عددهم (٣٢) فردًا منذ خمسة أجيال بالتَّساوي في حمضه النَّوويّ، بينما تعود سلالته من المِيْتُوكُونْدرْيا إلى أنثى واحدة فقط في كلِّ جيل[٢].

من خلال دراسة جينومات مجموعة من النِّساء والطَّفرات الطَّارئة على الـ (DNA) في الـمُتَقَدِّرَات تمكَّن الباحثون من اكتشاف أنَّ جميع البشر الَّذين هم على قيد الحياة اليوم ينحدرون من امرأة واحدة[٣]، وأطلقوا على تلك المرأة اسم (حوَّاء المِيْتُوكُونْدرِيَّة)[٤]. ويجب الإشارة هنا إلى أنَّ حوَّاء المِيْتُوكُونْدرِيَّة تختلف عن حوَّاء أمِّ البشر المذكورة في الأديان السَّماويَّة، فالأولى هي أحدث سلف مُشترَك لجميع البشر الأحياء، في حين أنَّ الأخيرة هي السَّلف الأوَّل لجميع البشر.

ولا بدَّ لتجلية الموضوع وإتمامه من بيان بعض النُّقاط والإجابة عن بعض التَّساؤلات:

– من خلال ما سبق يُلاحَظ أنَّ العلم التَّجريبيَّ يؤكِّد أنَّ **جميع البشر الأحياء اليوم يعودون لأب**

---

(١) انظر: O'Neil، Biological anthropology tutorials، https://www2.palomar.edu/anthro/tutorials/biological.htm.

(٢) انظر: Wilson & Cann، The recent African genesis of humans، ص٦٨.

(٣) انظر: Cann وزملاؤه، Mitochondrial DNA and human evolution، ص٣١.

(٤) انظر: Lewin، The unmasking of mitochondrial Eve، ص٢٤.

واحد وأمٍّ واحدة، وحتَّى ولو لم يكن المقصود أنَّ هذا الأب وهذه الأمَّ هما آدم وحوَّاء فإنَّ هذه النَّتائج هي حجَّة تُضَاف لمصلحة الأصل المشترك.

– من المعلوم أنَّ الدِّراسات لم تستقص كلَّ البشر الأحياء على الأرض وإنَّما تمَّت على عيِّنات محدَّدة، وهنا السؤال: ماذا يحدث في حال اكتشاف أنَّ هناك أشخاصًا يحملون عيِّنات مختلفة من صِبغيَّات (Y) أو من صِبغيَّات المُتَقدِّرات من سلالات متباعدة غير معروفة؟ إن حدث ذلك، سوف ينتقل لقب آدم الصِّبْغِيُّ واي أو لقب حوَّاء المِيْتُوكُونْدْرِيَّة إلى أشخاص عاشوا في وقت أبعد؛ أي: سيبقى كلُّ البشر الأحياء ينتمون لأب واحد وأمٍّ واحدة[١].

– لماذا لا يمكن إثبات وجود نسبٍ أقدمَ من آدم الصِّبْغِيِّ واي أو حوَّاء المِيْتُوكُونْدْرِيَّة وصولًا إلى آدم وحوَّاء؛ أي: الأصل المشترك لجميع البشر الأحياء والأموات، بالعلم التَّجريبيِّ؟

هذا يعود لمحدوديَّة العلم التَّجريبيِّ؛ إذ تسمح طرائق تحليل الحمض النَّوويِّ بالتَّعرف التَّجريبيِّ وإعادة بناء أجزاء الحمض النَّوويِّ المستخرَجة من العيِّنات البَيولوجيَّة المحفوظة لفترات طويلة من الزَّمن في ظروف طبيعيَّة، كما يمكن تقدير أجزاءَ من جِيْنُوم الأسلاف من خلال تحليل الحمض النَّوويِّ للنَّسل، ولكن لا يمكن إعادة بناء الجِيْنُوم الكامل لأيِّ شخص تُوُفِّيَ منذ فترة طويلة ولم تَعُدْ تتوافر له عيِّنة من الحمض النَّوويِّ[٢]؛ وبالتَّالي: عند الوصول إلى زمن لم يتبقَّ من أفراده أيُّ حمضٍ نَوَويٍّ، تتوقَّف إمكانيَّة متابعة البحث الجِيْنِيِّ.

– لا يلزم من كون جميع البشر الَّذين هم على قيد الحياة اليوم ينحدرون من آدم الصِّبْغِيِّ واي وحوَّاء المِيْتُوكُونْدْرِيَّة أن يُعتقَد أنَّ كلًّا منهما كان الوحيدَ على قيد الحياة في وقتيهما، بل لا مانع من وجود عشرات الآلاف منهما حتَّى في أكثر الأوقات صعوبة كما تشير الأبحاث العلميَّة[٣]، ولكنَّهما من استمر نسلُهما إلى اليوم، وهذا لا يتعارض مع الأصل الواحد لجميع البشر؛ فالحديث هنا عن السَّلف الأحدث لجميع البشر الأحياء وليس عن آدم وحوَّاء.

– لا يعني وجود آدمَ الصِّبغيِّ واي وحوَّاءَ المِيْتُوكُونْدْرِيَّة أنَّهما عاشا في الوقت نفسه وتزاوجا معًا؛ لأنَّ

---

(١) انظر: Beckman، The Eden chronicles: tracking 'Y chromosome Adam'، https://www.science.org/content/article/eden-chronicles-tracking-y-chromosome-adam.

(٢) انظر: Grigorenko وزملاؤه، Achievements and peculiarities in studies of ancient DNA and DNA from complicated forensic specimens، ص٥٨.

(٣) انظر: Takahata، Allelic genealogy and human evolution، ص٢.

وجودَهما لا يعني إلَّا النَّسبَ المُشترَك لجميع البشر الأحياء من جهة كلٍّ منهما، فهما ليسا آدم وحوَّاء، وإنَّما أشخاص يحملون اللقب؛ لأنَّهم أحدث سلف مشترَك لجميع الأحياء، وقد ينتقل اللقب إلى من بعدهم في حال فنيت ذرِّيَّة أحدهم، ولم يتبقَّ منها إلَّا طريق نسل واحد، فينتقل اللقب إلى أقدم فرد في هذا النسل المتبقِّي[١]. وفي هذا ردٌّ على من أنكر وجود آدم وحوَّاء محتجًّا بالدِّراسات الَّتي استَنْتَجتْ تباعد الفترة الزَّمنيَّة الَّتي عاش فيها كلٌّ منهما[٢]، فضلًا عن وجود بعض الدراسات الَّتي أشارت إلى أنَّهما ربَّما عاشا في الوقت ذاته[٣].

المطلب الثَّاني: خَلْق زوج النَّفس الواحدة:

أشار القرآن الكريم إلى أنَّ خَلْقَ النَّفس الواحدة تَبِعه خَلْقُ زوج لها، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]. واختلف المفسِّرون في المراد بـ (الزَّوج) في الآيات الكريمات اعتمادًا على اختلافهم في تفسير معنى النَّفس الواحدة كما مرَّ، كما اختلفوا في كيفيَّة خلق زوج تلك النَّفس منها على أقوال:

القول الأوَّل: ذهب جمهور المفسِّرين إلى أنَّ المقصود بالزَّوج حوَّاء[٤]؛ فإنَّ حوَّاء أُخرِجت من ضلع آدم كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى: ﴿مِنْهَا﴾، وهو ظاهر قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ...»[٥]، وتكون (من) تبعيضيَّة؛ أي: إنَّ حوَّاء خُلِقت من جزء من آدم[٦]. ومن المفسِّرين من أورد هذا القول ولكن على سبيل التَّضعيف فقال: "ومعناه المراد عند الجمهور أنَّ الله خَلَقَ

---

(١) انظر: Wilson & Cann، The recent African genesis of humans، ص٦٨.

(٢) انظر: Cann وزملاؤه، Mitochondrial DNA and human evolution، ص٣١؛ Pritchard وزملاؤه، Population growth of human Y chromosomes، ص١٧٩١؛ Thomson وزملاؤه، Recent common ancestry of human Y chromosomes، ص٧٣٦٠.

(٣) انظر: Poznik وزملاؤه، Sequencing Y chromosomes resolves discrepancy in time to common ancestor of males versus females، ص٥٦٢.

(٤) انظر: جامع البيان، ٧/٥١٥؛ الزمخشري، الكشاف، ١/ ٤٦١؛ جوهري، الجواهر، ٣/ ٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢١٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذرِّيَّته، ٤/ ١٣٣، رقم ٣٣٣١. وصحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ٢/ ١٠٩١، رقم ١٤٦٨.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢١٥.

لتلك النَّفس الَّتي هي آدم زوجًا منها وهي حوَّاء، قالوا: إنَّه خلقها من ضلعه الأيسر، وهو نائم، وذلك ما صُرّحَ به في الفصل الثَّاني من سِفْرِ التَّكوين، وورد في بعض الأحاديث كقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ»، ولولا ذلك لم يخطر على بال قارئ القرآن"[١].

المناقشة: يشير ظاهر الآيات إلى أنَّ خَلْقَ حوَّاء كان ابتداءً من آدم، وليس فيها تصريح بخلق حوَّاء من ضلع آدم ولا تدلُّ على هذا المعنى[٢]، والحديث الشَّريف فيه أنَّ المرأة خُلِقت من ضلع، وليس فيه نصٌّ على حوَّاء ولا على ضلع آدم فضلًا عن ضلعه الأيسر، وقد يكون في ذلك إشارة إلى طبيعة المرأة وفطرتها وروحها وعاطفتها[٣]، والمقصود منه لفت الانتباه إلى مراعاة مشاعر المرأة. والقصَّة الَّتي تُفصِّل في كيفيَّة خَلْق حوَّاء من ضلع آدم وردت في العهد القديم من الكتاب المقدَّس[٤]، وورودها فيه بنفس التَّفاصيل قد يشير إلى تأثُّر من ذكرها من المفسِّرين بما نُقِل عن أهل الكتاب، وهنا نحن مأمورون بالتَّوقُّف، فلا نصدِّق الخبر ولا نكذبه لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»[٥]، وبالتَّالي: فإنَّ المقدار المقبول من هذا القول هو أنَّ خَلْقَ حوَّاء كان ابتداءً من آدم، إضافة إلى أنَّ خَلْقَها كان بعد خَلْق آدم وليس مزامنًا له.

القول الثَّاني: ذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ معنى قوله تعالى: ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من جنسها، ليكون بينهما ما يوجب التَّآلف والتَّضامّ؛ فإنَّ الجنسيَّة علَّة الضَّمّ، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:

---

(١) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٢٧٠؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ١٧٥.

(٢) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢/ ٦٨٣؛ إبراهيم، حوَّاء:هل خلقت من ضلع آدم؟، https://www.youtube.com/watch?v=Dijc7fiEcTc.

(٣) هذا القول للدُّكتور سلمان فهد العُودَة، ومع ذلك رجَّح القول بخلق حوَّاء من ضلع آدم الأيسر وهو نائم. انظر: العودة، برنامج آدم، https://www.youtube.com/watch?v=mo1iPUca5Dw.

(٤) جاء في الكتاب المقدَّس: {فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا (٢٢) وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ (٢٣) فَقَالَ آدَمُ: هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي، هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ (٢٤) لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا (٢٥)} [الكتاب المقدَّس، العهد القديم، سفر التَّكوين، الإصحاح الثَّاني]. موسوعة العيون المعرفية، الكتاب المقدس، https://mandaeannetwork.com/Mandaean/bibel/1_altakween.htm.

(٥) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، ٥/ ٤٨٧، رقم ٣٦٤٤. قال محقِّق الكتاب شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

٢١][(١)]؛ أي: أوجد تلك الحقيقة أوَّلًا، ثمَّ خلق لها زوجها من جنسها[(٢)]، فالمراد أنَّه خلق كلَّ واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجًا لها هو إنسان يساويها في الإنسانيَّة[(٣)].

المناقشة: يُلاحَظ أنَّ قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ هو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]، ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الشورى: ١١]، ومن الواضح أنَّ (من) فيها لبيان الجنس، وليست تبعيضيَّة، ما يرجِّح أنَّها في آيات الخلق تشمل بيان الجنس أيضًا[(٤)].

القول الثَّالث: ذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ الضَّمير في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا﴾ يشير إلى النَّفس الواحدة لا بوصفها كائنًا بشريًّا هو آدم وإنَّما باعتبارها مادَّة مهيَّأة لخلق البشر، ومن هذه المادَّة كان خَلْق آدم، ومن هذه المادَّة أيضًا كان خلق زوجه الَّتي يكتمل بها وجوده[(٥)]. وقيل: قد تكون حوَّاء مخلوقة من بقيَّة الطينة الَّتي خُلِقَ منها آدم[(٦)].

المناقشة: يرى أصحاب هذا القول أنَّ كلًا من آدم وزوجه خُلِقا من مادَّة واحدة مهيَّأة لخلقهما، غير أنَّ البناء اللُّغويَّ للآية الكريمة لا يحتمل هذا المعنى، وبيان ذلك أنَّ الأصل أن يعود الضَّمير في (منها) وفي (زوجها) إلى عائد واحد، والذي يُفترَض، وفقًا لهذا القول، أنَّه تلك المادَّة المهيَّأة لخلق البشر، ولكن عندها سيعود الضمير في (زوجها) على تلك المادة الَّتي خُلِق منها آدم؛ أي: سيكون الزَّوج لتلك المادَّة وليس لآدم، وهذا المعنى لا يصحُّ حتَّى عند أصحاب هذا القول، ولا تحتمله الآية الكريمة؛ لأنَّ الآية تصرّح بأن زوج النَّفس خُلِق منها، سواء أكانت (من) تبعيضيَّة أم جنسيَّة. ولا يمكن ادعاء اختلاف عود الضمير في (منها) وفي (زوجها) إذ لا موجب لهذا الاختلاف، ولا توجد قرينة تدلُّ عليه.

أمَّا قولهم: إن حوَّاء خُلِقتْ من بقيَّة الطِّينة الَّتي خُلِق منها آدم فلا دليل نقليّ عليه، وهو ممَّا لا سبيل لإدراكه بالعقل، كما أنَّ الآية الكريمة لا تدلُّ عليه، بل تنافيه؛ لأنَّها تشير إلى أنَّ الزَّوج مخلوق من النَّفس

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٦؛ رضا، تفسير المنار، ٤/ ٢٧٠؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ١٧٥.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٢٧٠.

(٣) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ١٧٥.

(٤) وهذا اختيار أبي مسلم الأصفهانيّ نقله عنه الإمام الرَّازيُّ. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٧٨.

(٥) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢/ ٦٨٣؛ إبراهيم، حوَّاء:هل خلقت من ضلع آدم؟، https://www.youtube.com/watch?v=Dijc7fiEcTc.

(٦) أورده ابن عاشور وضعَّفه. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢١٥.

الواحدة، لا إلى أنَّ كليهما مخلوق من طينة واحدة، ولا إلى أنَّ أحدهما خُلِق من بقيَّة الطِّينة الَّتي خُلِق منها الآخر.

المبحث الثَّاني: خَلْق ذرِيَّة آدم وتصويرها:

يُشـــيرُ القرآنُ الكريمُ إلى أنَّ خَلْقَ ذريةِ آدَمَ عليه الســـلام هو امتدادٌ له في الأرض. فيَعرضُ كيف تمَّ تكوينُ الإنســـانِ بعد خَلْقِ آدَمَ، حيث بدأَ الخلقُ به ليصـبحَ أبًا للبشـريَّةِ جمعاء. ومن هذه البداية، امتدّت ذرِّيَّتُه وتنوّعت أجيالُها، ويُؤكّدُ القرآنُ أنَّ كلَّ فردٍ من هذه الذُّرِّيَّةِ هو نتاجٌ لهذا الأصل، حيث تتوالى الأجيالُ من نسـلٍ واحدٍ. ويتضـمَّنُ هذا المبحثُ مطلبينِ: يتناولُ الأوَّلُ كيفيةَ خَلْقِ الذُّرِّيَّةِ وتصـويرِها مع خَلْقِ آدَمَ عليه السَّلام وتصويرِه، ويتناولُ الثَّاني إنشاءَ الذُّرِّيَّةِ بعضها من بعض.

المطلب الأوَّل: خَلْق الذُّرِّيَّة وتصويرها مع خَلْق آدم عليه السَّلام وتصويره:

تحدَّث القرآن الكريم عن خَلْق الإنسـان وتصـويره في العديد من الآيات الكريمات، حيث وصـف الله ذاتَه العليَّة بأنَّه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَـوِّرُ﴾ [الحشـر: ٢٤]، وامتنَّ على البشـر بتصـويرهم بأحسـن صـورة، فقال: ﴿وَصَـوَّرَكُمْ فَأَحْسَـنَ صُـوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣]، ومن الآيات الأوضـح الَّتي اجتمع فيها الخَلْق والتَّصوير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، وقد تنوَّعت أقوال المفسِّرين في معاني الخَلْق والتَّصوير في هذه الآية على عدَّة أقوال:

القول الأوَّل: خلقنا أصـل نوعكم ثمَّ صـوَّرناه، فتعلُّق فِعْلَيْ الخَلْق والتَّصـوير بضـمير المخاطَبين يشـير إلى أصـــل نوعهم الأوَّل وهو آدم عليه السَّـــلام، وذلك بقرينة تعقيبه بقوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْـــجُدُوا لِآدَمَ﴾، فَنُزِّل خَلْق أصـل نوعهم وتصـويره منزلة خَلْق أفراد النَّسـل وتصـويرهم، فالخَلْق والتَّصـوير ليسـا من الخصائص المقصورة على آدم عليه السَّلام، بل من الأمور السَّارية إلى ذرِّيَّته جميعًا؛ لأنَّ الجميع مخلوق بخلقه على نمطه، ومصنوع على شاكلته(١).

المناقشـــة: هذا القول تحتمِله الآية الكريمة، فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَـوَّرْنَاكُم﴾ هو كقوله: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]. كما ينســجم هذا القول مع أسـلوب القرآن الكريم في الخطاب؛ فمن عادة القرآن الكريم مخاطبة الخلف بمتعلَّق السَّـلف، فهو يسـتخدم هذا الأسـلوب في آيات كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُـومُونَكُمْ سُـوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْـــتَحْيُونَ نِسَـــاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَـــى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۞ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْـكُرُونَ﴾ [البقرة: ٤٩ – ٥٢]، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَـى لَنْ

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٥/ ١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨ب/ ٣٦.

نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦]، وغيرها الكثير. ويُلاحظ من الآية أنَّ الخلق غير التَّصوير؛ إذ إنَّهما معطوفان بـ (ثمَّ)، والعطف يكون بين المتغايرات؛ ذوات أو صفات[١]، وبما أنَّ (ثمَّ) تفيد التَّرتيب والتَّراخي، والمقام مقام امتنان وتعداد لنعم الله على النَّاس فإنَّ التَّصوير نعمةٌ مُضافةٌ إلى نعمة الخَلْق. والخَلْق في أصل اللغة يأتي بمعنى التَّقدير؛ فيُقال: خَلَقَ الخرَّازُ الأديمَ والخياطُ الثوبَ؛ أي: قدَّره قبل القطع، ثمَّ أُطلِق مجازًا على إيجاد الشَّيء المقدَّر على صفة مخصوصة. "ومن المجاز: خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ؛ أي: أوجده على تقدير أوجبته الحكمة"[٢]، ولكن هذا المجازَ اللُغويَّ صار حقيقة شرعيَّة[٣]. وأمَّا التَّصوير فهو تحويل الشَّيء المقدَّر إلى صورة، أو تشكيله بجسم كما يُشكَّل الطِّين بصورة نوع من الأنواع[٤].

القول الثَّاني: قدَّرنا إيجادَكم ثمَّ صوَّرنا مادَّتَكم، وذلك شامل لخلق آدم كما هو شامل لخلق النَّاس؛ إذ إنَّ كلَّ فرد يُقدِّر الله خلقَه ثمَّ يُصوِّر المادَّة الَّتي يخلقُه منها في بطن أمِّه[٥].

المناقشة: يتألَّف هذا القول من قسمين؛ أوَّلهما: أنَّ الخَلْق والتَّصوير يشملان آدم عليه السَّلام كما يشمل ذرِّيَّته من النَّاس جميعًا، وهذا المعنى تحتمله دلالة الآية الكريمة، بل إنَّ الخطاب فيها موجَّه للنَّاس كافَّةً ابتداءً، لا على سبيل التَّبعيَّة، بدلالة السِّياق؛ فالآية معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، وكما أنَّ التمكين والجَعْل يعمَّان المخاطَبين فكذلك الخَلْق والتَّصوير، مما يُرجِّح أنَّ المقصود بهما جميع النَّاس، لا آدم عليه السَّلام وحده.

وثانيهما: أنَّ التَّصوير في الآية يدلُّ على تصوير الذُّرِّيَّة في الأرحام، غير أنَّ هذا القول وإن كان صحيحًا في ذاته إلَّا أنَّ الآية الكريمة لا تحتمله، إذ يتعارض مع ترتيب الأفعال فيها وعطفها بـ (ثمَّ) الَّتي تفيد التَّرتيب، فكيف يُتصوَّر أن يكون التَّصوير في الأرحام سابقًا لأمر الملائكة بالسُّجود لآدم عليه السَّلام!

القول الثَّالث: تشير الآية الكريمة إلى أنَّ خَلْق آدم لا ينفصل عن خَلْق ذرِّيَّته أو نَسْله، فخَلْق آدم وتصويره شمل تكوين كلِّ التَّفاصيل المهمَّة كبرمجته وتشكيل الجينات فيه، ونحن نسلٌ فقط من آدم، وخَلْقُنا هو استمرار وتتمَّة لخلقه، ويَكتمل خَلْق آدم مع خَلْق آخر إنسان من نَسْله قبل يوم القيامة، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]،

---

(١) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢/ ٤٧٤.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، ١/ ٢٦٤.

(٣) انظر: رضا، تفسير المنار، ٨/ ٢٩٢.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨ب/ ٣٦.

(٥) انظر: رضا، تفسير المنار، ٨/ ٢٩٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٨/ ١١٠.

قال: (فيكون) وليس (فكان)؛ أي: عمليَّة خَلْق آدم عمليَّة مستمرَّة وهي خَلْق نَسْله منه حتَّى يُولَد آخر هذا النَّسْل[١]. فالأَمشاج[٢] خُلِقت في البداية في خلايا آدم قَبْلَ أن تُؤمَر الملائكةُ بالسُّجود له، وهي الحمض النووي الَّذي يحمل صورةً طِبْقَ الأصل عنه؛ أي: الصُّورة الجِيْنِيَّة لصورته الشَّكليَّة، وهو أيضًا الأصل الَّذي ستُصوَّر الذُّرِّيَّة كلُّها منه عبر انتقاله من الآباء للأبناء[٣].

المناقشة: يملك هذا القول العديدَ من المؤيِّدات لقَبُوله، فمن حيث البناء اللفظيّ للآية الكريمة يُلاحَظ استخدام الفعل الماضي الَّذي يدلُّ في الأصل على حَدَثٍ وقع وانقضى، فقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ ظاهره أنَّ خلْقَ وتصويرَ الذُّرِّيَّة كان مصاحبًا لخلقِ وتصويرِ آدم عليه السَّلام، ولا سيَّما أنَّ هذه الأفعال سُبِقَت بـ (قد) الَّتي تفيد هنا التَّحقيق والتَّأكيد[٤]، فمن الصحيح أنَّ الفعل الماضي قد يدلُّ على المستقبل إذا أُريد به الدَّلالة على تحقُّق وقوعه، وبخاصَّة في أخبار الله تعالى لصدق وقوعها[٥]، ولكنَّ عطف الأمر بالسُّجود على الخلق والتَّصوير بـ (ثمَّ) يقتضي أنَّ الخَلْق والتَّصوير كانا قبل الأمر بالسُّجود، وبما أنَّ الأمر بالسُّجود وقع وانقضى يقينًا، فكذلك الخَلْق والتَّصوير لكلٍّ من آدم والذُّرِّيَّة واقع ومُنْقَضٍ إنْ تأكَّد أنَّ الخطاب يشمل الذُّرِّيَّة، وقد تمَّ تأكيد ذلك في سياق مناقشة القول السَّابق، وبهذا يكون في خَلْق آدم وتصويره خلق للذرِّيَّة وتصويرها، حقيقةً لا مجازًا، ويكون خَلْق الذُّرِّيَّة وتصويرها جزءًا من خلق آدم وتصويره.

وتعزِّز موجودات العلم التَّجريبيّ أيضًا هذا القول وتنسجم معه؛ حيث تتحدَّد صفات الفرد اعتمادًا على المادَّة الوِراثيَّة الَّتي يحتويها، والَّتي تدعى بمجموعها بالجِيْنُوم البشريّ (Human genome)[٦]؛ وهو

---

(١) انظر: جرار، لكلِّ نبأٍ مستقرٌّ، https://www.youtube.com/watch?v=YccAL5JJoxM.

(٢) النُّطفة الأمشاج باتِّفاق المفسِّرين هي: ذات الأخلاط. انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٣٧٣، جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣١٠، المراغي، تفسير المراغي، ٢٩/ ١٥٩، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٧٣؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٥٢. وسيأتي بيان معناها بتوسُّع في الفصل الثَّاني عند الحديث عن: (خلق الإنسان من النُّطفة الأمشاج).

(٣) انظر: أبو النجا، حديث القرآن والسنة عن الحمض النووي، https://quran-m.com.

(٤) تفيد (قد) مع الفعل الماضي أحد ثلاثة معانٍ؛ التَّوقُّع: حيث تدلُّ على أنَّ الحدث كان متوقَّعًا ومُنتظَرًا ولذلك يُستعمَل في الأشياء المترقَّبة، كما في قول المؤذِّن: (قد قامت الصَّلاة)، والتَّقريب: أي: تقريب الحدث من الزَّمن الحاضر، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩]، والتَّحقيق: أي: تأكيد وقوع الحدث، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]. انظر: المرادي، الجنى الداني، ص ٢٥٦- ٢٥٩.

(٥) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ٣/ ٣٧٧.

(٦) بدأ العمل على وضع خريطة الجينوم البشريّ في الأوَّل من تشرين الأوَّل لعام ١٩٩٠م، وقد أعلن الاتحاد الدُّوليُّ لتسلسل الجِيْنُوم البشريّ (International Human Genome Sequencing Consortium) عن النُّسخة

كامل المادَّة الوراثيَّة المعروفة باسم الحمض النَّوويّ الرِّيبيّ منقوص الأُكسجين (DNA). ويحتوي الجينوم البشريُّ على نحو ثلاثين ألف جين مرتَّبة داخل نواة الخليَّة على شكل ثلاثة وعشرين زوجًا من الصِّبغيَّات. وتُعدُّ الجينات الوحدات الأساسيَّة للوراثة في الكائنات الحيَّة، بما في ذلك البشر، حيث تحمل الشِّيفرة المسؤولة عن تكوين أعضاء الجنين وأداء وظائفه الحيويَّة. وبالتَّالي، تلعب هذه الجينات دورًا رئيسًا في تحديد صفات الفرد وسلوكياته، وتعود الفروق بين الأفراد إلى الاختلافات في الجينات الَّتي يحملها كلُّ شخص(١).

وتنتقل المادَّة الوراثيَّة من جيلٍ لآخر خلال عمليَّة التَّكاثر؛ حيث يكتسب كلُّ فردٍ جديدٍ نصفَ جيناته من أحد والديه، والنِّصفَ الآخر من الوالد الآخر(٢). وتتحكَّم الجينات في الصِّفاتِ الوراثيَّةِ الَّتي يرثها الفرد عن والديه، كما تُنظِّم تكاثرَ الخلايا ووظائفَها من خلال تحديد المركَّباتِ الكيميائيَّةِ الَّتي ستُنتَج داخل الخليَّة، وتحتوي أيضًا على المعلوماتِ اللازمةِ لإنتاج البروتيناتِ والمواد الحيويَّةِ الَّتي تُشارِك في بناء أعضاءِ الجسم وأداءِ وظائفِه المختلفة، وبالإضافة إلى ذلك، تحمِلُ الجيناتُ الشِّيفرةَ الوراثيَّةَ الَّتي تضبِطُ السَّاعةَ البيولوجيَّةَ لنماءِ الكائنِ الحيِّ، بدءًا من البُيَيْضةِ المُخصَّبة، مرورًا بتكوين الأعضاء، ثمَّ الطفولةِ فالبلوغِ والنُّضجِ، فالشَّيخوخةِ، ووصولًا إلى الموت، وبهذا، فإنَّ صفاتِ الجنينِ تتحدَّدُ منذ لحظةِ الإخصاب، حيث تندمجُ الجيناتُ من الأبوين لتشكِّلِ السِّماتِ والخصائصَ الَّتي ستُرافِقُه طوالَ حياتِه.

ويشير أصل الجينات -الَّتي لا تنشأ عند تكوين الفرد، بل تنتقل إليه من أبويه- إلى وجود أصلٍ أوَّل تشكَّلت فيه هذه الجينات، ثمَّ انتقلت عبر الأجيال استنادًا إلى بديهية بطلان التَّسلسل. وتُرجِع الأديان هذا الأصل الأوَّل إلى آدم عليه السَّلام، الَّذي بخلقه خُلِقت البشريَّة، وبتصويره صُوِّرت. وكأنَّ تصوير آدم هو بناء صورته الأولى داخل نواة الخليَّة، لتكون تلك الصُّورة هي الأصل الَّذي يُصوَّر منه كلُّ نسله إلى قيام الساعة. وفي دمج صور الأبوين لتكوين صورة الأبناء تصويرٌ من نوع آخر يحدث في الأرحام سيتمُّ الحديث عنه في الفصل السَّادس عندَ الحديثِ عن مكان الحمل.

القول الرابع: تتحدَّث الآيةُ الكريمةُ عن خلقِ آدم وتدرُّجِهِ في أطوارٍ متعدِّدةٍ حتَّى وصلَ إلى صورتِه الإنسانيَّةِ الكاملةِ. ويشيرُ العطفُ بينَ الخلقِ والتَّصويرِ بـ (ثمَّ) إلى فاصلٍ زمنيٍّ طويلٍ بين بداية نشأة الكائن

النِّهائيَّة المكتملة للجِيْنُوم في الرَّابع عشر من نيسان لعام ٢٠٠٣م. انظر: Human genome project، https://www.genome.gov/human-genome-project/Completion-FAQ.

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص ٣٢.

الحيّ وتطوُّره حتى ظهورِ الإنسانِ العاقلِ المُدرِكِ، فآدمَ الَّذي أُمِرَتِ الملائكةُ بالسُّجودِ له هو الإنسانُ الرَّشيدُ المُكلَّفُ بالخلافةِ، وليس مجرَّد كائنٍ في بداياتِ تطوُّرِه[١].

المناقشة: يعبِّر هذا القول عن إيمان أصحابه بوحدة الأصل للكائنات الحيَّة على الأرض، وأنَّها جميعًا نشأت من خليَّة واحدة تطوَّرت عبر الزَّمن حتَّى نشأ الإنسان من أحد فروعها. ويرى أصحابه أنَّ خَلْق الإنسان بدأ من الطين، ثمَّ مرَّ بمراحل متتابعة بفواصل زمنيَّة قبل أن يكتمل في صورته الأخيرة[٢]. وتكرار كلمة (ثمَّ) الدَّالة على التَّرتيب مع التَّراخي الزَّمني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، يشير إلى أنَّ الانتقال من الخلق الأوَّل إلى التَّصوير بشرًا سويًّا، ثمَّ الأمر بالسُّجود، لم يكن لحظيًّا بل استغرق زمنًا طويلًا[٣]. وهذا القول غير مقبول من جهة قطعه لدلالة الآية الكريمة على خلق آدم عبر تطوُّره.

المطلب الثَّاني: إنشاء الذُّرِّيَّة بعضها من بعض:

تعدَّدت المحاور الَّتي تناول فيها القرآن الكريم موضوع الذُّرِّيَّة، فقد أشار إلى أنَّ بداية خلق ذرِّيَّة آدم كانت مع بداية خلقه عليه السَّلام، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، وإلى تهديد إبليس بإغوائها، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، وأشار إلى حصر ذرِّيَّة البشر بذرِّيَّة من نجا مع نوح عليه السَّلام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۞ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصَّافات: ٧٧ – ٧٩]، وقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]، وأشار إلى إنشاء الذُّرِّيَّة بعضها من بعض بقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]. وقد اختلفت أقوال المفسِّرين في تفسير الآية الأخيرة إلى عدَّة أقوال:

القول الأوَّل: إن يشأ الله إذهابَكم –أيُّها الكافرون برسوله المعاندون له– واستخلافَ غيرِكم بعدَكم يُذهِبْكم بعذاب يُهلكُكم به، كما أهلكَ أمثالكم من معاندي رسله كعادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ، ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الأفراد أو الأقوام، فإنَّه قادر على إهلاكِكم، وإنشاء قوم آخرين من ذرِّيَّتكم أو ذرِّيَّة غيركم أحقّ برحمته منكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا

---

(١) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٤/ ٣٧١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٢/ ٩٦٨، في سياق تفسيره الآية (١١) من سورة الصَّافات.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٤/ ٣٧١.

يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]؛ فإمهالُه تعالى هو رحمةٌ من رحماته وإحسانٌ من إحسانه، وفيه حجَّة عليهم(١).

المناقشة: يؤيِّد ظاهر الآيات الكريمات هذا القول، كما أنَّ السِّياق يدلُّ عليه، فسِباقه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ۞ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١، ١٣٢]، فالحديث عن الأُمم السَّابقة الَّتي أُهلِكت بسبب ظلمها، وفي قصصها من العبرة ما يكفي لكلِّ من كَفَرَ وظَلَمَ، ثمَّ يأتي قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وفيه تهديد لمن عاند وأصرَّ على الكفر بأنَّ الله قادر على استئصالهم كما فعل بمن سبقهم من الأمم الكافرة، واستخلاف غيرهم، ويأتي بعد ذلك اللِحاق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وهذه الآية كتذييل لما سبق(٢)، لتأكيد التَّهديد والقدرة على إنفاذه.

القول الثَّاني: يجوز أن يكون التَّشبيه في الآية في إنشاء موجودات من بقايا معدومات، كما أُنشِئ البشر نشأةً ثانيةً من ذرِّيَّةٍ من أنجاهم الله في السَّفينة مع نوحٍ عليه السَّلام، فيكون في الكلام تعريضٌ(٣) بإهلاك المشركين ونجاة المؤمنين من العذاب؛ أي: إن يشأ اللهُ يُهلكِ الكافرين منكم ويستبقِ المؤمنين ليستخلفهم وذرِّيَّتَهم بعدكم، كما أهلكَ الكافرين من قوم نوحٍ واستخلفَ المؤمنين منهم وذرِّيَّتَهم(٤).

المناقشة: لفظ (ما) في قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ عامٌّ لا قرينة موجبة لتخصيصه باستخلاف من يبقى من المخاطبين من المؤمنين بعد إهلاك الكافرين منهم، بل إنَّ قوله: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ يُعزِّز إطلاق خيارات الاستخلاف، لا تقييدها في المؤمنين منهم، فكفَّار العرب ومؤمنوهم كانوا قومًا واحدًا وذرِّيَّة بعضها من بعض. وإهلاك الأمم الكافرة واستخلاف غيرهم سنَّة إلهيَّة جارية مطَّردة منذ بدء الخلق وحتَّى قيام السَّاعة، وهذا ما يُؤكِّده قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٤/ ٤٩٧؛ رضا، تفسير المنار، ٨/ ١٠١؛ المراغي، تفسير المراغي، ٨/ ٣٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨أ/ ٨٦- ٨٧؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٤/ ٣١٣- ٣١٤.

(٢) التَّذييل: أن يُؤتَى بعد الجملة الأولى بجملة أخرى تشتمل على معناها إمَّا لتأكيد المنطوق، وإمَّا لتأكيد المفهوم. انظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ٣/٢٠٧.

(٣) التَّعريض: هو اللفظ الدالُّ على شيء مِنْ طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقيّ ولا بالمجازيّ، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]؛ فهذه الجمل في الآية الكريمة خبريَّة لفظًا، وطلبيَّة مِنْ جهة المعنى. ويختصُّ التَّعريض كما هو مُلاحَظ باللفظ المركَّب، ولا يأتي في اللفظ المفرد البتَّة. انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ٢/١٨٦.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨أ/ ٨٦- ٨٧.

فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

القول الثَّالث: الكلام هنا موجَّه للبشر جميعًا، فسياق الآيات كلُّه موجَّه للبشر عمومًا، ومن الممكن أن يكون في الآية تهديد للجنس البشريّ بالفناء واستخلاف خلقٍ آخر غيرهم إنْ هم أصرُّوا على عنادهم وكفرهم، كما أفنى من قبلهم من الكائنات واستخلفهم بعدهم. ومن الممكن أن يكون آدم قد أُخِذ أخذًا خاصًّا من كائن كان قبله، كان يَسفِكُ الدماء، وهو الكائنُ الَّذي أُخِذ منه الإنسان ثمَّ أُبيد، ولذلك قالت الملائكة في قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾، وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِكُمْ﴾ دلالة على أنَّ استخلاف غيرهم سيكون بعد فناء البشر، كما كان استخلاف الإنسان بعد فناء الكائن الَّذي أُخِذ منه. وقوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ هو كقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فالبشر خُلفاءُ لكائناتٍ مضت، والله قادرٌ على إفنائهم واستخلاف غيرهم من بعدهم، كما حدث عند استخلافهم من ذرِّيَّةِ قومٍ آخرين؛ أي: من كائناتٍ أخرى. ولا يصحُّ أن يُقال إنَّ المعنى: كما أنشأ الله البشر نشأةً ثانيةً من ذرِّيَّةِ من نجَّى مع نوحٍ عليه السَّلام؛ لأنَّهم ليسوا قومًا آخرين، بل كلُّنا ذرِّيَّةٌ واحدةٌ وهم آباؤنا، لقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]، فيبقى أن يكون القومُ الَّذين نشأ منهم البشر جنسًا آخر قد أُبيد[١]. وقريبٌ منه من قال: الكلام هنا موجَّهٌ للبشر، فاللهُ اصطفى آدمَ كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤] من خليقةٍ هو ينتمي إليها، وهذا معنى قوله: ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾، هم من قاست عليهم الملائكة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠][٢].

المناقشة: يُرَدُّ على أصحاب هذا القول بأنَّ سياق الآيات يتحدَّث عن إهلاك الأمم والقرى السَّابقة كجزاءٍ لهم على إصرارهم على الكفر، ثمَّ أتى التَّهديد للكافرين برسولِ اللهِ بأنَّ مصيرَهم سيكون مثل مصير من سبقهم من الإفناء واستخلاف غيرهم، وهو كقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٣٩]، وكقوله: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. وهذا من عادة القرآن في حوار الكافرين المعاندين؛ إذ يُهدِّدُهم بالإفناء والاستبدال إن هم أصرُّوا على الكفر.

وأما قولهم: إن لفظ (آخرين) يُشعِر بأنَّ الاستخلاف كان لنوع أو جنس على حساب نوع أو جنس

---

(١) انظر: جرار، كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين، https://www.youtube.com/watch?v=TposI7gfFto.

(٢) انظر: إبراهيم، حيوان وزيادة، https://www.youtube.com/watch?v=zE2KBzm9h28.

آخر؛ لأنَّ البشر المخاطَبين كلَّهم من ذرِّيَّةٍ واحدةٍ هي ذرِّيَّة من نجى مع نوح عليه السَّلام، فصحيح أنَّ كل من نجى مع نوح عليه السَّلام ذرِّيَّة واحدة، بل إنَّ البشر كلَّهم من لدن آدم عليه السَّلام ذرِّيَّة واحدة، وهذا ممَّا لا خلاف فيه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤]، ولكن (آخرين) هي صفة لـــ (قوم) وليس لـ (ذرِّيَّة)، وبذلك يكون الاستبدال لجماعة من النَّاس بجماعة أخرى، وليس لذرِّيَّة من الخلق بذرِّيَّة أخرى؛ و(القوم) في أصل اللغة هم الجماعة من النَّاس، وقومُ كلِّ رجلٍ: شيعته وعشيرته[1].

ويُلاحَظ أنَّ الآية الكريمة تقول: ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾، ثمَّ يأتي قوله تعالى بعدها: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ لينبّه على أنَّ (قوم) الأولى تقابل (قوم) الأخرى؛ أي: جماعة النَّاس الَّتي استُبدِلَت تقابل جماعة النَّاس الَّذين يُوجَّه لهم التَّهديد بالاستبدال، وهذا المعنى هو ظاهر الآية، الَّذي يؤيِّده السِّياق. وأمَّا أن يكون المقصود بالقوم المستبدَلين كائنات أو أجناس أخرى، فليس في الآية تصريحٌ به، وإلَّا لاستخدم القرآن لفظ جنس أو نوع أو كائن بدلًا من لفظ (قوم).

(١) انظر: الفراهيدي، العين، ٥/ ٢٣١، مادة (قَوَمَ)؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/ ٤٣، مادة (قَوَمَ).

الفصل الثَّاني: تكوين الجنين

تمهيد:

المبحث الأوَّل: دور الوالدين في تشكيل الجنين.

المطلب الأوَّل: خَلْق النَّاس من الذَّكر والأنثى.

المطلب الثَّاني: خَلْق الإنسان من النُّطفة الأمشاج.

المبحث الثَّاني: جنس الجنين.

المطلب الأوَّل: دور الوالدين في تحديد جنس الجنين.

المطلب الثَّاني: توقيت تحديد جنس الجنين.

تمهيد:

يُعَدُّ تكوينُ الجنينِ من أعظم الظَّواهر الَّتي تلفتُ نظر الإنسان إلى قدرة الخالق سبحانه وتعالى، حيث تمرُّ هذه العمليَّةُ بمراحلَ دقيقةٍ تبدأ منذ لحظة التقاء النُّطفة المُذَكَّرة بالبُيَيْضةِ الأُنثويَّة، فتتشكَّلُ الخليَّة الأولى الَّتي تحوي الشِّيفرةَ الوراثيَّةَ للإنسان. وقد أولى القرآنُ الكريمُ عنايةً خاصةً بهذا الموضوع، فأشار إلى كيفيَّة بدءِ تشكُّل الجنين، وإلى الدَّور المشترَك لكلا الوالدين في تكوينه وتحديد صفاته، كما أشار إلى تحديد جنسه وتوقيت ذلك في العديد من الآيات الكريمات. ومع التطوُّر الكبير في علم الأجنَّة والتَّشريح البشريّ، تعزَّزَ فهمُ الإنسان لكيفية تشكُّل الذُّرِّيَّة، الأمرُ الَّذي دفعَ الباحثين والمفسِّرين إلى محاولة ربط المعطيات العلميَّة بالآيات القرآنيَّة الَّتي تناولتْ هذه القضيَّة. وقد أسهمت هذه المحاولات في إبراز دلالات جديدة للآيات، ممَّا يفتح آفاقًا أوسع للتأمُّل في إعجاز القرآن الكريم.

وفي هذا الفصل، سيتمُّ تسليط الضَّوء على مراحل تكوين الجنين من خلال مبحثين رَئِيْسَيْنِ: يتناول الأوَّل دورَ الوالدين في تشكيل الجنين، من خلال بيانِ خَلْقِ الإنسان من الذَّكر والأنثى، ثمَّ بيانِ خَلْقِه من النُّطفة الأمشاج، وأمَّا المبحث الثَّاني فيتعلَّق بجنس الجنين، ويتناولُ دورَ الوالدين في تحديده، بالإضافة إلى توقيت ذلك وِفقًا لما ورد في القرآن الكريم والحقائق العلميَّة المعاصرة.

المبحث الأوَّل: دور الوالدين في تشكيل الجنين:

يتحقَّق خَلْقُ الإنسان من خلال الدَّور المشترَك بين الأب والأمّ في تكوين الجنين، وهذه حقيقة أكَّدها القرآن الكريم في مواضعَ عدَّةٍ، مبيِّنًا أنَّ كليهما شريكٌ في هذا التَّكوين، وليس لأحدهما دورٌ منفردٌ دون الآخر. وقد جاءت الإشارات القرآنيَّة لتوضِّح هذه الحقيقة بأسلوب بليغ يجمع بين الإيجاز والبيان، ممَّا يدعو الإنسان إلى التَّأمل في قدرة الله وحكمته. وفي هذا المبحث، سيتمُّ بيان دور الوالدين في تشكيل الجنين من خلال مطلبين رئيسَين؛ يتناول المطلب الأوَّل معنى خَلْق النَّاس من الذَّكر والأنثى وأقوال المفسِّرين في تفسير هذه الحقيقة القرآنيَّة، بينما يوضِّح المطلب الثَّاني معنى النُّطفة الأمشاج ومدلولها اللغويَّ والتَّفسيريَّ، مع بيان أقوال العلماء فيها.

المطلب الأوَّل: خَلْق النَّاس من الذَّكر والأنثى:

بيَّن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنَّ أصل الخلق قائم على الزَّوجيَّة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣]، ممَّا يعني اشتراك الذَّكر والأنثى في عمليَّة التَّكوين، وللمفسِّرين في المقصود بخَلْق النَّاس من الذَّكر والأنثى أقوال:

القول الأوَّل: المقصود بالذَّكر والأنثى في الآية الكريمة هو آدم وحوَّاء؛ إذ منهما خُلِق النَّاس كافَّة[١].

المناقشة: استند أصحاب هذا القول إلى عدَّة قرائنَ، من أبرزها سبب نزول الآية؛ إذ ورد أنَّها جاءت نهيًا عن التَّفاخر بالأنساب والتَّكاثر بالأموال[٢]. ومن القرائن أيضًا السِّياق العامُّ للآية؛ حيث يشير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، إلى أنَّ الخطاب مُوجَّه إلى النَّاس كافَّة بمختلف شعوبهم وقبائلهم[٣]. كما أنَّ الآية تأتي في سياق الحديث عن وحدة المؤمنين وأُخوَّتهم، وهو ما تؤكِّده الآية السَّابقة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، الَّتي تستنكر سخرية بعضهم من بعض، أو تعريضهم ببعضهم، رغم أنَّهم إخوةٌ في الدِّين والنَّسب.

كما استدلوا بأنَّ معنى الآية الكريمة ورد في العديد من الأحاديث الشَّريفة؛ ومن ذلك ما رواه جابر[٤] رضي الله تعالى عنه، حيث قال: خَطَبَنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسط أيام التَّشريق في حجَّة الوداع، فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[٥]، وبقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»[٦].

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٥٣٨؛ جوهري، الجواهر، ٢٢/ ١٤٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٦/ ١٤٣؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٢٥٨؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٣/ ٤٥٢.

(٢) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٦/ ١٤٣. ورد عن مُقَاتِل: "لَمَّا كان يوم فتح مكة رَقَى بلال فأذَّن على ظهر الكعبة، فقال عَتَّابُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ أَبِي الْعِيصِ: الحمد لله الَّذي قبض أبي حتَّى لا يرى هذا اليوم. وقال الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ: أمَا وجد محمَّد غيرَ هذا الغراب الأسود مؤذِّنًا، وقال سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: إنْ يُرِد اللهُ شيئًا يغيِّره، فأتى جبريلُ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عمَّا قالوا فأقرُّوا، فأنزل الله الآية زجرًا لهم عن التَّفاخر بالأنساب والتَّكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء". الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٩٥.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٢٥٨.

(٤) هو جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريُّ السُّلَميُّ، أبو عبد الله، صحابيٌّ جليل، من المكثرين في الرِّواية عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وغزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيَّامه حلقةٌ في المسجد النَّبويِّ يُؤخَذ عنه العلمَ، وتُوُفِّيَ سنة ثمان وسبعين للهجرة. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١/ ٥٤٦؛ الزركلي، الأعلام، ٢/ ١٠٤.

(٥) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٦/ ١٤٣. والحديث رواه أبو نُعيَم الأَصبَهانيُّ في حِلْيَة الأولياء، ٣/ ١٠٠؛ والبيهقيُّ في شُعَبِ الإيمان، ٧/ ١٣٢، رقم ٤٧٧٤. وقال أبو نُعيَم: غريب من حديث أبي نُضْرَة عن جابر.

(٦) انظر: سنن التِّرمذيِّ، كتاب أبواب المناقب، باب بلا، ٥/ ٧٣٤، رقم ٣٩٥٥. قال التِّرمذيُّ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

ويُعَدُّ النِّداء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ شاهدًا إضافيًّا يؤكِّد صحَّة هذا القول؛ إذ إنَّ استقراء مواضع هذا النِّداء في القرآن الكريم يُظهِر أنَّه خطاب موجَّه إلى البشر كافَّة[١]. كما أنَّ النُّصوص الشَّرعيَّة تواترت على تقرير الأصل الواحد لكلِّ البشر، وهو ما سبق بيانه عند الحديث عن أصل الإنسان.

وقد يُقال: إنَّه لو كان المقصود بالذَّكر والأنثى هو آدم وحواء لكان يناسبه تعريف (الذَّكر) و(الأنثى) بأن يُقال: (إنَّا خلقناكم من الذَّكر والأنثى)، أي: اللذين تعرفونهما، ويكون التَّعريف للعهد، ويمكن أن يُجاب عنه بأنَّ (ذكر وأنثى) هي صفات، والتَّقدير: (إنَّا خلقناكم من آدم وهو ذكرٌ، ومن حواء وهي أنثى)[٢].

ويُلاحظ من خلال استعراض أدلَّة أصحاب هذا القول قوَّة بعضها وعدم وجود موجب لردِّه؛ وبهذا فلا مانع من قبوله.

القول الثَّاني: إنَّا خلقناكم من ماء ذكر من الرِّجال، وماء أنثى من النِّساء؛ أي: من أب وأمٍّ، فكلُّ واحدٍ مكوَّن من صِنْفَي الذَّكر والأنثى[٣].

المناقشة: لهذا القول أصل عند السَّلف، فقد رُوِي عن مجاهد[٤] قوله: ما خَلَقَ اللهُ الولدَ إلَّا من نطفة الرَّجل والمرأة جميعًا؛ لأنَّ الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾[٥]. ويُسند ظاهر اللغة هذا القول؛ إذ يُلاحَظ أنَّ ﴿ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ إمَّا أن تكونَ من المطلق، ويكون المعنى: (إنَّا خلقناكم من اجتماع جنس الذَّكر مع جنس الأنثى)، أو أن تكون من النَّكرة[٦]،ويكون المعنى: (إنَّا خلقناكم من اجتماع أيِّ ذكر بأيِّ أنثى)، وفي كلتا الحالَّتين تحتمل الآية أن يكون المقصودُ منها خَلْقَ النَّاس جميعًا من اجتماع الذُّكور والإناث. كما تؤكِّد الأحاديث الصَّحيحة ما ذهب إليه أصحاب هذا القول من أنَّ لكلا الزَّوجين حظًّا من

---

(١) انظر: العمراني، تأملات في عالمية الخطاب القرآني، ص٤٣.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٢٥٩.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٥٣٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٢٥٨.

(٤) مُجاهِدُ بن جَبْرٍ، أبو الحجَّاج المكِّيُّ، مولى بني مَخْزُومٍ، تابعيٌّ جليل، شيخ القرَّاء والمفسِّرين، أخذ علم التَّفسير عن عبد الله بن عبَّاس، فكان من أبرز تلاميذه، وتُوفِّي سنة أربعٍ ومئةٍ للهجرة. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٢/ ٤١؛ الزركلي، الأعلام، ٥/ ٢٧٨.

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٢/ ٣٠٩.

(٦) المُطلَق: وهو لفظ دالٌّ على فرد شائع في جنسه بلا قيد؛ أي: الدَّالُّ على الماهيَّة من حيث هِيَ هِيَ. والنَّكرة: هي لفظ دالٌّ على فرد شائع في جنسه بقيد الواحد غير المُعَيَّن. انظر: الأصفهاني، بيان المختصر، ٢/ ٣٥٠؛ ابن أمير حاج، التقرير والتحبير، ١/ ٢٩٣. فإن كان مقصود المتكلِّم من اللفظ هو الماهيَّة فذلك هو المُطلَق، وإن كان مقصودُه منه الواحد فذلك هو النَّكرة.

النُّطفة الَّتي يُخلَق الإنسان منها؛ فللرَّجل ماء ونطفة، وللمرأة ماء ونطفة، كما في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ، فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا، أَوْ سَبَقَ، يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ»(١)، وقوله: «وَأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ»(٢). وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض ما استدلَّ به أصحاب القول الأوَّل يمكن أن يكون حججًا لهذا القول أيضًا، مع استبدال وحدة الأصل في القول الأوَّل بوحدة طريقة الخَلْقِ في القول الثَّاني.

وينسجم هذا القول مع مسلَّمات العلم التَّجريبيّ الَّذي يؤكِّد أنَّ الفرد يتكوَّن من اتحاد نطفة الرَّجل وبُيَيْضة المرأة، وأنَّ صفاتَه الموروثةَ تحددُها الجيناتُ الموجودة على الصِبْغِيَّات القادمة من الأب والأمّ؛ حيث يملك البشر حوالي (٢٣٠٠٠) جينًا يحمل صفاتهم كافَّة، وتكون محمولةً على (٤٦) صبغيًّا هو عدد الصِبْغِيَّات في الخلايا البشريَّة. وتتوزَّع هذه الصِبْغِيَّات على شكل أزواجٍ متماثلةٍ عددها (٢٣) زوجًا، ويتشكَّل كلُّ واحدٍ من هذه الأزواج من الأب والأمّ مناصفة، لذلك تحوي كلُّ واحدة من النُّطفتين (النُّطفة المُذَكَّرة والنُّطفة المؤنثة) اللتين ستشكلان اللاقحة الَّتي سينشأ منها الجنين على نصف الأزواج الصِّبْغِيَّة؛ أي: على (٢٣ صِبغيًّا)، ويُؤَدِّي اتحادهما إلى إعادة الصِّيغة الصِّبْغِيَّة إلى العدد(٤٦)(٣)، وممَّا سبق يُلاحظ أنَّ لهذا القول حججه القويَّة، كما أنَّه ينسجم مع حقائق العلم التَّجريبيّ، وبهذا فلا مانع من قبوله.

المطلب الثَّاني: خَلْق الإنسان من النُّطفة الأمشاج:

أشار القرآن الكريم إلى أنَّ خَلْقَ الإنسانِ يبدأ من نطفةٍ أمشاجٍ، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]، إشارة إلى أنَّ الخلق يبدأ بنطفة واحدة، وليس من المنيّ كلِّه؛ إذ إنَّ لفظ (نُطْفَةٍ) أتى نكرة دالةً على الواحدة من جنس النُّطف؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النَّجم: ٤٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ [القيامة: ٣٧]. وقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ معنى النُّطفة الأمشاج؛ أي: ذات الأخلاط(٤)، والأمشاج: إما جمع مِشْجٍ؛ كعِدْل وأعدال، أو جمع مَشَج؛ كسَبَب وأسباب، أو جمع مَشِج؛ مثل كَتِف وأكتاف، أو مفرد

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، ١/ ٢٥٠، رقم ٣١١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب بلا، ٥/ ٦٩، رقم ٣٩٣٨.

(٣) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص١١.

(٤) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٣٧٣؛ جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣١٠؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٩/ ١٥٩؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٧٣؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٥٢.

على صورة الجمع؛ كبُرْمَةٍ أعشار[١]، فإذا كان لفظ (أمشاج) في الآية جمعًا كان وَصْف النُّطفة به باعتبار ما تشتمل عليه من أجزاء مختلفة الخواصِّ، وإذا كان مفردًا فوصف النُّطفة به لا يحتاج إلى تأويل[٢].

ثمَّ اختلفوا بعد ذلك في المقصود بالأمشاج على أقوال:

القول الأول: تتألَّف النُّطفة من مواد اختلط بعضها ببعض[٣]، وفي هذا إشارة إلى اختلاط ماء الرَّجل بماء المرأة[٤]؛ فللرجل نطفة وللمرأة نطفة، وباتحاد هاتين النُّطفتين يتكوَّن الجنين[٥].

المناقشة: يتوافق هذا القول مع ظاهر الآية الكريمة الَّتي تقول: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]؛ حيث جاء لفظ (نطفة) نكرةً، وهو بهذا يدلُّ على الماهيَّة بقيد الوحدة غير المعيَّنة[٦]، فالآية تقول: إنَّ الإنسان خُلِق من نطفة واحدة، ولا يصحُّ أن تكون تلك النُّطفة هي نطفة الرَّجل أو نطفة المرأة لأنَّ الإنسان يُخلَق من كلتيهما، فتكون تلك النُّطفة المقصودة هي النُّطفة المتكوِّنة من اتحاد نطفة الرجل مع نطفة المرأة؛ أي: إنَّ النُّطفةَ الأمشاج هي اللاقحة، وهي المرحلة الأولى من مراحل تشكُّل الجنين في بطن أمِّه، وبذلك فإنَّ ماء الرجل وماء المرأة يشتركان على السَّواء في تكوين الجنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣]. وفي اللغة، الأمشاج تعني: الأخلاط، ومَشَجَ بين شيئين خَلَطَ بينهما[٧]، وبذلك فإنَّ النُّطفة الأمشاج في الآية هي المزيج المختلط المركَّب من ماء الرجل وماء المرأة، ومنها بداية تكوُّن الإنسان[٨].

القول الثَّاني: تكون النُّطفة في الرَّجل كما تكون في المرأة، وهما مكوَّنتان من عناصر مختلفة آتية من النَّبات والحيوان الدَّاخلين في طعام الآباء والأمَّهات، وهي في تفصيلها عَشَرَة عناصر: (الأكسجين والهيدروجين والكربون والآزوت والكبريت والفوسفور والبوتاسيوم والمغنيزيوم والكالسيوم والحديد)؛ فتلك هي

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٣٧٣؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٧٤. والبُرْمَةُ: القِدْرُ، وأَعْشَار؛ أي: مُخَرَّقَة فاسدة كأنَّها صارت عشر قِطَعٍ. انظر: الهروي، تهذيب اللغة، ١/ ٢٦٢.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٧٤.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٣٧٣.

(٤) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٩/ ١٥٩

(٥) انظر: جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣١٠، وقد ذهب أكثر المفسِّرين إلى أنَّ الأمشاج هو اختلاط نطفة الرَّجل بنطفة المرأة، انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٠/ ٧٤٠.

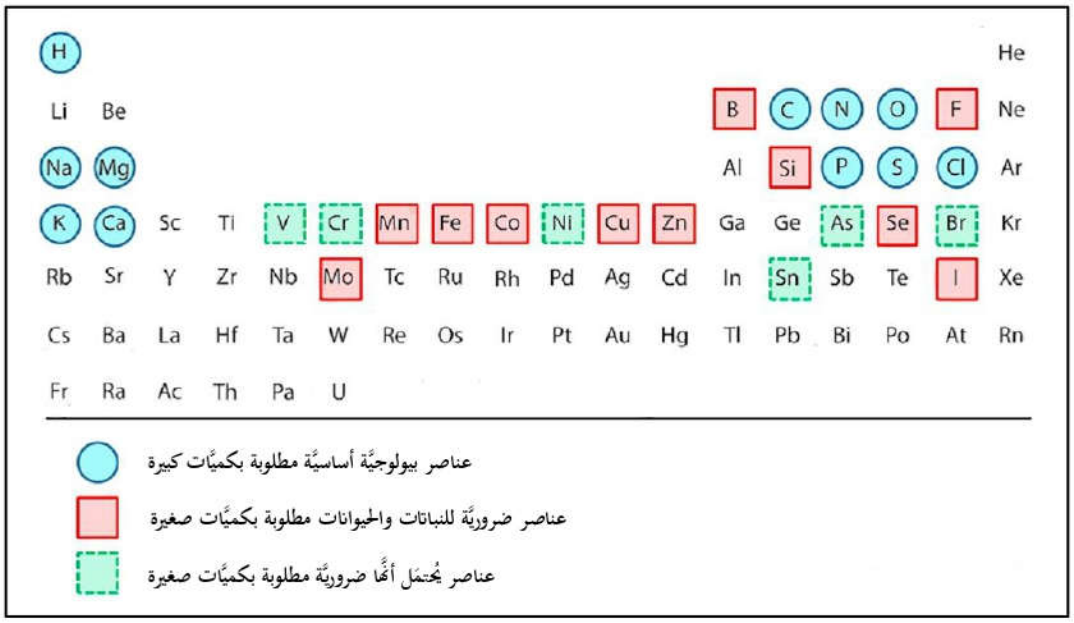
(٦) انظر: العراقي، الغيث الهامع، ص٣٤١.

(٧) انظر: الفراء، معاني القرآن، ٣/ ٢١٤؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/ ٣٢٦، مادة: (مشج)؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٢٩٤، مادة: (مشج).

(٨) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥/ ٤٢٥.

الأمشاج العَشَرَة[١]. وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦] يفسِّر معنى الخَلْطِ الَّذي أُشير إليه في هذه الآية؛ فهذه الأمشاج منها ما هو أجزاء كيمائيَّة نباتيَّة أو ترابيَّة، ومنها ما هو عناصر قوى الحياة[٢].

المناقشة: يرى أصحاب هذا القول أنَّ المرادَ بالأمشاجِ هو الأجزاءُ أو العناصرُ الَّتي تتكوَّن منها النُّطفةُ، سواء أكانت نطفة الرَّجل أم نطفة المرأة[٣]. ومع أنَّ كلًا من نطفة الرَّجل وبُيَيْضة المرأة تتكوَّن من أجزاء غيرِ متجانسةٍ وعناصرَ متباينةٍ، كما سيأتي بيانُه عند الحديث عن مراحلِ خلقِ الجنينِ، إلَّا أنَّ مقتضى هذا القول أنْ تكون الصِّياغة: (إنَّا خلقنا الإنسانَ من نطفتَين أمشاجٍ)، بينما نصُّ الآية الكريمة هو: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾. كما أنَّ حصرَ معنى الأمشاج بالعناصرِ الكيميائيَّةِ الَّتي تتكوَّن منها النُّطفةُ، ثمَّ تضييقه ليشمل عشرةَ عناصر فقط، هو ادِّعاءٌ يفتقرُ إلى دليلٍ، بل إنَّ الأدلةَ العلميَّةَ تُشير إلى أنَّ العناصرَ الضروريةَ للحياةِ تفوق هذا العددَ بكثيرٍ؛ إذ يحتاجُ جسمُ الإنسانِ إلى أكثرَ من (٢٠) عنصرًا أساسيًّا ليعملَ بصورةٍ صحيحةٍ[٤]، الشَّكل رقم (٤).



الشَّكل رقم (٤): العناصر الكيميائيَّة الأساسيَّة المطلوبة لوجود الحياة محدَّدة على الجدول الدَّوريّ[٥].

---

(١) انظر: جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣١٠.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٧٣.

(٣) انظر: جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣١٠.

(٤) انظر: Zoroddu وزملاؤه، The essential metals for humans، ص١٢٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٢١.

وأمَّا قولهم: إنَّ قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، يفسِّر معنى الخلط الَّذي أُشير إليه في هذه الآية...إلخ[١]؛ فقد بَنَوه على جَعْل المقصود بـ (الأزواج) في الآية: الذُّكور والإناث من الحيوان، وجَعْل (من) ابتدائية متعلِّقة بالفعل (خَلَقَ)، فقالوا: إنَّ في قوله: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾، إشارةً إلى إيداعِ قوَّةِ الحياةِ في الأرضِ، وابتداء انبثاق أنواع الأحياء وأصنافها منها، فخَلْق نبات الأرض سابق على خلق الأنفس الحيوانيَّة؛ لِتَوَلُّدِ النُّطف من قوى الأغذية الحاصلةِ من تناولِ النَّباتِ، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، إشارةٌ إلى ما يتكوَّن فيهم من أجزائهم الحيوانيَّةِ. وأمَّا مجيءُ ضميرِ جماعةِ العُقلاءِ فقد علَّلُوه بجعله تغليبًا لنوعِ الإنسانِ نظرًا لكونه المقصود بالعبرةِ بهذه الآية، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ فقد جعلوه إشارةً إلى أسرارٍ مودَعةٍ في خَلْقِ الحيوان، تتجلَّى في تمييز أنواعه بعضِها عن بعضٍ، وذكورِه عن إناثِه، وفي إيداعِ الرُّوحِ الَّتي امتازَ بها عن النَّبات بقدرتِه على تدبيرِ شؤونِه، على حسب استعداد كلِّ نوعٍ وكلِّ صنفٍ، حتَّى يبلغَ في الارتقاء إلى أشرفِ الأنواعِ؛ وهو نوعُ الإنسانِ[٢]، وقد يكون فيما ذهبوا إليه بعضُ التَّكلُّفِ، مع الإشارة إلى أنَّ جمهور المفسِّرين ذهبوا إلى أنَّ المقصودَ بالأزواج في الآية هو الأصنافُ المتميِّزةُ المختلفةُ، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣]. وأشاروا إلى أنَّ (من) في الآيةِ بيانيَّةٌ، وأنَّ المجرور بـ (من) هو بدلُ مفصَّلٍ من مجمَلٍ. وقالوا: إنَّ الآيةَ تشير إلى تنزيه الله تعالى خالقِ الأصنافِ والأنواعِ كلِّها، بما فيها نبات الأرض بأصنافه المتنوِّعة، والبشر بذكورهم وإناثهم، إضافة إلى خلقٍ كثيرٍ آخرَ لا نعلمه، فالله سبحانه وتعالى انفرد بالخَلْقِ، فلا ينبغي أن يُشْرَك به غيره[٣].

القول الثَّالث: الأمشاجُ هي أطوارُ الخَلْقِ، نطفةٌ، فعلقةٌ، فمضغةٌ، فعظامٌ، ثمَّ تُكسَى العظامُ لحمًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٢- ١٤][٤].

المناقشة: أطوارُ الخلقِ الَّتي ذكرها أصحابُ هذا القولِ صحيحةٌ كما دلَّت عليها آياتُ سورةِ (المؤمنون) الَّتي استشهدوا بها، ولكنَّ لفظَ الأمشاجِ لا يدلُّ عليها؛ فتلك الأطوارُ متتاليةٌ وليسَتْ متزامنةً أو مختلِطةً، كما أنَّ الآيةَ الكريمةَ صرَّحتْ بذكرِ طورٍ من تلك الأطوارِ وهو طورُ النُّطفةِ، ثمَّ وصفتِ النُّطفةَ

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٣/ ١٥- ١٦.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٠/ ٥١٥؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥/ ٢٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/ ١٥؛ طنطاوي، التفسير الوسيط، ١٢/ ٣١؛ وغيرهم.

(٤) نقل المراغيُّ هذا القولَ عن قَتَادة. انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٩/ ١٦٠.

بالأمشاجِ، وبالتَّالي، فهذا الوصفُ يعودُ على النُّطفةِ وليسَ على الخلقِ ليدلَّ على أطوارِه، وبذلك، فإنَّ هذا القولَ لا يصحُّ قَبولُه.

المبحث الثَّاني: جنس الجنين:

أولى القرآن الكريم أهميَّة خاصَّة للحديث عن تحديد جنس الجنين، وجَعَلَ خَلْق الجنسين من دلائل الألوهيَّة، فَقَصَرَ سبحانه وتعالى القدرة على ذلك عليه وحده، فقال: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا۞ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى۞ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى۞ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ [النَّجم: ٤٢- ٤٩]. وقد نبَّهت بعض الآيات الكريمات إلى دور الوالدين في تحديد جنس الجنين، كما أنَّ في بعضها الآخر إشارة إلى التَّوقيت الَّذي يتحدَّد فيه جنس الجنين. وفي هذا المبحث ستتم مناقشة هذين الموضوعين كلٍّ منهما في مطلب مستقِلٍّ.

المطلب الأوَّل: دور الوالدين في تحديد جنس الجنين:

اختلفت اعتقادات البشر حول المسؤول من الوالدين عن تحديد جنس الجنين، فسيطرت فكرة مسؤوليَّة المرأة عن إنجاب الإناث وعدم إنجاب الذُّكور في عصر، وسيطرت فكرة مسؤولية الرَّجل عن ذلك في عصر آخر(١)، وأتت نتائج بعض بحوث العلم التَّجريبيّ لتعزّز هذا المعتقَد، ثمَّ أتت بعض البحوث الَّتي نقضت ما سبق مظهِرةً نتائج مخالفة. وبالمقابل، فإنَّ القرآن الكريم تناول موضوع جنس الجنين في العديد من الآيات الكريمات، ومن أوضحها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النَّجم: ٤٥- ٤٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩]. واختلف المفسِّرون وأصحاب الأقوال التَّفسيريَّة في معاني هذه الآيات ودلالتها على دور الوالدين في تحديد جنس الجنين على أقوال:

---

(١) خلَّد الشِّعرُ الجاهليُّ اعتقادَ العرب مسؤوليَّة الذُّكور عن تحديد جنس الجنين؛ فقد رُوِيَ أنَّه كان هناك رجل يُقال له: أبو حمزة الضَّبِّيُّ، وضعت له امرأتُه أنثى، فهجر خيمتها، وكان يَبِيْتُ عند جيرانٍ له، فمرَّ يومًا بِخِبَائها وإذا هي تُرقِصُ ابنتها وتقول:

ما لِأَبِي حَمْزَةَ لا يَأْتِينَا ... يَظَلُّ في البَيْتِ الَّذِي يَلِينَا

غَضْبَانَ أَلَّا نَلِدَ البَنِينَا ... تَاللَّهِ ما ذَاكَ في أَيْدِينَا

وَإِنَّمَا نَأْخُذُ ما أُعْطِينَا ... وَنَحْنُ كَالأَرْضِ لِزَارِعِينَا

نُنْبِتُ ما قَدْ زَرَعُوهُ فِينَا.

قيل: فغدا الشَّيخُ حتَّى وَلَجَ البيت فقبَّلَ رأسَ امرأته وابنتها. انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ١٦٥. والأبيات من بحر الرَّجز.

القول الأوَّل:

وجد أصحاب هذا القول أنَّ الآيات الكريمات تشير إلى مشاركة الوالدين في تكوين الجنين سواء أكان ذكرًا أم أنثى، دون أن تحدِّد المسؤولَ منهما عن تحديد جنسه، فالآيات تشير إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ ابتدع خلق الإنسان من المنيّ المشتمل على النُّطف عند اندفاقه وانصبابه في الأرحام، فتكون بعض الأجنَّة من الذُّكور وبعضها من الإناث[١]، أو أنَّ الله تعالى يُقدِّر خَلْق الإنسان من هذا المنيّ، فالإمناء هو التَّقدير وهو الخَلْق أيضًا؛ حيث يُقال: ما تدري ما يَمْنِي لك الماني؛ أي: ما يُقدِّر لك الله[٢]، ويُقال: مَنَى الله الخَلْق؛ أي: خَلَقَهم، فإذا قدَّر الله للنُّطفة أن يُخلَق منها إنسان جعلها مُخلَّقة كما في قوله تعالى: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥][٣]. وفي الآيات إشارة إلى أنَّ لكلا الزَّوجين حظًا من النُّطفة الَّتي منها يُخلَق الإنسان؛ فللذَّكر ماء ونطفة، وللمرأة ماء ونطفة كما ورد في الحديث الصَّحيح، وماء الرَّجل معروف، وأمَّا "ماء المرأة فيخرج مع بويضة دقيقة تتسرَّب مع دم الحيض وتستقرُّ في كيس دقيق، فإذا باشر الذَّكر الأنثى انحدرت تلك البيضة من الأنثى واختلطت مع ماء الذَّكر في قرارة الرَّحم"[٤]، و"البويضة الَّتي هي نطفة المرأة حاصلة في الرَّحم، فإذا أُمنيت عليها نطفة الذَّكر أخذت في التَّخلق إذا لم يَعُقْها عائق"[٥].

المناقشة:

وجد أصحاب هذا القول في الآيات إشارةً إلى مشاركة الوالدَين في تشكيل الجنين بنوعيه؛ من الذُّكور والإناث، ففي فعل (تُمْنَى) إشارةٌ إلى أنَّ النُّطفة تَقْطُر وتُصَبُّ على شيء آخر؛ لأنَّ الصَّبَّ يقتضي مصبوبًا عليه، فيشير إلى أنَّ التَّخلُّق إنَّما يحصل من انصباب النُّطفة على أخرى، فعند اختلاط الماءين يحصل تخلُّق النَّسل، وهو ما يشير إليه التَّقييد بقوله: ﴿إِذَا تُمْنَى﴾[٦]. ثمَّ لم يجدوا في الآيات دلالة على مسؤوليَّة أحد الوالدين عن تحديد جنس الجنين، فتوقَّفوا عند دلالتها ولم يتجاوزوها، وكان لمعرفتهم الدَّقيقة بقواعد تفسير النُّصوص عاصمًا لهم من الشَّطط ومن تحميلِ الآيات الكريمات معانيَ لا تحتملها. وقد أكَّدت نتائج العلم التَّجريبيّ ما ذهب إليه أصحاب هذا القول من الدَّورَ المشتركَ لكلٍّ من الرَّجل والمرأة في تكوين الجنين كما

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٨٣، ٣٧١؛ جوهري، الجواهر، ٢٣/ ٢٣٢، ٢٤/ ٣٠٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٥/ ٧٢، ٢٩/ ١٥٧؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٦٧؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٤٦.

(٢) انظر: ابن قتيبة، غريب القرآن، ص٤٢٩؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٥؛

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٦؛ ٢٩/ ٣٦٧.

(٤) المرجع السابق، ٢٧/ ١٤٦.

(٥) المرجع السابق، ٢٧/ ١٤٧.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٦؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٤/ ٦١٩.

مرَّ.

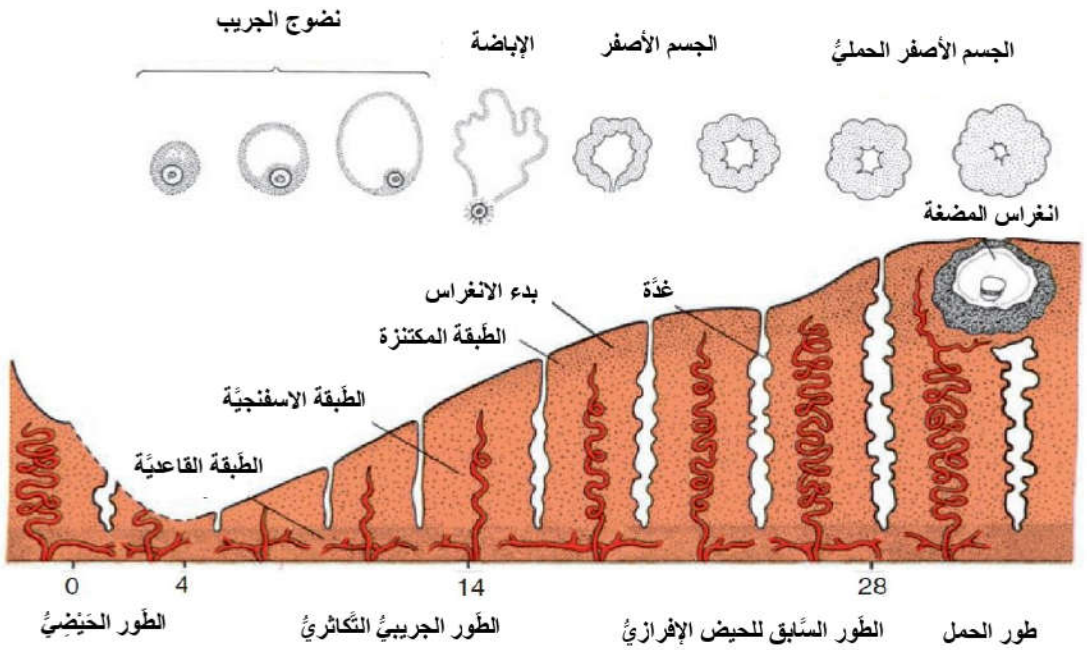
ويمكن أن يُلاحَظ من خلال النَّظر في الآيات أنَّ فيها العديدَ من الإشارات؛ ففي قوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾، إشارة إلى أنَّ خَلْق الإنسان يبدأ بنطفةٍ واحدةٍ؛ لتنكير لفظ النُّطفة، وفي قوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾، وقوله: ﴿نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾، إشارتان؛ الأولى: أنَّ النُّطفة في الآيتين يمكن أن تكون نطفة الرجل أو نطفة المرأة، لأنَّ كلتيهما تُمنَى وتُراق من مصدرها في موضع التقائها بالأخرى، ولا يَصحُّ أن يكون المقصود بها النُّطفة الأمشاج أو اللاقحة؛ لأنَّها تتشكَّل بعد الإمناء وليس قبله. والثَّانية: أنَّه لا بدَّ لتلك النُّطفة وللمنيِّ الَّذي يحتويها ويحملها أنْ يُراق في مكان يسمح بالتقائها بالنُّطفة الأخرى لتشكيل النُّطفة الأمشاج، ويفيد هذا القيدَ قولُه تعالى: ﴿إِذَا تُمْنَى﴾، وقوله: ﴿يُمْنَى﴾.

ومع ريادة بعض أصحاب هذا القول ودقَّتهم في توجيه معاني الآيات اللُّغويَّة واستخلاص دلالاتها، إلَّا أنَّهم عندما تحدَّثوا عن بعض التَّفاصيل العلميَّة الخارجة عن دلالة الآيات وقعوا في بعض الأخطاء الَّتي كان من الأفضل أن يصونوا تفاسيرهم عنها. فقولهم: "إنَّ ماء المرأة يخرج مع بويضة دقيقة تتسرَّب مع دم الحيضِ، وتستقرُّ في كيسٍ دقيق، فإذا باشر الذَّكر الأنثى انحدرت تلك البيضة من الأنثى واختلطت مع ماء الذَّكر"[١] لا يتوافق مع الحقائق العلميَّة الَّتي تؤكِّد أنَّ ماء المرأة لا علاقة له مع دم حيضها البتَّة، لا من حيث المكان ولا من حيث التَّوقيت؛ فماء المرأة المشتمل على البُيَيْضة يتشكَّل في المبيض ويخرج منه في وسط الدَّورة الحيضيَّة (menstrual cycle) في اليوم الرَّابع عشر منها، بينما يتشكَّل دم الحيض من الرَّحم نتيجةً لتَسَمُّك جدرانه استعدادًا لانغراس الجنين في حال حدوث الحمل، ويكون خروجه في الأيام الأولى للدَّورة الحيضيَّة، كما أنَّ إمناء ماء المرأة وحدوث الإباضة هو جزء من دورة حيضيَّة شهريَّة تمرُّ بها المرأة تحدث الإباضة في وسطها بشكل مستقلٍّ تمامًا عن العمليَّة الجِنْسِيَّة أو الجماع، الشَّكل (٥)[٢].

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٦.

(٢) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٤١.



الشَّكل رقم (٥): التَّغيُّرات في بطانة الرَّحم والتَّغيرات المقابلة في المبيض المترافقة مع حدوث الحمل[١].

وأمَّا قولهم: "البويضة الَّتي هي نطفة المرأة حاصلة في الرَّحم، فإذا أُمنيت عليها نطفة الذَّكر أخذت في التَّخلق"[٢]، فكون بُيَيْضة المرأة في الرَّحم، وحدوث الإلقاح فيه، لا يتوافق أيضًا مع الحقائق العلميَّة الَّتي تشير بوضوح إلى أنَّ بُيَيْضة المرأة لا تكون في الرَّحم أبدًا، بل في الثُّلث البعيد عن الرَّحم من القناة النَّاقلة للبيوض بعد أن تُقذَف من المبيض ويتلقَّفُها نفِيْرُ فَالوب (Fallopian tube) الَّذي يشكِّل بداية القناة النَّاقلة للبيوض أو قناة فالوب، وأنَّ على النُّطف المُذكَّرة الَّتي قُذِفت في الرَّحم أن تتكبَّد عناء رحلة طويلة للوصول إلى تلك البُيَيْضة في ذلك المكان البعيد لحدوث الإلقاح، ثمَّ تنتقل اللاقحة إلى الرَّحم لتنغرس فيه ويبدأ الحمل، الشَّكل رقم (٦)، أمَّا إذا لم يحدث الإلقاح فستتنكس الخليَّة البيضيَّة خلال حوالي (٢٤) ساعة[٣]، وهذا يتوافق مع قولهم: "فإذا أُمنيت عليها نطفة الذَّكر أخذت في التَّخلق"[٤].

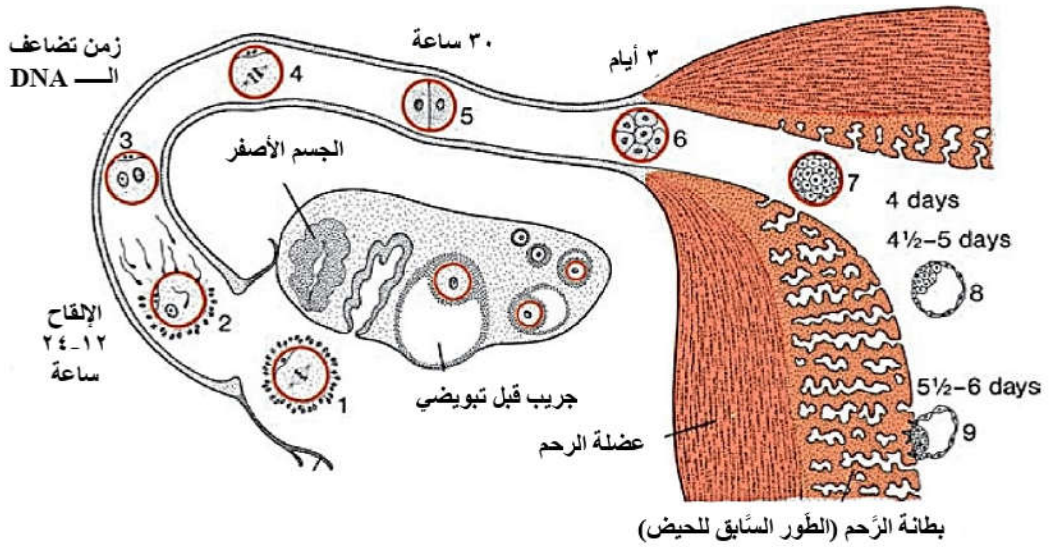
---

(١) Sadler، Langman's medical embryology، ص٤١.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٧.

(٣) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣٥.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٧.



الشَّكل رقم (٦): الإلقاح وأحداث النَّماء خلال الأسبوع الأوَّل[١].

القول الثَّاني:

يرى أصـــحابه أنَّ في الآيات إعجازًا علميًّا، ويقولون: إنَّ القرآن يُخبِرُ بأنَّ المرأة لا علاقة لها بتحديد نوع المولود، وهو بذلك أوَّل كتاب يُحدِّد المســؤولَ من الوالدين عن تحديد نوع الجنين ذكرًا أو أنثى، ويتابعون: لقد كان الاعتقادُ السَّائدُ زمن نزول القرآن أنَّ الأمَّ هي المسؤولةُ عن ذلك، ولكنَّ القرآنَ لم يتأثَّر بذلك الاعتقاد، وهو يتوافق مع ما أثبته العلماءُ حديثًا من كَوْنِ النُّطفة الذَّكريَّة هي الَّتي تحدِّد نوع المولود[٢]، وبيان ذلك أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النَّجم: ٤٥-٤٦]، والنُّطفة هي منيُّ الرَّجل وليس المرأة، وهذا يعني أنَّ الرَّجل -وليس المرأة- هو المسؤول عن تحديد نوع الجنين. كما أنَّ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَـــوَّى ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩] تأكيداً لهذا المعنى، فقد قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ﴾، ولم يقل: (فجعل منها الزَّوجين)، و(منه) تعود إلى الرَّجل ونطفتِه، فهو المســؤول عن تحديد جنس الجنين، وهذا ما لم يكن لأحدٍ علمٌ به زمن النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام[٣]. وقد بنى هؤلاء على ذلك استنتاجات؛ فقالوا: إنَّ اتفاق العلم والدِّين على هذه الحقيقة من رحمة الله بالأنثى، فلو كانت الأنثى هي الَّتي تتحكَّم في

---

(١) Sadler، Langman's medical embryology، ص٤٠.

(٢) انظر: الكحيل، هل أشار القرآن إلى تحديد نوع الجنين؟
http://kaheel7.com/pdetails.php?id=876&ft=36

(٣) انظر: خالد، تحديد نوع الجنين مسؤولية الرجل،
https://www.youtube.com/watch?v=8aBANHKa9E4؛ الكحيل، هل أشار القرآن إلى تحديد نوع الجنين؟ http://kaheel7.com/pdetails.php?id=876&ft=36

نوع الجنين، لربَّما واجهت ضغوطًا اجتماعيَّة كبيرة، قد تصل إلى الإهانة أو التَّعدُّد من أجل إنجاب الذَّكر. وأضافوا: إنَّ حكمة الخالق اقتضت أن يكون الزَّوج هو المسؤول عن تحديد جنس الجنين حفاظًا على الأسرة، وضمانًا لانتظام الحياة الأُسَريَّة والمجتمعيَّة السَّليمة، ولتفادي الآثار السَّلبيَّة لميل الرَّجل في أن تكون له ذرِّيَّة من الذُّكور(١).

المناقشة: يُلاحَظ أنَّ حُجَجَ أصحاب هذا القول قد تعدَّدت وتنوَّعت ما بين حُجَجٍ لُغويَّة وحُجَجٍ علميَّة، ويمكن مناقشة تلك الحُجَج من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السُّؤال الأوَّل: هل حقًّا تدلُّ النُّطفة لغةً وشرعًا على منيِّ الرَّجل دون المرأة؟

النُّطفة لغة: هي في الأصل الماء الصَّافي؛ قلَّ أو كَثُر، أو هي القطرة منه، والواحدة: نطفة، والجمع: نُطَف(٢). وشاع استعمالها في الماء القليل؛ حيث تسمِّية العرب: النُّطفة، يقولون: هذه نطفة عذبة؛ أي: ماء عذب(٣)، ثم كَثُر استعمالها في المنيِّ الَّذي يكون منه الولد حتى صار عند الإطلاق لا يُعرَف بها غيره(٤).

ويُطلِق الشَّرع الحكيم لفظ النُّطفة على الماء الجنسيِّ بصرف النَّظر عن مصدره، فتدلُّ على كلٍّ من ماء الرَّجل وماء المرأة(٥)، فقد أشارت السنَّة الصحيحة إلى أنَّ لكلٍّ من الرَّجل والمرأة ماء يشارك في تشكيل الجنين، ومنها قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا»(٦)، وقوله: «وَأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ»(٧). كما أنَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢] إشارة مُحتملَة إلى اللاقحة، وبالتَّالي: فالنُّطفة المُذَكَّرة (الحيوان المنويُّ)، والنُّطفة المؤنَّثة (البيَيْضة)، والنُّطفة الأمشاج (اللاقحة) كلُّ واحدة منها نطفة.

ومن أبرز أسباب الخطأ الَّذي وقع فيه هذا الفريق في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

---

(١) انظر: خالد، تحديد نوع الجنين مسؤولية الرجل، https://www.youtube.com/watch?v=8aBANHKa9E4

(٢) الفراهيدي، العين، ٧/ ٤٣٧؛ الفيومي، المصباح المنير، ٢/ ٦١١.

(٣) العسكري، الفروق اللغوية، ص٣١١.

(٤) العسكري، الفروق اللغوية، ص٣١١؛ الفراهيدي، العين، ٧/ ٤٣٧.

(٥) الفيومي، المصباح المنير، ٢/ ٦١١.

(٦) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ٤/ ١٣٢، رقم ٣٣٢٩.

(٧) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب بلا، ٥/ ٦٩، رقم ٣٩٣٨.

وَالْأُنْثَى﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ هو تفسير النُّطفة في الآية الكريمة بالمعنى الطِّبِّيّ الشَّائع اليوم لها[١]، وهو النُّطفة المُذَكَّرة أو الحيوان المنويُّ (sperm) دون النُّطفة المؤنَّثة أو البُيَيْضة (ovum)، دون مراعاة المعنى اللغويّ أو معهود العرب في الخطاب، إضافة لعدم مراعاة طريقة الشَّرع الحكيم في إطلاقه للفظ النُّطفة.

والسُّؤال الثَّاني: هل يصحُّ عَوْدُ الضَّمير في (منه) في قوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ﴾ على الرَّجل؟

الأصلُ في ضمير الغائب أن يعودَ على متقدِّم مذكور[٢]، وأن يكون مفسَّرُه مصرَّحًا بلفظه، فإن لم يُذكَر وجب أن يدلَّ عليه السِّياق[٣]. كما أنَّ الأصل أن يعود الضَّمير على أقرب مرجع، ولا يُصرَف إلى غيره إلَّا بدليل[٤]، إضافة إلى أنَّ توحيدَ مراجع الضَّمائر أولى من تفريقها[٥].

ويمكن أن يُلاحَظ من خلال النَّظر في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۞ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٦ – ٣٩]، أنَّ الضَّمير في (منه) يعود إلى الإنسان؛ المتقدِّم لفظه، والمصرَّح به، والحديث في الآيات عن خَلْقِه، والضَّمائر في الأفعال الواردة في الآيات: (يُتْرَكَ، يَكُ، كَانَ) كلُّها تعود عليه، فكذلك الضَّمير في (منه)، وهذا هو ظاهر الآيات لا إشكال فيه، ولا يحتاج إلى تأويل، بل إنَّ تفريقَ مراجع الضَّمائر، وجَعْلَ مرجع الضَّمير في (منه) هو (الرَّجل) غير المذكور في الآيات، هو ليٌّ لأعناق الآيات للوصول إلى معنى مُحَدَّدٍ مُسبَقًا، وفيه تهافتٌ لا يليق بالنَّظم القرآنيّ.

والسُّؤال الثَّالث: هل يتوافق هذا التَّفسير مع ما ورد في السُّنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة؟

من القواعد الَّتي أجمع عليها المسلمون أنَّه لا يجوز تفسير القرآن بما يتعارض مع السُّنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة، فكلاهما وحيٌ من عند الله، بل إنَّ السُّنَّة قاضية على الكتاب؛ أي: إنَّها مبيِّنة للكتاب ومنبِّئة عمَّا فيه[٦]. وقد أشار القرآن الكريم إلى أنَّ في السُّنَّة النَّبويَّة بيانًا لما ورد فيه، فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النَّحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النَّحل: ٦٤]، ولا يجوز تعارض المبيِّن مع المبيَّن. وقد ورد عنه صلَّى الله عليه وسلَّم قولُه: «مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا

---

(١) الخياط، المعجم الطبي الموحد، ص١٤١٠.

(٢) أبو حيان، التذييل والتكميل، ٢/ ٢٥٢؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ١٢٤.

(٣) أبو حيان، التذييل والتكميل، ٢/ ٢٥٢.

(٤) أبو حيان، التذييل والتكميل، ٢/ ٢٥٢؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ١٢٤.

(٥) أبو حيان، البحر المحيط، ٨/ ٥٠٥.

(٦) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص٢٨٧.

مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ»[١]، فالحديث يشير بشكلٍ صريحٍ إلى دورٍ ما لكلٍّ من الرَّجل والمرأة في تحديد جنس الجنين، وبذلك فإنَّ تفسير الآيات بحصر مسؤوليَّة تحديد جنس الجنين بالرَّجل هو تفسير مردود لأنَّه يتعارض مع ما ورد في السُّنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة.

والسُّؤال الرَّابع: هل حقًّا أثبتَ العلمُ التَّجريبيُّ أنَّ النُّطفة الذَّكريَّة هي المسؤول الوحيد عن تحديد جنس الجنين؟

تتكوَّن الصِّيغة الصِّبْغِيَّة عند البشر من ستَّة وأربعين صبغيًا تتوزَّع على شكل أزواجٍ عددها ثلاثة وعشرون زوجًا، اثنان وعشرون منها هي صِبْغِيَّات جَسَدِيَّة تحمل صفاتِ الجنينِ الموروثة كافَّةً، بينما يتكوَّن الزَّوج الثَّالث والعشرون من الصِبْغِيَّات الجِنْسِيَّة، وهو الَّذي يحدِّد جنسَ الفردِ الصِّبغيّ. ويتكوَّن زوج الصِبْغِيَّات الجِنْسِيَّة عند الإناث من صِبْغِيَّيْن متماثلين (XX)، بينما يتكوَّن عند الذُّكور من صِبْغِيَّيْن متباينين (XY). وتنقسم الخلايا الجذعيَّة المسؤولة عن إنتاج النُّطف والبُيَيْضات انقسامًا منصِّفًا، وهذا يعني أنَّ صِبْغِيَّاتها السِّتَّة والأربعين سوف تتوزَّع على خليَّتين بِنْتَيْن تحمل كلٌّ منهما ثلاثة وعشرين صِبْغِيًّا فقط. وبما أنَّ الصِبْغِيَّات الجِنْسِيَّة عند الإناث تكون متماثلة، فالانقسام سيُؤَدِّي إلى إنتاج بُيَيْضات متماثلة تحمل كلٌّ منها الصِّيغة الصِّبْغِيَّة (٢٢+ X)، بينما يُؤَدِّي الانقسام المُنَصِّف عند الذُّكور إلى إنتاج نطف تحمل الصِّيغة الصِّبْغِيَّة (٢٢+ Y)، وأخرى تحمل الصِّيغة الصِّبْغِيَّة (٢٢+ X)[٢].

ويحدث عند الإلقاح اندماج النُّطفة الذَّكريَّة بالبُيَيْضة الأُنثويَّة وتشكيل اللاقحة (النُّطفة الأمشاج)، وبهذا تتمُّ استعادة العدد المُضاعَف للصِبْغِيَّات؛ بحيث يكون نصفها من الأب ونصفها من الأمّ، لذلك تحتوي اللاقحة خليطًا جديدًا من الصِبْغِيَّات يختلف عن كلا الأبوين. كما يتحدَّد الجنسُ الصِّبْغيُّ للفرد الجديد اعتمادًا على الصِّيغة الصِّبْغِيَّة للنُّطف الذَّكريَّة؛ فالنُّطفة الذَّكريَّة الَّتي تحمل الصِّبْغيَّ (X) تُنتِج جنينًا أنثى (XX)، بينما تُنتِج النُّطفة الذَّكريَّة الَّتي تحمل الصِّبْغيَّ (Y) جنينًا ذكرًا (XY)؛ في حين تكون جميع البُيَيْضات الأُنثويَّة متماثلة وتحمل الصِّيغة الصِّبْغِيَّة ذاتها (X)[٣]، وهكذا نجد أنَّ العلمَ التَّجريبيَّ يؤكِّد بشكل قطعيٍّ أنَّ النُّطفة الذَّكريَّة هي المسؤولة عن تحديد جنس الجنين اعتمادًا على نوع الصِّبْغيِّ الجنسيِّ الَّذي تحمله.

ولكن على الرغم من أنَّ جنس الجنين يعتمد على نوع الصِّبْغيِّ الذَّكريِّ الَّذي تحمله النُّطفة المُذَكَّرة الَّتي قامت بالتَّخصيب، إلَّا أنَّ الأبحاث العلميَّة أكَّدت وجود دور مهمٍّ تلعبُه الأنثى في تحديد جنس جنينها

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة منيّ الرَّجل، والمرأة وأنَّ الولد مخلوق من مائِهما، ١/ ٢٥٢، رقم ٣١٥.

(٢) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص١٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٧.

عن طريق مشاركتها في تسهيل الإلقاح والتَّعشيش، وفي تحديد نوع النُّطفة الـمُذَكَّرة الَّتي ستنجح بالإلقاح، من خلال عوامل عديدة من أهمِّها: تأثير درجة حموضة (PH) المهبل[١]، إضافة إلى بعض العوامل الأخرى؛ كالاستجابات المناعيَّة ووجود أضدادٍ للنُّطف (Y)[٢]، وتأثير نوع البُيَيْضة في تحديد نوع النُّطفة الَّتي يمكنها إلقاحها[٣]، وكوجود مستقبلات بطانة الرَّحم المُبَرْمَجَةِ لاستقبال نوعٍ محدَّدٍ من النُّطف[٤].

ويختلف نشاط ومعدَّلات حركة الحيوانات المَنَوِيَّة (X) أو (Y) بحسب درجة حموضة (PH) الوسط الَّذي تسبح فيه، فقد أظهرتْ بعض الدِّراسات تأثيرات مختلفة لدرجة الحموضة على حركة نَوْعَي الحيوانات المَنَوِيَّة، وقابليتها للحياة، وقدرتها التَّلقيحيَّة؛ حيث تتفوَّق النُّطف (Y) على النُّطف (X) في الأوساط القَلَوِيَّة، بينما تتفوَّق النُّطف (X) على النُّطف (Y) في الأوساط الحمضيَّة[٥]، ونظرًا لتغيُّر درجة حموضة السَّوائل الأُنثويَّة خلال الدَّورة الشَّهريَّة، وبسبب بعض الظُّروف الأخرى، يشير العلماء إلى أنَّه يمكن تحديدُ مواعيدَ وشروطٍ معيَّنةٍ للجماع لاختيار جنس الجنين قبل الحمل، حيث تُؤمِّن الإفرازاتُ المهبليَّةُ القَلَوِيَّةُ النَّاتجةُ عن الرَّعشةِ الجِنْسِيَّةِ، وحدوثُ الإباضةِ الَّتي تترافقُ مع زيادةِ قَلَوِيَّةِ إفرازاتِ عنقِ الرَّحمِ، وقذفُ الحيواناتِ المَنَوِيَّةِ في مُخاط عُنُقِ الرَّحمِ القَلَوِيِّ، الظروفَ الفيزيولوجيَّة المُثلى للحيوانات المَنَوِيَّة (Y) لأن تتفوَّق على الحيوانات المَنَوِيَّة (X)، وبالتَّالي زيادة احتمال حدوث الذُّرِّيَّة الذُّكوريَّة، بينما ينتج عن نقص النَّشوة الجِنْسِيَّة الأُنثويَّة، وقذف السَّائل المنويِّ في الإفراز المهبليِّ الحمضيِّ عن طريق الاختراق الضَّحل،

---

(١) انظر: Shettles، Factors influencing sex ratios، ص٦٤٣.

(٢) انظر: Wigby وزملاؤه، Sperm success and immunity، ص٢٨٧.

(٣) تشير بعض الدِّراسات إلى أنَّه يمكن التَّمييز بين نوعين من الصِّبْغِيِّ (X) بناءً على وجود جسيمات بار (Barr)؛ وهي جُسيمات دقيقة شديدة التَّصبُّغ، توجد في أنوية الخلايا المؤنَّثة فقط، ويمكن من خلالها التَّفريقُ بين الخلايا المُذَكَّرة والمؤنَّثة وتحديدُ جنس الفرد الصِّبْغِيِّ. حيث يكون أحدُ الصِبْغِيَّيْنِ (X) الموجودَين في الخلايا الأُنثويَّة، والصِّبْغِيُّ (X) الموجود في الخلايا الذَّكريَّة متشابهين؛ كونهما يفتقران إلى جُسَيْم (Barr)، ويُرْمَزُ لهما باسم (X)، ويُسمَّيان بصِبْغِيَّات الأجداد (ancestral chromosomes)، بينما يكون الصِّبْغِيُّ (X) الثَّاني في الخلايا الأُنثويَّة مختلفًا لاحتوائه على جُسَيْم (Barr)، ويرمز له باسم (x̄)، ويُسمَّى مع الصِّبْغِيِّ (Y) الموجود في الخلايا الذَّكريَّة بالصِبْغِيَّات الأبويَّة (parental chromosomes). وتقول هذه الدِّراسات: إنَّه لا يمكن أن تندمج البُيَيْضة الحاوية على الصِّبْغِيِّ (X) إلَّا مع الحيوان المنويِّ الحاوي على الصِّبْغِيِّ (Y)، كما لا يمكن أن تندمج البُيَيْضة الحاوية على الصِّبْغِيِّ (x̄) إلَّا مع الحيوان المنويِّ الحاوي على الصِّبْغِيِّ (X). انظر: Shetty، Inheritance of chromosomes، ص١٦.

(٤) انظر: Ajdary وزملاؤه، Interaction of sperm with endometrium can regulate genes involved in endometrial receptivity pathway in mice، ص٨١٥.

(٥) انظر: Chen وزملاؤه، Semen pH effects sperm motility and capacitation by influencing Na/K-ATPase activity and Ca concentration in spermoplasm، رقم ١٨٥؛ Zhou وزملاؤه، The semen pH affects sperm motility and capacitation، رقم ٧.

وإفرازات عنق الرَّحم الَّتي تكون حمضيَّة في اليومين السَّابقين للإباضة إعاقةٌ لحركة النُّطف بنوعيها، وبخاصة تلك الَّتي تحمل الصِّبْغِّي (Y)، ما يجعلُ ظروفَ الحملِ أكثر صعوبةً، وعند حدوثه يكون احتمالُ أن يكون النَّسل أنثويًّا أكبر(١).

المطلب الثَّاني: توقيت تحديد جنس الجنين:

أشـــار القرآن الكريم إلى توقيت تحديد جنس الجنين في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النَّجم: ٤٥، ٤٦]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: ١١]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَـــوَّى﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٧ – ٣٩]. وتشـــير الآيات إلى زمنين مختلفين لتحديد جنس الجنين؛ أمَّا أوَّلُهما: فهو عند إمناء النُّطفة مباشـــرة، وأمَّا الثَّاني: فهو بعد مرحلة العلقة، وفيما يأتي بيان لتلك الإشارات القرآنيَّة.

الفرع الأوَّل: خَلْقُ الذَّكر والأنثى من النُّطفة:

تنبَّه المفسِّـــرون إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ من إشارة إلى إبداع إنشاء الذَّكر والأنثى من المنيّ الحامل للنُّطف والَّذي يُدفَق في الرَّحم أو يُصبُّ فيه(٢)، وإلى أنَّ (إذا) في الآيات تُشير إلى سرعة الخلق عند دَفْق النُّطفة في رحم المرأة؛ فإنَّه عند التقاء النُّطفتين يبدأ تَخَلُّق النَّسل(٣)، ويكون الذَّكر والأنثى من الماء الواحد حسب تدبير الله سبحانه وتقديره(٤).

المناقشـــة: وجد المفسِّـــرون في اســـتعمال (إذا) الظَّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿إِذَا تُمْنَى﴾ إشـــارةً إلى تحديد جنس الجنين –إن كـان ذكرًا أو أنثى– عنـد التقـاء نطفتي الأب والأمّ، فهـل تـدلُّ (إذا) على هـذا المعنى؟ الأصـل في (إذا) أن تكون ظرفًا للمسـتقبل متضـمِّنة معنى الشَّـرط غالبًا، وتُضـاف إلى جملة مصـدَّرة بفعل ظاهر أو مقدَّر قبل اسم يليه فعل(٥). وقد تخرج عن الاستقبال إلى الحال بعد القسم، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَـــى﴾ [الليل: ١]؛ لأنَّها ظرف لفعل القَسَـــمِ وهو إنشـــاء، لا إخبار عن قســـم يأتي. أو تخرج عن الشَّـــرطيَّة فتكون بمعنى (حِيْنَ)، ويدلُّ على ذلك عدم اقتران جوابها بالفاء عند تحقُّقِ شـــروط الاقتران، كأن يكون جوابها جملة اسميَّة مثلًا غير مقترِنَة بالفاء، فيدلُّ هذا على خروجها عن الشَّـرطيَّة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) انظر: Shettles، Factors influencing sex ratios، ص٦٤٣.

(٢) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٨٣؛ جوهري، الجواهر، ٢٣/ ٢٣٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٥/ ٧٢.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٦.

(٤) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٤/ ٦١٩.

(٥) انظر: السيوطي، همع الهوامع، ٢/ ١٧٨.

مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]؛ أي: حين يغضبون يغفرون، كما تخرج عن الشرطيَّة بعد القسم، ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، ولو كانت (إذا) شرطيَّة كان ما قبلها جوابًا في المعنى، ويكون التَّقدير: إذا يغشى الليل أقسمت، وهذا ممتنع. أمَّا إن دلَّت على الفجأة فتكون إذا الفجائيَّة الَّتي لا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، وهي تختصُّ بالدُّخول على الجملة الاسميَّة[١]. وبالنَّظر في قوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى﴾، يُلاحَظ أنَّ أياً من الشُّروط السَّابقة لم يتحقَّق في هذه الآية، وبذلك، فإنَّ (إذا) فيها لم تخرج فيها عن الاستقبال إلى الحال، ولم تخرج عن الشَّرطيَّة فتصبح بمعنى (حين)، كما لا يصحُّ اعتبارها (إذا) الفجائيَّة؛ لأنَّها تختصُّ بالدُّخول على الجملة الإسميَّة كما مرَّ. وبناء على ما سبق، تبقى (إذا) في الآية على أصلها: ظرفًا للمستقبَل متضمِّنًا معنى الشَّرط[٢].

ومع كلِّ ما سبق، فإنَّ الآية الكريمة تدلُّ حقًّا على سرعة بدء تخلُّق الزَّوجين بعد إمناء النُّطفة كما ذهب المفسِّرون، وبيان ذلك أنَّ (إذا) تُستعمَل في الشَّرط المتحقِّق وقوعه ولِمَا كَثُر وقوعه[٣]، ولذا فإنَّ فعل الشَّرط بعدها غالبًا ما يكون فعلًا ماضيًا، فاذا جاء فعلًا مضارعًا فلا بدَّ من أن يكون ورودُهُ بهذه الصِّيغة لدلالةٍ معيَّنةٍ، وقد ظهر من خلال استقراء مواضع ورود فعلها مضارعًا وجوابه ماضيًا في القرآن الكريم أنَّ ذلك يشير إلى أنَّ جواب الشَّرط يتحقَّق فور بدء حدوث فعل الشَّرط، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ [لقمان: ٧]، تدلُّ الأفعال في الآية على أنَّ الكافر يولِّي مستكبِرًا من أوَّل آية يسمعها لشدَّة كفره، أمَّا قولُه: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ [القصص: ٥٣]، ففيه بيانٌ لحالِ المؤمنين الَّذين يقولون قولَتهم تلك من أوَّل آية تُتلى عليهم لشدَّة إيمانهم[٤]. فإذا نظرنا في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ نجد أنَّ فعل الشَّرط جاء مضارعًا، وأن جواب الشَّرط محذوف لوجود ما يدلُّ عليه، وهو الفعل الماضي (خلق) المتقدِّم؛ والتَّقدير: (إذا تُمنى النُّطفة خلق الزَّوجين؛ الذَّكر والأنثى، منها)، وفي هذا إشارة إلى أنَّ خَلْقَ الذَّكر والأنثى يتحقَّق مع بدء إمناء النُّطفة وحدوث الإلقاح.

الفرع الثَّاني: تكوين الذَّكر والأنثى بعد الخَلْقِ والتَّسوية:

اتخذ المفسِّرون مواقفَ متباينة من ترتيب توقيت تحديد جنس الجنين في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞

(١) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ٩١- ١٠٣.

(٢) انظر: السيوطي، همع الهوامع، ٢/ ١٧٨.

(٣) انظر: سيبويه، الكتاب، ٣/ ٦٠.

(٤) انظر: زيدان، (إذا) في القرآن الكريم، ص١٣٧.

فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، كما يأتي:

الموقف الأوَّل:

تفسير الآيات كما وردت، دون تعقيبٍ على أثر أدوات العطف فيها؛ فلم يشيروا إلى أثر العطف بـ (ثمَّ) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾، ووجدوا فيه إشارةً إلى تنويع خلق الإنسان ذكورًا وإناثًا لطفًا من الله ورحمة منه[١]، كما رأوا أنَّ في الآية تنبيهًا إلى جَعْل صِنْفَي الذُّكور والإناث بِقَدَرٍ معلومٍ بحيث يكاد الفريقان يستويان عددًا، ولو لم يكن كذلك لَفَنِيَ الإنسان والحيوان؛ إذ إنَّ حِفْظَ النَّوع لا يتمُّ إلَّا بتلك المساواة على وجه التَّقريب، ولا تكون المساواة إلَّا بتدبير وعلم[٢]. كما لم يعلِّقوا على أثر العطف بالفاء في قوله: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ واكتفوا بالقول: إنَّ الإنسان خُلِق من ماء ثمَّ كان قطعة دمٍ جامدٍ، فقدَّر الله أعضاءه وسوَّاها لأعمالها وعَدَلَهَا، فجعل بعضَه من صنف الذُّكور وبعضَه من صنف الإناث لبقاء نوعه، وليُعَمِّرَ الدنيا إلى الأجل الَّذي كتبه وقدَّره[٣].

المناقشة:

يُلاحظ من خلال النَّظر في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، أنَّ فيهما إشارة إلى أنَّ تحديد جنس الجنين يحدث في مرحلة لاحقة للنُّطفة الأمشاج وليس فور تشكُّلها؛ فالعطف يدلُّ على المشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، فإذا كان العطف بالفاء دلَّ على التَّرتيب والتَّعقيب، وإذا كان بـ (ثمَّ) دلَّ على التَّرتيب مع التَّراخي[٤]. وقد لا يتبيَّن للنَّاظر في الآيات -مع معرفته بمعاني حروف العطف- الحكمةَ من استخدامها في هذا السِّياق، أو أسرار الفرق بينها وبين آيَتَي سورة (النَّجم) السَّابقتين، فيمرُّ عليها كما وردت، ويجدُ في وجوه الحكمة الكثيرة الأخرى غِنىً عن البحث في دلالة حروف العطف، كما فعل أصحاب هذا الموقف.

الموقف الثَّاني:

نبَّه أصحابه إلى أثر العطف بالفاء و(ثمَّ) ودلالتهما على التَّرتيب، غير أنَّهم بعد أن بيَّنوا أثر استعمال بعض تلك الحروف أعرضوا عن بعضها الآخر، بل عَدَلُوا بها عن وظيفتها، ففسَّروا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ١٦٢؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١١/ ٨٦٠.

(٢) انظر: جوهري، الجواهر ١٧/ ١٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٢/ ١١٣.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٣٧١؛ جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣٠٢.

(٤) انظر: ابن هشام، أوضح المسالك، ٣/ ٣٢٠- ٣٢٦.

نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ بقولهم: "ثمَّ من نطفة وقد جعلكم أزواجًا لتركيب تلك النُّطفة"(١).

المناقشة: بيَّن هذا الفريق أنَّ العطف بـ (ثمَّ) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يدلُّ على التَّرتيب الرُّتبيّ، فَخَلْقُ البشر الأوَّل كان من التُّراب، ثمَّ جاء خلق النَّسل من النُّطفة. غير أنَّهم بعد ذلك فسَّروا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ بقولهم: "ثمَّ من نطفة، وقد جعلكم أزواجًا لتركيب تلك النُّطفة"(٢)، فلم يبيّنوا الغرض من العطف بـ (ثمَّ) هنا، بل أَتَوا بمعنى يخالف ظاهر الآيات؛ إذ جعلوا (أزواجًا) تعود على الوالدين اللذين منهما النُّطفة، وليس على النَّسل النَّاتج عنها. وبالنظر في الآيات، نجد أنَّها تتحدَّث عن مراحل الخلق والتَّكوين، وجميعُ تلك المراحل المذكورة فيها -من التُّراب إلى النُّطفة إلى العلقة إلى التَّسوية- مرتَّبة ترتيبًا زمنيًا، وهذا يرجِّح أنَّ هذا التَّرتيبَ يمتدُّ إلى تحديد جنس الجنين أيضًا، فيكون جَعْلُ وتكوينُ الزَّوجين في الآيات تاليًا للخلق والتَّسوية، وناتجًا عن مرور النُّطفة بمراحل النَّماء المتعاقبة، وليس سببًا لوجودها.

الموقف الثَّالث:

تنبَّه أصحابه إلى دلالة (الفاء) و(ثمَّ) على التَّرتيب، ورأَوا أنَّ العطف بهما يدلُّ على ترتيب الأحداث؛ فالنُّطفة أوَّلًا، ثمَّ العلقة، فتسوية الجسد وجَعْلُه بشرًا سويًا من عَظْمٍ ولحمٍ، فجَعْل الذَّكر والأنثى من هذا الخلق السَّويّ(٣).

المناقشة: أشار هذا الفريق إلى دلالة (الفاء) و(ثمَّ) على التَّرتيب، فقالوا: إنَّ تمايز الجنسين يكون بعد العلقة وبعد التَّسوية، وأنَّ هذا يعني أنَّ خَلْقَ المرأة والرَّجل يجري على نَسَقٍ واحدٍ، ويقعُ على صورةٍ واحدةٍ، حتَّى إذا اكتمل خَلْق الإنسان، انقسم إلى مخلوقين؛ أحدهما ذكر والآخر أنثى، وبالرجل والمرأة يتمُّ للإنسان وجودُه(٤)، وهذا القول يتوافق مع ظاهر الآيات الكريمات.

ولكن: متى يتحدَّد جنس الجنين؟ وكيف يكون التَّوفيق بين آيتي سورة (النَّجم) من جهة، وآيات سورتي (فاطر) و(القيامة) من جهة أخرى؟

أشار القرآن الكريم إلى توقيت تحديد جنس الجنين في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النَّجم: ٤٥، ٤٦]، وفي الآيات إشارةٌ إلى أنَّ خَلْقَ الجنين وتحديد جنسه

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٩/ ١٥٧؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٦٨؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٤٦.

(٤) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٤٧.

يحدث بشكل تالٍ لتشكُّل النُّطفة الأمشاج كما في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]، كما أشار القرآن الكريم إلى توقيت تحديد جنس الجنين أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: ١١]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٧ - ٣٩]، وفي هذه الآيات الكريمات إشارة إلى أنَّ جَعْل وتكوين الذُّكور والإناث يحدث في مرحلة تالية للنُّطفة الأمشاج وليس عند إمناء النُّطفة. فهل يكون تحديد الجنس في مرحلة النُّطفة كما في آيتي سورة (النَّجم)؟ أم في مراحل تالية كما تشير آيات سورتي (فاطر والقيامة)؟

يتحدَّد الجنسُ الصِّبْغِيُّ للجنين وراثيًّا عند الإخصاب، وذلك وفقًا لنوع الصِّبْغِيَّات (X أو Y) الَّتي تحملها نطفة الذَّكر، وأمَّا التَّمايز العضويُّ للجنسين فيحدث في مراحلَ لاحقةٍ مع تشكُّل الأعضاء التَّناسليَّة[١]. وتبدأ الغُددُ التَّناسليَّة في التَّشكُّل خلال الأسبوع الخامس على شكل ثخانات في الظِّهارة المتوسِّطة، وعلى الجانب الأنسيِّ من الكِلية المتوسِّطة تحديدًا، ثمَّ تنمو هذه الثَّخاناتُ الظِّهاريَّة على هيئة استطالات إصبعيَّة تمتدُّ نحو النَّسيجِ الـمِيزَانْشِيمِيِّ الواقع أسفلها، ممَّا يؤدِّي إلى تكوُّن الغدد التَّناسليَّة غير المتمايزة، والَّتي تتألَّف من حبال قشريَّة خارجيَّة وحبال لُبيَّة داخليَّة[٢]. وتَظْهَر هذه الغدد في البداية على شكل زوج من الحواف الطُّولانيَّة، وتُعرف باسم الحواف التَّناسليَّة (gonadal ridges)، وتكون متطابقة لدى الجنينين؛ الذَّكر والأنثى، ويُطلَق على الغدد التَّناسليَّة في هذه المرحلة اسم الغدد التَّناسليَّة المحايدة (indifferent gonad)، وهي لا تحتوي بعدُ على الخلايا الجِنْسِيَّة (germ cells). أمَّا الخلايا الجِنْسِيَّة البدئيَّة (primordial germ cells)، فتظهر أوَّلًا خلال الأسبوع الثَّاني من النَّماء بين خلايا الأديم الباطن في جدار الكيس الـمُحِّيِّ (yolk sac)، بالقرب من السِّقَاء (allantois). وتبدأ هذه الخلايا بعد ذلك بالهجرة بحركة أَمِيبِيَّة (ameboid movement) لتصل إلى الغدد التَّناسليَّة في بداية الأسبوع الخامس، ثمَّ تخترقُ الحوافَ التَّناسليَّة، الَّتي تظهر فيها هذه الخلايا الجِنْسِيَّة بحلول الأسبوع السَّادس بعد الإخصاب. وتندمج هذه الخلايا مع حبال الغدد التَّناسليَّة، وتتمايز لاحقًا إلى بُيَيْضات (oocytes) أو حيوانات مَنَوِيَّة (sperms). فإذا فشلت الخلايا الجِنْسِيَّة البدئيَّة في الوصول إلى الغدد التَّناسليَّة المحايدة، فإنَّ هذه الغدد لا تنمو، وتبقى غير متمايزة، أو قد تغيب تمامًا، وهذا يوضِّح التَّأثيرَ التَّحريضيَّ لهذه الخلايا الجِنْسِيَّة البدئيَّة في تحفيز نموِّ الغدد التَّناسليَّة وتمايزها إلى مَبِيْضٍ (ovary) أو خِصْيَةٍ (testis)[٣]. ولا

---

(١) Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٤٣.

(٢) Moore وزملاؤه، The developing human، ص١٧٤.

(٣) Beckmann وزملاؤه، Obstetrics and Gynecology، ص٣١؛ Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٤٣؛ Moore وزملاؤه، The developing human، ص١٧٥.

تكتسب الغدد التّناسليّة أيًّا من الميّزات الشّكليّةِ الذّكريّةِ أو الأنثويّةِ قبل الأسبوعِ السّابعِ من النمّاءِ[١]، لذا يستحيلُ قبل ذلك التّمييزُ بين كونها خِصْيَةً أو مَبِيْضًا، وبالتّالي: استحالةُ تمييزِ الغددِ التّناسليّةِ أذكريّةٌ هي أم أنثويّةٌ[٢].

وتُعَدُّ عمليّة التّمايز الجنسيّ عمليّة معقّدة تتطلّب تَدَخُّلَ العديد من الجِيْنَات بما في ذلك بعض الجِيْنَات المرتبطة ببعض الصِبْغِيَّات الجسديّة، ويُعَدُّ جِيْنُ المنطقة المحدِّدَة للجنس على الصّبْغيّ واي (Sex-determining region on Y (SRY)) العاملَ الأهمَّ في هذا التّمايز، حيث يُشَفِّر هذا الجِينُ بروتين المنطقة (Y) المحدِّدَة للجنس، والّذي يُسمَّى أيضًا بالعامل المحدِّد للخصيَة (Testis-Determining Factor (TDF))، ويبتدئُ هذا البروتين شلالًا من النَّشاط الجينيّ الّذي يحدِّدُ مصيرَ الأعضاء التّناسليّة الأوليّة، ويحدثُ النّماء الذّكريُّ تحت تأثير هذا الجينِ والبروتينِ المتولّدِ عنه، ويحدث النّماءُ الأنثويُّ في حال غيابه[٣]، فإذا كان الجنين ذكرًا من النّاحية الوِراثيّة، فَسَتَحْمِلُ الخلايا الجِنْسِيَّة البدائية –الّتي تهاجر من جدار الكيسِ المُحّيّ إلى الحواف التّناسليّة الّتي ستُكوّن الغُددَ التّناسليّة فيما بعد– المعقّدَ الجينيَّ الجنسيَّ (XY)، وتحت تأثير الجينِ (SRY) الموجود على الذّراع القصير للصبغيّ (Y)، والعامل المحدِّدِ للخصيَةِ النّاتجِ عنه، سَتَتَنَامى الحبال اللُّبِّيَّةُ الدّاخليّةُ في الغدد التّناسليّة إلى حبال خُصْيَوِيَّةٍ، وتفشل الحبال القشريّة الخارجيّة في التّنامي، مؤدّية في النهاية إلى تشكيل الخصيَةِ. وبالمقابل، في الأجنّة الإناث ذوات المركب الصّبْغِيّ (XX)، وفي ظلّ غياب الصّبْغِيّ (Y)، وبالتّالي غياب الجين (SRY)، سوف تَتَنَكَّسُ الحبال اللُّبِّيَّةُ الدّاخليّةُ، وتتنامى الحبال القِشريّة الخارجيّة، مؤدّيَة في النّهاية إلى تشكيل المَبِيْضِ[٤]. وتعود جميع الاختلافات البيولوجيّة بين الجنسين إلى عدم التّماثل في آثار الصِبْغِيّات الجِنْسِيّة،

---

(١) في بداية الأسبوع السّابع يكون قد مرَّ على التّخصيبِ وتَكَوُّنِ اللاقحة اثنان وأربعون يومًا، ومن المفيد هنا الإشارةَ إلى التّطابقِ الدّقيقِ بين هذه الحقيقة العلميّة وقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الصّحيح: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ». صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفيّة خلق الآدميّ في بطن أمّه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ٤/ ٢٠٣٧، رقم ٢٦٤٥.

(٢) Beckmann وزملاؤه، Obstetrics and gynecology، ص٣١؛ Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٤٦؛ Moore وزملاؤه، The developing human، ص١٧٥.

(٣) Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٤٦.

(٤) Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٤٦؛ Moore وزملاؤه، The developing human، ص١٧٥.

وهي العوامل الوحيدة الَّتي تختلف بين اللاقحاتِ الحاملة للصِبْغِيَّات (XX) وتلك الحاملة للصِبْغِيَّات (XY)، ويُؤَدِّي هذا التَّفاوت إلى ظهور تأثير الصِّبْغِيِّ (Y) الخاصِّ بالذُّكور، بما في ذلك التَّعبير عن الجينِ (SRY) الَّذي يسبِّبُ تَمَايُزَ الخصيتين، وهكذا يُؤَدِّي هذا الجينُ إلى إحداث اختلافاتٍ جنسيَّةٍ مدى الحياة من خلال تأثيراته في هرمونات الغُدَدِ التَّناسليَّة، إضافة إلى عمل الجيناتِ المحمولة على الصِّبْغِيِّ (Y) خارج الغُدَدِ التَّناسليَّة مسبِّبَةً ظهور الصِّفات الخاصَّة بالذُّكور[١].

ويمكن من خلال إمعان النَّظر في الآيات الكريمات ملاحظةُ أنَّ القرآنَ الكريمَ استخدم الفعلَ (خَلَقَ) عندما أشار إلى تحديد جنس الجنين في مرحلة النُّطفة، بينما استخدم الفعلَ (جَعَلَ) عندما أشار إلى تحديد جنس الجنين في المراحل التَّالية. والخَلْقُ في الأصل: التَّقدير، ويُستعمَل للتَّعبير عن إبداع الشَّيءِ من غير أصلٍ ولا نموذجٍ سابقٍ، وأمَّا الجَعْلُ: فالأصل فيه أنَّه يُستخدَم في التَّعبير عن إيجادِ شيءٍ من شيءٍ، وتكوينِهِ منه بعد أن كان، أو في تَصْيِيرِ الشَّيءِ على حالةٍ معيَّنةٍ[٢]، فالخَلْقُ: هو إيجاد المخلوق على الصُّورة الَّتي أرادها الله سبحانه وتعالى له، وأمَّا الجَعْلُ: فهو إعطاء المخلوقِ الصِّفةَ الوظيفيَّةَ الَّتي يقوم بها؛ أي: إنَّ الخَلْقَ إبداعٌ، والجَعْلَ تسخيرٌ وتسييرٌ[٣].

وهنا لَطِيْفَةٌ تجدر الإشارة إليها، وهي أنَّه بالعودة إلى الآيات الكريمات نجدُ أنَّ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ يتحدَّث عن بداية خلق الإنسان وتقديره في مرحلة النُّطفة، فكان المناسبُ استعمالَ الفعلِ (خَلَقَ) الدَّالِّ على الإيجادِ، وكان المناسبُ هنا ذِكْر ما يرافقُ هذا الإيجادَ من تحديدِ جنسِهِ الصِّبْغِيِّ الَّذي يتحدَّدُ مع تكوين النُّطفة الأمشاجِ الَّتي يُخلَق منها. وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، فالكلام في هذه الآيات كما هو بَيِّنٌ عن مرحلة من مراحل النَّماء يمرُّ بها الجنين، بعد أن مرَّ بمرحلة النُّطفةِ ثمَّ العلقةِ وصولًا إلى التَّسويَةِ، ثمَّ جَعْلِهِ ذكرًا أو أنثى، فكان المناسبُ هنا استعمالَ الفعل (جَعَلَ) الَّذي يدلُّ على التَّصييرِ وإعطاء الصِّفَةِ الوظيفيَّةِ لهذا الجنين الَّذي كان موجودًا سابقًا، فَتَتَمَايزُ أعضاؤه الجِنْسِيَّةُ، ويتحدَّدُ جنسُهُ العُضْوِيُّ.

وتشكِّل المعطياتُ السَّابقةُ مثالًا واضحًا على تسخيرِ نتائجِ العلمِ التَّجريبيِّ في تفسير القرآن الكريم، ويُظْهِرُ تمايزُ الأفعال في الآيات مثالًا جديدًا على دِقَّةِ التَّعبيرِ القرآنيِّ وإعجازه البيانيِّ، ما كان ليُدرَك لولا الجمعُ بين معاني الأفعالِ والفروقِ الدَّقيقةِ بينها من جهة، ومسلَّماتِ وحقائقِ العلمِ التَّجريبيِّ من جهة أخرى. وهكذا تتحوَّلُ مهمَّةُ المفسِّر من محاولة التَّوفيق بين الآيات إلى إلقاءِ الضَّوءِ ساطعًا لإدراك الفروق

---

(١) Arnold، A general theory of sexual differentiation، ص٢٩١.

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص١٩٧، ٢٩٧.

(٣) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٤٧.

الدَّقيقةِ بينها، ولِيُشَكِّلَ هذا دليلًا إضافيًّا على المصدر الإلهيِّ للقرآن الكريم، وعلى كونِهِ حقًّا وَحْيًا يُوحَى.

الفصل الثَّالث: تشكُّل الجنين في المرحلة المضغيّة

تمهيد.

المبحث الأوَّل: خلق الإنسان على مراحل.

المطلب الأوَّل: السِّياقات القرآنيَّة لذكر خلق الإنسان على مراحل.

المطلب الثَّاني: دلالة اختلاف حروف العطف بين آيات مراحل الخَلْق.

المطلب الثَّالث: تطوُّر مفهوم الخلق على مراحل في العلم التَّجريبيّ.

المبحث الثَّاني: خلق الماء المَهين الدَّافق.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ لوصف الماء بكونه مهينًا.

المطلب الثَّاني: المعنى اللغويُّ لوصف الماء بكونه دافقًا.

المطلب الثَّالث: السِّياقات القرآنيَّة لذكر الماء المَهين الدَّافق.

المطلب الرَّابع: هل الماء الدَّافق هو ماء الرَّجل أم ماء المرأة أم ماء كليهما؟

المبحث الثَّالث: خلق النُّطفة.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للنُّطفة.

المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر النُّطفة.

المطلب الثَّالث: تشكُّل النُّطفة.

المبحث الرَّابع: خلق العلقة.

المطلب الأوَّل: المعنى اللُّغويُّ للعلقة ومناسبة التَّسمية.

المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر العلقة.

المطلب الثَّالث: تشكُّل العلقة في العلم التَّجريبيّ.

المطلب الرَّابع: مرحلة العلقة كبداية للخلق.

المبحث الخامس: خلق المضغة.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للمضغة ومناسبة التَّسمية.

المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر المضغة.

المطلب الثَّالث: المضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة عند المفسِّرين.

تمهيد:

يُعدُّ تشـــكُّل الجنين ونماؤه في رحم أمِّه من أعظم الظَّواهر الَّتي تعكس الإبداع الإلهيَّ في الخلق، حيث يمرُّ الجنين بمراحل متتابعة ومتقنة قبل أن يكتمل خلقه. واستنادًا إلى التَّصنيف الَّذي يعتمده العلم الحديث والمتوافق مع ما ورد في النُّصـــوص الشَّـــرعيَّة حول أطوار الخلق، يمكن تقســـيم النَّماء الجنينيّ إلى مرحلتين رئيستين: المرحلة الـــمُضْغِيَّة (Embryonic Stage)، الَّتي تمتدُّ من بداية الأسبوع الثَّالث حتَّى الأسبوع الثَّامن، والمرحلة الـــجَنِيْنِيَّة[١] (Fetal Stage)، الَّتي تبدأ من الأسبوع التَّاسع وتستمر حتَّى الولادة[٢]. وسيسلِّط هذا الفصلُ الضَّوءَ على المرحلة المضغيَّة، حيث تبدأ المراحل الأوليَّة لتَشَكُّل الجنين، وذلك من خلال عرض خمسة مباحث رئيسة، تبدأ ببيان الخلق على مراحل، ثمَّ خلق الإنسان من الماء المهين الدَّافق، يليه تكوُّنه من النُّطفة، ثمَّ تحوُّله إلى علقة، وأخيرًا وصوله إلى مرحلة المضغة الَّتي تُشكِّل نهاية المرحلة الأولى من النُّمو الجنينيّ.

المبحث الأوَّل: خلق الإنسان على مراحل:

يُعَدُّ خَلْق الإنســـان من أعظم الآيات الدّالة على قدرة الله وحكمته، وقد أَوْلى القرآن الكريم هذا الموضوع عناية خاصَّة، مشيرًا إلى أنَّ خلق الإنسان لم يكن دفعة واحدة، بل يجري على مراحل متعاقبة، وفق نظام دقيق يعكس إبداع الخالق. وقد عبَّر القرآن عن هذه الحقيقة إمَّا بالتَّصـــريح بأنَّ الخلق يكون على مراحل، أو بتسـمية تلك المراحل وبيان تسـلسـلها وتفاصـيلها. ويتناول هذا المبحث موضـوع الخَلْق على مراحل من خلال ثلاثة مطالب رئيسـة: أوَّلها: يعرِض السِّـياقات القرآنيَّة لذكر خَلْق الإنسـان على مراحل، وثانيها: يبيِّن تطوُّر فهم الخَلْق على مراحل، وثالثها: يسلِّط الضوء على دلالة اختلاف حروف العطف بين مراحل الخَلْق في آيات سورتي (الحجّ) و(المؤمنون).

المطلب الأوَّل: السِّياقات القرآنيَّة لذكر خلق الإنسان على مراحل:

نبَّه القرآن الكريم إلى أنَّ خلق الإنســـان يكون على مراحل متتالية متعاقبة كما في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، وفيه اســـتدلال بتطوُّر خلق الإنسـان على عظيم قدرة الله وحكمته ودقائق صنعه[٣]، وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، وفيه تعريض بالكفَّار لكفرهم النِّعمة، فالأطوار الَّتي يعلمونها دليل على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، وعلى

---

(١) تُطلِق بعض المراجع الطِّبيَّة العربيَّة والكتب الفقهيَّة على هذه المرحلة اسـم (مرحلة الحَمِيْل)، وتَسْـمِيَةُ (المرحلة الجنينيَّة) هي التَّسمية المعتمَدة في المعجم الطِّبيّ الموحَّد. انظر: الخياط، المعجم الطبي الموحد، ص٥٢٦.

(٢) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٦٣، ٩٦.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/ ٣٣٣.

رِفْقِهِ بهم في ذلك التَّطوُّر، كما أنَّها دليل على تمكُّن الخالق من كيفيَّات الخلق والتَّبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى اِلتفات الذِّهن، فكان لِزامًا عليهم أن يتوصَّلوا إلى معرفة عظمة الله وتوقُّع عقابه؛ لأنَّ الدَّلالة على ذلك قائمة في أنفسهم(١). وأمَّا طريقة القرآن الأخرى في الإشارة إلى خلق الإنسان على مراحل فهي أن يعدِّد تلك المراحل، كلَّها أو بعضًا منها، وأوضحُ ما ورد فيه تبيان تلك المراحل هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٣، ١٤].

وقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ المقصود بقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾؛ أي: متقلِّبين في أطوار الخِلْقَة(٢)، فيكون أحدكم أوَّلًا نطفة، ثمَّ يكون علقة، ثمَّ يكون مضغة، ثمَّ يكون لحمًا وعظمًا وعصبًا، ويُنْفَخ فيه الرَّوح فيصير خلقًا آخر(٣)، "والتَّعبير بصيغة المضارع لإفادة تجدُّد الخلق وتكرُّره مع استحضار صورة هذا التَّطوُّر العجيب استحضارًا بالوجه والإجمال الحاصل للأذهان على حسب اختلاف مراتب إدراكها، ويعلم تفصيله علماء الطِّبِّ والعلوم الطبيعيَّة"(٤). كما اتَّفق المفسِّرون على أنَّ المقصود بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ هي أطوار الخلق، فالله خلقكم نطفة في الأرحام، ثمَّ علقة، ثمَّ مضغة، ثمَّ عظامًا، ثمَّ كسا عظامكم لحمًا، ثمَّ أنشأكم خلقًا آخر(٥). وهكذا يتبيَّن أنَّ القرآن أشار بشكل

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٢٠١.

(٢) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٢٨٠.

(٣) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٣/ ١٤٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/ ٣٣٣؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٢/ ١١٢٠.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/ ٣٣٣، أورد هذا الكلام فضيلة الإمام ابن عاشور رحمه الله، ويا ليته توقَّف عند نَسْبِهِ التَّفاصيلَ لعلماء الطبِّ والعلوم الطبيعيَّة، ولكنَّه عدَّد عشرة أطوار ذكر أنَّ خلق الجنين يمرُّ بها، ذكر فيها صفة الجنين في كلِّ طور وحجمه وما يتشكَّل منه، ويبدو أنَّه للأسف لم يُوَفَّق في العودة إلى مصادر صحيحة فوقع في بعض الأخطاء الَّتي يعلمها كلُّ من له معرفة يسيرة بالطِّبِّ، وهو وإن كان معذوراً لعدم معرفته بالعلوم الطبيَّة إلَّا أنَّه كان من الأفضل لو نزَّه تفسيره عن الخوض في تلك المسائل درءًا لاحتواء تلك الأخطاء.

(٥) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٣٢٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٩/ ٨٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٢٠١؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١١٩٨

واضـح إلى أنَّ خلق الجنين لا يكون دفعة واحدة بل على مراحل متتالية، وممَّا يؤكِّد هذا الوضـوح في دلالة الآيات اتفاق المفسِّرين على فهم هذا المعنى منها.

المطلب الثَّاني: دلالة اختلاف حروف العطف بين آيات مراحل الخَلْق:

يُلاحَظ في آية (الحجِّ) أنَّ مراحل الخلق الَّتي ذكرتها الآية قد عُطِفَت باسـتعمال حرف العطف (ثُمَّ)، ويُلاحَظ أن بعض هذه المراحل ذاتها عُطِفَت بـ (الفاء) في آيات (المؤمنون) بينما بقيت الأخرى معطوفة بـ (ثُمَّ). وقد استشكل البعض كون المُخبَر عنه واحدًا، وهو مع ذلك في أحد الموضعين معطوف بـ (ثُمَّ) وهي للمهلة وفي الأخرى معطوف بـ (الفاء) وهي للتَّعقيب. وقد أورد الإمام الزَّركشيُّ هذه الإشكاليَّة ونقل بعض الإجابات عنها، فقد أُجيب بأنَّ (الفاء) في (فخلقنا، فكسـونا) بمعنى (ثُمَّ) لتراخي معطوفها بحدوث تناوب بين (الفاء) و(ثُمَّ)[١]، ولكن هذا الجواب لا يبيِّن سـبب اسـتخدام (الفاء) بدلًا من (ثُمَّ) في أماكن دون أخرى في الآية ذاتها، فضـلًا عن أنَّ بعض علماء اللغة لم يقبلوا هذا التَّناوب، فسِـيبَوَيْه[٢] مثلًا لم يُجِز أن تنوب (ثُمَّ) مناب (الفاء)[٣]، وقد نقل الزَّركشـيُّ جوابًا آخر عن الإشـكاليَّة السَّـابقة، وهو أنَّ طول المهلة وقصرها يكون بالنِّسبة إلى وقوع الفعل فيهما، فإن كان الفعل يقتضي زمنًا طويلًا وَجَبَ إظهار المهلة حتَّى وإن كان حدوث الثَّاني عقيب الأوَّل بلا مهلة، وإن كان الفعل يقتضـي زمنًا قصـيرًا تَوَجَّبَ إظهار التَّعقيب بين الفعلين[٤]، ولكن هذا الجواب أيضًـا لا يحلُّ الإشكال، فزمن خلق النُّطفة قصير وقد عُطِفَ عليه خلق العلقة بـ (ثُمَّ)، وزمن خلق العلقة قصير أيضًا وقد عُطِفَ عليه خلق المضغة بالفاء، وهذا التَّباين في استخدام حروف العطف دون لازم معنويٍّ[٥] هو تهافت يتنزَّه عنه القرآن الكريم. وقد أجاب ابن عاشـور عن هذا الإشكال أيضًا بأنَّ العَطْفَ بـ (الفاء) للدَّلالة على التَّعقيب؛ أي: إنَّ تَحَوُّل العلقة إلى مضغة يكون من غير مهلة زمنيَّة، وإن كان مُكْث كلِّ طور مدَّة طويلةً[٦]، ولكن هذا هو حال الانتقال من النُّطفة إلى العلقة أيضًا، إذ لا مهلة بينهما بل هو تَتَالٍ دون فاصل، ومع ذلك عُطِف بينهما بـ (ثُمَّ)!

---

(١) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤/ ٢٩٦.

(٢) هو عَمْرُو بن عثمان بن قُنْبُرَ الحَارِثِيُّ بالولاء، أبو بشـرٍ، الملقَّبُ سَـيْبَوَيْه، إمام النُّحاة، وأوَّل من بسـط علم النَّحو، وصـنَّف كتابه المسـمَّى (كتاب سَـيْبَوَيْه) في النَّحو ، وتُوُفِّيَ سـنة ثمانين ومئة للهجرة. انظر: القفطي، إنباه الرواة، ٢/ ٣٤٦؛ الزركلي، الأعلام، ٥/ ٨١.

(٣) انظر: سيبويه، الكتاب، ٣/ ٦٣.

(٤) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤/ ٢٩٧.

(٥) اللوازم المعنويَّة: أن يُؤتى بألفاظ لازمة لصحَّة المعنى دون أن يُقصَد منها مجرَّد الصَّنعة. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ٢/ ١٤١٥.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٤.

ولـمَّا كان القرآن الكريم هو كلام ربِّ العالمين المنظوم بأحسن نظم كان لا بدَّ أن يكون لكلِّ لفظ في الكلام موضُـعه الَّذي لا بديل مكافئ له في التَّعبير عن المعنى المقصـود، وأن يكون اختيار حروف العطف فيه مستنداً إلى معاني الكلام وتعلُّقِه بعضه ببعض، وكون بعضه سببًا لبعض[1]، وانطلاقًا من تلك المسلَّمة كان البحث في أسباب اختلاف الحروف في الآيات كمحاولة للكشف عن بعض وجوه الحكمة في اختيار تلك الألفاظ لتؤدِّي أدقَّ المعاني.

وبالنَّظر في سياق آيات سورة (المؤمنون): ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٧]، يُلاحَظُ أنَّ القرآن الكريم يعدِّد تسع مراحل يمرُّ فيها الإنسان، ابتداءً من خلقه من الطين، إلى النُّطفة، إلى العلقة، إلى المضغة، إلى خلق المضغة عظامًا، إلى كسوة العظام لحمًا، إلى الإنشاء خلقًا آخر، إلى الموت، وإلى البعث. وقد وردت أحرف العطف (ثُمَّ) و(الفاء) بين هذه المراحل ثماني مرات، منها خمس مرات استُخدِم فيها (ثُمَّ)، وثلاث مرات استُخدِم فيها (الفاء)، وبإمعان النَّظر في هذه الآيات يتبيَّن أنَّ المرات الَّتي وردت فيها الفاء كانت للدَّلالة على الانتقال بين مراحل متداخلة يبدأ التَّالي منها قبل تمام السَّابق، بينما المرات الَّتي وردت فيها (ثُمَّ) كانت للدَّلالة على الانتقال بين مراحل مستقلَّة متتالية تنتهي السَّابقة لتبدأ اللاحقة، بصرف النظر عن طول تلك المراحل أو قصرها، فخَلْق الإنسان بدأ بخلق أبينا آدم من طين، وانتهت تلك المرحلة لتبدأ مرحلة جديدة هي تناسل ذرِّيَّته وابتداء خلقها من النُّطفة، والانتقال من مرحلة النُّطفة إلى مرحلة العلقة بينهما حدٌّ فاصل واضح هو بداية العلوق في الرَّحم، الَّتي تعلن انتهاء مرحلة النُّطفة، وبداية مرحلة العلقة، وليس بينهما تداخل بل تنتهي مرحلة لتبدأ مرحلة أخرى، ثمَّ تُكمِل العلقة اندخالها في جدار الرَّحم، واكتمال علوقها يكون مع نهاية الأسبوع الثَّاني، وخلال فترة اكتمال العلوق يبدأ تخلُّق العلقة وتحوُّلها إلى مضغة، فلا تنتهي مرحلة العلوق أوَّلًا، ثم تبدأ مرحلة المضغة، بل يكون بينهما تداخل، ثمَّ تكون مرحلة بدء خلق العظام الَّتي هي جزء من مرحلة المضغة، ويبدأ خلق العضلات بعد بدء خلق العظام مباشرة، ثمَّ يتابعان التَّشكُّل معًا بشكل متزامن، وبذلك يكون التَّداخل واضحًا بين هذه الانتقالات الأربعة –من العلقة إلى المضغة إلى العظام إلى اللحم– الَّتي لا توجد حدود فاصلة بينها، بل هي مراحل متداخلة بحيث توجد أزمنة تتقاطع فيها المراحل المتتالية، وبعد انتهاء مرحلة المضغة في نهاية الأسبوع الثَّامن بعد الإلقاح والَّتي تتمايز فيها الأجهزة والأعضاء المختلفة للجنين، تبدأ مرحلة إنشاء الجنين خلقًا آخر، وتُدعى هذه

(١) انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٥٥.

المرحلة في الطب بالمرحلة الجنينيَّة، وهي تبدأ مع بداية الأسبوع التَّاسع وتستمر حتَّى الولادة[١]، فهي إذا مرحلة تالية لمرحلة المضغة وليست متداخلة معها، ولا ريب أنَّ مرحلة الموت بعد الحياة مستقلَّة عنها، تالية لها غير متداخلة معها، وكذلك هو البعث بعد الموت، إذًا، فالمراحل المعطوفة تختلف عن بعضها البعض، فبعضها متتال والآخر متداخل، ولـمَّا كان الفاصل بين المراحل المتتالية أوضح من الفاصل بين المراحل المتداخلة عُطِف بينها بـ (ثم)، بينما عُطِف بين الأخريات بـ (الفاء).

وبالنظر إلى آية سورة الحجّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، يُلاحَظ أنَّه استُخدِم فيها فعل واحد هو (خلقناكم) للدَّلالة على جميع المراحل دون تكراره، وفي هذا اختلاف جوهريٌّ عن آيات سورة (المؤمنون) الَّتي استُخدِم فيها لكل مرحلة فعلها الخاصُّ، فلمَّا كان التَّعبير مفصَّلًا عن كلِّ مرحلة بجملة مستقلَّة من الفعل والفاعل والمفعول ناسبه التَّفصيل في الحدود بين تلك المراحل، فكان عَطْفُ بعضها بـ (الفاء) وبعضها الآخر بـ (ثُمَّ) للدَّلالة على نوع العلاقة بين كلِّ مرحلتين متتاليتين، ولكن عندما كان التَّعبير في سورة الحجِّ مجملًا بجملة واحدة ذات فعل واحد، ناسبه الاكتفاء بعرض تتالي المراحل دون زيادة تفصيل للمُهَل بينها.

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٩٦.

المطلب الثَّالث: تطوُّر مفهوم خلق الإنسان على مراحل في العلم التَّجريبيّ:

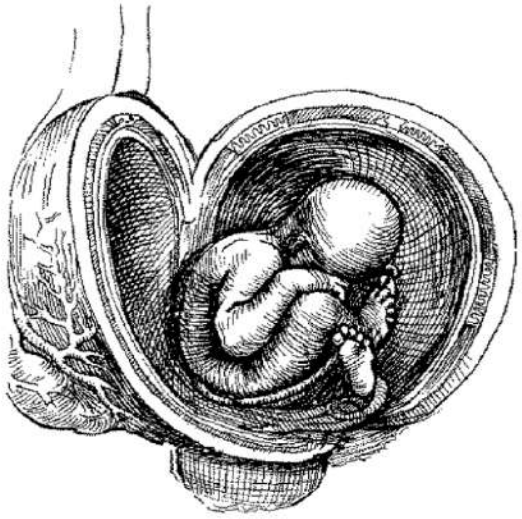
قد يشعر البعض اليوم ببداهة فكرة تشكُّل الجنين من تلك النُّطفة الأمشاج الَّتي أشار لها القرآن الكريم، ولكنَّ استقراء مسيرة العلم التَّجريبيّ وتحديد المحطَّة الَّتي كان يقف عندها في عصر التَّنزيل يُظهِر أنَّ الأمر لم يكن بتلك البساطة، لا في عصر نزول القرآن الكريم، ولا قبله، ولا حتَّى بعده بقرون، ومن المفيد هنا إجراء استعراض سريع لأهمّ المحطَّات الَّتي مرَّ بها العلم التَّجريبيُّ للوصول إلى هذه الحقيقة.

لقد اعتقد المصريون القدماء -حوالي (٣٠٠٠) قبل الميلاد- أنَّ الرُّوح تدخل الجنين عند الولادة من خلال المشيمة. ويشير كتاب هندوسيٌّ مكتوب باللغة السِّنسكريتيَّة في عام (١٤١٦) قبل الميلاد، وهو بعنوان: (Garbha Upanishad) -ومعناه: العقيدة الباطنيَّة المتعلِّقة بالجنين- إلى أنَّ الجنين يأتي إلى الوجود من اقتران الدَّم والمنيّ خلال الفترة المواتية للحمل.

وقدَّم العلماء اليونانيون العديدَ من المساهمات المهمَّة في علم الأجنَّة، وقد كتب أرسطو (Aristotle، ٣٢٢-٣٨٤ قبل الميلاد) أطروحةً عن علم الأجنَّة وصف فيها نماء الأجنَّة، وكان يعتقِد أنَّ الجنين ينشأ من دم الحيض بعد تنشيطه بالسَّائل المنويّ الذَّكريّ. ويحتوي التَّلمود على إشارات حول تشكيل الجنين، واعتقد علماء التَّلمود أنَّ العظام والأوتار والأظافر والنُّخاع في الرَّأس وبياض العيون مستمَدَّة من الأب، بينما يكون الجلد واللحم والدَّم والشَّعر مستمَدٌّ من الأمّ، وتتوافق هذه الآراء مع تعاليم أرسطو وجالينوس (Galenus، ١٢٩-٢١٦م).

وفي العصور الوسطى، **وفي القرن السَّابع الميلاديّ تحديدًا، أشار القرآن الكريم إلى أنَّ البشر يُخلَقون من اختلاط ماء الرَّجل مع ماء المرأة**، إضافة إلى تفصيله لمراحل تكوُّن الجنين. وفي القرن الحادي عشر الميلاديّ وَصَفَ قسطنطين الأفريقيُّ (Constantinus Africanus، قبل ١٠٩٩م) في إيطاليا لأوَّل مرَّة التَّكوين المتدرّج والمتسلسل للجنين، وهو مفهوم لم يكن معروفًا في العصور القديمة، وبالتَّالي بدأ علماء العصور الوسطى يتخلَّون عن نظريَّة أرسطو الَّتي ذكرت أنَّ الجنين يُشتَق من دم الحيض والسَّائل المنويّ، وأظهرت رسوماتُهم الجنين ككائن مكتمل النُّموّ في الرَّحم. وفي عصر النَّهضة، قدم ليوناردو دا فينشي (Leonardo da Vinci، ١٤٥٢-١٥١٩م) في إيطاليا رسومات لتشريح رحم الحامل الَّذي يحتوي على أجنَّة، الشَّكل (٧)[١].

(١) انظر: Moore وزملاؤه، The developing human، ص٤.



الشَّكل رقم (٧): رسم ليوناردو دافنشي في القرن الخامس عشر الميلاديّ يُظهِر جنينًا في رحم تمَّ شقُّه وفتحه[١].

لقد بدأت الثَّورة الجنينيَّة بنشـــر هارفي (William Harvey، ١٦٥٧-١٥٧٨م) كتاب أجيال الحيوانات (De Generatione Animalium) في عام (١٦٥١م) في إنكلترا، وأوضـــح فيه أنَّه قام بفحص أجنَّة الدَّجاج والظِّبيان باستخدام عدسات بسيطة، وقدَّم العديد من الملاحظات الجديدة، وبما أنَّه كان غير قادر على مراقبة مراحل النُّموِّ المبكِّرة ظنَّ أنَّ الأجنَّة تُفرَز من الرَّحم.

وفي عام (١٦٧٢م) شـــاهد دوغراف (Regnier de Graaf، ١٦٤١-١٦٧٣م) في هولندا جسـيمات صـغيرة في رحم الأرنب، أصـبحت تُدعى فيما بعد بالكيسـة الأَرِيْمِيَّة[٢]، ولاحظ أنَّه لا يمكن إفرازها من الرَّحم، كما اكتشف أنَّها تأتي من أعضاءٍ أَطْلَقَ عليها اسم (الـــمَبِيْضين)، كما وصف الجُرَيْبات الَّتي أصبحت تُدعَى باسمه؛ (أجربة غراف)[٣].

---

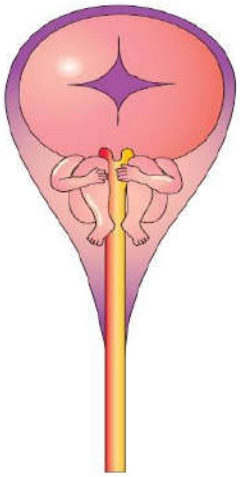
(١) Moore وزملاؤه، The developing human، ص٦.

(٢) الكيسة الأَريميَّة (Blastocysts): إحدى المراحل الَّتي تمرُّ بها اللاقحة خلال نمائها بعد الانقسامات الَّتي تطرأ عليها وتُحوِّلها إلى التُّوتة Morula، ويتشكَّل فيها جوف مملوء بالسَّوائل بين كتلة الخلايا، وتتمايز الخلايا إلى مجموعتين هما: الخلايا الداخليَّة أو الأرومة المضـغيَّة؛ وهي المسـؤولة عن تشـكيل الجنين، والخلايا الخارجيَّة أو الأرومة الغاذية؛ وهي المسؤولة عن اختراق غشاء الرَّحم في اليوم السَّادس بعد الإلقاح لإحداث التَّعشيش، وتتمايز إلى النُّسيج خارج المضغة بما فيها المشيمة. انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣٧.

(٣) أجربة غراف (Graafian follicles): تجمُّعات من الخلايا في المَبِيْض مسؤولة عن إفراز الهرمونات المحرِّضة لحدوث الدَّورة الحيضيَّة عند المرأة، وعن إطلاق بُيَيْضَة واحدة تخرج من هذه الجُرَيْبات كلَّ دورة شهريَّة. انظر: المرجع السابق، ص٢٩.

وفي عام (١٦٧٥م) لاحظ مالبيغي (Marcello Malpighi، ١٦٢٨- ١٦٩٤م) في إيطاليا نماء الأجنَّة أثناء دراسته ما اعتقد أنَّه بيض دجاج غير مخصَّب، ونتيجة لذلك اعتقد أنَّ البيضة تحتوي على صوص صغير.

وفي عام (١٦٧٧م) لاحظ لِيْوِينْهُوك (Antonie van Leeuwenhoek، ١٦٣٢-١٧٢٣م) في هولندا الحيوانات المنويَّة البشريَّة لأوَّل مرَّة باستخدام مجهر محسَّن، لكنَّه أخطأ في فهم دور الحيوانات المنويَّة في الإخصاب؛ حيث ظنَّ أنَّ الحيوانات المنويَّة تحتوي على إنسان مُصغَّر يتضخَّم عندما يستقرُّ في الجهاز التَّناسليّ الأُنثويّ، الشَّكل (٨).



الشَّكل رقم (٨): شكلٌ ترسيميٌّ للحيوان المنويّ لهَارْتْسُوْيْكَر (Nicolaas Hartsoeker، ١٦٥٦-١٧٢٥م، هولندا)، كان هَارْتْسُوْيْكَر يعتقد أنَّ الإنسان المصغَّر داخل الحيوان المنويّ يتضخَّم بعد دخوله إلى البُيَيْضَة، بينما اعتقد علماء أجنَّة آخرون في ذلك الوقت أنَّ البُيَيْضَة تحتوي على إنسان صغير يتضخَّم عندما يتمُّ تحفيزها بواسطة حيوان منويّ[(١)].

وفي عام (١٧٥٩م) اقترح وُولف (Caspar Friedrich Wolff، ١٧٣٤-١٧٩٤) في ألمانيا مفهوم الطَّبقة، حيث لاحظ أنَّه ينتج عن انقسام اللاقحة طبقات من الخلايا يتشكَّل منها الجنين، وشكَّلت أفكاره أساس نظريَّة التَّخَلُّق المتتالي (Epigenesis) الَّتي تنصُّ على أنَّ النَّماء ينتج عن نموٍّ وتمايز الخلايا المتخصِّصة.

ولقد انتهى الجدل حول أصل التشكُّل الجنينيّ في عام (١٧٧٥م) عندما أظهر سبالانزاني (Lazzaro Spallanzani، ١٧٢٩-١٧٩٩م) في إيطاليا أنَّ كلًّا من البُيَيْضَة والحيوان المنويّ كانا

(١) Moore وزملاؤه، The developing human، ص٦.

ضـــروريَّين لبدء نماء فرد جديد، واســـتنتج من تجاربه العديدة في التَّلقيح الاصـــطناعيِّ على الكلاب أنَّ الحيوانات المنويَّة كانت العامل المُخَصِّب الَّذي أَطْلَق عمليات النَّماء.

وفي عام (١٨١٧م) اكتشف بَانْدر (Heinz Christian Pander، ١٧٩٤- ١٨٦٥م) في ألمانيا الطَّبقات الجنينيَّة الثَّلاث للجنين الَّتي تتمايز منها نسج الجنين وأعضاؤه المختلفة، وفي عام (١٨٢٧م)؛ أي: بعد حوالي (١٥٠) عامًا من اكتشـاف الحيوانات المنويَّة، وصـف فُوْن بَاير (Karl Ernst von Baer، ١٧٩٢- ١٨٧٦م) في ألمانيا أيضًا البُيَيْضَة في جُرَيْب الـــمَبِيْض للكلب، ولاحظ أيضًا انقسامات اللاقحة في الأنابيب النَّاقلة للبيوض، والكيســة الأَرِيْمِيَّة في الرَّحم، وقدَّم بذلك معارف جديدة حول أصــل تشــكُّل الأنسجة والأعضاء من الطَّبقات الَّتي وصفها بَانْدر (Pander) سابقًا.

وفي عام (١٨٣٩م) أحرز كلٌّ من شْلَايْدْن وشْوَان (Matthias Schleiden، ١٨٠٤- ١٨٨١م؛ Theodor Schwann، ١٨١٠- ١٨٨٢م) في ألمانيا تقدُّمًا كبيرًا في علم الأجنَّة عندما صـــاغوا نظريَّة الخليَّة الَّتي تتضمَّن أنَّ الجسم يتكوَّن من الخلايا، وسرعان ما أدَّت هذه النظريَّة إلى إدراك أنَّ الجنين ينمو من خليَّة واحدة هي اللاقحة أو النُّطفة الأمشـاج الَّتي تنتج عن اتحاد نطفة الرَّجل وبُيَيْضَـة المرأة، والَّتي تخضـع للعديد من الانقسامات والتَّمايزات الَّتي تؤدِّي بدورها إلى تشكيل الأنسجة والأعضاء[١].

ويُلاحظ من خلال استعراض مسيرة العلم التَّجريبيِّ في الكشـف عن طريقة تشـكيل الجنين أنَّ الرِّحلة لم تكن سـهلةً للوصـول إلى الحقيقة الَّتي عبَّر عنها القرآن الكريم والَّتي تقول: إنَّ الجنين يتشـكَّل على مراحل انطلاقًا من اللاقحة أو النُّطفة الأمشـــاج الَّتي تتشـــكَّل بدورها من نطفة الرَّجل الَّتي تُمنى وتُراق لتجتمع مع نطفة المرأة فتخصِّبها، لتبدأ حياة إنسان جديد.

---

(١) انظر: Moore وزملاؤه، The developing human، ص٤-٧.

المبحث الثَّاني: خَلْقُ الماء المَهين الدَّافق:

أشار القرآن الكريم إلى أنَّ خَلْقَ الإنسان يكون من ماء، وقد وصف هذا الماء بأنَّه مَهين تارة، وبأنَّه دافق تارة أخرى، وتحمل هذه الأوصاف دلالاتٍ لُغويَّة وعلميَّة عميقة تُسهِم في فهم طبيعة هذا الماء ودوره في الخَلْق. ويتناول هذا المبحث مسألة خَلْقِ الإنسان من الماء المهين الدَّافق من خلال أربعة مطالب؛ فيبحث في أوَّلها المعنى اللُغويَّ للماء المهين، وفي ثانيها المعنى اللُغويَّ للماء الدَّافق، ثمَّ يستعرض في ثالثها السِّياقات القرآنيّة الَّتي ورد فيها هذان الوصفان، ويناقش في رابعها ما إذا كان الماء الدَّافق يقتصر على ماء الرجل أم يشمل ماء المرأة أيضًا.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ لوصف الماء بكونه مهينًا:

بيَّن ابن فارس[١] أنَّ الميم والهاء والنُّون أصلٌ صحيح يدلُّ على احتقار الشَّيء وحقارته، ويُقال: شيءٌ مَهينٌ إذا كان حقيرًا، والمَهَانة: الحَقَارة، وهو مَهِينٌ بَيِّنُ المهانة[٢]. وكذلك رأى ابن منظور[٣] أنَّ مَهِينًا بفتح الميم من المهانة والحقارة والصِّغَر، وماء مَهِين: ماء قليل ضَعيف[٤]، وأيَّده الزَّجَّاج[٥] بأنَّ مَهِينًا تعني: ضَعيفًا[٦]. وبالنظر إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٨] تُلاحَظ قوَّة التَّعبير القرآنيّ بجعل النَّسْل مأخوذًا من سلالة مُنتزَعة من ماء مهين. والنَّسْل يعني الوَلَد لتناسُلِ بعضه بعد

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زَكَرِيَّاءَ القَزْوِينِيُّ الرَّازِيُّ، أبو الحسين، من أئمَّة اللغة والأدب ونَحْوِيّ على طريقة الكوفيين، ومن تصانيفه: (مقاييس اللغة) و (جامع التَّأويل) و (حلية الفقهاء)، وغيرها الكثير، وتُوُفِّيَ سنة خمس وتسعين وثلاثمئة للهجرة. انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ١/ ٣٥٢؛ الزركلي، الأعلام، ١/ ١٩٣.

(٢) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/ ٢٨٣، مادة: (مهن).

(٣) هو محمَّدُ بن مُكْرَمَ بن عليٍّ، ابنُ منظورَ الأنصاريُّ الرُّويفعيُّ الإفريقيُّ، أبو الفضل، الإمام اللُغويُّ الحجَّةُ، كان عارفًا بالنَّحو واللغة والتَّاريخ، ومن أشهر كتبه: (لسان العرب) و (مختار الأغاني) وغيرها الكثير، وتُوُفِّيَ سنة إحدى عشرة وسبعمئة للهجرة. انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ١/ ٢٤٨؛ الزركلي، الأعلام، ٧/ ١٠٨.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٤٢٥، مادة: (مهن).

(٥) هو إبراهيمُ بنُ السَّرِيِّ بنِ سَهْلٍ الزَّجَّاجُ، أبو إسحاق، عالم بالنَّحو واللغة، تعلَّم النَّحو على المُبَرِّدِ، ومن أشهر كتبه: (معاني القرآن) و (الأمالي) و (الاشتقاق) وغيرها، وتُوُفِّيَ سنة إحدى عشرة وثلاثمئة للهجرة. انظر: القفطي، إنباه الرواة، ١/ ١٩٤؛ الزركلي، الأعلام، ١/ ٤٠.

(٦) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ٤/ ٢٠٥.

بعض[١]. وفي معنى السُّلالة قال ابن سِيْدَه[٢]: "السَّلُّ انْتِزاعُ الشيءِ وإخراجُهُ في رِفْقٍ، سَلَّهُ يَسُلُّهُ سَلًّا واسْتَلَّه... والسُّلالةُ ما انسلَّ من الشيءِ... والسُّلالَةُ والسَّليلُ: الوَلَدُ، والأُنْثَى سَلِيلَةٌ"[٣]، ولعلَّ الغاية من هذا الوصف التَّنبيه إلى قدرة الخالق وعظمته؛ إذ خَلَقَ الله هذا الكائن العجيب من نوع ماء ضعيف وحقير[٤]، ويعارض موريس بوكاي[٥] توصيف الماء المهين بالضعيف والحقير، ويؤكِّد أنَّ هذا الماء الَّذي يبدو ضعيفًا في شكله الظَّاهر، هو عظيم بالنَّظر إلى قدرة الخالق الَّذي خلقه وحمَّله هذا الكمَّ من الحيوانات المنويَّة، ويرى أنَّ هذا التَّوصيف ليس للسَّائل ذاتِه، بل هو نتيجة خروجه من فتحة البول، حيث يسلك هذا الماء مسار البول أثناء خروجه[٦]، وقد أكَّد الصَّابونيُّ[٧] هذه العلَّة في التَّوصيف، فقال: "والغرض بيان حقارة حاله، كأنَّه يقول: إنَّه مخلوق من المنيِّ الَّذي يجري مجرى البول"[٨].

---

(١) انظر: الفراهيدي، العين، ٧/ ٢٥٦، مادة: (نسل).

(٢) هو عليُّ بن إسماعيلَ، المعروف بابن سِيدَه الضَّريرِ الأندلسيّ، أبو الحسن، إمامٌ في اللغة وآدابها، ومن أشهر كتبه: (المحكَم والمحيط الأعظم) و (المخصَّص) و (الأنيق في شرح الحماسة) وغيرها، وتُوُفِّيَ سنة ثمان وخمسين وأربعمئة للهجرة. انظر: القفطي، إنباه الرواة، ٢/ ٢٢٥؛ الزركلي، الأعلام، ٤/ ٢٦٣.

(٣) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٨/ ٤١١، مادة: (سلل).

(٤) انظر: البقاعي، نظم الدرر، ١٥/ ٢٤٤.

(٥) هو مُوريس بوكَاي (Maurice Bucaille، ١٩٢٠-١٩٩٨م)، طبيبٌ فرنسيٌّ متخصِّصٌ في الأمراض الباطنة بجامعة باريس. اشتُهِرَ بدراساته في مقارنة الكتب السَّماويَّة بالعلم الحديث، وألَّف كتاب (التَّوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، حيث أبرز توافق القرآن مع الحقائق العلميَّة، على خلاف التَّوراة والإنجيل. انظر: بوكاي، الكتاب المقدَّس والقرآن الكريم والعلم، ص٩.

(٦) انظر: بوكاي، الكتاب المقدس والقرآن الكريم والعلم، ص٢١٠.

(٧) هو محمَّدُ عليٌّ بن جميلٍ الصَّابونيُّ الحلبيُّ، مفسِّرٌ وفقيه سوريٌّ، تخرَّج في كليَّة الشَّريعة في الأزهر الشَّريف، ثمَّ عمل بالتَّدريس والتَّأليف، واشتُهِر بأسلوبه المتميِّز في تبسيط العلوم الشَّرعيَّة وبتفسيره الميسَّرِ للقرآن، ومن أبرز مؤلَّفاته: (صفوة التَّفاسير) و (التَّفسير الواضح الميسَّر) و (روائع البيان في تفسير آيات الأحكام)، وتُوُفِّيَ سنة إحدى وعشرين وألفين للميلاد. انظر: كاتبي، محمد علي الصابوني، https://islamsyria.com/ar/محمد-علي-الصابوني/التراجم. وهذا تلخيص من ترجمة للشَّيخ عُرِضَت عليه فسمعها، وأجاز بنشرها.

(٨) الصابوني، صفوة التفاسير، ٣/ ٤٦٣.

المطلب الثَّاني: المعنى اللغويُّ لوصف الماء بكونه دافقًا:

قال ابن فارس: "الدَّال والفاء والقاف أصل واحد مطَّرد قياسه، وهو دَفْع الشيء قُدُمًا، ومن ذلك: دَفَقَ الماء، وهو ماء دافق، وهذه دُفْقَةٌ من ماء"(١). وقال ابن دريد(٢): "دَفَقْتُ الماءَ أدفِقه دَفْقًا، إذا أرقتُه، وكل مُراقٍ مدفوقٌ"(٣). وبيَّن الفراهيديُّ(٤) أنَّ "دَفَقَ الماء دُفوقًا ودَفقًا إذا انصبَّ بمرَّة"(٥). وذهب الفرَّاء(٦) إلى أنَّ (دَافِق) في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] متحوِّلة من مفعول؛ أي: مدفوق، وذلك وفق مذهب الحجازيِّين في جَعْل المفعول فاعلًا إذا كان نعتًا، كقول العرب: هذا سرٌّ كاتم(٧)، ولا يخفى ما في هذا العدول من المفعول إلى الفاعل، من الدَّلالة على القوَّة والسُّرعة، وإلى ذلك أشار ابن فارس: "وإنَّما هو من دَفَقَ، وأصله الاِنْدِفَاع. وَالدُّفْقَةُ من الماء: الدُّفْعَةُ"(٨). وقال ابن عاشور: والأحسن أن يكون اسم فاعل، ويكون الإطناب(٩) في وصف هذا الماء الدَّافق لإدماج(١٠) التَّعليم والعبرة بدقائق التَّكوين، ليستيقظ الجاهل الكافر ويزداد المؤمن علمًا ويقينًا(١١). وهذا ما ذهب إليه موريس بوكاي من كون هذا الماء

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، (٢/ ٢٨٦)، مادة: (دفق).

(٢) هو محمَّدٌ بن الحسنِ بن دريد بن عَتَاهِيَةَ الأَزْدِيُّ البصريُّ، أبو بكرٍ، أديبٌ وشاعرُ ولُغويٌّ ونَحْوِيٌّ ونسَّابَةٌ، ومن أشهر تصانيفه: (جَمْهَرَة اللغة) و (أدب الكاتب)، وتُوُفِّيَ سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة للهجرة. انظر: البغدادي، هدية العارفين، ٢/ ٣٢؛ كحالة، معجم المؤلفين، ٩/ ١٨٩.

(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، ٢/ ٦٧٢، مادة: (دفق).

(٤) هو الخليلُ بن أحمدَ بن عمرِو بن تميمٍ الفراهيديُّ الأَزْديُّ البصريُّ، أبو عبدِ الرحمنِ، نَحْوِيٌّ ولُغويٌّ، وأوَّل من استخرج العَروضَ وحصَّن به أشعارَ العرب، ومن أشهر تصانيفه: (العَينُ) و (العَرُوضُ) و (الجُمَلُ)، وتُوُفِّيَ سنة سبعين ومئة للهجرة. انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ١/ ٥٥٧؛ كحالة، معجم المؤلفين، ٤/ ١١٢.

(٥) الفراهيدي، العين، ٥/ ١٢٠، مادة: (دفق).

(٦) هو يَحْيَى بنُ زيادِ بن عبدِ اللهِ بنِ منظورِ الدَّيْلَمِيُّ المعروف بالفَرَّاءِ، أبو زَكريَّا، إمامُ الكوفيِّين وأعلمُهم بالنَّحْوِ واللُّغةِ وفنونِ الأدبِ، ومن أشهرِ كتبِهِ: (معاني القرآن) و (مُشْكِلُ اللغة) و (ما تلحن فيه العامَّة)، وتُوُفِّيَ سنة سبع ومئتين للهجرة. انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ٢/ ٣٣٣؛ الزركلي، الأعلام، ٨/ ١٤٥.

(٧) انظر: الفراء، معاني القرآن ٣/ ٢٥٥.

(٨) ابن فارس، مقاييس اللغة ٢/ ٣٤٠، مادة (الِادْرِنْفَاقُ).

(٩) الإطناب: هو التَّفصيل والإسهاب في الحديث عندما يتطلَّب المقام ذلك، فهو وجه من وجوه البلاغة يُستخدَم لتوضيح المعاني وإبرازها، وكما يُطلب من البليغ في مواضع الإيجاز أن يختصر، يُطلَب منه في موارد التَّفصيل أن يُطنِب ويتوسَّع بما يناسب المقام. انظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ٣/ ١٧١؛ السبكي، عروس الأفراح، ١/ ٥٧٥.

(١٠) الإدماج: هو أن يُضمَّن كلام سيق لمعنى معنى آخر، وهذا المعنى الآخر يجب أن لا يكون مصرَّحًا به، ولا يكون في الكلام إشعار بأنَّه مسوق لأجله. انظر: السبكي، عروس الأفراح، ٢/ ٢٧٤.

(١١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦٢.

دافقًا بذاته لما يحتويه من عدد هائل من الحيوانات المنويَّة[١]، حيث تحدث حركة النِّطاف من عنق الرَّحم إلى البوق عن طريق قوَّتها الدَّافعة الذَّاتيَّة، وبمساعدة حركة السَّوائل الَّتي تُحدِثها أهداب البوق[٢].

المطلب الثَّالث: السِّياقات القرآنيَّة لذكر الماء المَهين الدَّافق:

ورد ذكر الماء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَـرًا، فَجَعَلَهُ نَسَـبًا وَصِـهْرًا، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وفي الآية متابعة لما ورد قبلها من الاستدلال على قدرة الله تعالى، وفيها استدلال بآثار القدرة في تكوين المياه وجَعْلِها سبب الحياة، ومن أعظمها الماء الذي خُلِق منه أشرف الأنواع الَّتي على الأرض وهو نطفة الإنسان الَّتي هي سبب تكوين النَّسل للبشر، فإنَّه يكون أوَّل أمره ماء ثمَّ يتخلَّق منه البشر العظيم[٣]. وقد وصف القرآن هذا الماء بأنَّه مهين، كما في قوله: ﴿الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَـانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْـلَهُ مِنْ سُـلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٧، ٨]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠، ٢١]، والآيات تنكر على هؤلاء الَّذين يستبعدون البعث، ويستبعدون قدرة الله على إعادتهم إلى الحياة بعد الموت، فأصل خَلْقِهم من ماء مهين، فما الفرق بين خَلْقِهم من الماء المهين، وبين بَعْثِهم من التُّراب؟[٤] كما وصف القرآن هذا الماء الذي يُخلَق منه الإنسان بأنَّه دافق في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٥، ٦]، وهذه الآية بمنزلة الدَّليل على الدعوى المُقسَم عليها في الآيات السَّابقة زيادة في التَّأكيد، ووجه ذلك أنَّ الماء الدَّافق من المائع الَّذي لا تصوير فيه ولا تقدير للآلات الَّتي يظهر فيها عمل الحياة كالأعضاء ونحوها، ثمَّ ينشأ من هذا السَّائل خلقٌ كاملٌ هو الإنسان المملوء بالحياة والعقل والإدراك، والقادر على القيام بخلافته في الأرض، فهذا التَّصوير والتَّقدير وإنشاء الأعضاء والآلات البدنيَّة وإيداع كلِّ عضو من القوَّة ما به يتمكَّن من تأدية عمله في البدن، ثمَّ مَنْحُ قوة الإدراك والعقل، كلُّ هذا لا يمكن أن يكون بدون حافظ يراقب ذلك كلَّه ويُديره، وهو الله جلَّ شأنه[٥].

---

(١) انظر: بوكاي، الكتاب المقدس والقرآن الكريم والعلم، ص٢١١.

(٢) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣٢.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩/ ٥٥

(٤) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٩٨.

(٥) انظر: عبده، تفسير جزء عم، ص٦٣

المطلب الرَّابع: هل الماء الدَّافق هو ماء الرَّجل أم ماء المرأة أم ماء كليهما؟

اختلفت أقوال المفسِّرين في الإجابة على هذا السُّؤال على قولين:

القول الأوَّل: المراد بالماء الدَّافق منيُّ الرَّجل، فهو الَّذي يُحَسُّ به ويُشاهَد دفقه[١]، فماء الرَّجل دافق، وأمَّا ماء المرأة فليس كذلك، والله تعالى إنَّما ذكر ماءً واحدًا[٢] وإنَّما هو ماء الرَّجل؛ لأنَّه هو الماء الدَّافق، فتكوين الإنسان من ماء الرَّجل، وقد جعل الله تعالى لهذا الماء محلًّا هو رحم المرأة الَّذي فيه البُيَيْضَات ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات:٢١]، حيث يُحتضَن ماء الرَّجل حتَّى يصبح جنينًا بإذن الله[٣].

القول الثَّاني: الماء الدَّافق ينطبق على كلٍّ من ماء الرَّجل وماء المرأة، فكلٌّ من الماءين يخرج دَفْقًا من الرَّجل ومن المرأة، فيتولَّد منهما الولد[٤]، فالإنسان مخلوق منهما معًا، لكن جعلهما ماءً واحدًا لامتزاجهما[٥]. فللمرأة ماء وللرَّجل ماء، يختلطان عند الجماع[٦]، أمَّا ماء الرَّجل فيتكوَّن من الحيوانات المنويَّة وسوائل أخرى تفرزها الخِصية والبروستات والحُوَيْصِلات المنويَّة، وهكذا الحال في ماء المرأة فإنَّه يحوي البُيَيْضَات الَّتي يفرزها مَبِيْض المرأة، فإنَّها تكون في المَبِيْض على شكل حويصلة صغيرة تُسمَّى حويصلة (جراف) الَّتي تنفجر كما تنفجر الفقاعة، وتندفع منها البُيَيْضَة مع السَّائل الَّذي خرج من الفقاعة إلى البوق حيث يقابلها حيوان منويٌّ يقوم بعملية التَّلقيح، وكلا الماءَين دافق؛ أي: ينصبُّ مندفعًا[٧].

المناقشة: إنَّ كَوْنَ الماءِ المذكورِ في الآية هو ماءً واحدًا، يجاب عنه أنَّ لفظ (ماء) في قوله: ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ هو لفظ مطلق قُيِّد بالدَّفق، فأخرجه ذلك من الإطلاق إلى التَّقييد، فيُسَمَّى بالمقيَّد في اصطلاح الأصوليِّين؛ لأنَّ المقيَّد ما أُخرِج من الشُّيوع بوجه من الوجوه، فالماء في الأصل لفظ شائع بين الدَّافق وغير الدَّافق، فأُزيل عنه ذلك الشُّيوعُ بالوصف، فهو في الآية مقيَّد من وجه، ومطلَق من وجه آخر[٨]، فقد قُيِّد

---

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٩٢٠.

(٢) هذا القول مبنيٌّ على الخلاف المشهور في الفَرْق بين النَّكرة والمطلق، فإن اعتُبِر لفظ (ماء) نكرة، دلَّ على الفرد الشَّائع في جنسه بقيد الوحدة، وأمَّا إن اعتُبِر مطلقًا فقد دلَّ على الماهيَّة بلا قيد، لا من عدد ولا من غيره. انظر: ابن أمير حاج، التقرير والتحبير، ١/ ٢٩٣.

(٣) انظر: العثيمين، وقفات مع سورة الطارق، اللقاء الشهري رقم ٤٥.

(٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ٤؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨/ ٣٧٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٧/ ١٤٦؛ المراغي، تفسير المراغي، ٣٠/ ١١٤؛ الزحيلي، التفسير المنير، ٣٠/ ١٧٤.

(٥) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ٤؛ الزحيلي، التفسير المنير، ٣٠/ ١٧٤.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٦.

(٧) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٣٠/ ١١٥.

(٨) انظر: ابن أمير حاج، التقرير والتحبير، ١/ ٢٩٤.

بالدَّفق، ولكنَّه بقي شـــائعًا بين المياه الدَّافقة الَّتي يكون منها الولد، فكلمة (ماء) مقيَّدةٌ من جهة عدم دخول غير الدَّافق فيما يكون منه الخلق، ومطلقةٌ من جهة صـــلاحيتها لكلِّ ماء دافق يكون منه الولد، فالوصـف لا يُخرجها من مُسـمَّى المطلق، وهذا يجعل الكلام قابلًا لأن ينطبق على الرَّجل والمرأة معًا، فلكلٍّ منهما ماء دافق، ومنهما يكون الولد. ويتوافق القول الثَّاني مع إطلاق الحديث النبويِّ لفظ الماء على السوائل الجنسيَّة عند كل من الرَّجل والمرأة في سياق خلق الإنسان، فللرَّجل ماء كما أنَّ للمرأة ماء[١]، وإنَّ لماء الرَّجل مدلولًا واحدًا هو السَّـــائل الَّذي يخرج عند الجماع محمَّلًا بالحيوانات المنويَّة أو النِّطاف، بينما للمرأة ماءان؛ ماء يخرج مع الإباضة وماء يخرج عند الجماع.

والسؤال الَّذي يجدر طرحه هنا: ماذا يقول العلم التَّجريبيُّ عن ماء الرَّجل وماء المرأة؟

تؤكِّد موجودات العلم التَّجريبيِّ أنَّ للرَّجل ماءً دافقًا هو ماء المنيِّ الَّذي يحتوي على حيوانات منويَّة (نطاف)، وأنَّ للمرأة نوعين من الماء؛ النَّوع الأوَّل: ماء لزج يســـيل ولا يتدفَّق، وليس له علاقة بتكوين الجنين، ووظيفته ترطيب المهبل وتنظيفه من الجراثيم والمســـاعدة في الإيلاج، وأما النَّوع الثَّاني فهو ماء يتدفَّق ويخرج مرَّة واحدة شهريًّا من حويصلة جُراب في الـمَبِيْض، فعندما تقترب هذه الحويصلة المليئة بالماء الأصفر من حافَّة الـــمَبِيْض تنفجر عند تمام نموِّها، فيتدفَّق الماء منها، وتتلقَّف قناة (فالوب) البُبَيْضَة فتدفعها دفعًا رقيقًا حتَّى تلتقي بالحيوان المنويِّ الَّذي يلقِّحها، وبذلك فإنَّ النَّوع الثَّاني من ماء المرأة يحمل البُبَيْضَـــة كما يحمل ماء الرَّجل الحيوانات المنويَّة، وكلاهما يتدفَّق.

ويُفْرَز السَّائل المنويُّ عند الرَّجل من الجهاز البوليِّ التَّناسليِّ، حيث تمرُّ إفرازات الخصيتين الحاوية على الحيوانات المنويَّة أثناء عمليَّة القذف عبر قنوات القذف، وتشـكِّل من (٢-٥٪) من حجم السَّـائل المنويِّ فقط، وتختلط مع سـوائل الحويصـلات المنويَّة (seminal vesicles) والبروسـتات (prostate) والغدد البصليَّة الإحليليَّة (bulbourethral glands) لتكوين السَّائل المنويِّ. وتُنْتِج الحويصلات المنويَّة سائلًا لزجًا مصفرًّا يشكِّل حوالي (٧٠٪) من حجم السَّائل المنويِّ، بينما يكون السَّائل الـــمُفرَز من البروستات سائلًا رقيقًا أبيض اللون (وأحيانًا يكون شفَّافًا) ويشكِّل حوالي (٢٥٪) من حجم السَّائل المنويِّ[٢]، إضافة

---

(١) سبق عرض هذه النُّصوص بالتَّفصيل في فصل دور الوالدين في تكوين الجنين، ومنها قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ»، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، ١/٢٥٠، رقم ٣١١.

(٢) انظر: Raboch & Škachová، The PH of human ejaculate، ص٢٥٢.

إلى ذلك، فإنَّ الغدد البصليَّة الإحليليَّة تُفرِز سائلًا رائقًا في تجويف مجرى البول لتليينه، وهو يشكِّل أقلَّ من (١٪) من حجم السَّائل المنويّ[١].

ويكون السَّائل المنويُّ ذا لون أبيض حليبيّ عَكِرٍ إلى رماديّ، ويدلُّ الرَّائق منه على نقص شديد في عدد النِّطاف، ويميل إلى الاصفرار مع تقدُّم الرَّجل في العمر، كما يتأثَّر لون السَّائل المنويّ أيضًا بالطَّعام، فالأطعمة الَّتي تحتوي على نسبة عالية من الكبريت مثل الثُّوم قد تؤدِّي إلى إعطاء اللون الأصفر للسَّائل المنويّ. ويكون السَّائل عند القذف لزجًا بشكل واضح بسبب فعالية البروتين كيناز (protein kinase) المُفرَز من الحويصلين المنويَّين الَّذي يسبِّب تخثُّره على شكل كُتَلٍ هلاميَّة، ثمَّ يَنْشَط الإنزيم الحالُّ للبروتين (proteolytic) المُفرَز من البروستات فيُمَيِّع السَّائل خلال (٢٠ –٢٥) دقيقة، ولا يصحُّ أن تزيد هذه المدَّة على السَّاعة. ويتراوح حجم السَّائل المنويّ الطبيعيّ بين (٢ – ٥ مل)[٢]، وتعتبر منظَّمة الصَّحَّة العالميَّة أنَّ (١,٤ مل) هو الحدُّ المرجعيُّ الأدنى للحجم المقبول[٣]. وتميل درجة حموضته (PH) إلى القاعديَّة حيث تتراوح درجة حموضته بين (٧,٢ و ٨,٢)[٤]، وتحدِّد منظَّمة الصَّحَّة العالميَّة المجالَ الطَّبيعيَّ المقبول بين (٧,٢ – ٧,٨)[٥]. وينتج الرَّقم الهيدروجينيُّ النِّهائيُّ عن التوازن بين قِيَم الرَّقم الهيدروجينيّ لإفرازات الحويصلات المنويَّة القلويَّة وإفرازات البروستات الحمضيَّة[٦].

ومن ناحية أخرى، يبيِّن العلم التَّجريبيُّ أنَّ لدى المرأة نوعين من الماء، السَّائل الجُرَيْبيَّ والإفرازات المهبليَّة، ويُفرَز السَّائل الجُرَيْبيُّ عادة عند الإباضة، حيث تخضع الأنثى بعد البلوغ لدورات شهريَّة (sexual cycles) منتظمة تحدث فيها تغيُّرات دوريَّة للمَبِيْض، ويتمُّ تنبيه (١٥ إلى ٢٠) جُرَيْبًا من جُرَيْبات الطور الابتدائيّ لتنمو تحت تأثير الهرمون المنبِّه للجُرَيْب (FSH) عند بداية كلِّ دورة مَبِيْضيَّة، وتحت الظروف العاديَّة تصل واحدة فقط من هذه الجُرَيْبات للنُّضوج الكامل بينما تتنكَّس الأخريات[٧]. وأثناء نموِّ

---

(١) انظر: Guyton and Hall، Text book of medical physiology، ص١٥٩.

(٢) انظر: Pagana and Pagana، Mosby's manual of diagnostic and laboratory tests، ص٦٠٦.

(٣) انظر: Cooper وزملاؤه، World Health Organization reference values for human semen characteristics، ص٢٣١.

(٤) انظر: Pagana and Pagana، Mosby's manual of diagnostic and laboratory tests، ص٦٠٦.

(٥) انظر: Cooper وزملاؤه، World Health Organization reference values for human semen characteristics، ص٢٣١.

(٦) انظر: Raboch and Škachová، The PH of human ejaculate، ص٢٥٢.

(٧) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٩.

الجُرَيْبات، تتراكم بؤر متعدِّدة من السوائل أوَّلًا، ومع توسُّعها واندماجها يتطوَّر غار في وسطه[١]، ويملأ السَّائل الجُرَيْبيُّ هذا الغار الجُرَيْبيَّ ويحيط بالبُيَيْضَة في جُرَيْب المَبِيْض، وهو ذو قوام شبه لزج وذو لون أصفر[٢]، وحين يحين وقت الإباضة يتمزَّق الجُرَيْب، ممَّا يؤدِّي إلى إطلاق البُيَيْضَة من المَبِيْض[٣]. وهكذا يتَّضح أنَّ السَّائل الجُرَيْبيَّ هو السَّائل الَّذي يترافق مع الإباضة، وأنَّ إفرازه يحدث بشكل مستقلٍّ عن الجماع، فهو يترافق مع الإباضة الَّتي تحدث في وسط كلِّ دورة شهريَّة عند المرأة، وأنَّه أصفر دافق[٤].

وأمَّا النَّوع الآخر من السَّوائل الجنسيَّة عند المرأة فهو الإفرازات المهبليَّة، وتكون الإفرازات المهبلية الطبيعيَّة شفَّافة أو بيضاء أو بيضاء مصفرَّة، ويتراوح تجانس قوامها من حليبيٍّ إلى متكتِّل، وتكون رائحته خفيفة إلى معدومة عادة[٥]، وتتجمع غالبيَّة الإفرازات في أعمق جزء من المهبل (في القبوِ الخلفيِّ the posterior fornix)[٦] وتخرج من الجسم على مدار اليوم بقوَّة الجاذبيَّة، وتنتج المرأة الطبيعيَّة في سن الإنجاب حوالي ١,٥ غرام (نصف ملعقة إلى ملعقة صغيرة) من الإفرازات المهبليَّة يوميًّا، وتزداد كميَّة السَّائل في المهبل أثناء الإثارة الجنسيَّة والجماع بسبب احتقان الأوعية الدَّمويَّة المحيطة بالمهبل، ويؤدِّي احتقان هذه الأوعية إلى زيادة حجم الارتشاح من جدران المهبل. وتتمتَّع المادَّة الرَّاشحة بدرجة حموضة معتدلة، لذا فإنَّ زيادة إنتاجها يمكن أن تؤدِّي مؤقَّتًا إلى تغيير درجة الحموضة المهبليَّة لتصبح أكثر اعتدالًا. ويتمتَّع السَّائل المنويُّ بدرجة حموضة (PH) أساسيَّة ويمكنه تعديل حموضة المهبل لمدَّة تصل إلى ثماني ساعات[٧]، وخلاصة القول أنَّ الماء الدَّافق يكون من الرَّجل ومن المرأة؛ ويحمل الماء الدَّافق عند الرَّجل الحيوانات المنويَّة، وأمَّا الماء الدَّافق من المَبِيْض فيحمل البُيَيْضَة[٨].

وبعد أن تبيَّن أنَّ المراد بالماء الدَّافق كلٌّ من ماء الرَّجل وماء المرأة، وأنَّ حقائق العلم تؤكِّد صفة الدَّفق لكلا الماءَين، فقد تبيَّنت الإجابة عن الشُّبهة الَّتي انتشرت على ألسنة بعض الواهمين في تخطئة الآية الكريمة بدعوى أنَّ صفة الدَّفق هي من صفات ماء الرَّجل فقط، وأنَّ ماء المرأة يسيل ولا يتدفَّق، فتلك الشُّبهة

---

(١) انظر: Rodgers and Irving-Rodgers، Formation of the ovarian follicular antrum and follicular fluid، ص١٠٢١.

(٢) انظر: Fahiminiya and Gérard، Follicular fluid in mammals، ص٤٠٢.

(٣) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣١.

(٤) وهذا يتَّفق مع ما ورد من حديث ثوبان عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قوله: «مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ»، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل، والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، ١/ ٢٥٢، رقم ٣١٥.

(٥) انظر: Lentz وزملاؤه، Comprehensive gynecology، ص٥٣٢.

(٦) انظر: Hacker، Hacker & Moore's essentials of obstetrics and gynecology، ص٢٧٦.

(٧) انظر: Lentz وزملاؤه، Comprehensive gynecology، ص٥٣٢.

(٨) انظر: البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص١٢٣.

ناتجة عن خلط هؤلاء بين نوعي الماء اللذين يُفرَزان عند المرأة، فلقد توهَّموا أنَّ المراد بالماء الدَّافق عند المرأة هو الإفرازات المهبليَّة، تلك السوائل الَّتي تفرزها مجموعة من الغدد المتَّصلة بالمهبل، ووظيفتها هي التَّرطيب والتَّطهير والمساعدة في الإيلاج، ولا دخل لها بتكوين الجنين، بينما المراد في الآية هو ماء آخر للمرأة، وهو السَّائل الجُرَيْبي الَّذي يندفق من الجُرَيْب حين ينفجر حاملًا البُيَيْضَة[١]، وبهذا تنقلب تلك الشُّبهة إلى توافق دقيق بين الإشارة القرآنيَّة والحقيقة العلميَّة[٢]، مع العلم أنَّ هذا الماء وذلك التدفُّق لا يُريَان بالعين المجرَّدة، وهذا ما يؤكِّد مجدَّدًا كون القرآن الكريم وحيًا إلهيًّا من ربِّ العالمين.

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣١.

(٢) وهذا يذكِّر بقول المتنبِّي: (وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا | وآفتُهُ من الفهمِ السَّقيمِ)، وهو من البحر الوافر. المتنبي، ديوان المتنبي، ص٢٣٢؛ ابن عبَّاد، الأمثال السائرة من شعر المتنبي، ص٣٥.

المبحث الثَّالث: خلق النُّطفة:

النُّطفة هي ماء التَّناسل عند الإنسان، وتُشكِّل المحطَّة الأولى الَّتي يبدأ منها التَّناسل والتَّوالد[١]، وقد ورد ذكر النُّطفة في القرآن الكريم في اثني عشر موضعًا[٢]، ممَّا يدلُّ على أهميَّتها في بيان أصل الإنسان وتكوينه. ويتناول هذا المبحث مسألة خَلْق الإنسان من النُّطفة من خلال ثلاثة مطالب؛ فيبحث في أوَّلها المعنى اللُغويَّ للنُّطفة، ثمَّ يَستعرِض في ثانيها السِّياقات القرآنيَّة الَّتي ورد فيها ذكرها، ويناقش في ثالثها تشكُّل النُّطفة ودورها في بداية تكوين الإنسان.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للنُّطفة:

شرح ابن فارس معنى كلمة (نطفة) فأشار إلى أنَّ النُّون والطَّاء والفاء أصلان؛ أحدهما: جنس من الحُلِيّ، والآخر نُدُوَّةٌ وَبَلَلٌ، ثمَّ يُستَعَار ويُتَوسَّع فيه. والأوَّل يُقال: هو اللؤلؤ، ويُقال: الْقِرَطَةُ، والآخر هو الماء الصَّافي[٣]. والنُّطفة هي الماء، وتقع على القليل منه والكثير[٤]، ولكنَّها ليست بِضِدٍّ[٥]. وعرَّف ابن منظور النُّطفة بكونها القليل من الماء يبقى في القِربة أو في الدلو؛ وقيل: هي الماء الصَّافي، قلَّ أو كَثُرَ، ولكنها بالقليل أخصُّ، فسُمِّيَ المنيُّ نُطفة لِقِلَّته، والجمع نُطَف ونِطاف[٦]. وفرَّق الجوهريُّ[٧] بين هذين الجمعين؛ فالنُّطفة الماء الصَّافي وجَمْعها نِطاف، والنُّطفة ماء الرَّجل وجَمْعها نُطَفٌ[٨]. وأكَّد الزَّبيديُّ[٩] أنَّ النُّطفة هي الماء الصَّافي قلَّ أو كَثُرَ، فالعرب تقول للمُوَيْهَةِ القليلة: نُطفة، وللماء الكثير: نُطفة، فمن القليل

---

(١) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩/ ٩٧٦.

(٢) انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٧٩٨.

(٣) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/ ٤٤٠، مادة: (نطف).

(٤) انظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ٢/ ٢٨١؛ الرازي الحنفي، مختار الصحاح، ص٣١٣، مادة (نطف)؛ السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ١/ ٣١٢.

(٥) انظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ١/ ٣١٢. والتّضاد: نوع من المشترك اللَّفظيّ، وفيه يدلُّ اللفظ على معنيين متقابلين على التَّساوي. انظر: السبكي، عروس الأفراح، ٢/ ٢٢٦.

(٦) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ٣٣٥، مادة: (نطف).

(٧) هو إسماعيلُ بنُ حَمَّادٍ الجوهريُّ، أبو نصرٍ، إمامٌ في علم اللغة والأدب، ومن أشهرِ كتبِهِ: (الصِّحاحُ) و (عروضُ الورقةِ)، وتُوُفِّيَ سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة للهجرة. انظر: الحموي، معجم الأدباء، ٢/ ٦٥٦؛ الزركلي، الأعلام، ١/ ٣١٣.

(٨) انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٤/ ١٤٣٤، مادة: (نطف).

(٩) هو محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ عبد الرَّزاقِ الحُسَيْنِيُّ الزَّبيدِيُّ، أَبُو الفَيْضِ، الملقَّبُ بمرتَضَى، علَّامةٌ في اللغة والحديث والرِّجال والأنساب، ومن أشهرِ كتبِهِ: (تاج العروس في شرح القاموس) و (إتحاف السَّادة المتقين) و (أسانيد الكتب السِّتَّة)، وتُوُفِّيَ سنة خمس ومئتين وألف للهجرة. انظر: البيطار، حلية البشر، ص١٤٩٢؛ الزركلي، الأعلام، ٧/ ٧٠.

نُطفة الإنسان، والنُّطفة: البحر وهذا من الكثير، وهو بالقليل أخصُّ، والنُّطفة: ماء الرَّجل الَّذي يتكوَّن منه الولد[١]. وأشار ابن قتيبة[٢] إلى أنَّ نَطَفَ يَنْطِفُ ويَنْطُفُ تعني قَطَرَ، وكذلك نَطَفَ يَنْطَفُ[٣]. وقد شاع استعمال النُّطفة بمعنى الماء القليل، كما في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبْطُ الشَّعَرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطُفُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ»[٤]، مشيرًا إلى الماء القليل وهو العَرَق. وأورد العسكريُّ[٥] أنَّ أعرابيًّا سُئِل: "ما أطيبُ المياه؟ قال: نطفة زرقاء، من سحابة غرَّاء، في صفاةٍ زلقاء"[٦]. واتَّفق ابن عاشور مع اللغويِّين في أنَّ النُّطفة مشتقَّة من نَطَفَ الماء؛ أي: قَطَرَ، فالنُّطفة ماء قليل. وأضاف على ما قالوه أنَّ تسمية ما منه النَّسْل نطفة هو بمعنى منطوف؛ أي: مصبوب، فماء الرَّجل وماء المرأة كلاهما مصبوب[٧].

المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر النُّطفة:

ورد ذكر النُّطفة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ٤]، وفي الآية متابعة استدلال على وحدانيته تعالى، فبعد أن استدلَّ في الآيات السَّابقة بخلْقِ السَّماوات والأرض وهي من أعظم الأشياء المعلومة للنَّاس، استدلَّ عليهم في هذه الآية بِخَلْقِ أعجبِ الأشياء، وهو الإنسان ذاتُه في طَرَفَيْ أطواره، من كونه نطفة مهينة إلى كونه عاقلًا فصيحًا مُبينًا بمقاصده وعلومه[٨].

وورد في قوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ

---

(١) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ٢٤/ ٤١٩، مادة: (نطف).

(٢) هو عبدُ اللهِ بنُ مسلمٍ بنُ قتيبةَ الدِّينَوَرِيُّ، أبو محمَّدٍ، من أئِمَّة الأدب، ومن المصنِّفينَ المكثرين، ومن أشهرِ كتبِهِ: (أدبُ الكاتب) و (تأويلُ مختلفِ الحديثِ) و (مُشْكِلَ القرآن)، وتُوُفِّيَ سنة ست وسبعين ومئتين للهجرة. انظر: القفطي، إنباه الرواة، ٢/ ١٤٣؛ الزركلي، الأعلام، ٤/ ١٣٧.

(٣) انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب الطواف بالكعبة في المنام، ٩/ ٣٩، رقم ٧٠٢٦؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، ١/ ١٥٦، رقم ١٧١.

(٥) هو الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بن سعيد بن إسماعيل العَسْكَريُّ، أبو أحمد، فقيه وأديب، انتهت إليه رياسةُ التَّحديث والإملاء والتَّدريس في بلاد (خُوزِسْتَانَ) في عصره، ومن أشهرِ كتبِهِ: (الزَّواجرُ والمواعظ) و (الحِكَمُ والأمثالُ) و (تصحيحُ الوجوهِ والنَّظائرِ)، وتُوُفِّيَ سنة اثنتين وثمانين وثلاثمئة للهجرة. انظر: القفطي، إنباه الرواة، ١/ ٣٤٥؛ الزركلي، الأعلام، ٢/ ١٩٦.

(٦) العسكري، جمهرة الأمثال، ١/ ٢٤٦.

(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٦.

(٨) انظر: المرجع السابق، ١٤/ ١٠٢.

مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وفي هاتين الآيتين إشارة إلى البعث وقدرة الله تعالى عليه، فمن قَدَرَ على ابتداء الخلق كان قادراً على الإعادة[١]، وعلى بعث النَّاس من قبورهم بعد مماتهم وبِلاهم، فإنَّ في الابتداء بخلق آدم من تراب ثمَّ إنشاء ذريته من نطفة، ثمَّ تصريف أحوال الذريَّة حالًا بعد حال معتبَر ومتَّعظ للنَّاس يعتبرون به، فيعلمون أنَّ من قدر على ذلك فغير متعذِّر عليه إعادتهم بعد فنائهم كما كانوا أحياء قبل الفناء[٢].

وورد في قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، وهنا ابتدأهم بتذكيرهم بأصل التَّكوين الأوَّل من تراب، وهو ما تقرَّر علمه لدى جميع البشر من أنَّ أصلهم الأوَّل خُلِق من طين، فصار ذلك حقيقة مقرَّرة في علم البشر، ثمَّ استدرجهم إلى التَّكوين الثَّاني بدلالة خلق النَّسل من نطفة وذلك علم مستقرٌّ في النُّفوس بمشاهدة الحاضر وقياس الغائب على الشاهِد، فكما يجزم المرء بأنَّ نسله خُلِق من نطفته يجزم بأنَّه خُلِق من نطفة أبويه، وهكذا يصعد إلى تخلُّق أبناء آدم وحواء.

وورد في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، وفيه استدلال على من أنكر البعث بسهولة البدء على سهولة الإعادة، فإنَّ من بدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، ثمَّ جعله بشرًا سويًّا يخاصم ربَّه فيقول: من يحيي العظام وهي رميم؟ قادر على إعادته بعد موته وحسابه وجزائه على أعماله[٣]. وفي هذا الاستفهام التقريريّ دعوة لكلّ إنسان أن ينظر في نفسه، وأن يمدَّ بصره إلى نقطة الابتداء في حياته، ثمَّ ليسير مع نقطة الابتداء هذه في الطريق الذي سلكه حتى صار هذا الإنسان الَّذي يجادل ويخاصم ويقف من الله موقف المحادِد المحارب، ألم يكن هذا الإنسان نطفة؟ لو نظر الإنسان فيها لأنكر نفسه، وما وقع في تصوُّره أنَّه كان نطفة من آلاف النِّطاف[٤].

---

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢١/ ٤٦٤.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٨/ ٥٦٧.

(٣) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٣/ ٣٧.

(٤) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٢/ ٩٥٥.

وورد في قوله: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]، وفي الآية بيان لما لربِّ العالمين -الذي دُعِيَ النبيُّ والمؤمنون معه إلى الإسلام له- من قدرة وعلم وحكمة يراها ذوو الأبصار في هذا الإنسان، وفي مادَّة خلقه، وكيف تنقَّل من طور إلى طور، حتى أصبح هذا الكائن العجيب الذي يحارب الله ويكفر به[١].

وورد في قوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النجم: ٤٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ [القيامة: ٣٧]، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩]. وسياق الكلام للاعتبار ببديع صنع الله الَّذي هو أشدُّ وضوحًا في خلق الإنسان، ولأنَّ اعتبار النَّاس بما في أحوال أنفسهم أقرب وأمكن[٢]، وهو دليل من الأدلَّة الكاشفة عن قدرة الله، وأنَّ من متعلَّقات هذه القدرة بعث الموتى من القبور، فهؤلاء الموتى قد كانوا عدمًا قبل أن تخرجهم القدرة القادرة إلى الحياة، وتنبِّه الآيات هذا الإنسان الذي ينكر البعث ويستبعده إلى ضرورة النَّظر في أثر هذه القدرة في نفسه، وإلى دراسة مسيرة حياته ليعلم من أين بدأ، وكيف صار، وإلى أين انتهى[٣]. وقد ابتُدِئ الحديث الإلهيُّ عن بدء الخلق باستفهام، قال تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٨]، تشويقًا للمتلقِّي للتَّفكُّر في مادَّة النَّشأة المَهِينة، ثمَّ أتبع بقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩]. واقتضى النَّظم تقديم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ لمطابقة التَّقديم في السُّؤال ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ لِمَا في التَّقديم من التَّنبيه إلى عظيم حكمته تعالى؛ إذ خَلَقَ أَبْدَعَ مخلوق معروف من أَهْوَنِ شيء، وهو النُّطفة، وأعاد الفعل ﴿خَلَقَهُ﴾ في جوابه لزيادة التَّنبيه إلى دقَّة ذلك الخلق البديع[٤]. وقد أشير إلى مناسبة تسمية النُّطفة عند حديثه عن تركيبها الكيميائيِّ، فأشار إلى أنَّ إطلاق لفظة النُّطفة في القرآن الكريم على ماء الرَّجل وماء المرأة يتناسب مع كون الماء يؤلِّف الجزء الأكبر منها ويحيط بها[٥].

---

(١) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٢/ ١٢٦٤.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٤٥.

(٣) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٤٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٣٠/ ١٢٢.

(٥) انظر: الشريف، من علم الطب القرآني، ص١٦٦.

المطلب الثَّالث: تشكُّل النُّطفة:

يُطلِق الشَّرع الحكيم لفظ النُّطفة على الماء الجنسيّ بصرف النَّظر عن مصدره، فتدلُّ على كلٍّ من ماء الرَّجل وماء المرأة[١] إضافة إلى اللاقحة[٢]، فللنُّطفة أنواع ثلاثة: النُّطْفَةُ المذكَّرة: وهي الحيوانات المنويَّة الموجودة في منيّ الرَّجل، والنُّطفة المؤنَّثة: وهي البُيَيْضَة الَّتي يفرزها المَبِيْض مرَّة واحدة كلَّ شهر، والنُّطْفَة الأمشاج: وهي نطفة مختلطة مكوَّنة من البُيَيْضَة المؤنَّثة الملقَّحة بنطفة الرَّجل[٣]. وفيما يأتي بيان لكيفيَّة تشكُّل كلٍّ منها.

الفرع الأوَّل: تشكُّل النُّطفة الذَّكريَّة (sperm):

يُسمَّى نضوج الخلايا الجنسيَّة البدئيَّة إلى أعراس ناضجة عند الذَّكر الإنطاف (spermatogenesis)، ويبدأ بعد البلوغ، حيث تبقى الخلايا البدئيَّة الَّتي ستتكوَّن منها النِّطاف ضامرَّة حتَّى ذلك الحين، ثمَّ تتمايز إلى الخلايا الأمّ للنِّطاف (spermatogonia)، والَّتي بدورها تمرُّ عبر سلسلة من التَّغيرات لتكوِّن النِّطاف، ويبلغ الزمن الَّذي تستغرقه الخليَّة الأمُّ كي تتحوَّل إلى حيوان منويٍّ ناضج (نطفة) أربعة وسبعين يومًا تقريبًا[٤].

الفرع الثَّاني: تشكُّل النُّطفة الأنثويَّة (ovum):

يُسمَّى نضوج الخلايا الجنسيَّة البدئيَّة إلى أعراس ناضجة عند الأنثى بتكوين البُيَيْضَة (oogenesis)، ويبدأ قبل الولادة، حيث تكوِّن الخلايا الجنسيَّة البدئيَّة في الأنثى أَرُوْمَات البُيَيْضَات (oogonia) وبعد عدَّة انقسامات خيطيَّة (mitosis) متتالية تتوقَّف هذه البُيَيْضَات في الطَّور الأوَّل من الانقسام المُنصِّف[٥]

---

(١) انظر: الفيومي، المصباح المنير، ٢/ ٦١١.

(٢) تمَّ بسط الحديث عن ذلك عند الحديث عن دور الوالدين في تشكيل الجنين في فصل تكوين الجنين.

(٣) انظر: متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ص٢٦٧، البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص١٠٩. وقد نقل الإمام الطَّبريُّ في تفسيره عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾، قال: ماء الرَّجل وماء المرأة يَمْشُجُ أحدهما بالآخر، وعن الرَّبيع بن أنس، قال: إذا اجتمع ماء الرَّجل وماء المرأة فهو أمشاج. انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٨٩.

(٤) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٦.

(٥) يوجد نوعان رئيسان من الانقسام الخلويّ وهما: الانقسام الخيطيُّ (Mitosis): وفيه يبقى العدد الصبغيُّ عند الخلايا النَّاتجة عن الانقسام مساويًا لذلك العدد الموجود عند الخليَّة الأصل، ويحدث عادة في الخلايا الجسديَّة في الكائنات الحيَّة، والانقسام المُنصِّف (Meiosis): وهو يحدث في الخلايا التَّناسليَّة للكائنات الحيَّة، وفيه يكون العدد الصبغيُّ عند الخلايا النَّاتجة عن الانقسام هو نصف العدد الموجود عند الخليَّة الأصل. انظر: Petronczki وزملاؤه، the molecular biology of chromosome segregation in meiosis، ص٤٢٣.

(meiosis) لتكوِّن الخلايا البيضيَّة الأوليَّة (primary oocytes). وتصبح معظم أَرُوْمَات البُيَيْضَات رتقيَّة[١] atretic في الشَّهر السَّابع من الحمل، بينما تُحاط بقيَّة الخلايا البيضيَّة الأوليَّة بطبقة من الخلايا الجُرَيْبيَّة المشتقَّة من ظهارة سطح المَبِيْض، ويُسمَّى ذلك بالجُرَيْب الابتدائيّ (primordial follicle)، وتبقى الخليَّة البيضيَّة في الطَّور الأوَّل من الانقسام المنصِّف إلى أن ينضج الجُرَيْب الثانويُّ (secondary follicle) عندما يكتمل هذا الطَّور بتحفيز من الهرمون الملوتن (LH)، ثمَّ تتوقَّف الخليَّة البيضيَّة الثانويَّة عند الطور الثَّاني من الانقسام المنصِّف قبل الإباضة بـ ٣ ساعات، ولا تُكْمِل انقسامَها إلَّا في حال حدوث الإخصاب؛ أي: تستغرق أَرُوْمَات البُيَيْضَات بضع عشرة سنة حتَّى تنضج إلى بُيَيْضَات (نطاف أنثويَّة) ولا يكتمل انقسامها إلَّا بالإلقاح[٢].

وتخضع الأنثى بعد البلوغ لدورات شهريَّة (sexual cycles) منتظمة يتحكَّم فيها الوِطاء[٣] (hypothalamus)، حيث يُفرِز الهرمون المحرِر لموجِّه الغدد التَّناسليَّة (Gonadotropin-releasing hormone (GnRH) الَّذي ينبِّه خلايا الغدَّة النُّخاميَّة الأماميَّة الَّتي بدورها تفرز الهرمونات الموجِّهة للغدد التَّناسليَّة الَّتي تنبِّه وتتحكَّم في التَّغيرات الدوريَّة للمَبِيْض، أي: الهرمون المنبِّه للجُرَيْب (follicle-stimulating hormone (FSH)) والهرمون اللُّوتِينِيّ[٤] (luteinizing hormone (LH)).

ويتمُّ عند بداية كلِّ دورة مَبِيْضيَّة تنبيه (١٥) إلى (٢٠) جُرَيْبًا من جُرَيْبات الطَّور الابتدائيّ لتنموَ تحت تأثير الهرمون المنبِّه للجُرَيْب، وتصل عادة واحدة فقط من هذه الجُرَيْبات إلى النُّضوج الكامل وتُخرِج خليَّة بيضيَّة واحدة، بينما تتنكَّس الأخريات. كما ينبِّه الهرمون المنبِّه للجُرَيْب نضوج الخلايا الحبيبيَّة الجُرَيْبيَّة

---

(١) المقصود هنا حدوث تنكُّسِ وارتشافِ هذه الأَرُوْمَات (شكل من أشكال موت الخلايا المبرمَج) قبل نضوجها. انظر: Devine وزملاؤه، Ultrastructural evaluation of oocytes during atresia in rat ovarian follicles، ص١٢٤٥.

(٢) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٩.

(٣) ويُسمَّى أيضًا (تحت المهاد Subthalamus) في بعض المراجع العربيَّة، والوِطَاء هي التَّرجمة الواردة في المعجم الطِّبِّيّ الموحَّد. انظر: الخياط، المعجم الطبي الموحد، ص٧٠٢. ويشغل الوِطَاء الجزء الأكبر من الدِّماغ البَيْنِيّ، ويقع أسفل المهاد وفوق ساق الدماغ. انظر: National institute of neurological disorders and stroke، Know your brain، https://www.ninds.nih.gov/health-information/your-brain/know-your-brain

(٤) انظر: الخياط، المعجم الطبي الموحد، ص٨٥٣، وهو الهرمون اللُّوتِينِيّ (luteinizing hormone) أو المتعلِّق بالجسم الأصفر، ويقع الجسم الأصفر (Corpus luteum) في مَبِيْض الأنثى البالغة، حيث إنَّ كلَّ خليَّةٍ أمٍّ في المَبِيْض تنقسم عدَّة انقسامات، وفي النهاية تعطي بُيَيْضَة وجسيمًا أصفرَ وظيفته إفراز الهرمونات في حالة حدوث الحمل. انظر: Niswender، Molecular control of luteal secretion of progesterone، ص٣٣٣.

(follicular granuloe cells) المحيطة بالخليَّة البيضيَّة، فتشارك في إفراز هرمون الاستروجين، والَّذي يؤدي إلى: دخول بطانة الرَّحم في الطَّور التَّكاثريّ الجُرَيْبيّ، ويقوم بترقيق مخاط عنق الرَّحم كي يسمحَ بمرور النِّطاف، وينبّه الغدَّة النُّخاميَّة كي تفرز الهرمون اللُوتِينِيّ الَّذي يزداد عند منتصف الدَّورة، وهذا يؤدِّي إلى تحريض الخلايا البيضيَّة كي تُكْمِل انقسامها المنصِّف الأوَّل وتدخل في الانقسام المنصِّف الثَّاني الَّذي يتوقَّف قبل الإباضة بثلاث ساعات، ويؤدي أيضًا إلى تمزق الجُرَيْب ثمَّ الإباضة، حيث تتحرَّر البُيَيْضَة وتطفو حرَّة خارج المَبِيْض، ولا تُكْمِلُ هذه البُيَيْضَة انقسامها المنصِّف الثَّاني إلا بعد دخول الحيوان المنويّ إلى الخليَّة البَيضيَّة عند التَّخصيب[١].

ويُلاحَظ ممَّا سبق أنَّ الانقسام المنصِّف أو الاختزاليَّ عند المرأة (كما عند إناث جميع الثدييَّات) لا يكتمل إلَّا بعد حدوث الإخصاب، وبالتَّالي فإنَّ الخلايا البيضيَّة أحاديَّة الصِّيغة الصِّبْغيَّة (النُّطفة الأنثويَّة) لا تكون موجودة في أجساد النِّساء قبل التَّخصيب، على عكس الرِّجال[٢].

الفرع الثَّالث: تشكُّل النُّطفة الأمشاج (zygote):

تبيَّن من أقوال المفسِّرين أنَّ مصطلح النُّطفة الأمشاج يقابل مصطلح البيضة الملقَّحة أو اللاقحة (zygote) الَّتي تتشكَّل نتيجة الإخصاب (fertilization) في اصطلاحات العلوم التَّجريبية الحديثة. والإخصاب هو: العمليَّة الَّتي تتَّحد فيها النُّطفة المذكَّرة مع البُيَيْضَة المؤنَّثة لتكوين البيضة الملقَّحة، ويحدث عادة في الجزء القمعيّ من القناة الرَّحميَّة أو البوق (ampullary region of the uterine tube)؛ وهو أكثر أجزاء البوق اتِّساعًا وأقربها إلى المَبِيْض. يدخل فقط (١٪) من النِّطاف الَّتي يتمُّ قذفها في المهبل إلى عنق الرَّحم وقد تبقى هناك لعدَّة ساعات. وتتحرَّك النِّطاف من عنق الرحم باتِّجاه البوق بفضل قدرتها الحركيَّة الذاتيَّة، وتُعزَّز هذه الحركة بواسطة السَّوائل التي تُحدِثها الأهداب الموجودة في البوق، وتستغرق هذه الرحلة ما بين ساعتين إلى سبع ساعات على الأقل. ومن بين (٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليون) حيوان منوي يُقذَف في قناة الأنثى التَّناسليَّة، وتستطيع (٣٠٠ – ٥٠٠) نطفة منها فقط أن تصلَ إلى موقِع الإخصاب، وواحدة فقط منها هي الَّتي تخصِّب البُيَيْضَة، ويُعتقَد أنَّ لباقي النِّطاف دورًا في مساعدة النُّطفة المخصِّبة في اختراق الحواجز الَّتي تحصِّن البُيَيْضَة المؤنَّثة[٣].

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٩.

(٢) انظر: Duncan وزملاؤه، Unscrambling the oocyte and the egg، ص٧٩٧.

(٣) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣٢.

وهذا يتوافق مع قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ» صحيح مسلم، كتاب النِّكاح، باب حكم العزل، ٢/ ١٠٦٤، رقم ١٤٣٨. فقد ينعقد الولد من جزء من الماء، لا يشعر العازل بخروجه، فيَظنُّ أنَّه قد عزل كلَّ

وبعد دخول الحيوان المنويّ إلى الخليَّة البيضيَّة تكمل هذه الخليَّة انقسامها المنصِّف الثَّاني مباشرة، حيث تأخذ إحدى الخليَّتين البِنْتَيْن كميَّة قليلة جدًّا من مواد الخليَّة وسوائلها وتتحوَّل إلى ما يُدعى بالجسم القُطبيّ الثَّاني (second polar body)، بينما تصبح الخليَّة البنت الأخرى الخليَّة البيضيَّة النِّهائيَّة (definitive oocyte)، وتنتظم صِبغيَّاتها (٢٢+ X) في نواةٍ حُويصليَّة تُعرَف بسَليفة النَّواة الأنثويَّة (female pronucleus). ويتقدَّم الحيوان المنويُّ في هذه الأثناء ليصبح قريبًا من سَليفة النَّواة الأنثويَّة، وتنتفخ نواته لتصبح سَليفة النَّواة الذَّكريَّة (male pronucleus)، وينفصل الذَّيل ويتنكَّس، ولا يمكن التَّمييزُ شكليًّا بين سَليفة النَّواة الأنثويَّة والذَّكريَّة في هذه المرحلة؛ إذ يلتصقان في النهاية ويفقدان غلافهما النَّوويَّ. وتكون النَّتائج النِّهائيَّة للإخصاب على النَّحو التَّالي: أوَّلًا: استعادة العدد المضاعَف للصِّبغيَّات؛ نصفها من الأب ونصفها من الأمّ، لذلك تحتوي البيضة الملقَّحة خليطًا جديدًا من الصِّبغيَّات يختلف عن كِلا الأبوين، ثانيًا: تحديد الجنس الصِّبغيّ للفرد الجديد، فالنُّطفة الَّتي تحمل الصِّبغي (X) تُنتِج جنينًا أنثى، بينما تُنتِج النُّطفة الَّتي تحمل الصِّبغي (Y) جنينًا ذكرًا؛ لذلك فإنَّ الجنس الصِّبغيَّ للجنين يتحدَّد عند الإخصاب. وتتنكَّس الخليَّة البيضيَّة في حال عدم حدوث الإخصاب خلال حوالي ٢٤ ساعة، ويحدث إلقاح البُيَيْضة خلال ١٢ ساعة من الإباضة، ويمكن أن تبقى النِّطاف في الجهاز التَّناسليّ الأنثويّ مدَّة ستَّة أيَّام قبل الإباضة وتكون قادرة على التَّخصيب[١].

الماء وإنَّما عزل بعضه، فيَخْلُقُ الله الولدَ من ذلك الجزء اللطيف. انظر: ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٥/ ٦٢.

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣٢.

المبحث الرَّابع: خلق العلقة:

ورد لفظ (العلقة) في القرآن الكريم بصيغة الإفراد في خمسة مواضع، كمرحلة أساسيَّة من مراحل تشكُّل الجنين، وورد بصيغة الجمع في موضع واحد[١]، وقد خصَّ القرآن الكريم هذه المرحلة بمزيد اهتمام؛ حيث أفردها بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] دون بقيّة مراحل الخَلْق الأخرى. وتمثِّل العلقة إحدى المراحل الرَّئيسة في خلق الإنسان، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المرحلة بتسميةٍ تحمل دلالات لغويَّة وعلميَّة عميقة، وتعكس طبيعة التَّحوُّل الَّذي يمرُّ به الجنين في بدايات تكوينه. وقد اهتمَّ المفسِّرون والعلماء بتبيان معنى العلقة ومناسبتها لوصف هذه المرحلة، كما درس العلم التَّجريبيُّ تشكُّلَها وخصائصها الحيويَّة. ويتناول هذا المبحث مسألة العلقة من خلال أربعة مطالب؛ فيبحث في أوَّلها المعنى اللُّغويَّ للعلقة ومناسبة التَّسمية، ثمَّ يستعرض في ثانيها السِّياقات القرآنيَّة الَّتي ورد فيها ذكرها، ويناقش في ثالثها كيفيَّة تشكُّل العلقة وفقًا للعلم التَّجريبيّ، ويتناول في رابعها مرحلة العلقة كبداية للخَلْق ودورها في تكوُّن الجنين ونمائه.

المطلب الأوَّل: المعنى اللُّغويُّ للعلقة ومناسبة التَّسمية:

ذكر ابن منظور في معنى العلقة أنَّ العَلَقَ هو الدَّم، أو هو ما كان منه جامدًا وغليظًا، أو ما كان جامدًا قبل أن يَيْبَس، أو ما اشتدَّت حُمْرَتُه، والقطعة منه عَلَقة[٢]، وزاد الفيروزأباديُّ[٣] أنَّ العَلَقَ هو كلُّ ما عَلِقَ[٤]، وقال الزَّبيديُّ: "العَلَق: دُوَيْبَّة، وَهِي دُوَيْدَةٌ حمراء تكون في الماء تعْلَقُ بالبَدَن وتمُصُّ الدَّم"[٥]، ويقال: "عَلِقَتِ المرأةُ، أي حَبِلَت"[٦]، وتمثِّل العَلَقَةُ المرحلة الثَّانية من مراحل نموِّ الجنين في بطن أمِّه.

وعزا المفسِّرون مناسبة تسمية الجنين بالعلقة في هذه المرحلة من النَّماء إلى سببين رئيسين هما:

---

(١) انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٤٦٩.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٢٦٧، مادة: (علق).

(٣) هو محمَّد بن يعقوبَ بن محمدٍ بن إبراهيمَ بن عمرَ الشِّيرَازِيُّ الفيرُوزَآبَادِيُّ، أبو طاهرٍ، من أئمَّة اللغة والأدب، ومن تصانيفه: (القاموس المحيط) و (بصائرُ ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز) و (الدُّرر الغوالي في الأحاديث العوالي)، وتُوُفِّيَ سنة سبع عشرة وثمانمئة للهجرة. انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ١/ ٢٧٣؛ الزركلي، الأعلام، ٧/ ١٤٦.

(٤) انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٩١٠، مادة: (علق).

(٥) الزبيدي، تاج العروس، ٢٦/ ١٨٢، مادة: (علق).

(٦) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٤/ ١٥٢٩، مادة: (علق).

الأوَّل: العلقة هي الدَّم الجامد، وهي حالة الجنين في الأيام الأولى لخلقه(١).

الثَّاني: سُمِّيَت العلقة علقة لرطوبتها وتعلُّقها بما تمرُّ به، فإذا جفَّت فليست علقة(٢).

ويشير ابن عاشور في تفسيره إلى أنَّ "من إعجاز القرآن العلميِّ ذِكْرَ العلقة؛ لأنَّ الثَّابت في العلم الآن أنَّ الإنسان يتخلَّق من بويضة دقيقة جدًا لا تُرَى إلَّا بالمرآة المكبِّرة أضعافًا، تكون في مبدأ ظهورها كرويَّة الشَّكل سابحةً في دم حيض المرأة،(٣) فلا تقبل التَّخلق حتَّى تخالطها نطفة الرَّجل فتمتزج معها فتأخذ في التَّخلق إذا لم يَعُقْها عائق، كما قال تعالى: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]، فإذا أخذت في التَّخلق والنَّموِّ امتدَّ تكوُّرها قليلًا فشابهت العلقةَ الَّتي في الماء مشابهة تامَّة في دقَّة الجسم وتلوُّنها بلون الدَّم الَّذي هي سابحة فيه وفي كونها سابحة في سائل كما تسبح العلقة"(٤). وبالنَّظر إلى العلقة كما تبيِّنها المجاهر يجب التَّنبيه إلى عدم وجود تشابه حجميٍّ أو بنيويٍّ بين العلقة والجنين في هذه المرحلة، فالجنين في نهاية مرحلة العلقة لا يزيد طوله عن رأس الدَّبوس (٠,٠١ إنشًا)(٥)، أي: (٠,٢٥ ميليمترًا)، وإنَّما يكون الشَّبه من النَّاحية الوظيفيَّة، فبعد أن كان الجنين نطفة تنتقل من مكان إلى آخر، صار عالقًا في مكان محدَّد من الرَّحم، ومن ناحية أخرى، لا يكون لدى الجنين في هذه المرحلة أوعيته الدَّمويَّة الخاصَّة بعد، وإنَّما يبدأ تمايز تلك الأوعية مع بداية الأسبوع الثَّالث بعد تمام العلوق، أي: مع نهاية مرحلة العلقة وبداية مرحلة المضغة(٦). وإن حجم الجنين الَّذي يكاد لا يُرَى بالعين المجرَّدة في هذه المرحلة يجعل من غير المناسب تشبيهه بدودة العلقة، وبالتَّالي: لا يصحُّ قَبُول التَّوصيف السَّابق، فضلًا عن قبول الرُّسوم الَّتي تملأ كتب الإعجاز العلميِّ والَّتي تقارن بين الجنين والعلقة. والقرآن إذ يُطلِق لفظ العلقة على الجنين فهو لا يشبِّهه بشيءٍ بل يسمِّيه باسم يصفه، فالجنين في هذه المرحلة يعلق بالرَّحم ثمَّ يخترق جداره كما تفعل العلقة.

واعتمادًا على ما سبق يمكن القول: إنَّ السَّبب الثَّاني هو الصحيح، وهو أنَّ اسم العلقة أتى من

---

(١) انظر: عبده، تفسير جزء عم، ص١٢٣؛ القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٥٠٨؛ المراغي، تفسير المراغي، ٣٠/ ١٩٩؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٣.

(٢) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٢٢٣.

(٣) هذا الكلام غير صحيح، وسبق نقدُه ونقضُه عند الحديث عن دور الوالدين في تحديد جنس الجنين في الفصل الثَّاني.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٤٣٨.

(٥) انظر: Louisiana Department of Health، Stages of fetal development، https://ldh.la.gov/page/stages-of-fetal-development-first-trimester

(٦) انظر: Sadler، Langman's Medical Embryology، ص٥٩.

العلوق وليس من الدَّم الجامد؛ إذ إنَّ الإنسان لا يمرّ على وجه الإطلاق بمرحلة جلطة الدَّم هذه[١]، وهذا ما سيتمُّ تأكيده من خلال استعراض حقائق العلم التَّجريبيّ في المطلب الثَّالث من هذا الفصل.

المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر العلقة:

ورد ذكر العلقة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وهذه الآية تُقيم الحجَّة على من ارتاب في البعث، وتشير إلى ما يزيل تلك الرِّيبة هو أن ينظر أولئك المرتابون في بِدْء خلقهم، وكيف نُقِلوا من حال إلى حال ومن خِلقة إلى خِلقة، ويتبيَّن بهذا التَّدريج قدرة الله وحكمته، وأنَّ من قَدَرَ على خلق البشر من تراب أوَّلاً، ثمَّ من نطفة ثانياً رغم عدم التَّناسب بين الماء والتُّراب، وقَدَرَ على أن يجعل النَّطفة علقة وبينهما تباين ظاهر، ثمَّ يجعل العلقة مضغة والمضغةَ عظاماً، قَدَرَ على إعادة ما ابتدأه، بل الإعادة أدخل في القدرة من الابتداء[٢] في موازين البشر. وورد في قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]، وتقصُّ هاتان الآيتان قصة خلق الإنسان[٣]، فتبيّنان كيفيَّة تكوُّن هذا البدن من ابتداء كونه نطفة فعلقة فجنينًا إلى آخر الشَّيخوخة والموت[٤]، فجعل تعالى تكوين الإنسان من ابتداء النُّطفة إلى وقت الشَّيخوخة من الدَّلائل على وجوده وقدرته[٥]، ففي الآيتين استدلال على الإبداع في الخلق، كما أنَّ فيهما امتنانًا بنعمة الإيجاد؛ لأنَّ الموجود شرف والمعدوم لا عناية به[٦]. وورد لفظ العلقة أيضًا في قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ [القيامة: ٣٨]، وفي الآية إقامة للحجَّة على ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه من بعد مماته، وإيجاده من بعد فنائه، فقد كان ابتداء خلقه من نطفة، ثمَّ كان علقة،

---

(١) ينكر بوكاي فكرة (الدم الجامد) ذاهبًا إلى أنَّ ما توحيه اللفظة من دلالة يرشد إلى معنى ما يعلق بشيء ويتشبَّث به. انظر: بوكاي، الكتاب المقدس والقرآن الكريم والعلم، ص٢١٢.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ١٤٥.

(٣) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩/ ١١٢٠.

(٤) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٧/ ٥٣١.

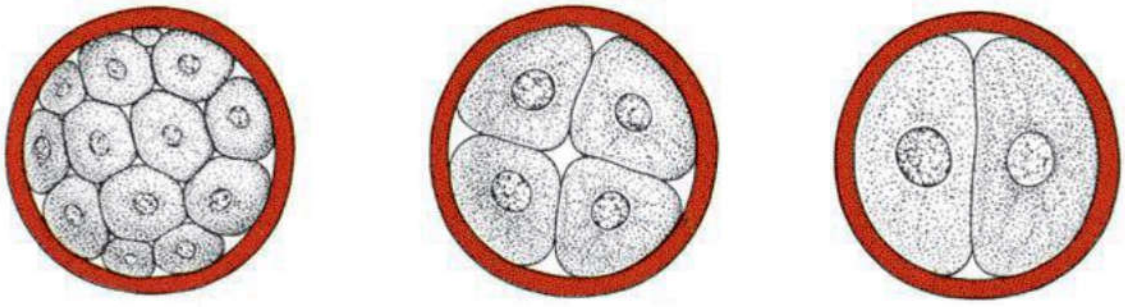
(٥) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٤/ ٩٢.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤/ ١٩٧.

ثمَّ سوَّاه بشرًا سويًّا ناطقًا سميعًا بصيرًا[١]، فالذي قَدَرَ على هذا الخلق البديع لا يُعجِزه إعادة خلق كلِّ واحد كما خلقه أوَّل مرَّة بحكمة دقيقة وطريقة بديعة لا يعلمها إلَّا هو[٢]. وورد كذلك في قوله: ﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، وفي الآية استدلال على أنَّ من كان قادراً على أن يخلق إنساناً من العلق الَّذي لا شكل فيه ولا صورة، يقدر أن يجعل من الإنسان الكامل -وهو النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم- قارئاً وإن لم تسبق له القراءة[٣].

المطلب الثَّالث: تشكُّل العلقة في العلم التَّجريبيّ:

تبدأ البيضة الملقحة بعد الإخصاب سلسلة من الانقسامات الخيطيَّة ليزداد عدد الخلايا، وتُسمَّى هذه الخلايا الَّتي تصغر مع كل انقسام بالقُسَيْمات الأروميَّة (blastomeres)، وبعد ثلاثة أيَّام من الإخصاب يكون عدد الخلايا (١٦) خليَّة، وتُدعى تلك المرحلة: التُوَيْتَة (morula)، وتكون البُيَيْضة الملقَّحة في ذلك الحين قد وصلت إلى جوف الرَّحم، حيث يستغرق ذلك عند الإنسان (٣- ٤) أيَّام[٤]، الشَّكل رقم (٩).



الشَّكل رقم (٩) يُظهِر البُيَيْضَة الملقّحة وانقساماتها حتَّى الوصول إلى مرحلة التُوَيْتَة[٥].

وعندما تدخل التُوَيْتَة إلى جوف الرَّحم يبدأ سائل باختراق الفراغ بين الخلايا، وتتجمع تلك الفراغات لتشكِّل جوف الكيسة الأَرِيْمِيَّة، ويصبح الجنين هنا عبارة عن كيسة أَرِيْمِيَّة (blastocyst). وتُسَمَّى خلايا الكتلة الخلويَّة الدَّاخليَّة في هذه المرحلة الأرومة المضغيَّة (embryoblast)، وتتوضَّع على قطب واحد، بينما تشكِّل خلايا الكتلة الخلويَّة الخارجيَّة الأرومة الغاذية (trophoblast)، وتبدأ خلايا الأرومة الغاذية

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٨٣.

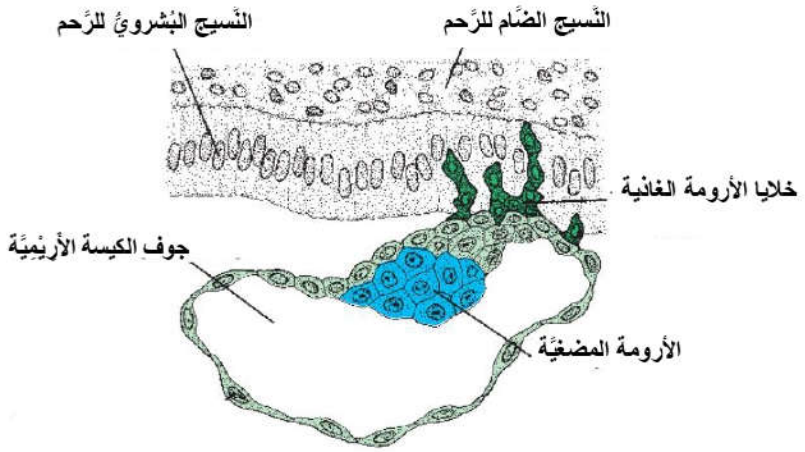
(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٦٧.

(٣) انظر: عبده، تفسير جزء عم، ص١٢٣.

(٤) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣٢.

(٥) المرجع السابق، ص٣٧.

عند الإنسان اختراق الخلايا الظهارية لغشاء الرَّحم المخاطيّ في **حوالي اليوم السَّادس** معلنة بداية مرحلة العلقة[١]، الشَّكل رقم (١٠).



الشَّكل رقم (١٠) بداية الانغراس في بطانة الرَّحم[٢].

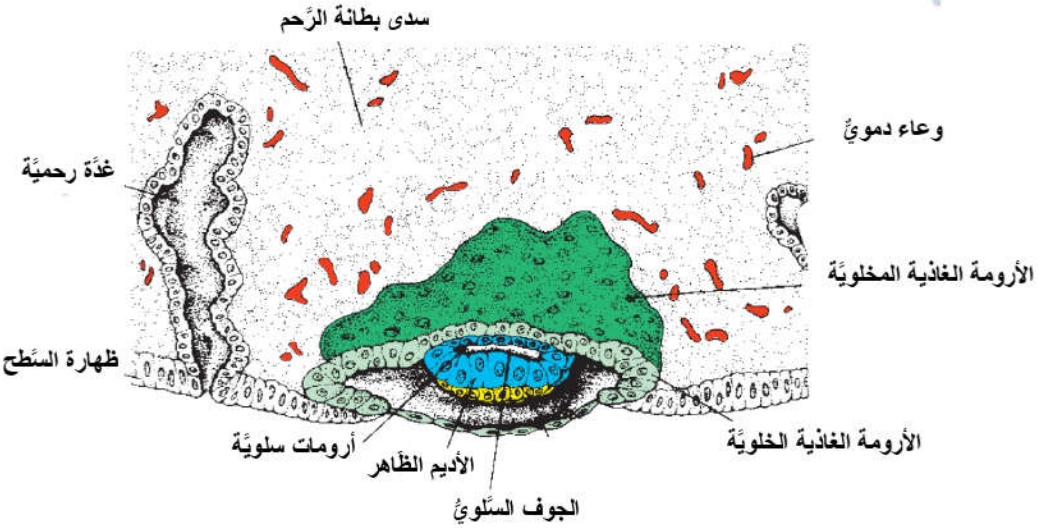
وتكون الكيسة الأَرِيْمِيَّة في اليوم الثَّامن بعد الإخصاب قد انغرست جزئيًّا في النَّسيج الضَّامّ تحت بطانة الرَّحم (stroma endometrial). وتتمايز الأرومة الغاذية إلى طبقتين هما: طبقة داخليَّة تُسمَّى الأرومة الغاذية الخلويَّة (cytotrophoblast)، ومنطقة خارجية من الخلايا الَّتي ليس بينها حدود خلويَّة واضحة تُسمَّى الأرومة الغاذية المُخْلَوِيَّة (syncytiotrophoblast)[٣]، الشَّكل رقم (١١).

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص٣٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٤٣.



الشَّكل رقم (١١) انغراس العلقة في جدار الرَّحم[١]

وفي اليوم الثَّامن أيضًا تتمايز خلايا الكتلة الخلويَّة الدَّاخليَّة أو الأرومة المضغيَّة (embryoblast) إلى طبقتين: طبقة مجاورة لجوف الكيسة الأَرِيْمِيَّة تُسمَّى بطبقة الأرومة التَّحتيَّة (hypoblast layer)، وطبقة مجاورة للكيس السَّلَويّ[٢] وتُعرَف باسم الأرومة الظَّاهرة (layer epiblast). ويكون نموُّ الأرومة المضغيَّة حتَّى اليوم الحادي عشر والثَّاني عشر بطيئًا نسبيًا بالمقارنة مع الأرومة الغاذية (trophoblast)، وتلتئم الفجوة الموجودة على سطح بطانة الرَّحم **في اليوم الثَّالث عشر** تمامًا معلنة نهاية الانغراس[٣].

ويتبيَّن ممَّا سبق أنَّ ما يميِّز مرحلة العلقة هو تعلُّقها في جدار الرَّحم، وأنَّ الجنين في هذه المرحلة ليس مجرَّد قطعة من الدَّم الجامد، بل هو مجموعة من الخلايا المتمايزة ذات الوظائف المتنوِّعة، إضافة إلى أنَّه لا يمتلك أوعية دمويَّة طوال هذه المرحلة.

المطلب الرَّابع: مرحلة العلقة كبداية للخلق:

مرحلة العلقة كما يشير إليها القرآن الكريم هي المرحلة الثَّانية من خلق الجنين في بطن أمِّه بعد مرحلة النُّطفة، وهذا ما يُلاحَظ في عموم الآيات الَّتي تتحدَّث عن مراحل تكوين الجنين، إلَّا أنَّ القرآن الكريم في سورة العلق خصَّ العلقة بالذِّكر من بين كلِّ المراحل الَّتي يمرُّ بها خلق الإنسان بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، وآية العلق من أوَّل ما نزل من القرآن الكريم، وقد خصَّ الله سبحانه وتعالى فيها

---

(١) Sadler، Langman's medical embryology، ص٤٣.

(٢) الكيسُ السَّلويُّ (أو الكيس الأمينوسيُّ Amniotic sac) كيس يحدث نماء فيه الجنين، وهو يتكوَّن من زوج من الأغشية النَّسيجيَّة القويَّة، ولكنَّها رقيقة وشفَّافة. ويحتوي الغشاء النَّسيجيُّ الدَّاخليُّ أو السَّلى على السَّائل السَّلويّ والجنين الحيّ، في حين يحتوي الغشاء النسيجيُّ الخارجيُّ أو المَشيماء على السَّلى. انظر: المرجع السابق، ص٨١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٤٣-٤٦.

الإنسان بالذِّكْر من بين جميع المخلوقات، إمَّا لأنَّه أشرف ما على وجه الأرض، أو لأنَّ التَّنزيل موجَّه إليه، وفي هذا تفخيم لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته[١]، وإنَّما قال: ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ والإنسان في لفظ الواحد لأنَّه في معنى الجمع[٢]، وتكون (الـ) في (الإنسان) هي الجنسيَّة، والمقصود هو جنس الإنسان، أو لأنَّ الإنسان هو المطَّرد في مقام الاستدلال؛ إذ لا يغفل أحد من النَّاس عن نفسه، ولا يخلو من أن يخطر له خاطر البحث عن الَّذي خلقه وأوجده، ولذلك قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١][٣].

ومع كون مرحلة النُّطفة هي المرحلة الأولى من مراحل تشكُّل الجنين نجد أنَّ القرآن الكريم قد خصَّ مرحلة العلقة بالذكر كبداية لخلق الإنسان، والحقيقة أنَّ المرحلة العمليَّة الفعليَّة لبداية التَّكوُّن هي العلوق والتَّعشيش؛ إذ إنَّ الكثير من اللاقحات تسقط بعد أن تفشل في العلوق دون أن يعلم أحد بها، ولا يُعرَف العدد الحقيقيُّ للَّاقحات الشَّاذَّة؛ لأنَّها تُفقَد عادة خلال ثلاثة أسابيع من الإخصاب قبل أن تدرك المرأة أنَّها حامل، ولذا لا تُكتشَف. وتشير التَّقديرات إلى أنَّ (٥٠ %) من الحمول تنتهي بإجهاض تلقائيّ، وأنَّ نصف هذه الإجهاضات تنتج عن شذوذات صبغيَّة، وبالتَّالي فهي وسيلة للتَّخلُّص من المُضَغِ الحاوية على عيوب، ولتقليل نسبة الشُّذوذات الولاديَّة، وبِدون هذه الظَّاهرة فإنَّ (١٢٪) بدلًا من (٢- ٣٪) من الأطفال كانوا سيولدون بعيوب ولاديَّة[٤]. ويتبيَّن ممَّا سبق أنَّ انتقال الجنين من مرحلة النُّطفة الأمشاج إلى مرحلة العلقة هي من الأهميَّة بمثابة خلق جديد، ولذا أطلق القرآن الكريم على هذا الانتقال فعل الخلق وليس الجعل، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤].

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٧٨١؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢/ ٢١٦.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٥١٩ ؛ الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٧٨١؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢/ ٢١٧.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٤٣٨.

(٤) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣٩.

المبحث الخامس: خلق المضغة:

ورد لفظ المضـــغة في القرآن الكريم ثلاث مرَّات في آيتين اثنتين[١]، وتُعَدُّ هذه المرحلة من أهمِّ مراحل نماء الجنين، حيث تتميَّز بظهور البدايات الأولى للأعضـاء والبُنى الحيويَّة، وتأتي بعد طور العلقة مباشـرة[٢]. ويتناول هذا المبحث دراسـة هذه المرحلة من جوانب متعدِّدة من خلال ثلاثة مطالب يتطرَّق من خلالها إلى المعنى اللغويِّ لكلمة المضغة ومناسبة تسميتها بهذا الاسم، ثمَّ يستعرض السِّياقات القرآنيَّة الَّتي وردت فيها هذه الكلمة، كما يناقش أقوال المفسِّرين حول مفهوم المضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة.

المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للمضغة ومناسبة التَّسمية:

الـــمُضغَة لغةً مشتقَّة من مَضَغَ يَمْضَغُ ويَمْضُغُ مَضْغًا؛ أي: لاكَ، والجَمْع مُضَغ[٣]. والْمُضَاغة: ما يبقى في الفم ممَّا تَمْضَغه[٤]. والْمُضْغَة: قِطْعةُ لحْمٍ، ويقال: قلب الإنسان مُضْغَةٌ من جسده. وتُطْلَق الْمُضْغَةُ على كلِّ لحمٍ يُخْلَق من عَلَقَةٍ، والْمُضَـغُ من الأمور: صـغارها[٥]. وقال المفسـرون: المضـغة هي قطعة من اللحم مسواة، بقدر ما يمضغ[٦]، وهي فعلة بمعنى مفعولة، بتأويل: مقدار ممضوغة[٧]، حيث تتحوَّل العلقة في هذه المرحلة إلى قطعة من اللّحم، أشبه بلقمة مُضِغت حتَّى أصبحت أشبه بقطعة من العجين[٨].

ويؤكِّد العلم التَّجريبيُّ أنَّ المضغة تأخذ شكلًا مميَّزًا في هذه المرحلة حيث يتمايز الأديم المتوسِّط المجاور للمحور في الأسـبوع الثَّالث إلى سـلسـلة من الكُتَل النَّسـيجيَّة المقسَّـمة على جانبي الأنبوب العصـبيّ (neural tube)[٩]. وينشأ أوَّل زوج من هذه الكتل في المنطقة القُذاليَّة (occipital) في الجنين في حوالي اليوم العشـرين من نموِّ الجنين، ثمَّ تتشـكَّل كتل جديدة تدريجيًّا بالاتجاه الرأسـيّ الذَّيليّ حتَّى نهاية الأسـبوع الخامس حيث يصل عددها إلى (٤٢- ٤٤) زوجًا من الكتل الَّتي تؤدِّي إلى إعطاء الشَّكل المميَّز للمضغة

---

(١) انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٧٦٥.

(٢) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٦٣.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٨/ ٤٥٠، مادّة (مضغ).

(٤) انظر: الفراهيدي، العين، ٤/ ٣٧٠، مادة: (مضغ)؛ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٧٧٠، مادة: (مضغ).

(٥) انظر: الفراهيدي، العين، ٤/ ٣٧٠، مادة: (مضغ).

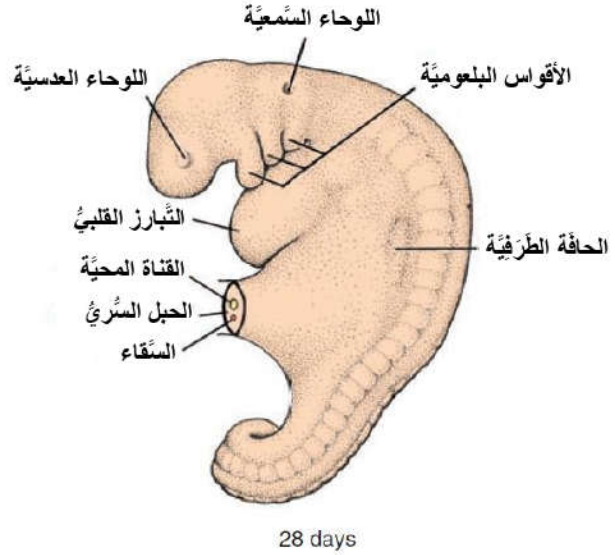
(٦) انظر: القاسمي، محاسـن التأويل، ٧/ ٢٣٣؛ المراغي، تفسـير المراغي، ١٧/ ٨٧؛ ابن عاشـور، التحرير والتنوير، ١٧/ ١٩٧.

(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧/ ١٩٧.

(٨) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩/ ٩٧٦.

(٩) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص١٣٣.

(قطعة اللحم الممضوغة)[١]، انظر الشَّكل رقم (١٢). وإضافة إلى تشابه شكل الجنين في هذه المرحلة مع المضغة، فإنَّ هناك تشابهًا حجميًّا أيضًا معها إذ يبلغ طول الجنين في نهاية هذه المرحلة (١,٢٥ إنشًا)[٢]، أي: ما يعادل (٣,١٧٥ سنتيمترًا).



الشَّكل رقم (١٢) يظهر الجانب الأيسر من جنين بعمر ٢٨ يومًا تقريبًا ذي ٢٥ جُسَيْدَة، وتظهر فيه الأقواس البلعوميَّة الثَّلاثة الأولى[٣]، معطيًا شكلًا يشبه المضغة.

المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر المضغة:

ورد ذكر المضغة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وفي الآية إقامة الحجَّة على من ارتاب في البعث وإمكانه وكونه مقدورًا لله تعالى، فبيَّنت الآية أنَّ بدء خلق الإنسان كان من تراب ثمَّ من نطفة ثمَّ من علقة، ثمَّ من مضغة، ومن كان هذا أصل خلقه، فبعثه وإعادته إلى الحياة أسهل وأيسر[٤]. وورد في قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٧٠-٧٢.

(٢) انظر: Louisiana department of health، Stages of fetal development، https://ldh.la.gov/page/stages-of-fetal-development-first-trimester

(٣) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٦٧.

(٤) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٧/ ٢٣٢.

وتقصُّ هذه الآية قصة خلق الإنسان ومراحل تكوينه، وفيها امتنان من الله تعالى على هذا الإنسان الذي أكرمه الله بخلقه وإيجاده بعد أن لم يكن شيئاً، وأحسن خلقه وتفضَّل بنعمه الكثيرة عليه.

المطلب الثَّالث: المضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة عند المفسِّرين:

ورد توصيف المضغة بالمخلَّقة وغير المخلَّقة في القرآن الكريم مرَّة واحدة، وذلك في آية سورة الحجِّ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وقد اختلف المفسِّرون في المقصود بالمضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة والفرق بينهما على أقوال؛ أشهرها ثلاثة:

القول الأوَّل: المضغة المخلَّقة هي الجنين المكتمل، والمضغة غير المخلَّقة هي السِّقط قبل تمام خلقه. فالمخلَّقة: ما كانت خلقًا سَوِيًّا، وأمَّا غير المخلَّقة، فما دفعته الأرحام من النُّطف وألقته قبل أن يكون خلقًا؛ لأنَّ المخلَّقة وغير المخلَّقة نعت للمضغة، والنُّطفة بعد مصيرها مضغة، لم يبق لها حتَّى تصير خلقًا سويًّا إلَّا التَّصوير، فإن صُوِّرت خلقًا سويًّا كانت مخلَّقة، وأمَّا إن أسقطتها الأمُّ مضغة دون تصوير ودون أن ينفخ فيها الرُّوح فهي غير المخلَّقة(١).

المناقشة: يشير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥] إلى أنَّ المضغة المخلَّقة والمضغة غير المخلَّقة هما مرحلتان لازمتان من مراحل تكوُّن الجنين فهما صفتان للمضغة الواحدة الَّتي يتشكَّل الجنين منها، وليستا متناوبتين، فكون (من) المكررة أربع مرات في الآية ابتدائية، يجعل المضغة من مبادئ الخلق، ويتعيَّن أنَّ كلا الوصفين لازم لها، فلا يستقيم تفسير من فسَّر غير المخلَّقة بأنَّها الَّتي لم يكتمل خلقُها فسقطت(٢)؛ لأنَّ الآية الكريمة تُسَلسِل مراحل تشكُّل الجنين، وليس السِّقط من تلك المراحل، ومن ناحية أخرى لا يحدث السِّقط لكلِّ الأجنَّة بينما بقيَّة المراحل المذكورة تحدث لجميع الأجنَّة، إضافة إلى أنَّ الآية الكريمة تابعت فيما بعد في قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الحديثَ عن مرحلة تالية من مراحل تشكُّل الجنين وهي الإقرار في الأرحام إلى أجل، ولا يمكن أن تَتْلو هذه المرحلة حدوث السِّقط، بل إنَّ كلَّ جنين لا يمرُّ بهذه المرحلة هو سِقْط، فضلًا عن أنَّ السِّقط من الممكن أن يحدث في أيِّ مرحلة سابقة أو لاحقة وغير مقتصر على مرحلة المضغة حتَّى تُخَصِّصَها الآيات بهذا الوصف دون غيرها.

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٨/ ٥٦٧؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩/ ٩٧٦.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧/ ١٩٨.

القول الثَّاني: المضغة المخلَّقة هي المصوَّرة والمضغة غير المخلَّقة هي غير المصوَّرة، والمراد تفصيل حال المضغة وكونها تبدأ بقطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء، ثم تظهر الأعضاء بعد ذلك شيئًا فشيئًا بالتَّدريج[١]. فالآية تشير إلى أطوار تشكُّل تلك المضغة، فإنَّها في أوَّل أمرها تكون غير مخلَّقة، أي: غير ظاهر فيها شكل الخِلْقَة، ثمَّ تكون مخلَّقة، والمراد تشكُّل الوجه ثمَّ الأطراف، "وقدَّم ذكر المخلَّقة على ذكر غير المخلَّقة على خلاف التَّرتيب في الوجود؛ لأنَّ المخلَّقة أدخل في الاستدلال"[٢].

المناقشة: لا يتَّفق هذا القول مع ترتيب الكلام في الآية الَّتي ذكرت المخلَّقة قبل غير المخلَّقة، وأمَّا ما أجيب عن ذلك بأنَّه تعالى "قدَّم ذِكْرَ المخلَّقة على ذِكْرِ غير المخلَّقة على خلاف التَّرتيب في الوجود؛ لأنَّ المخلَّقة أدخل في الاستدلال"[٣] فهو موضع نقاش؛ إذ إنَّ الاستدلال قائم في الآية في النُّطفة والعلقة، وهما أقلُّ من المضغة غير المخلَّقة في الاستدلال حسب هذا القول ومع ذلك تمَّ تقديمهما حفاظًا على التَّرتيب، فلا يصحُّ تعليل تقديم المخلَّقة بأنَّها أدخل في الاستدلال، ولما كان الحال كذلك، صحَّ أن المضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة مرحلتان لازمتان من مراحل تكوُّن الجنين كما ذهب أصحاب هذا القول، ولكنْ لا يصحُّ كونُهما معكوستين بالذِّكْر بل إمَّا متزامنتان لعطفهما بالواو أو مرتَّبتان كما هي بقيَّة المراحل المذكورة في الآية، فضلًا عن كون جميع أنسجة الجسم مخلَّقة ولا يصحُّ وصفها بغير المخلَّقة ولو كانت قبل تشكيل الأعضاء.

القول الثَّالث: المضغة المخلَّقة هي التي ستكوِّن الجنين، بينما المضغة غير المخلَّقة تمثِّل الأنسجة الملحقة بالجنين وأهمُّها المشيمة. فالجنين في هذه المرحلة يكون عبارة عن مضغة تتكوَّن من جزأين متميِّزين؛ الأوَّل هو الجزء المخلَّق الذي سيتحوَّل إلى الجنين نفسه، والثَّاني هو الجزء غير المخلَّق، وهو الَّذي يتكوَّن من المشيمة وبقيَّة الأنسجة الدَّاعمة والملحقات الجنينيَّة، فهما جزءان من مضغة واحدة يشكِّلان وحدة لا تنفصم أبدًا[٤].

المناقشة: يلاحظ من الآية الكريمة أنَّها تعدِّد المراحل الَّتي خُلِق منها الإنسان؛ من التُّراب إلى النُّطفة إلى العلقة إلى المضغة الَّتي تستقر في الرَّحم إلى أجل مسمَّى إلى الحياة الدُّنيا بمراحلها المختلفة إلى الموت وإلى البعث، ويُلاحَظ أنَّ جميع هذه المراحل جاءت مرتَّبة ومعطوفة بـ (ثمَّ). وبالنَّظر في مرحلة المضغة يُلاحَظ أنَّها وُصِفَت بوصفين هما المخلَّقة وغير المخلَّقة، وقد عُطِفَ الوصفان بالواو ما يشير إلى كونهما وصفين متزامنين متلازمين للمضغة، وليسا مرحلتين متتاليتين، أو حالتين متغايرتين يمرُّ بهما الجنين كما بقيَّة المراحل المذكورة

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٧/ ٢٣٣.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧/ ١٩٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: شقفة، القرار المكين، ص٢٣٥.

في الآية الكريمة. فالآية تذكر المراحل مرتَّبة، وهي عند ذكر مرحلة المضغة تصفها بأنَّها مخلَّقة وغير مخلَّقة، وتبين الآية أنَّ هذه المضغة إذا شاء الله لها الحياة أقرَّها في الرَّحم إلى أجل مسمَّى هو وقت الولادة. ويؤيِّد السيَّاق قبول هذا القول، فالآية تذكر مراحل خلق الجنين، ثمَّ تقرن بين المضغة المخلقة وغير المخلقة في مرحلة واحدة تتلو العلقة وتسبق الإقرار في الأرحام إلى أجل مسمَّى هو وقت الولادة، ومن الواضح أن ذلك لا يشمل السِّقط، بل إنَّ السِّقط ليس مرحلة من مراحل تكوُّن الجنين أصلًا.

كما تؤيِّد حقائق العلم التَّجريبيّ هذا القول، حيث تبدأ الفترة المضغيَّة (embryonic period)، أو ما يُعرَف بفترة تكوين الأعضاء (organogenesis)، من بداية الأسبوع الثَّالث وتستمرُّ حتَّى نهاية الأسبوع الثَّامن من نموِّ الجنين. وفي هذه المرحلة يكون الجنين عبارة عن كتلة من الخلايا؛ تشكِّل الكتلة الخُلويَّة الدَّاخليَّة منها المضغة الأصليَّة (embryo proper) الَّتي سينشأ عنها الجنين، بينما تشكِّل الكتلة الخُلويَّة الخارجيَّة الأرومة الغاذية (trophoblast) التي ستشارك في تكوين المشيمة (placenta)[١]. وتشهد كل من الكتلتين الخُلويَّتين تغيُّرات مميَّزة عن الأخرى؛ حيث تتطوَّر الطَّبقات الإنتاشيَّة الثلاث (الأديم الظَّاهر، الأديم المتوسِّط، والأديم الباطن) في المضغة الأصليَّة لتولِّد الأنسجة والأعضاء الأساسيَّة. وبنهاية المرحلة المضغيَّة تكون الأجهزة الرَّئيسة للأعضاء قد تأسَّست، وملامح الجسم الخارجيَّة قد ظهرت، وفي هذه الأثناء، يستمرُّ نموُّ الأرومة الغاذية لتشكِّل الأنسجة الملحقة بالجنين بما فيها المشيمة[٢]، الشَّكل رقم (١٣).

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص١٠٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ، ص٦٣.



الشكل رقم (١٣) يُظهِر جنينًا بعمر ١٨ أسبوعًا، يتَّصل بالمشيمة بحبله السُّريّ، كما يُظهِر المشيمة والسَّلى[١] (المضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة).

(١) Sadler، Langman's medical embryology، ص٩٨.

الفصل الرَّابع: تشكُّل الجنين في المرحلة الجنينيَّة

تمهيد.

المبحث الأوَّل: تشكُّل العظام واللحم.

المطلب الأوَّل: المعنى اللُغويُّ للعظام واللحم.

المطلب الثَّاني: أقوال المفسِّرين في تشكُّل العظام واللحم.

المطلب الثَّالث: تشكُّل العظام واللحم في العلم التَّجريبيِّ.

المبحث الثَّاني: التَّسوية والإنشاء ونفخ الرُّوح.

المطلب الأوَّل: معاني التَّسوية والإنشاء.

المطلب الثَّاني: نفخ الرُّوح في الجنين.

تمهيد:

تبيَّن في الفصل السَّابق أنَّ الجنين يمرُّ خلال نموِّه بمرحلتين متمايزتين؛ هما: المرحلة المضغيَّة (Embryonic Stage) والمرحلة الجنينيَّة (Fetal Stage)[١]. وتتميَّز المرحلة الأولى بتغيُّرات سريعة ومهمة، حيث يبدأ الجنين كنطفة، ثمَّ يتحوَّل إلى علقة تلتصق بجدار الرَّحم، قبل أن يأخذَ هيئة المضغة، وهي المرحلة الَّتي يأخذ فيها الجنين شكله البشري وتبدأ ملامح أعضائه في التَّكوُّن. وأما المرحلة الجنينيَّة، الَّتي تمتدُّ من الأسبوع التَّاسع حتَّى الولادة، فلا تقتصر على استمرار النُّمو، بل تشهد تقدُّمًا كبيرًا في تمايز بنية الأعضاء ووظائفها؛ حيث تتكوَّن العظام ثمَّ العضلات، ويأخذ الجسم شكله النِّهائيَّ استعدادًا للحياة خارج الرحم[٢]. ويركِّز هذا الفصل على المراحل المتقدِّمة من التَّخلُّق البشريّ من خلال مبحثين رئيسين؛ يتناول الأوَّل تحوُّل المضغة إلى عظام ثمَّ اكتسائها باللحم، ويتضمَّن الثَّاني مرحلة التَّسوية والإنشاء، الَّتي تنتهي بنفخ الرُّوح في الجنين، إيذانًا بانتقاله إلى طورٍ جديدٍ من الوجود.

المبحث الأوَّل: تشكُّل العظام واللحم:

تحدَّث القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤][٣]، عن مرحلة تلي خَلْقَ المضغة، وهي طور تشكُّل العظام واللحم. وقد تناول اللغويُّون والمفسِّرون هذه الآية بالشَّرح والتَّفسير، كما بيَّن العلم التَّجريبيُّ كيفيَّة تمايز العظام والعضلات وتوقيت تكوُّن كلٍّ منهما بدقَّة. ويتناول هذا المبحث دراسة هذه المرحلة من خلال ثلاثة مطالب، يتطرَّق فيها أوَّلًا إلى المعنى اللغويّ للعظام واللحم، ثمَّ يَعرض أقوال المفسِّرين حول كيفيَّة تشكُّلهما، وأخيرًا يُسلِّط الضَّوء على الحقائق العلميَّة المتعلِّقة بتكوُّن العظام والعضلات كما يُبيِّنها العلم التَّجريبيُّ.

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٦٣، ٩٦.

(٢) انظر: Moore وزملاؤه، The developing human، ص٨٤؛ Flaman & Miklavcic، Personhood status of the human zygote, embryo, fetus، ص١٣٠.

(٣) قرأ الجمهور قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤]، بصيغة جمع (الْعِظَام) فيهما، وقرأه ابن عامر وشعبة عن عاصم (عظمًا) بصيغة الإفراد. انظر: الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ٥/ ٢٨٨؛ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٣٢٨.

المطلب الأوَّل: المعنى اللُغويُّ للعظام واللحم:

ذكر ابن فارس في معنى العظام أنَّ العَيْن والظَّاء والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على كِبَر وَقُوَّة، ومن هذا الباب العَظْم المعروف، وقد سُمِّي بذلك لِقُوَّته وشِدَّته[١]. كما ذكر أنَّ اللَّام والحاء والميم أصلٌ صحيحٌ، يدلُّ على تداخُل؛ مثل: اللَّحم الَّذي هو متداخِل بعضه في بعض[٢]، ووضَّح الزَّبيديُّ: أنَّ لحم الشَّيء هو لُبُّه[٣]، وذكر ابن سِيدَه: أنَّه اللّحْم واللَّحَم، وجَمْعها ألْحُم ولُحُوم ولِحَام ولُحْمانُ، ويُقال: رجل لَحِيمُ ولَحِمٌ؛ أي: كَثِيرُ لَحْمِ الجسَد[٤]. وبتأمُّل قوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ يُلاحظ براعة التَّصوير المتزامنة مع دقَّة النَّظم، إذ شُبِّه امتداد اللحم على مساحة العظم بالكِساء. والكِساء لغةً: من الكِسْوة والكُسْوة؛ أي: اللِّباس، ويقال: كَسَوْته إذا أَلْبسته، واكْتَسَى إذا لبس الكِسْوَةَ، ومن المجاز[٥] القول: اكْتَسَتِ الأرض بالنَّبات؛ أي: تغطَّت به[٦].

المطلب الثَّاني: أقوال المفسِّرين في تشكُّل العظام واللحم:

يرى المفسِّرون أنَّ معنى قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾: فجعلنا تلك المضغة المكوَّنة من اللحم عظامًا[٧]، أو صيَّرناها عظامًا[٨]، بأن صلَّبناها وجعلناها عمودًا للبدن، على هيئات وأوضاع مخصوصة[٩]، وخَلْقُ المضغة عظامًا هو تكوين العظام داخلها، وذلك هو ابتداء تكوين الهيكل الإنسانيّ من عظم ولحم[١٠].

---

(١) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤/ ٣٥٥، مادة: (عَظَمَ).

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥/ ٢٣٨، مادة: (لَحَمَ).

(٣) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣٣/ ٤٠٤، مادة: (لَحَمَ).

(٤) انظر: ابن سيده، المخصص، ١/ ٤٢٥.

(٥) المجاز: "هو الكلمة المُستعمَلة في غير ما هي موضوعة له بالتَّحقيق، استعمالًا في الغير بالنِّسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع". السكاكي، مفتاح العلوم، ص٣٥٩.

(٦) انظر: الفراهيدي، العين، ٥/ ٣٩٢، مادة: (كَسَوَ).

(٧) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٩/ ١٦.

(٨) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٣/ ٢٦٤؛ المراغي، تفسير المراغي، ١٨/ ٩.

(٩) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٧/ ٢٨٤.

(١٠) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٤.

وقوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾: أي: ألبسنا العظام لحمًا[١]، وذلك لأنَّ اللحم يستر العظام، فجعله كالكسوة لها[٢]، محيطًا بها ساترًا لها كاللباس[٣]، فمعنى (فكسونا): أنَّ اللحم كان كالكسوة للعظام، ولا يقتضي ذلك أنَّ العظام بقيت حينًا غير مكسوة، فالفاء هنا فاء التفريع[٤] الَّتي تفيد أنَّ الكلام بعدها مترتِّب على الكلام الَّذي قبلها[٥].

المطلب الثَّالث: تشكُّل العظام واللحم في العلم التَّجريبيّ:

يتكوَّن الجهاز الهيكليُّ العضليُّ من عظام الهيكل العظميّ والغضاريف، والأوتار والأربطة والمفاصل، والأنسجة الضَّامَّة الأخرى الَّتي تدعم وتربط أنسجة الجسم وأعضاءه معًا، وهو ينشأ ابتداء بتعضّي الأديم المتوسّط المجاور للمحور (paraxial mesoderm) في الأسبوع الثَّالث بعد الإلقاح على شكل سلسلة قطعيّة من كتل الأنسجة على جانبَي الأنبوب العصبيّ (neural tube)، وتُعرَف باسم القُسَيمات الجسديَّة (somitomeres) في منطقة الرأس، وباسم الجُسَيدات (somites) من المنطقة القُذاليَّة حتَّى الذَّيليَّة[٦]. وينشأ أوَّل زوجٍ من الجُسيدات في المنطقة القذاليَّة (occipital) في الجنين في حوالي اليوم العشرين من النَّماء، وتظهر بعد ذلك جُسَيدات جديدة متتالية بالاتجاه الرأسيّ الذَّنبيّ بمعدل ثلاثة أزواج يوميًا حتَّى نهاية الأسبوع الخامس من النَّماء حيث يوجد (٤٢- ٤٤) زوجًا من الجُسَيدات؛ منها: أربع جُسَيدات قُذاليَّة، وثمان جُسَيدات رقبيَّة (cervical)، واثنتا عشر جُسَيدة صدريَّة (thoracic)، وخمس جُسَيدات قَطَنيَّة (lumbar)، وخمس جُسَيدات عَجُزيَّة (sacral)، وثمان إلى عشر جُسَيدات عُصعصيَّة (coccygeal)، وتختفي فيما بعد الجُسَيْدة القُذاليَّة الأولى والجُسَيدات العُصعصية الخمسة إلى السبعة الأخيرة، وسيشكل الباقي الهيكل المحوريّ[٧].

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٩/ ١٦.

(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٣/ ٢٦٤.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٧/ ٢٨٤؛ المراغي، تفسير المراغي، ١٨/ ٩.

(٤) التَّفريع عند النُّحاة: هو ترتُّب اللاحق على السَّابق لوجود ارتباط بينهما، بحيث يكون الثَّاني نتيجةً للأوَّل أو مترتبًا عليه. وتختصُّ (الفاء) بهذا الاستعمال إذا أفادت معنى النَّتيجة أو التَّرتيب، فتُسمَّى فاء التَّفريع أو فاء النَّتيجة، سواء كانت عاطفة أم سببيَّة. انظر: المدني، الحدائق الندية، ص٨٧٧. ففي قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، عندما ثبت أنَّ المضغة تحوَّلت إلى عظام، كان من الطبيعيّ أن تُكسَى هذه العظام باللحم، فهنا يُشعِر الربط بين الجملتين بفاء التَّفريع بأنَّ كسوة العظام باللحم أمرٌ مترتِّب ونتيجة لخلق العظام.

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/ ١٠٢.

(٦) انظر: Sadler، Langman's Medical Embryology، ص١٣٣.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص٧٠-٧٢.

ومع بداية الأسبوع الرَّابع، تَفْقِد الخلايا في الجدران البطنيَّة الأُنسيَّة للجُسَيدات خصائصها الظِهَارِيَّة (epithelial)، وتعود لشكل اللُحْمَة المُتَوَسِّطَة (mesenchymal) (بحيث تشبه الأَرُوْمَات الليفيَّة) مرَّة أخرى، وتتحرَّك لتحيط بالأنبوب العصبيّ والحبل الظَّهريّ (notochord)، وتشكِّل هذه الخلايا البَضْعَة العظميَّة sclerotome الَّتي ستتمايز إلى الفقرات (vertebrae) والأضلاع (ribs). وبالمقابل، تشكِّل الخلايا الموجودة عند الحواف الظهريَّة الأنسيَّة (dorsomedial) والبطنيَّة الوحشيَّة (ventrolateral) للمنطقة العلوية من الجُسيدات أسلاف الخلايا العضليَّة، بينما تشكِّل الخلايا بين هاتين المجموعتين البَضْعَة الجلديَّة (dermatome). وتصبح خلايا مجموعة السَّلائف العضليَّة ميزانشيميَّة مرَّة أخرى وتهاجر تحت البَضْعَة الجلديَّة لتكوِّن البَضْعَة الجلديَّة العضليَّة (dermomyotome). وبالإضافة إلى ذلك، تهاجر الخلايا الناشئة من الحافة البطنيَّة الوحشيَّة إلى الطبقة الجداريَّة (parietal) من الأديم المتوسِّط للصَّفيحة الوحشيَّة (lateral plate mesoderm) لتكوِّن معظم العضلات لجدار الجسم (العضلات المائلة الخارجيَّة والداخليَّة والعضلات المستعرضة) ومعظم عضلات الأطراف. وفي النهاية، تشكِّل خلايا البَضْعَة الجلديَّة العضليَّة (dermomyotome) أدمة جلد الظهر وعضلات الظهر والعضلات بين الأضلاع (intercostal) وبعض عضلات الأطراف. وتحتفظ كلُّ بَضْعَة جلديَّة وكلُّ بَضْعَة عظميَّة بتعصيبها من الجزء الأصليّ الَّذي نشأت منه بغضِّ النَّظر عن المكان الَّذي تهاجر إليه الخلايا، وبالتَّالي فإنَّ كلَّ جُسَيدة تشكِّل بَضْعتها العظميَّة (sclerotome) الخاصَّة بها (الأوتار والغضاريف والعظام)، وبَضْعتها العضليَّة (myotome) الخاصَّة بها (الَّتي تشكِّل العضلات الخاصَّة بكلِّ قطاع)، وبَضْعتها الجلديَّة الخاصَّة (dermatome) الَّتي تشكِّل أدمة الظَّهر، كما تملك كلُّ بَضْعَة عضليَّة وبَضْعَة عظميَّة أيضًا تعصيبها الخاصّ[١]. ويظهر في بداية الأسبوع الخامس الطَّرفان الأماميَّان والخلفيَّان بصورة براعم تشبه مجذاف السَّفينة (paddle-shaped)[٢].

وتتكوَّن الأطراف بما في ذلك الكتف والزِّنار الحوضيُّ من الهيكل العظميّ الطَّرفيّ (appendicular) حيث تصبح براعم الأطراف في نهاية الأسبوع الرَّابع من النَّماء مرئيَّة كنتوءات خارجة من جدار الجسم البطنيّ الوحشيّ، وتظهر نتوءات الأطراف العلويَّة وتتبعها بعد يوم إلى يومين نتوءات الأطراف السفليَّة. ويتشابه نموُّ الأطراف العلويَّة والسفليَّة باستثناء أنَّ تكوين الطَّرف السفليّ يكون بعد يوم إلى يومين من تكوين الطَّرف العلويّ. وفي سياق تشكيل الشَّكل الخارجيّ تبدأ اللُحمة المتوسِّطة في البراعم بالتَّكاثف وتتمايز هذه الخلايا إلى خلايا غضروفيَّة، **وبحلول الأسبوع السَّادس من النَّماء يتمُّ تشكيل أوَّل نموذج غضروف زجاجيّ بواسطة هذه الخلايا الغضروفيَّة مؤذنًا ببداية تشكُّل عظام الأطراف. كما تُلاحَظ الدَّلائل**

---

(١) انظر: Sadler، Langman's Medical Embryology، ص٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٨١.

الأولى على تكوين عضلات الأطراف في الأسبوع السَّابع من النَّماء على شكل كثافة في اللُّحمة المتوسِّطة قرب قاعدة برعم الطَّرف، وتُشتَقُّ اللُّحمة المتوسِّطة من الخلايا الظَّهريَّة الوحشيَّة للجُسَيدات الَّتي تهاجر إلى البرعم الطرفيّ لتشكيل العضلات(١).

ويُلاحظ ممَّا سبق أنَّ القرآن الكريم يقدِّم عرضًا دقيقًا وموجزًا لتحوُّل المضغة إلى عظام، ثمَّ كسوة العظام باللحم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، وهو ما يُعرَف علميًّا بتشكُّل الجهاز الهيكليّ العضليّ. وقد أظهرت الدِّراسات العلميَّة الحديثة في علم الأجنَّة توافقًا ملحوظًا مع هذا الوصف القرآنيّ، حيث أثبتت الأبحاث أنَّ العظام تتشكَّل أوَّلًا في صورة غضاريف تتصلَّب لاحقًا، ثمَّ يليها مباشرة تشكُّل العضلات والأنسجة الَّتي تحيط بها، وهذا التَّقاطع بين الوصف القرآنيّ والعلميّ يعكس عظمة بلاغة ودقَّة الوصف القرآنيّ الَّذي سبق العلوم التَّجريبيَّة في تقديم صورة إجماليَّة واضحة عن مراحل الخلق، كما أنَّ هذا التَّناغم بين النَّصِّ القرآنيّ والمعرفة العلميَّة الحديثة يعزِّز من فهمنا لكيفيَّة التقاء الإيمان والعلم في إظهار عظمة الخالق.

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص١٤٨-١٥١.

المبحث الثَّاني: التَّسوية والإنشاء ونفخ الرُّوح:

أشار القرآن الكريم إلى أنَّ تشكيل الجنين لا ينتهي بعد مرحلة المضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة، ولا عند خَلْق العظام وكسائها باللحم، بل يستمرُّ لفترة إضافيَّة يبقى فيها الجنينُ في الرَّحم إلى أجل مسمَّى حتَّى يحين وقت ولادته. ومع اكتمال المراحل السَّابقة، تأتي عمليَّات التَّسوية والإنشاء ونفخ الرُّوح، وهي مراحل يتجلَّى فيها تشريف الإنسان وتكريمه بوصفه مخلوقًا مميَّزًا، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [السجدة: ٩]، وهذا يؤكِّد أنَّ الإنسان لا يُخلَق من عناصر ماديَّة فحسب، بل يتمتَّع بجانب روحانيّ يؤهِّله لحمل أمانة التَّكليف في الأرض، ممَّا يميِّزه عن سائر المخلوقات. ويستعرض هذا المبحث هذا الموضوع من خلال مطلبين اثنين: يتناول الأوَّل معانيَ التَّسوية والإنشاء، ويناقش الثَّاني نفخَ الرُّوح في الجنين.

المطلب الأوَّل: معاني التَّسوية والإنشاء:

أشار القرآن الكريم إلى تسوية الجنين وإنشائه خلقًا مستقلًّا في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ – ٩]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤]. وفيما يأتي استعراض للمعاني اللغوية للتَّسوية والخلق، ثمَّ لأقوال المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، ثمَّ لمعاني التَّسوية والإنشاء في العلم التَّجريبيّ.

الفرع الأوَّل: التَّسوية والإنشاء والخلق لغةً:

وردت (التَّسوية) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]، وقد بيَّن ابن فارس أنَّ السِّين والواو والياء أصلٌ واحد، يدلُّ على الاستقامة والتَّعادل بين شيئين[١]، فالله سوَّى أعضاء جسم الإنسان وعدَّلها في المماثلة، لا تَفْضُل يدٌ على أخرى ولا رِجْلٌ على أخرى، فسوَّاه إنسانًا كريمًا ولم يجعله حيوانًا بهيمًا[٢]. وتبدو على الجنين في هذه المرحلة مظاهر جديدة، كاكتمال الأعضاء ونضجها، كالقلب والكبد والدِّماغ والسَّمع والبصر، وتبدأ عضلاته

(١) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣/ ١١٢، مادة: (سَوِيَ).

(٢) انظر: الماوردي، النكت والعيون، ٦/ ٢٢٢.

الإراديَّة بالحركة ويتقلَّب في رحم أمِّه، وتبدأ الأظـــافر بالظُّهور في أطراف أصابع اليدين والقدمين، وتنضج معالم الشَّخصيَّة المميِّزة له عن جميع البشر(١).

وورد (الإنشـــاء) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَـــأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَـــنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وأنشـــأ الله الخلق: ابتدأ خلقهم، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَـــأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَـــاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]؛ أي: ابتدعها وابتدأ خلقها، وكلُّ من ابتدأ شيئًا فهو أنشأه(٢)، فالإنشاء هو الإحداث حالًا بعد حال من غير احتذاءٍ على مثال(٣).

وأمَّا (الخلق)، فأصل الخَلْق: التَّقدير المستقيم، ويُستعمَل في إيجاد الشَّيء من العدم دون أَصل له ولا احتذاء، نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذي خَلَقَ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٩]؛ أي: أَبدعهما، بدلالة قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]. وقد يُستعمَل الخلقُ في إبداع الشَّـــيء من الشَّـــيء، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢- ١٤]، والخلق بمعنى الإبداع من العدم هو لله تعالى دون غيره(٤)، وبذلك فإنَّ معنى الخلق في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] هو إبداع الشيء من الشـيء، وعُطِف هذا الإنشـاء بـــ (ثُمَّ) الدَّالَّة على أصـل التَّرتيب للإشـارة إلى التَّفاوت الرُّتبيّ(٥) بين الحالتين(٦).

الفرع الثاني: أقوال المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾:

تعدَّدت أقوال المفسِّرين في المقصود بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ إلى عدَّة أقوال:

---

(١) انظر: عاشور، الإنسان في القرآن الكريم، ص٢٥٥.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/ ١٧٠، مادة (نشأ).

(٣) انظر: العسكري، الفروق اللغوية ، ص١٣٤.

(٤) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٢٩٦، مادة: (خلق).

(٥) ويترتَّب على كون (ثُمَّ) للتَّفاوت الرُّتبيّ أنَّ الإنشاء خلقًا آخر هو أعظم من المراحل الَّتي سبقته، فالعطف بـ (ثُمَّ) الدَّالة على التَّفاوت الرُّتبيّ يدلُّ على أنَّ ما يليها أبلغ ممَّا يســـبقها، ذلك أنَّ (ثُمَّ) قد تأتي للدَّلالة على التَّراخي الرُّتبيّ، أي: لترتيب التَّالي على السَّابق لها في الوجود بمهلة بينهما في الزَّمان، أو تأتي للتَّفاوت الرُّتبيّ بمهلة في المعنى مع ما بينهما من قدر مشترك. انظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٥/ ١٣٧؛ الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ٢/ ١٨٣.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٤.

القول الأوَّل: المقصود هو نفخ الرُّوح فيه[١]، وهو بنفخ الرُّوح فيه يتحوَّل إلى إنسان بعد أن تنقَّل في تلك الأحوال الَّتي وصفه الله تعالى بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم ولحم، وبنفخ الرُّوح فيه يتحوَّل عن تلك المعاني إلى معنى الإنسانيَّة كما تحوَّل آدم بنفخ الرُّوح من الطِّين الَّذي خُلِق منه إلى إنسان[٢]، فنفخ الرُّوح فيه جعله خلقًا مباينًا للخلق الأوَّل، إذ جعله حيوانًا بعد ما كان أشبه بالجماد، ناطقًا سميعًا بصيرًا، فيه من الغرائب ظاهرها وباطنها ما لا يحصى[٣]. واستدلَّ أصحاب هذا القول بقول النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ»[٤]، "فإذا نُفِخَ فيه الرُّوح فقد تهيَّأ للحياة والنَّماء، وذلك هو المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾؛ لأنَّ الخلق المذكور قبله كان دون حياة ثمَّ نشأ فيه خَلْقُ الحياة، وهي حالة أخرى طرأت عليه عبَّر عنها بالإنشاء"[٥].

القول الثَّاني: المقصود بالإنشاء خلقًا آخر هو تمييز أعضائه وتصويره، وجَعْلُه في أحسن تقويم[٦].

ويمكن أن يُفهَم من الآيات أنَّ المقصود بالإنشاء هو نفخ الرُّوح، ويكون ذلك بالجمع بين الآيات الَّتي تتحدَّث عن مراحل تشكُّل الجنين، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٧ – ٩]، فقد أشارت الآيات الكريمات إلى تَرَافُقِ التَّسوية ونفخ الرُّوح، إضافة إلى ما استدلَّ به أصحاب هذا القول من الحديث الشريف. كما يبدو من السِّياق أيضًا أنَّ الآيات الكريمات تعدِّد مراحل تشكُّل الجنين، وبذلك فلا مانع من أنَّ المقصود بالإنشاء في قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ هو إعطاؤه الشَّكلَ البشريَّ الَّذي يُميِّزه عن سائر المخلوقات الأخرى.

---

(١) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩/ ١١٢٢.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٩/ ١٧.

(٣) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ١٨/ ٩.

(٤) صحيح البخاريّ، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٤/ ١١١، رقم ٣٢٠٨؛ صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفيَّة خلق الآدميّ في بطن أمه، ٤/ ٢٠٣٦، رقم ٢٦٤٣، واللفظ للبخاريّ.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٤. ويرى الباحث أنَّه لا يصحُّ القول: "الخلق المذكور قبله كان دون حياة ثمَّ نشأ فيه خلق الحياة"، وسيأتي تعليل ذلك عند بيان الفرق بين الحياة والرُّوح، وتوقيت بثِّ الحياة ونفخ الرُّوح في الجنين في المطلب الثَّاني من هذا المبحث.

(٦) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٧/ ٢٨٤.

الفرع الثَّالث: التَّسوية والإنشاء في العلم التَّجريبيّ:

تحدث الفترة المضغيَّة (embryonic period) أو فترة تكوين الأعضاء (organogenesis) ابتداءً من الأسبوع الثَّالث حتَّى الأسبوع الثَّامن من النَّماء، وهو الزَّمن الَّذي تقوم فيه الطَّبقات الإنتاشيَّة الثَّلاثة (الأديم الظَّاهر والأديم المتوسِّط والأديم الباطن) بتوليد عدد من الأنسجة والأعضاء الخاصَّة كما مرَّ، ومع أنَّ الأجهزة الرئيسة تتأسَّس في نهاية هذه المرحلة، وتظهر الأشكال الرئيسة للجسم الخارجيّ والَّتي يمكن تمييزها في نهاية الشَّهر الثَّاني[١]، فإنَّ موعد الولادة يبقى بعيدًا، وتدوم مدَّة الحمل ٢٨٠ يومًا أو ٤٠ أسبوعًا منذ بداية آخر طمث أو ٣٨ أسبوعًا بعد الإلقاح في الحالات الطبيعيَّة. وتُعرَف الفترة الَّتي تبدأ من الأسبوع التَّاسع حتَّى الولادة باسم الفترة الجنينيَّة، وتتميَّز بنُضْج النُّسج والأعضاء والنُّمو السَّريع للجسم. وتكون زيادة الطُّول واضحة في الأشهر الثَّالث والرَّابع والخامس، وأمَّا زيادة الوزن فتُلاحظ بوضوح في الشَّهرين الأخيرين من الحمل[٢].

المطلب الثَّاني: نفخ الرُّوح في الجنين:

عندما نتساءل عن موعد نفخ الرُّوح فنحن حتمًا لا نقصد الموعد الَّذي يصبح فيه الجنين كائنًا حيًّا؛ إذ إنَّ صفة الحياة ملازمة لهذا الكائن منذ أن كان لاقحة، بل قبل ذلك عندما كان نطفة وبُيَيْضَة، وإنَّما السُّؤال هو عن ذلك الحدث الَّذي يطرأ على الجنين في مرحلة ما من نمائه والَّذي أشار إليه القرآن الكريم. وفيما يأتي بيان لمعنى نفخ الرُّوح، ثمَّ عرض لأقوال علماء الشَّريعة في توقيت نفخ الرُّوح، ثمَّ مناقشة لتحديد توقيت نفخ الرُّوح بالجمع بين دلالات الآيات وأحداث النَّماء.

الفرع الأوَّل: معنى نفخ الرُّوح:

الرَّاء والواو والحاء أصل كبير مطَّرد، يدلُّ على سعة وفسحة واطِّراد، وأصل ذلك كله الرِّيح، وأصل الياء في الرِّيح الواو، وإنَّما قُلِبت ياءً لكسر ما قبلها، فالرُّوح روح الإنسان، وهو مشتقٌّ من الرِّيح، وكذلك الباب كلُّه، والرُّوح: نسيم الرِّيح، ويُقال: أراح الإنسان إذا تنفَّس، ويُقال: أَرْوَح الماء إذا تغيَّرت رائحته. والرُّوح: جبريل عليه السَّلام. قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوح الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وَالرَّوَاحُ: الْعَشِيُّ، وسُمِّي بذلك لِرَوْحِ الريح، فإنَّها في الأغلب تهبُّ بعد الزوال، وراحوا في ذلك الوقت: من لدن زوال الشَّمس إلى الليل[٣]. والرُّوحُ، بالضَّم: ما به حياة الأنفس، والقرآن، والوحي، وجبريل وعيسى

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٦٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٩٦-٩٩.

(٣) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٥٤، مادة (روح).

عليهما السَّلام، والنَّفخ، وأمر النُّبوَّة، وحكم الله تعالى، وأمره، وبالفتح: الرَّاحة، والرَّحمة، ونسيم الرِّيح[١]. وأصل الرِّيح والرُّوح والرَّوح والرَّاحة واحد، وأصل الكلمة من الطِّيب، وذلك أنَّ الرِّيح تطيِّب الهواء، والرُّوح يَطِيْبُ به الجسد، والرَّاحة يَطِيْبُ العيش معها، والأريحيَّة طيب النَّفس بالبذل، والطِّيب في الأصل فيما يُستنشَق، والرَّيحان معروف، سُمِّيَ بذلك لطيب ريحه، والرَّيحان: الرِّزق؛ لأنَّ من وجده استراح، ولأنَّ النَّفس تحبُّه كما تحبُّ الرَّيحان[٢].

وذُكِرَ نفخ الرُّوح في القرآن الكريم في أربعة أنواع من الخلق:

الأوَّل: نفخ الرُّوح في آدم عليه السَّلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩]، وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢].

الثاني: نفخ الرُّوح في ذرية آدم عليه السَّلام عند خَلْقِ كلِّ واحد منهم، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ – ٩].

الثَّالث: نفخ الرُّوح في عيسى عليه السَّلام، والَّذي كان في رحم مريم عليها السَّلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

الرَّابع: نفخ الرُّوح في الطَّير، كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

ويُلاحظ أنَّ نفخ الرُّوح في آدم عليه السَّلام وفي ذريته وفي عيسى عليه السَّلام نُسِبَ للهِ جلَّ وعلا، وأمَّا في خلق الطير فالنفخ نُسِبَ إلى عيسى عليه السَّلام، وإضافة الرُّوح إلى الله تعالى هي إضافة خَلْق إلى خالق، فالرُّوح خَلْق من خلقه تعالى أضافه إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا[٣]، وهي أيضًا إضافة تخصيص؛ نحو: بيت الله، وناقة الله، وعبد الله[٤].

---

(١) انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٢٢٠، مادة: (روح).

(٢) انظر: العسكري، الوجوه والنظائر، ص٢٢٩.

(٣) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١/ ٢٣٢؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٢٤.

(٤) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١/ ٢٣٢.

الفرع الثَّاني: أقوال علماء الشَّريعة في توقيت نفخ الرُّوح:

يبدو من خلال تتبُّع آراء علماء الشَّريعة في توقيت نفخ الرُّوح أنَّهم اختلفوا على قولين:

القول الأوَّل: يكون نفخ الرُّوح بعد مئة وعشرين يومًا من الحمل، وقد نقل بعضُهم الإجماع على ذلك، وممَّن نقل هذا الإجماع القاضي عياض[١]، حيث قال: "ولم يُختلَف أنَّ نفخ الرُّوح فيه [في الجنين] بعد مئة وعشرين يومًا، وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله في الخامس، وهذا قد جُرِّب بالمشاهدة، وعليه يُعوَّل فيما يُحتاج إليه من الأحكام"[٢]، كما نقل هذا الإجماع القرطبيُّ[٣]، حيث قال: "لم يختلف العلماء أنَّ نفخ الرُّوح فيه يكون بعد مئة وعشرين يومًا، وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله في الخامس كما بيَّنَّاه في الأحاديث، وعليه يُعوَّل فيما يُحتاج إليه من الأحكام"[٤]، ونقل النَّوويُّ[٥] الإجماعَ على ذلك أيضًا، حيث قال: "واتَّفق العلماء على أنَّ نفخ الرُّوح لا يكون إلَّا بعد أربعة أشهر"[٦]، وقال العينيُّ[٧]: "واتَّفق العلماء أنَّ نفخ الرُّوح لا يكون

---

(١) هو عِيَاضُ بن موسى بن عِيَاضُ اليَحْصَبِيُّ ، أبو الفضل، إمام وقته في الحديث وعلومه والتَّفسير وعلومه، وكان فقيهًا أصوليًّا عالمًا بالنَّحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، وحافظًا لمذهب مالك رحمه الله تعالى، ومن أشهر كتبه: (كتاب الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى) و (إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم)، وتُوُفِّيَ سنة أربع وأربعين وخمسمئة للهجرة. انظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، ٢/ ٤٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠/ ٢١٢.

(٢) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ١٢٣.

(٣) هو محمَّدُ بن أحمدَ بن أبي بكرٍ الأنصاريُّ القرطبيُّ، أبو عبد الله، من كبار المفسِّرين، وله تصانيف مفيدة تدلُّ على إمامته، ومن أشهرها: (الجامع لأحكام القرآن) المعروف بتفسير القرطبيّ و (التِّذكار في أفضل الأذكار)، وتُوُفِّيَ سنة إحدى وسبعين وستُّمئة للهجرة. انظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص٩٢؛ الزركلي، الأعلام، ٥/ ٣٢٢.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ٨.

(٥) هو يحيى بن شرف بن مَرِيّ بن حسن النَّوَوِيُّ، أبو زكريَّا، علَّامة بالفقه والحديث، وصاحب التَّصانيف النَّافعة، ومن أشهرها: (منهاج الطَّالبين) و (المنهاج في شرح صحيح مسلم) و (رياض الصَّالحين من كلام سيِّد المرسَلين)، وتُوُفِّيَ سنة ست وسبعين وستمئة للهجرة. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/ ١٧٤؛ الزركلي، الأعلام، ٨/ ١٤٩.

(٦) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٦/ ١٩١.

(٧) هو محمودُ بن أحمدَ بن موسى بن أحمد العَيْنِيُّ الحنفيُّ، أبو محمَّد، مؤرِّخٌ ومن كبار المحدِّثين، ومن أشهر كتبه: (عمدة القاري في شرح البخاريّ) و (البناية في شرح الهداية) و (المقاصد النَّحويَّة)، وتُوُفِّيَ سنة خمس وخمسين وثمانمئة للهجرة. انظر: السخاوي، الضوء اللامع، ١٠/ ١٢٨؛ الزركلي، الأعلام، ٧/ ١٦٣.

إلَّا بعد أربعة أشهر ودخوله في الخامسة"[١]، وقال ابن عابدين[٢]: "نقل بعضُهم أنَّه اتَّفق العلماء على أنَّ نفخ الرُّوح لا يكون إلَّا بعد أربعة أشهر"[٣].

وقد استدلَّ أصحاب هذا القول بالعديد من الأدلَّة، أشهرها حديث عبد الله بن مسعود[٤] المرويّ في صحيح البخاريّ[٥] أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ»[٦]، وقد فهم هذا الفريق من الحديث أنَّ كلَّ طور من أطوار الخلق يستغرق أربعين يومًا، فيكون مجموع تلك الأطوار من النُّطفة إلى العلقة إلى المضغة مئة وعشرين يومًا، وأنَّ نفخ الرُّوح لا يكون إلَّا بعد أربعة أشهر.

القول الثَّاني: يكون نفخ الرُّوح بعد الأربعين يومًا الأولى إلى بضعة وأربعين، وأشهر أدلَّته ما رواه حُذَيْفَةُ بن أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ[٧] عن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ

---

(١) العيني، عمدة القاري، ٣/ ٢٩٣.

(٢) هو محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقيُّ، فقيه الدِّيار الشَّاميَّة وإمام الحنفيَّة في عصره، ومن أشهر كتبه: (ردُّ المحتار على الدُّرِّ المختار) و (حاشية على المطوَّل)، وتُوُفِّيَ سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف للهجرة. انظر: البيطار، حلية البشر، ص١٢٣٠؛ الزركلي، الأعلام، ٦/ ٤٢.

(٣) ابن عابدين، رد المحتار، ١/ ٣٠٢.

(٤) هو عبدُ اللهِ بن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذَلِيُّ، أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ جليل من أهل مكَّة، وأوَّل من جهر بقراءة القرآن، وكان خادمَ رسول الله الأمين، وصاحبَ سرِّه، ورفيقَه في حلِّه وترحاله وغزواته، وتُوُفِّيَ سنة اثنتين وثلاثين للهجرة. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ٢٨٠؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ١٩٨.

(٥) هو محمَّدٌ بن إسماعيلَ بن إبراهيم بن المغيرة البُخاريُّ، أبو عبد الله، حَبْرُ الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ومن أشهر تصانيفه: (الجامع الصَّحيح) المعروف بصحيح البخاريّ، و (الأدب المفرَد) و (خلق أفعال العباد)، وتُوُفِّيَ سنة ست وخمسين ومئتين للهجرة. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢/ ١٠٤؛ الزركلي، الأعلام، ٦/ ٣٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٤/ ١١١، رقم ٣٢٠٨.

(٧) هو حُذَيْفَةُ بن أَسِيدٍ بن خالد الْغِفَارِيُّ، أبو سَرِيحَة، صحابيٌّ جليل، شهد الحُدَيبيةَ، وذُكِرَ فيمن بايع تحت الشَّجرة، وأخرج له مسلم وأصحاب السُّنن، وتُوُفِّيَ سنة اثنتين وأربعين للهجرة. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٤٦٦؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٣٨.

عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ»[١]، وقد أخرجه الإمام مسلم[٢] بِصِيَغٍ متقاربة، تتراوح من أربعين ليلة إلى اثنتين وأربعين ليلة، إلى خمسة وأربعين ليلة، إلى بضع وأربعين ليلة، كما استدلُّوا على ما ذهبوا إليه ببعض الأحاديث الأخرى في هذا الباب[٣].

المناقشة: يبدو من الجليّ إمكان ردِّ الإجماع الَّذي نقله الفريق الأوَّل بوجود الأحاديث الصَّحيحة كحديث حذيفة، والأحاديث الأخرى الَّتي تسانده، والَّتي تشير إلى أنَّ التَّكوين يكون على رأس الأربعين، كما يتبيَّن من خلال النَّظر في حديثي ابن مسعود وحذيفة أنَّه يمكن الجمع بينهما من خلال رواية مسلم لحديث ابن مسعود، حيث ورد فيه الحديث مع زيادة صحيحة، وهي قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»[٤]، ويمكن تأويل هذا الحديث كما يلي: (إنَّ أحدَكم يُجمَع خلقُه في بطن أمِّه أربعين يومًا، ثمَّ يكون في ذلك)، أي: في ذلك العدد من الأيَّام (علقة) مجتمعة في خلقها (مثل ذلك)، أي: مثلما اجتمع خلقُكم في الأربعين، (ثمَّ يكون في ذلك)، أي: في الأربعين يومًا ذاتِها (مضغة) مجتمعةً مكتملةَ الخلق المقدَّر لها (مثل ذلك)، أي: مثلما اجتمع خلقُكم في الأربعين يومًا. وكخلاصة لما سبق فإنَّ جمهور علماء الشَّريعة قالوا بأنَّ الرُّوح تُنفَخ في الجنين بعد الأربعين الثَّالثة أخذًا بظاهر حديث ابن مسعود المرويّ في صحيح البخاريّ،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفيَّة خلق الآدميّ في بطن أمه، ٤/ ٢٠٣٧، رقم ٢٦٤٥.

(٢) هو مسلمُ بن الحجَّاجِ بن مسلمٍ القُشَيريُّ النَّيسابوريُّ، أبو الحسين، حافظٌ من أئمة المحدِّثين، ومن أشهر تصانيفه: (صحيح مسلم) و (المسند الكبير) و (الأفراد والوِحدان)، وتُوُفِّيَ سنة إحدى وستِّين ومئتين للهجرة. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢/ ١٢٥؛ الزركلي، الأعلام، ٧/ ٢٢١.

(٣) منها ما رواه ابن مسعود عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا يَشَاءُ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا يَشَاءُ وَيَكْتُبُهُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا يَشَاءُ، فَيَأْخُذُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلَا يُزَادُ فِي أَمْرٍ وَلَا يُنْقَصُ»، ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ١٤/ ٥٣، رقم ٦١٧٧. ومنها ما رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «إِذَا اسْتَقَرَّتْ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بَعَثَ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ؟ فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا أَجَلُهُ؟ فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُعْلَمُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيُعْلَمُ»، ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ٢٣/ ٤١٣، رقم ١٥٢٦٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ٤/ ٢٠٣٦، رقم ٢٦٤٣.

وذهب بعضهم إلى أنَّ نفخ الرُّوح يكون بعد الأربعين الأولى أخذًا بحديث حذيفة، وبالأحاديث الأخرى الواردة في هذا الباب.

الفرع الثَّالث: تحديد توقيت نفخ الرُّوح بالجمع بين دلالات الآيات وأحداث النَّماء:

اختلف الفقهاء والمفسِّرون في تحديد زمن نفخ الرُّوح في الجنين على قولين -كما مرَّ- استنادًا إلى السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة الصَّحيحة، بعد الأربعين يومًا الأولى من الحمل، أو بعد الأربعين الثَّالثة، والمختار عند الأصوليِّين أنَّ الأمَّة إذا اختلفت في مسألة ما على قولين امتنع إحداث قول ثالث فيها يرفع ما اتَّفق عليه القولان لما فيه من مخالفة الإجماع، وأمَّا إن كان القول الثالث لا يرفع ما اتَّفق عليه القولان، بل وافق كلَّ واحد من القولين من وجه وخالفه من وجه، فهو جائز إذ ليس فيه خرق للإجماع[1]. وبناء على ذلك فإنَّ تحرِّيَ توقيت نفخ الرُّوح في الجنين من خلال دلالات الآيات وأحداث النَّماء الَّتي يمرُّ بها الجنين يجب أن يقتصر على إثبات أو نفي أحد هذين التَّوقيتين دون إحداث قول ثالث في المسألة.

وَرَدَ الحديث عن نفخ الرُّوح كمرحلة من مراحل خلق الجنين في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ - ٩]، ويُلاحظ من هذه الآية ذكر بعض المراحل الَّتي يمرُّ فيها الجنين وهي: التَّسوية، ونفخ الرُّوح، وخلق السَّمع، وخلق الأبصار. وقد تمَّت الإشارة إلى التَّسوية بالإنشاء، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]. ويبدو من الآيات الكريمات أنَّ خلق الجنين يمرُّ بمراحل قبل نفخ الرُّوح هي: النَّطفة والعلقة والمضغة وخلق العظام وخلق اللحم والتَّسوية أو الإنشاء، ومن الواضح أنَّ الجنين يمرُّ بهذه المراحل مرتَّبة متعاقبة، حيث عطفتها الآيات بـ (ثمَّ) أو بالفاء اللتان تدلَّان على التَّرتيب. وإضافة لما سبق، فقد ذكرت آيات السَّجدة السَّابقة أنَّ الجنين يمرُّ بمراحل أخرى بعد نفخ الرُّوح وهي خلق السَّمع وخلق الأبصار وخلق الأفئدة، وهي مراحل عطفتها الآيات الكريمات على نفخ الرُّوح بالواو، فهل يمكن أن يدلَّ ذلك على ترتيب؟

تُعَدُّ الواو عند النُّحاة هي الأصل في العطف لكونها أمَّ باب حروف العطف، ومذهب جمهور النَّحْويِّين أنَّها للجمع المطلق أو مطلق الجمع[2]. وتنفرد الواو بكون متَّبعها في الحكم محتملًا للمعيَّة برجحان

---

(١) انظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ٢٦٩.

(٢) انظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص١٥٨.

وللتَّأخر بكثرة وللتَّقدم بقلَّة[١]، وقد قيَّد البعض إفادة التَّرتيب بأنْ يختلف زمان المعطوف والمعطوف عليه، فالمتقدِّم في الزَّمان يتقدَّم في اللفظ، ولا يجوز أنْ يتقدَّم المتأخِّر[٢]، وقد رجَّحت بعض الدِّراسات الدَّلاليَّة أنَّ العطف بالواو يدلُّ على التَّرتيب في لغة القرآن الكريم؛ إذ إنَّ لكلِّ كلمة مكانها من النَّصِّ، وتفيد معنى ودَلالة أرادها الله سبحانه وتعالى[٣]. وبناء على ما سبق، فإنَّ لنفخ الرُّوح توقيتًا مرحليًّا، فهو يكون بعد تشكُّل العظم واللحم، وبعد التَّسوية والإنشاء خلقًا مميَّزًا، وقبل خلق السَّمع والبصر. وبعد تحديد التَّرتيب المرحليِّ لنفخ الرُّوح أصبح من اليسير تحديد التَّوقيت الزَّمانيِّ له؛ إذ إنَّه بالعودة إلى مراحل تشكُّل العظم واللحم يُلاحظ أنَّه بحلول الأسبوع السَّادس من النَّماء يتمُّ تشكُّل أوَّل نموذج غضروف زجاجيٍّ بواسطة الخلايا الغضروفيَّة مؤذِنًا ببداية تشكُّل عظام الأطراف، كما تُلاحظ الدَّلائل الأولى على تكوين عضلات الأطراف في الأسبوع السَّابع من النَّماء[٤]. وبما أنَّ الآيات تقول: إنَّ نفخ الرُّوح يكون بعد تشكُّل العظم واللحم، فمن المستبعد أن يكون ذلك قبل الأسبوع السَّابع من الحمل على أقلِّ تقدير، وبما أنَّ الأسبوع السَّابع يبدأ في اليوم (٤٣) من الحمل فإنَّ التَّسوية ونفخ الرُّوح لا بدَّ أن يكونا بعد اليوم (٤٢) كحدٍّ أدنى. ويُعزِّز ذلك أنَّ الجنين في نهاية الأسبوع الثَّامن (اليوم ٥٦) يأخذ شكلَه البشريَّ ويصبح قابلًا للتَّمييز عن سائر الأجنَّة الأخرى، حيث يمتلك الجنين في نهاية هذه المرحلة خصائصَ بشريَّةً مميَّزة[٥]، ويمكن أن يكون ذلك دلالة على نفخ الرُّوح فيه. وبالنَّظر في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ – ٩]، يُلاحظ أنَّ مرحلة التَّسوية عُطِفت على المراحل السَّابقة لها بـ (ثمَّ)، بينما عُطِفت مرحلة نفخ الرُّوح على التَّسوية بالواو، ما يسمح ببعض التَّداخل في توقيت التَّسوية ونفخ الرُّوح دون وجود فاصل زمنيٍّ واضح بينهما.

ومن ناحية أخرى، يبدأ السَّمع في الأسبوع (١٨) من الحمل، والرُّؤية في الأسبوع السَّادس والعشرين من الحمل[٦]، وبما أنَّ نفخ الرُّوح يكون قبل خلق السَّمع والبصر بحسب الآية الكريمة، فإنَّ نفخ الرُّوح يكون

---

(١) ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، ٣/ ٣٤٧.

(٢) انظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص١٥٩.

(٣) انظر: شحاتة، واو العطف وإفادة الترتيب، ٣٥٤١.

(٤) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص ١٤٨–١٥١.

(٥) انظر: Moore وزملاؤه، The developing human، ص٨٤؛ Flaman & Miklavcic، Personhood status of the human zygote, embryo, fetus، ص١٣٠.

(٦) انظر: Verny & Foster، The development of sensory systems during the prenatal period، ص٢٧١؛ Virtala & Partanen، Prenatal sensory development، ص٢٣١.

قبل اليوم (١٢٦) من الحمل، وهكذا يكون توقيت نفخ الروح بعد اليوم (٤٢) من الإلقاح وقبل اليوم (١٢٦) منه.

وبناء على ما سبق يتبيَّن أنَّ الجمع بين دلالات الآيات الكريمات ومراحل النَّماء الجنينيّ يُشير إلى أنَّ توقيت نفخ الرُّوح يتوافق مع ما جاء في حديث حذيفة في رواية «بِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[١]، مع عدم تعارضه مع روايات الحديث الأخرى الَّتي حدَّدت الزَّمن بأربعين ليلة، إلى اثنتين وأربعين ليلة، إلى خمسة وأربعين ليلة، إلى بضع وأربعين ليلة؛ إذ إنَّ التَّوقيت الطَّبيعيَّ لأحداث النَّماء يكون مجالًا زمنيًّا عادة وليس نقطة زمنيَّة محدَّدة.

وبالمقابل، يتبيَّن أنَّ توقيت نفخ الرُّوح في الجنين بحسب دلالات الآيات وأحداث النَّماء لا يتعارض تمامًا مع حديث ابن مسعود، إلَّا إنَّه توجد ملاحظات على هذا الحديث؛ أوَّلها: أنَّه لا يمكن الجمع بين رواية هذا الحديث الواردة في صحيح البخاريّ وبين الأحاديث الصَّحيحة الأخرى الواردة في هذا الباب، ومنها ما هو مرويٌّ عن ابن مسعود نفسِه كما سبق بيانه، إضافة إلى ورود زيادة صحيحة في هذا الحديث في رواية مسلم تحلُّ الإشكال، ويمكن من خلالها الجمع والتَّوفيق بين الأحاديث الواردة في الباب كلِّها. وثانيها: أنَّه من الصَّحيح أنَّ الحديث يُحدِّد زمن نفخ الرُّوح ضمن المجال الزَّمنيّ المُستخلَص بالجمع بين دلالات الآيات الكريمات وأحداث النَّماء، إلَّا إنَّ الأخذ به يؤدِّي إلى وجود فاصل زمنيّ كبير بين تسوية الجنين وإنشائه خلقًا مميَّزًا (وهذا يكون في نهاية الأسبوع الثَّامن، أي: في اليوم السَّادس والخمسين على أبعد تقدير كما سبق بيانه)، وبين توقيت نفخ الرُّوح الَّذي أشار إليه الحديث، وهو اليوم العشرون بعد المئة كحدٍّ أدنى، وهذا ما لا يتوافق تمام التَّوافق مع الآيات الَّتي يمكن أن يُفهَم منها التَّداخل بين التَّسوية ونفخ الرُّوح، حيث يُلاحظ أنَّ مرحلة التَّسوية عُطِفت على المراحل الَّتي سبقتها بـ (ثمَّ) الَّتي تفيد التَّرتيب والتراخي، بينما عُطِفت مرحلة نفخ الرُّوح على التَّسوية باستخدام (الواو). وثالثها: أنَّ دلالة الحديث على كون زمن كلِّ واحدة من مراحل النُّطفة والعلقة والمضغة أربعين يومًا يتعارض مع حقائق العلم التَّجريبيّ القاطعة الَّتي سبق بَسْطها في هذا الفصل عند الحديث عن كلِّ مرحلة من تلك المراحل وبيان توقيت وزمن كلٍّ منها.

وممَّا سبق يترجَّح من خلال الجمع بين دلالات الآيات الكريمات وأحداث النَّماء[٢] أنَّ توقيت نفخ الرُّوح في الجنين يكون في بضع وأربعين يومًا، وليس على رأس مئة وعشرين يومًا، وهذا أمر يجب أن يُؤخَذ بعين الاعتبار لما يُبنى عليه من أحكام شرعيَّة كأحكام الاعتداء على الجنين، والميراث، وغيرها.

---

(١) يكون تمايز اللحم (العضلات) في الأسبوع السَّابع كما مرَّ، أي: ما بين اليوم (٤٣) إلى اليوم (٤٩)، وتكون مرحلتا التَّسوية ونفخ الرُّوح تاليتان لذلك.

(٢) إضافة إلى الأحاديث الصَّحيحة في هذا الباب الَّتي سبق عرضها.

الفصل الخامس: مدّة الحمل

تمهيد.

المبحث الأوّل: المدّة الطبيعيّة للحمل.

المطلب الأوّل: المقدار والقَدَر المعلوم للحمل.

المطلب الثّاني: الأجل المُسمَّى للحمل.

المبحث الثّاني: أدنى مدّة الحمل وأقصاها.

المطلب الأوّل: أدنى مدّة الحمل.

المطلب الثّاني: أقصى مدّة الحمل.

تمهيد:

للحمل مدَّة طبيعيَّة، وحدٌّ أدنى وحدٌّ أقصى، ويُلاحَظ أنَّ القرآن الكريم قد اتَّخذ مواقف متباينة بالنَّظر إلى طريقته في الإشارة إلى مُدَد الحمل المختلفة؛ حيث أشار إلى وجود مدَّة طبيعيَّة للحمل دون تحديدها، وأشار إلى أدنى مدَّة الحمل بطريقة أمكن حسابها بدقَّة، بينما سكت عن أقصى مدَّة الحمل ولم يُشِر إليها من قريبٍ أو بعيدٍ. ومن ناحيةٍ أخرى، تُعَدُّ مُدَدُ الحمل من المواضيع الَّتي حظيت باهتمام العلوم التَّجريبيَّة، وقد استطاعت هذه العلوم تحديد الضَّوابط الدَّقيقة للمدَّة الطَّبيعيَّة للحمل، ولأدنى مدَّة الحمل وأقصاها، كما رصدت العديدَ من الاختلاطات الَّتي تنتج عن تجاوز هذه الضَّوابط. وسيتناول هذا الفصلُ الحديثَ عن مدَّة الحمل في القرآن الكريم من خلال مبحثين: يتناول الأوَّل منهما المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل، بينما يناقش الآخر أدنى مدَّة الحمل وأقصاها.

المبحث الأوَّل: المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل:

للحمل مدَّة طبيعيَّة تقارب التِّسعة أشهر، ولم يُصرِّح القرآن الكريم بهذه المدَّة، ومع ذلك فقد ذكر في مواضع عديدة منه وجود وقتٍ مقدَّرٍ للحمل والوضع. وفي محاولةٍ لاستكشاف بعض وجوه الحكمة من طريقة القرآن الكريم هذه في تناول المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل، سيستعرض هذا المبحث أقوال المفسِّرين في الآيات ذات الصِّلة، وسيلقي الضَّوء على بعض حقائق العلم التَّجريبيِّ المتعلِّقة بتلك المدَّة، من خلال مطلبين، يتناول كلٌّ منهما طريقةً من طرائق القرآن الكريم الأشيع في حديثه عن المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل، فيعرض الأوَّل منهما تبيان مفهوم المقدار أو القَدَرِ المعلوم، بينما يوضِّح الآخر المقصود بالأجل المسمَّى.

المطلب الأوَّل: المقدار والقَدَر المعلوم للحمل:

ذكر القرآن الكريم في مواضع عديدة منه وجود وقت مقدَّر للحمل، ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ – ٢٣]، وقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩، ٢٠].

معنى قوله: (بمقدار): أنَّه تعالى خصَّص كلَّ حادث بوقت معيَّن وحالة معيَّنة[١]، وهيَّأ له أسبابًا مسوقة إليه تقتضي ذلك؛ فلا يجاوز شيء من قَدَره عن تقديره، ولا يَقْصُر أمر أراده فَدَبَّره عن تدبيره[٢]، كما

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٦/ ٢٦٣؛ جوهري، الجواهر، ٧/ ٧٦؛ المراغي، تفسير المراغي، ١٣/ ٧٥.

(٢) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٦/ ٢٦٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ١٣/ ٧٥.

لا يزداد حمل أنثى على ما قُدِّرَ له من الحمل، ولا يَقْصُـــر عما حُدَّ له من القدر[١]، وفي معنى الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩][٢].

واتَّفق المفسِّرون على أنَّ (القدر المعلوم): هو مقدار من الوقت عَلِمَه الله وحَكَمَ به؛ وهو وقت الولادة والخروج من الرَّحم[٣]، وذكروا في معنى قوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

القول الأوَّل: فقدَّرنا ذلك الوقت والخلق تقديرًا فنحن نِعْمَ المقدِّرون له، وهذا يتَّفق مع قوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩][٤].

القول الثَّاني: فَقَدَرْنَا على ذلك فنِعْمَ القادرون، وهي قراءة التخفيف؛ أي: فَقَدَرْنَا على خلقه وإيجاده وتصويره كيف شئنا وأردنا، فنِعْمَ القادرون؛ حيث خلقناه في أحسن الصُّور والهيئات[٥].

القول الثَّالث: أنَّ (قَدَرَ) بالتَّخفيف و(قدَّر) بالتَّشـــديد بمعنى واحد وهو من التَّقدير، ويُقال: قدَّر تقديرًا فهو مقدِّر، وقَدَرَ قَدْرًا فهو قادر، إذا جعل الشَّـيء على مقدار مناسـب لما جُعِل له، والمعنى: فقدَّرنا الخلق؛ كقوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَـــيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢][٦].

---

(١) انظر: جوهري، الجواهر، ٧/ ٧٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣/ ٩٨.

(٢) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٦/ ٢٦٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ١٣/ ٧٥.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٣٨٣؛ جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣٢١؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٩/ ١٨٣؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٤٣١؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٩٩.

(٤) انظر: القاسمي، محاسـن التأويل، ٩/ ٣٨٣؛ جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣٢١؛ الخطيب، التفسـير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٩٩.

(٥) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٣٨٣؛ جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣٢١؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٩/ ١٨١.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٤٣١.

وقراءة التَّشديد الَّتي استدلَّ بها أصحاب القول الأوَّل هي قراءة نافع[١] وعبد الله بن عامر[٢] والكسائيّ[٣]، وقرأ الباقون بالتَّخفيف[٤]، ويرى أصحاب هذا القول أنَّ قوله تعالى: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ يؤيّد ما ذهبوا إليه، فقد أشار تعالى إلى القَدَر المحدَّد بعلمه، ثمَّ زاده تفخيمًا بأن جعل الغاية مقصودةً بنفسها؛ فقال: (فقدَّرنا) ذلك تقديرًا دالًّا على كمال القدرة وكمال الرَّحمة[٥]. وبالمقابل، فقد وجد أصحاب القول الثَّاني في قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ما يؤيّد ما ذهبوا إليه، فلو كانت القراءة (فقدَّرنا) لناسبها أن يُقال: (فنعم المقدّرون)، ويمكن أن يجاب بأنَّ العرب قد تجمع بين اللغتين، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧][٦]. ولا مانع من قبول الأقوال الثَّلاثة؛ ذلك أنَّ كلًّا من قراءتي التَّخفيف والتَّشديد تحمل معنى التَّقدير؛ لأنَّ (قَدَرَ) الشيء و (قَدَّرَهُ) مِنَ التَّقْدِيرِ، كما أنَّ قراءة التَّخفيف تحمل معنى القدرة أيضًا، فيقال: (قَدَرَ على الشيء قُدْرَةً)، و(قَدِرَ قُدْرَةً)[٧]، والسِّياق يَحتمِل معنيي التَّقدير والقدرة كليهما، فأمَّا التَّقدير فيدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾، وأمَّا القدرة فيدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠ – ٢١].

وللمفسِّرين في معنى قوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩]، قولان:

---

(١) هو نافع بن عبد الرَّحمن بن أبي نعيم اللَّيثيُّ مولاهم، أبو رُوَيم، أحدُ القُرَّاءِ السَّبعة، وانتهت إليه رئاسةُ القراءةِ بالمدينة. أخذَ القراءةَ عَرْضًا عن جماعةٍ من تابعي أهلِ المدينة، منهم: عبدُ الرَّحمن بنُ هُرْمُز الأعرج، وأبو جعفر القارئ، وشَيْبَة بن نصَّاح، ويزيد بن رومان، وغيرهم، وتُوُفِّيَ سنة تسعٍ وستينَ ومئةٍ للهجرة. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٢/ ٣٣٠.

(٢) هو عبدُ الله بنُ عامرِ بنِ يزيدَ بنِ تميمَ بنِ ربيعةَ بنِ عامرٍ اليحصبيُّ، أبو عمران، أحدُ القُرَّاءِ السَّبعة، وإمامُ أهلِ الشَّامِ في القراءة، الَّذي انتهت إليه مشيخةُ الإقراء بها، ولا زال أهلُ الشَّامِ قاطبةً على قراءته إلى قريبِ الخمسمئة. وأخذَ القراءةَ عَرْضًا عن أبي الدَّرداء، وعن المغيرةِ بنِ أبي شِهابٍ صاحبِ عثمانَ بنِ عفَّان، وقيل: عَرَضَ على عثمانَ نفسِه، وتُوُفِّيَ سنةَ ثماني عشرةَ ومئةٍ للهجرة. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ١/ ٤٢٣.

(٣) هو عليٌّ بن حمزةَ بن عبد الله الأسديُّ مولاهم، أبو الحسن الكِسائيّ، أحد القُرّاء السَّبعة، وانتهت إليه رئاسة الإقراءِ بالكوفة بعد حمزة الزَّيَّات، وأخذ القراءة عَرْضًا عن حمزة أربع مرَّات، وعليه اعتماده، وعن محمَّد بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر الهمدانيّ، وغيرهم، وتُوُفِّيَ سنةَ تسعٍ وثمانينَ ومئةً للهجرة. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ١/ ٥٣٥.

(٤) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٣٩٧.

(٥) انظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٥/ ١٩٣.

(٦) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ١٣٢؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٠/ ٧٧٢.

(٧) انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٢٤٨، مادة (قدر).

القول الأوَّل: خلقه من نطفة فقدَّره أحوالًا؛ نطفة فعلقة فمضغة، إلى سائر الأحوال التي يمرُّ بها الجنين في رحم أمِّه حتَّى يتمَّ خلقه ويحين وقت ولادته[١]، وقريب منه قولهم: خلقه من نطفة ثمَّ خلق أعضاءه وقدَّر كلَّ عضو منها بما يليق بمصلحته وبما يلائم حاجاته، وجعل كلَّ ذلك بمقدار محدود مضبوط منظَّم على حسب ما يقتضيه كمال نوعه[٢].

القول الثَّاني: قدَّر خلقه وحدَّد صورته وشكَّل ذاته من تلك النطفة، فكان ذكرًا أو أنثى، وسعيدًا أو شقيًّا، وحسنًا أو قبيحًا، وقصيرًا أو طويلًا، وذكيًّا أو غبيًّا، وغنيًّا أو فقيرًا، إلى غير ذلك ممَّا يتَّصل بالإنسان ذاتًا وحياة[٣]. ولا يشكِّل هذا القول مذهبًا مستقلًّا بل هو من قبيل التَّمثيل لبعض الأحوال الَّتي يجري فيها التَّقدير.

وبالنَّظر في سياق الآيات الكريمات: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ١٩- ٢٢]، نجدها تعدِّد المراحل الأساسيَّة الأربعة الَّتي يمرُّ بها الإنسان من المرحلة الجنينيَّة، إلى الحياة الدُّنيا، إلى الحياة البرزخيَّة، إلى البعث بعد الموت، فالسِّياق يؤيِّد صحَّة ما ذهب إليه المفسِّرون في جعل التَّقدير دالًّا على الأطوار الَّتي يمرُّ بها الجنين إلى حين ولادته، وتكوين أعضائه الَّذي يحدث في المرحلة الجنينيَّة.

المطلب الثَّاني: الأجل المُسمَّى للحمل:

أشار القرآن الكريم إلى وجود مدَّة محددَّة للحمل وتوقيت مضبوط للولادة بقوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الحج: ٥]، وبقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١].

اتَّفق المفسِّرون على أنَّ معنى قوله: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أنَّ من شاء الله له البقاء والحياة أقرَّه في رحم أمِّه ولا يخرج منها حتَّى يبلغ أجله المحدَّد والمسمَّى الَّذي قدَّره الله تعالى وهو وقت

---

(١) انظر: جوهري، الجواهر، ٢٤/ ٣٢١.

(٢) انظر: عبده، تفسير جزء عم، ص١٩؛ القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٤٠٨؛ المراغي، تفسير المراغي، ٣٠/ ٤٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ١٢٣. ويتوافق هذا القول مع قول أمَّات كتب التَّفسير الَّتي ذكرت أنَّ المقصود بالتَّقدير في الآية هو تهيئة الإنسان لما يصلح له من الأعضاء والأشكال، أو تقديره أطوارًا إلى أن تمَّت خلقته. انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/ ٢٨٧.

(٣) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٦/ ١٤٥٥.

الولادة، ومن لم يشأ مجَّته الأرحام، وهو السِّقط[١]، والأجل: هو الأمد المحدَّد لإتمام عمل ما، والمراد هنا مدَّة الحمل. والمسمَّى: اسم مفعول من سمَّاه، إذا جعل له اسمًا، ويُستعار للدَّلالة على ما هو معيَّن مضبوط، ومنه قولهم: المهر المسمَّى؛ أي: المعيَّن من نَقْدٍ معدودٍ أو عَرْضٍ موصوفٍ، ولكلِّ مولود مدَّة معيَّنة ومحدَّدة لبقائه في رحم أمِّه قبل ولادته[٢].

وقد اختلف المفسِّرون في تحديد هذا الأجل على ثلاث فرق:

الفريق الأوَّل: اكتفى بالإشارة إلى أنَّه الوقت الممتدُّ إلى حين الولادة دون تحديده بزمن[٣].

الفريق الثَّاني: قال: إنَّ أدنى الأجل ستَّة أشهر، وأقصاه أربع سنين[٤].

الفريق الثَّالث: قال: إنَّ الأكثر شيوعًا هو استكمال تسعة أشهر وتسعة أيام، والوضعُ قد يكون قبل تلك المدَّة لعارضٍ[٥].

بالنَّظر في الأقوال السَّابقة يُلاحَظ أنَّ الفريق الأوَّل لم يرَ في هذه الآية الكريمة دلالة على مدَّة محدَّدة، فالتزم بما دلَّت عليه الآية دون الزِّيادة على ما ورد فيها من معانٍ، ونجد أنَّ الفريقَ الثَّاني قد أشار إلى أدنى مدَّة الحمل وأغلبِها وأقصاها مستندًا إلى غير الآية من روايات وغيرها، بينما استند الفريق الثَّالث إلى الحدوث في تحديد الأجل المسمَّى. والظَّاهر أنَّه لا يوجد اختلافٌ عمليٌّ بين الفريقين الأوَّل والثَّالث؛ إذ إنَّ كلًّا منهما قد التزم بدلالة الآية، مع إشارة الفريق الثَّالث إلى الأجلِ الأكثرِ حدوثًا مرتكزًا على الواقع المُعاش والمُشاهَد، إلَّا أنَّ الفريقَ الثَّاني في قوله: إنَّ أقصى مدَّة الحمل هي أربع سنوات قد حمَّل الآيةَ معانيَ خارجةً عن مدلولها، وبذلك فلا يمكن قبوله، وستأتي مناقشة أدَّلة هذا القول عند الحديث عن أقصى مدَّة الحمل في هذا الفصل.

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٧/ ٢٣٣؛ جوهري، الجواهر، ١١/ ٤؛ المراغي، تفسير المراغي، ١٧/ ٨٧؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧/ ١٩٩؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩/ ٩٧٧.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧/ ١٩٩.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٧/ ٢٣٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ١٧/ ٨٧؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩/ ٩٧٧. وقد سلك هذا المَسلكَ بعض أئمَّة التَّفسير؛ كالطَّبريِّ وأبي حيَّان. انظر: الطبري، جامع البيان، ١٨/ ٥٦٩؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٦/ ٣٢٧.

(٤) انظر: جوهري، الجواهر، ١١/ ٤. وهو قول جمهور أئمَّة التَّفسير. انظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ١٤٥؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٣/ ٢٠٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٤/ ٦٥؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٦/ ٩٤.

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧/ ٢٠٠.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[فاطر: ١١] فقد قال المفسِّرون في معنى الآية: وما تحمل من أنثى من حمل، ولا تلده إلَّا بعلمٍ من الله، ولا يخفى عليه شيء من ذلك(١)، فهو يعلم حَمْلَ كلِّ أنثى من النَّاس والحيوان، ويعلم وقت الولادة، لا يعلم وقتها باليوم والسَّاعة إلَّا الله(٢)، ويعلم عدد أيَّام الحمل وساعاته وأحواله؛ من الخِدَاجِ والتَّمامِ، والذُّكورة والأنوثة، والحسن والقبح، وغير ذلك(٣)، فالعلم بحدوث الحوادث المستقبَلِيَّة في أوقاتها المعيَّنة ليس إلَّا عند الله سبحانه وتعالى(٤). وعلمُ الله بحملِ كلِّ أنثى ووضْعِها لا يمنع من أن يعلم النَّاسُ من هذا العلم ما يقع تحت حواسِّهم من حملِ الحواملِ من إنسان وحيوان، مع كون علم الله سبحانه قديمًا واقعًا قبل أن يقع الحمل وبعده، وهو شامل لكلِّ ذات حَمْلٍ ووَضْعٍ، على خلاف علم العلماء فإنَّه علمٌ حادثٌ بعد أن يقعَ الحمل، فضلًا عن كونه علمًا محدودًا بما يكون تحت حواسِّهم، فالعلم الشَّاملُ الكاملُ هو لله وحده(٥)، والاستثناء مفرَّغٌ من أعمِّ الأحوال؛ أي: ما يحدث شيءٌ من خروجِ ثمرة ولا حَمْلِ حامل ولا وَضْعِ ملابسًا بشيء من الأشياء إلَّا ملابسًا بعلم الله المحيطِ، وواقعًا حسب تعلُّقه به(٦).

ويتبيَّن من خلال استعراض أقوال المفسِّرين في معاني الآيات الكريمات الَّتي أشارت إلى وجود مدَّة مقدَّرة للحمل أنَّ القرآن الكريم أشار إلى وجود مدَّة طبيعيَّة للحمل دون أن يُصرِّح بها، ويمكن تفسير ذلك بثلاثة أسباب؛ أوَّلها: كون القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع، وهو بهذا يذكر من المُدَد ما له تعلُّق بالأحكام، ولا تعلُّق للمدَّة المثاليَّة للحمل بذلك، إذ لا ينبني عليها أحكامٌ فقهيَّةٌ، على خلاف أدنى مدَّة الحمل وأقصاها. وثانيها: أنَّ هذه المدَّة من الأمور المعروفة والمُعايَنة في الحياة اليوميَّة، الَّتي لا تحتاج إلى بيان، وثالثها: أنَّه لا يترتَّب على ذكرها فائدة تُرجى، لأنَّها خارجة عن التَّحكُّم والسَّيطرة.

والسُّؤال الَّذي يمكن طرحه هنا: **هل كشف العلم التَّحريبيُّ عن مدَّة محدَّدة للحمل لا يمكن أن يحيد عنها، ولم يذكرها القرآن الكريم؟**

تمتدُّ المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل ابتداءً من الإلقاح حتَّى (٢٦٦) يومًا، أو ما يعادل (٣٨ أسبوعًا)، وبالنَّظر إلى كون الإباضة، وما يليها من إلقاح، يليان بداية الدَّورة الحيضيَّة بـ (١٤) يومًا، فإنَّ المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل

---

(١) انظر: جوهري، الجواهر، ١٧/ ١٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٥/ ٤؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٣/ ٤.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٥/ ٦.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٣٤٦.

(٤) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٧/ ٥٧١.

(٥) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٣/ ٥.

(٦) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٨/ ١٧؛ الآلوسي، روح المعاني، ١٣/ ٤.

ابتداءً من بداية فترة الدَّورة الحيضيَّة الأخيرة (last menstrual period) هي (٢٨٠) يومًا، أو ما يعادل ٤٠ أسبوعًا[١]. ويعتمد علم الجنين (embryology) على المدَّة الأولى في تقدير العمر الحمليّ، بينما يعتمد طبُّ التَّوليد (obstetrics) على المدَّة الأخرى في تقدير العمر الحمليّ ذاته؛ أي: الفترة الزَّمنيَّة الممتدَّة من الإخصاب مضافًا لها أسبوعان؛ أي: المدَّة الَّتي تمتدُّ من بدء آخر دورة شهريَّة للمرأة حتَّى الإباضة أو الإخصاب المتوقَّع[٢].

ويتقرَّر زمن الولادة بشكل أكثر دقَّة بحساب عمر الجنين (٢٦٦) يومًا أو (٣٨) أسبوعًا بعد الإلقاح، ويحدث إلقاح البُيَيْضَة خلال (١٢) ساعة من الإباضة، ويمكن أن تبقى النِّطاف في الجهاز التَّناسليّ الأنثويّ حتَّى مدَّة (٦) أيَّام قبل الإباضة وتكون قابلةً للتَّخصيب، وتحدث معظم حالات الحمل إذا حدث الجماع خلال مدَّة (٦) أيَّام تنتهي يوم الإباضة.

ويجب أن تراجع الأمُّ الحامل طبيب التَّوليد إذا فاتتها دورتان متتاليتان، وكثيرًا ما لا يمكنها تذكُّر الوقت الَّذي حدث فيه الجماع المخصِّب؛ ولذلك يصعب عليها تحديد زمن الإخصاب. ويحتسب طبيب التَّوليد تاريخ الولادة على أساس عمر الحمل (٢٨٠) يومًا أو (٤٠) أسبوعًا منذ أوَّل يوم لآخر فترة حيض طبيعيَّة، وإذا كانت فترات الحيض لدى المرأة (٢٨) يومًا فسيكون الحساب دقيقًا، ولكن إذا كانت الدَّورات الطَّمثيَّة غير منتظمة فقد تحدث أخطاء جوهريَّة في الحساب. وقد تحدث مضاعفات إضافيَّة إذا حدث نزف في اليوم (١٤) من الإخصاب نتيجة الفعاليَّات التَّخريشيَّة للكيسة الأريميَّة عند انغراسها في الرَّحم، وليس من السَّهل في هذه الحالات تقدير زمن الولادة[٣].

ومع أنَّ المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل يمكن حسابها بدقَّة بالطَّريقة المعتمدَّة في طبِّ التَّوليد، وهي (٢٨٠) يومًا تقريبًا من بداية آخر دورة شهريَّة كما مرَّ، فإنَّ (٤٪) فقط من النِّساء يلدن في اليوم (٢٨٠)، و(٧٠٪) فقط يلدْ في غضون (١٠) أيَّام من التَّاريخ المقدَّر، حتَّى عندما يتمُّ تقدير هذا التَّاريخ بأدقِّ الوسائل، كالموجات فوق الصَّوتيَّة[٤]. وقد وجدت العديد من الدِّراسات الَّتي حسبت طول فترة الحمل في

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص ٩٦؛ Jukic وزملاؤه، Length of human pregnancy، ص٢٨٤٨.

(٢) انظر: Pignotti & Donzelli، Perinatal care at the threshold of viability، ص١٩٣.

(٣) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص ٩٩.

(٤) انظر: Mongelli وزملاؤه، Estimating the date of confinement، ص٢٧٨.

الولادات الحيَّة الطَّبيعيَّة أنَّ المدَّة الفعليَّة تختلف من حملٍ لآخر، وأنَّ المدى بين الولادات الطَّبيعيَّة يصل إلى (٣٧) يومًا[١].

وبعد بيان حقائق العلم التَّجريبيّ المتعلِّقة بالمدَّة الطَّبيعيَّة للحمل يمكن استخلاص سببٍ إضافيٍّ رابع إلى الأسباب الَّتي سبق ذكرها، والَّتي تحاول تفسير عدم تحديد القرآن الكريم لتلك المدَّة، وهو أنَّ هذه المدَّة عبارة عن مدىً يحوي ضمنه المدَّة المثاليَّة، وبالتَّالي لا فائدة من ذكر المدَّة المثاليَّة، إذ ليست أمرًا لازمًا، بل لا تحدث إلَّا عند نسبةٍ نادرةٍ من النِّساء، كما سبق بيانه، وبهذا يتجلَّى مدى التَّوافق بين طريقة القرآن الكريم الدَّقيقة في تعامله مع مدَّة الحمل الطَّبيعيَّة وبين حقائق العلم التَّجريبيّ؛ إذ إنَّ أيَّة مدَّة مضبوطة لن تعبِّر بشكلٍ دقيقٍ عن حقيقة الأمر، كما أنَّ ذِكْرَ القرآن للمدى الطَّبيعيّ سوف يتعارض مع وجود حالات الخُدُج[٢] الَّذين يولدون خارج المدَّى الطَّبيعيّ لمدَّة الحمل ومع ذلك يعيشون؛ لذا نجد القرآن الكريم قد اكتفى بالإشارة إلى وجود هذا المدَى الطَّبيعيّ.

ويَتَبَيَّن من خلال استعراض أقوال المفسِّرين حول المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل أنَّ الصَّحيح في معنى القَدَرِ المعلوم أنَّه مقدارٌ من الوقت عَلِمَه الله وحَكَمَ به؛ وهو وقتُ الولادة، وأنَّ تقدير النُّطفة يكون بضبط الأطوار الَّتي يمرُّ بها الجنين إلى حين ولادته، وأنَّ الأَجَلَ المُسَمَّى هو الأمدُ المحدَّد الَّذي قدَّره الله تعالى لتمام الحمل، وأنَّ القرآن الكريم لم يضبط هذا القَدَرَ المعلوم أو الأَجَلَ المُسَمَّى مع ذِكْرِهِ لهما وبيانه لأهميَّتهما، لعللٍ وحِكَمٍ، لعلَّ من أهمِّها الإشارة إلى جواز خروج مدَّة الحمل عن مجالها الطَّبيعيّ، كما سبق البيان.

---

(١) انظر: Jukic وزملاؤه، Length of human pregnancy، ص٢٨٤٨.

(٢) خَدَجَتِ النَّاقة تَخْدِجُ خِداجاً فهي خَادِج، إذا ألقت ولدَها قبل تمام الأيام، والولد: خَدِيج، وَجَمعهُ: خُدُجٌ، وخِداجٌ، وخَدائِجُ. انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٤/ ٥٤٧، مادة (خدج).

المبحث الثَّاني: أدنى مدَّة الحمل وأقصاها:

تبيَّن من المبحث السَّابق وجود مدَّة طبيعيَّة للحمل، ولُوحِظ أنَّها عبارة عن مدىً زمنيٍّ طويلٍ نسبيًّا، أشار إليه القرآن الكريم دون ضبطه بتوقيتٍ معيَّن. ويعرض هذا المبحث طريقة القرآن الكريم في تعامله مع خروج مدَّة الحمل عن هذا المدى الطَّبيعيّ نقصًا أو زيادة، من خلال مطلبين؛ يتناول الأوَّل منهما أدنى مدَّة الحمل، بينما يتناول الآخر أقصى مدَّة الحمل.

المطلب الأوَّل: أدنى مدَّة الحمل:

للحمل مدَّة دنيا وهي ستَّة أشهر، ومع أنَّ القرآن الكريم لم يصرّح بها، إلَّا أنَّ الصَّحابةَ الكرامَ والمفسِّرين الأوائلَ استطاعوا استخلاصَها من الجمع بين الآيات المختلفة الَّتي تتحدَّث عن الحمل والرَّضاعة[١]. وهذه الآيات هي قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعة﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وأوَّل من استنبط أقلَّ مدَّة الحمل من الآيات الكريمات هو عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد رُوِيَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه أُتِيَ بامرأةٍ قدْ ولدَتْ لستّةِ أشهرٍ فَهَمَّ برجْمِها، فبلغَ ذَلِكَ عليًّا رضي الله عنه فقال: ليسَ عليها رَجْمٌ، فَبَلغَ ذلك عُمرَ رضيَ الله عنه فأرسلَ إليهِ فسألَهُ فقالَ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعة﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقالَ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ثلاثونَ شَهْرًا فَستّةُ أشهرٍ حَمْلُهُ حَوْلَينِ تمامٌ لا حدَّ عليها أوْ قالَ: لا رَجْمَ عليها، قالَ: فَخَلَّى عَنْها ثُمَّ ولدَتْ [٢].

---

(١) (رَضِعَ) الصبيُّ أمَّه بالكسر (رَضَاعًا) بالفتح، ولغة أهل نجد من باب (ضَرَبَ)؛ أي: (رَضَعَ)، وهو أخي من (الرَّضَاعَةِ) بالفتح. انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص١٢٣، مادة (رضع).

(٢) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب العدد، باب ما جاء في أقلّ الحمل، ٧/ ٧٢٧، رقم ١٥٥٤٩. وللحديث شواهد كثيرة، فقد رَوى مالك أنَّه بلغه أنَّ عثمان بن عفَّان أُتِيَ بامرأة قد ولدت في ستَّة أشهر فأمر بها أن تُرجَم. فقال له عليُّ بن أبي طالب ليس ذلك عليها، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ فالحمل يكون ستَّة أشهر فلا رجم عليها. فبعث عثمان بن عفَّان في أثَرِهَا فوجدها قد رُجِمَت. موطَّأ مالك، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم، ٢/ ٨٢٥، رقم ١١، ذكره ابن حجر عن مالك وابن أبي حاتم ثمَّ قال: "هذا موقوف صحيح، أخرجه الطَّبريُّ عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن ابن أبي ذئب عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْطٍ، فذكره دون ما في آخره. وأظنُّ مالكًا سمعه =

اتَّفق المفسِّرون على أنَّ الآيات الكريمات تدلُّ على أنَّ أدنى مدَّة الحمل هي ستَّة أشهر[١]، وقد استدلَّ الفقهاء بهذه الآيات على ذلك، ولا خلاف بينهم في أنَّها ستَّة أشهر[٢]، فالرَّضاعة حولان كاملان، والفصال في عامين، والحمل والفصال ثلاثون شهرًا.

وحدَّد القرآن الكريم مدَّة تمام الرَّضاعة بقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعة﴾، وأشار إلى أنَّ الفِصَال يكون بعد هذين العامين بقوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾:

وللمفسِّرين في قوله: (حولين)، قولان:

١- عامان[٣] أو حولان، وأصل الحَوْلِ: حال الشَّيء يحول إذا انقلب، فالحول منقلب من الوقت الأوَّل إلى الثَّاني[٤].

٢- سنتان[٥].

من ابن قُسَيْطٍ، فإنَّه من شيوخه. وشيخه بَعْجة -بموحَّدة ثمَّ عين مهملة ساكنة ثمَّ جيم- من رجال الصَّحيح. وقد أخرج إسماعيل القاضي في كتاب (أحكام القرآن) بسند له فيه رجل مبهم عن ابن عبَّاس أنَّه جرى له مع عثمان في نحو هذه القِصة كالَّذي جرى لعليٍّ، فاحتُمِل أنَّه كان محفوظًا أن يكون توافق معه، وأمَّا احتمال التَّعدُّد فبعيد جدًا والله أعلم". ابن حجر، موافقة الخبر، ٢/ ٢١٥. والحديث أخرجه الطبريُّ "عن يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، حدَّثني قال: ابن أبي ذئب، عن أبي قُسَيْطٍ، عن بَعْجة بن زيد الجهنيّ، أنَّ امرأة منهم دخلت على زوجها، وهو رجل منهم أيضًا، فولدت له في ستَّة أشهر، فذكر ذلك لعثمان بن عفَّان رضي الله عنه فأمر بها أن تُرجَم، فدخل عليه عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ قال: فوالله ما عَبِدَ عثمان أن بعث إليها تُرَدُّ. قال يونس: قال ابن وهب: عَبِدَ: استنكف". الطبري، جامع البيان، ٢١/ ٦٥٠. و (عَبِدَ) من باب طَرِبَ؛ أي: غضب وَأَنِفَ، والاسم (الْعَبَدَةُ) بفتحتين. الرازي، مختار الصحاح، ص١٩٨، مادة (عبد).

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٣٠٦، الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٨/ ١٥، البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/ ١١٣، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٨/ ٨٢؛ القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٤٤٥؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦، جوهري، الجواهر، ٢١/ ١٢٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٦/ ١٨.

(٢) انظر: الحطاب، مواهب الجليل، ٤/ ١٤٩؛ ابن عابدين، رد المحتار، ٣/ ٢١٠؛ الهيتمي، تحفة المحتاج، ٨/ ١٠٦؛ ابن النجار، منتهى الإرادات، ٤/ ٣٩٤؛ ابن حزم، المحلى، ١٠/١٣١.

(٣) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥، المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٤، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٠.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٠.

(٥) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥، جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٧.

والقول الثَّاني هو الأكثر دقَّةً؛ إذ يُطلَق العام والحول على صَيْفَةٍ وشَتْوَةٍ كاملتين متواليتين، وأمَّا السنَّة فهي تبتدئ من أيِّ يوم من العام إلى مثله[١]، وحيث إنَّ الولادة تحدث في أيِّ وقت من العام، فمدَّة الرَّضاعة سنتان منذ وقت الولادة وإلى مدَّة تنتهي في مثل ذلك الوقت بعد سنتين، وبتعبير آخر، حتَّى يحول الحول على المولود مرتين، والظاهر أنَّ الشَّرعَ يستخدم (الحول) و(السنَّة) بمعنىً واحد؛ كما هو الحال في شروط زكاة المال حيث يُقال: (حال عليه الحول)؛ أي: مضى عليه سنة منذ أن بلغ المالُ النِّصابَ. ووضَّح تعالى في قوله: ﴿كاملين﴾ أنَّ تمام الحولين يكون بانقضائهما، دون انقضاء أحدهما وبعض الآخر[٢].

والفِصَال هو الفِطَام[٣]، والمقصود هنا وقت الفِطَام[٤]؛ أي: تَرْكُ الإرضاع[٥]، و"قُرِئ: (وفَصْلُهُ في عَامَيْنِ)"[٦]؛ أي: فَصْلُه عن الرَّضاعة والتَّوقُّف عنها[٧]، والفَصلُ والفِصَالُ يرجعان إلى أصلٍ واحدٍ، والفَصلُ أعمُّ من الفصالِ، إلَّا أنَّ الفصالَ يختصُّ بالرَّضاع فهو الأنسب للسِّياق[٨]، وفي الفطام، يُفصَل الطِّفل عن جسد أمِّه الَّذي ظلَّ ملتصقًا به نحو سنتين[٩]، والمعنى: "فطامه في عامين"[١٠]، وتمام العامين هو أقصى مدَّة الرَّضاع وقد يكون الفطام قبل تمامهما، فقد أشير إلى العامين بحرف الظَّرفيَّة (في)، والظرفيَّة تصدق مع استيعاب المظروف جميع الظَّرف، وذلك أنسب بالتَّخفيف على الأمِّ[١١].

---

(١) انظر: الفيومي، المصباح المنير، ١/ ١٥٧، مادة (حول)، و١/ ٢٩٢، مادة (سنه)، و٢/ ٤٣٨، مادة (عوم).

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥، المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣١، الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٧.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٢٨؛ جوهري، الجواهر، ١٥/ ١٢٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢١/ ٨٢، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/ ١٥٩، الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١١/ ٥٦٧.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٣٠.

(٥) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢١/ ٨٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/ ١٥٩.

(٦) هي قراءة يَعْقُوبَ الحَضْرَمِيِّ. انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٣٧٣. وهو يعقوبُ بن إسحاقَ بن زيدِ بن عبد الله الحضرميُّ، مولاهم البصريُّ، أبو محمَّد، أحد القرَّاء العشرة وإمام أهل البصرة ومقرئها، أخذ القراءة عرضًا عن مهدي بن ميمون وأبي الأشهبِ العطارديِّ وغيرهم، وتُوُفِّيَ سنة خمس ومئتين للهجرة. انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٢/ ٣٨٦.

(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٣٠.

(٨) انظر: الآلوسي، روح المعاني، ١١/ ٨٥.

(٩) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١١/ ٥٦٧.

(١٠) القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٢٨.

(١١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/ ١٥٩.

وحدَّد القرآن الكريم المدَّة المشتركة للحمل والرَّضاع بقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، والمراد من قوله تعالى: (وفصاله) بيان مدَّة الرَّضاع لا الفطام، ولكن لمَّا كان الرَّضاع يليه الفصال ويلابسه وينتهي به سُمِّي فصالًا، كما تُسمَّى المدَّة بالأمد؛ لأنَّها تنتهي به، وفي هذه التَّسمية فائدة وهي الدَّلالة على مدَّة الرَّضاع التامِّ المنتهي بالفصال، دون الرَّضاع المطلق؛ فإنَّها لا تدلُّ عليه(١)، ومن اللطائف في الآية الكريمة أنَّ القرآن الكريم حدَّد مدَّة الحمل والرَّضاع بذكر طرفيها؛ فهي تبدأ بالحمل وتنتهي بالفطام(٢).

وبالجمع بين قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، يُدرَك أنَّ أقلَّ مدَّة للحمل هي ستَّة أشهر، ففي قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] تصريح بأنَّ مدَّة الحمل والفصال معًا ثلاثون شهرًا، وقوله تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] وقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعة﴾ [البقرة: ٢٣٣]، يبيّنان أنَّ أقصى مدَّة الفصال عامان؛ أي: أربعة وعشرون شهرًا، فإذا طُرِحت من الثَّلاثين بقيت ستَّة أشهر، فتعيَّن كونُها أدنى مدَّة الحمل(٣)، وهذا ما يُؤيِّده الواقع والمعاينة، ممَّا يدلُّ على شمول القرآن لأحكام الحالات النَّادرة، إلى جانب الأحوال المعتادة، وهو ما يليق بكتاب الله تعالى(٤).

وهنا يبرز السُّؤال الآتي: **ما هي أدنى مدَّة مقبولة للحمل وما هي المخاطر المحتمَلة؟**

الولادة المبكِّرة (early-term delivery): هي الولادة الَّتي تكون ما بين بداية الأسبوع (٣٧) إلى نهاية الأسبوع (٣٨) من الحمل، والولادة قبل الأوان (preterm delivery): هي الولادة الَّتي تكون قبل نهاية الأسبوع (٣٦) من الحمل(٥)، ويُصنَّف الخُدُج اعتمادًا على الفترة الَّتي تحدث فيها ولادة الطِّفل قبل الأوان إلى أربع فئات هي: الخَدِيج المتأخِّر (late preterm): وهو المولود بين بداية الأسبوع (٣٤) ونهاية الأسبوع (٣٦) من الحمل، والخديج المتوسِّط (moderately preterm): وهو المولود بين نهاية الأسبوع (٣٢) وبداية الأسبوع (٣٤) من الحمل، والخديج الشَّديد (very preterm): وهو المولود قبل الأسبوع

---

(١) انظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٧٥.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٣٠.

(٣) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦، جوهري، الجواهر، ٢١/ ١٢٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٦/ ١٨.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٣٠.

(٥) انظر: American college of obstetricians and gynecologists، Definition of term pregnancy، ص١١٣٩.

(٣٢) من الحمل، والخديج الفائق (extremely preterm): وهو المولود في الأسبوع (٢٥) من الحمل أو قبله، ويعاني الأطفال الخُدُج غالبًا من مشاكل طبِّيَّة معقَّدة تزداد مخاطر حدوثها كلَّما وُلِد الطِّفل أبكر[١].

وإنَّ معدَّل البقاء عند الولادة في الأسبوع (٢٤) بالكاد يتجاوز (٥٠٪)، وما يقرب من (٣٠٪) فقط يعيشون دون أمراض شديدة[٢]. ويوجد اتفاق عامٌّ بين جميع علماء التَّوليد حول العالم على أنَّه في الولادات الَّتي تحدث قبل نهاية الأسبوع (٢٢) من الحمل لا يوجد أمل في بقاء الوليد؛ حيث يُعَدُّ الأسبوع (٢٢) بمثابة حدٍّ فاصل لمحاولة المحافظة على الوليد، ولا توصي أيُّ جمعيَّة علميَّة بإجراء أيِّ نوع من العلاج الفعَّال للأمِّ بهدف حماية الجنين باستثناء تقديم الرِّعاية الرَّحيمة (compassionate care). كما أنَّ هناك اتفاقًا عامًّا أيضًا أنَّه في الولادات الَّتي تحدث في الأسبوع (٢٥) يُوصَى بمحاولة حماية الجنين وتقديم الإنعاش واستخدام العناية المركَّزة لجميع الرضَّع، في حين يشكِّل الأسبوعان (٢٣) إلى (٢٤) المنطقة الرماديَّة؛ حيث تقترح التَّوصيات تقديم الإنعاش والعناية المركَّزة بناءً على اختيارات الوالدين[٣]. وحتَّى لو وُلِد الجنين خلال الشَّهر السَّادس؛ أي: قبل تمامه، فإنَّه يواجه صعوبةً في البقاء حيًّا، فمع أنَّ معظم أجهزته تكون قادرة على العمل الوظيفيِّ إلَّا أنَّ الجهاز التَّنفسيَّ والجهاز العصبيَّ المركزيَّ لا يكونان متمايزين بدرجة كافية، ولا يكون التَّنسيق بينهما متوطِّدًا بشكل جيد[٤]. وبهذا يتَّضح التَّطابق الدَّقيق بين أدنى مدَّة الحمل الَّتي يمكن أن ينجو الجنين فيها، وأدنى مدَّة الحمل الَّتي يمكن استخلاصها من القرآن الكريم؛ وهي تمام السِّتَّة أشهر.

المطلب الثَّاني: أقصى مدَّة الحمل:

لم يذكر القرآن الكريم مدَّة قصوى للحمل[٥]، وبناء على ذلك نجد أنَّ المفسِّرين لم يهتمُّوا ببيان أقصى مدَّة الحمل كاهتمامهم ببيان أدنى مدَّته، وعلى خلاف ذلك، نجد أنَّ هذه المسألة قد حازت على اهتمام الفقهاء؛ حيث تُعَدُّ من مسائل الخلاف بينهم، ومن أشهر أقوالهم فيها:

---

(١) انظر: Mayo clinic، Premature birth، https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/premature-birth/symptoms-causes/syc-20376730

(٢) انظر: Rysavy، Between-hospital variation in treatment and outcomes in extremely preterm infants، ص١٨٠١.

(٣) انظر: Pignotti & Donzelli، Perinatal care at the threshold of viability، ص١٩٣.

(٤) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٩٩.

(٥) انظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٧٥.

١- أقصى مدَّة للحمل هي المدَّة المعهودة وهي تسعة أشهر، وبه قال أصحاب المذهب الظاهريّ[١].

٢- سنتان، وهو مذهب الحنفيَّة[٢].

٣- أربع سنين، وهو مذهب الشَّافعيَّة[٣]، والحنابلة[٤]، وأشهر القولين عند المالكيَّة.

٤- خمس سنوات، وستٌّ سنوات وسبع سنوات، وهي روايات عن الإمام مالك[٥].

٥- ليس لأقصى مدَّة الحمل حدٌّ، وهو قول للشوكانيّ، وبعض المعاصرين كالشَّنقيطيّ[٦].

وإنَّ عمدَّة أدَّلة القائلين بامتداد الحمل لسنوات هو الوقوع، وقالوا: إنَّ ما لا نصَّ فيه يُرجَع فيه إلى الوجود[٧]، وقد اعتمدوا على أخبار وآثار عديدة، ولكن ابن حزم وجد أنَّه لا يصحُّ من هذه الأخبار والآثار شيء، وقد تتبَّعها بالتَّضعيف والإنكار، وقال: "وكلُّ هذه أخبار مكذوبة راجعة إلى من لا يُصدَّق، ولا يُعرَف من هو؟ لا يجوز الحكم في دين الله تعالى بمثل هذا"[٨]. وحتَّى لو صحَّت هذه الأخبار سندًا، فإنَّها قد تعود لأخطاء في الحساب أو لوهم أصحابها بحدوثها؛ فقد يمتدُّ الطُّهر لفترات طويلة ثمَّ يعقبه الحمل فيُظَنُّ أنَّ ذلك كلَّه من مدَّة الحمل، وقد يزيد من هذا الوهم وجود الأسنان في أفواه بعض المواليد، وما هي إلا الأسنان الولاديَّة (natal teeth) الَّتي قد توجد عند المواليد ضمن مدَّة الحمل الطبيعيَّة[٩]، وبهذا يكون القول الصَّحيح هو ما ذهب إليه أصحاب المذهب الظاهريّ.

والسُّؤال المطروح هنا: **كم يمكن أن تمتدَّ مدَّة الحمل وما هي المخاطر المحتمَلة؟**

تبلغ المدَّة الطبيعيَّة للحمل (٤٠) أسبوعًا، محسوبةً من بداية آخر دورة حيضيَّة[١٠]. ويُطلَق مصطلح

---

(١) انظر: ابن حزم، المحلى، ١٠/ ١٣١.

(٢) انظر: ابن عابدين، رد المحتار، ٣/ ٢١٠.

(٣) انظر: الهيتمي، تحفة المحتاج، ٨/ ١٠٦.

(٤) انظر: ابن النجار، منتهى الإرادات، ٤/ ٣٩٤.

(٥) انظر: الحطاب، مواهب الجليل، ٤/ ١٤٩.

(٦) انظر: الشوكاني، الفتح الرباني، ٦/ ٢٧٢٠؛ الشنقيطي، أضواء البيان، ٢/ ٢٢٨.

(٧) انظر: ابن قدامة، المغني، ٨/ ١٢١.

(٨) انظر: ابن حزم، المحلى، ١٠/ ١٣٣.

(٩) انظر: Mhaske وزملاؤه، Natal and neonatal teeth، رقم ٩٥٦٢٦٩.

(١٠) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص ٩٦؛ Jukic وزملاؤه، Length of human pregnancy، ص٢٨٤٨.

الحمل المتأخِّر (late-term pregnancy) على الحمل الَّذي يستمرُّ من الأسبوع (٤١) حتَّى نهايته، في حين يُعرَّف الحمل بعد الأوان (post-term pregnancy) بأنَّه الحمل الَّذي يمتدُّ إلى ما بعد بداية الأسبوع (٤٢)[١]. وترتبط كلٌّ من حالتي الحمل المتأخِّر وبعد الأوان بزيادة خطر الإصابة بالمضاعفات الصحيَّة الَّتي قد تؤدِّي إلى الموت، لذا يُوصى ببدء مراقبة الجنين اعتبارًا من الأسبوع (٤١)، ويُنصح بأخذ تحريض المخاض بعين الاعتبار كأحد الخيارات المطروحة في حال استمرار الحمل بعد بداية الأسبوع (٤١)، بينما يصبح تحريض المخاض ضروريًّا عند تجاوز الحمل بداية الأسبوع (٤٢) من الحمل[٢].

ولقد أظهرت إحدى الدِّراسات الَّتي قارنت بين المواليد في الوقت الطَّبيعيِّ والمواليد بعد بداية الأسبوع (٤٢) أنَّ الحمل بعد الأوان يزيد من خطر الإصابة بالتَّشنُّجات الوليديَّة (convulsions)، وبمتلازمة استنشاق العَقِيِّ (meconium aspiration syndrome)، ويُعرَّف العَقِيُّ بأنَّه مادَّة خضراء داكنة تتراكم في أمعاء الجنين أثناء حياته داخل الرَّحم، وتُفرَّغ بعد الولادة بفترة قصيرة، وهي تقابل البراز عند الوليد، ويؤدي استنشاق العَقِيِّ الموجود في السَّائل الأَمْنِيُوسِيِّ عند مرضى هذه المتلازمة إلى صعوبة وضيق في التَّنفس، ويترافق ذلك مع سوء صحَّة المولود، وغالبًا ما يشاهد حدوث تلطيخ العَقِيِّ للسَّائل الأَمْنِيُوسِيِّ والجلد والأغشية والحبل السُّريِّ[٣]. وبالإضافة إلى ذلك، ينخفض حجم الدهون تحت الجلد لدى الأجنَّة بعد الأوان، ويحدث نقص في حجم السَّائل الأَمْنِيُوسِيِّ ممَّا يزيد خطر اضطراب معدَّل ضربات قلب الجنين، وانخفاض درجة الحموضة (PH) في دم الشَّريان السُّريِّ[٤].

وتتعرَّض الأجنَّة في الحمل المتأخِّر والحمل بعد الأوان لزيادة خطر الإصابة بالعَمْلَقَة (Macrosomia)[٥]، والَّتي يُعتقَد أنَّها تساهم في زيادة مخاطر الولادة المهبليَّة والقيصريَّة، بالإضافة إلى

---

(١) انظر: Spong، Defining "term" pregnancy، ص٢٤٤٥.

(٢) انظر: American college of obstetricians and gynecologists، Management of late-term and post-term pregnancies، ص٣٩٠.

(٣) انظر: Clausson وزملاؤه، Outcomes of post-term births، ص٧٥٨.

(٤) انظر: Gabbe وزملاؤه، Umbilical cord compression associated with amniotomy، ص٣٥٣؛ Morris وزملاؤه، The usefulness of ultrasound assessment of amniotic fluid، ص٩٨٩؛ Balchin وزملاؤه، Maternal and fetal characteristics associated with meconium-stained amniotic fluid، ص٨٢٨.

(٥) انظر: Eden وزملاؤه، Perinatal characteristics of uncomplicated postdate pregnancies، ص٢٩٦؛ McLean وزملاؤه، Post-term infants: too big or too small?، ص٦١٩. والعَمْلَقَة: هي =

خطر عسر الولادة الكتفيّ (shoulder dystocia)، وهي حالة يحدث فيها خروج رأس الجنين من المهبل بينما يبقى كتفه عالقًا فوق عظمة العانة لدى الأمّ[١]. وأظهرت الدِّراسات الرَّقابيَّة (observational studies) أنَّ خطر حدوث وفيَّات الأجنَّة وحديثي الولادة يزداد مع تجاوز مدَّة الحمل للتَّاريخ التَّقديريّ للولادة[٢]، كما أكَّدت العديد من الدِّراسات التَّراجعيَّة (retrospective studies) واسعة النِّطاق هذه النَّتائج؛ حيث لوحظت زيادة كبيرة في معدل وفيَّات الأجنَّة بعد الأسبوع (٤١) من الحمل بالمقارنة مع الأسبوع (٤٠)، كما تزايدت هذه الوفيَّات خلال الأسابيع (٤٢) و(٤٣) على التَّوالي[٣]، وإضافةً إلى ذلك، فإنَّ الولادات المتأخِّرة ترتبط بارتفاع كبير في معدَّل دخول حديثي الولادة إلى وحدات العناية المركَّزة[٤].

وبالمقابل فإنَّ هناك العديد من المخاطر الَّتي قد تواجهها الأمُّ عندما يمتدُّ الحمل إلى ما بعد الوقت الطَّبيعيّ للولادة، فقد وجدت إحدى الدِّراسات الرقابيَّة الموسَّعة أنَّ زيادة عمر الحمل ترتبط بارتفاع معدَّل المضاعفات لدى الحامل، والَّتي تشمل: خطر التَّمزُّق العِجَانِيّ الحادّ (acute perineal rupture)، والإنتانات (infections)، ونزيف ما بعد الولادة، والولادة القيصريَّة، وقد لوحظ ازدياد هذه المخاطر جميعها في حالات الحمل المتأخِّر والحمل بعد الأوان[٥]، وبالإضافة إلى ذلك، تشير بعض الدِّراسات إلى ارتفاع مستوى القلق لدى الأمَّهات مع ازدياد مدَّة الحمل[٦].

اضطراب في النُّموّ ناتج عن زيادة إفراز هرمون النُّموّ، ممَّا يؤدِّي إلى فرط النُّموّ بمعدَّل يفوق الطَّبيعيّ. انظر: Korbonits & Bogusławska، Genetics of acromegaly and gigantism، ص١٣٧٧.

(١) انظر: Alexander وزملاؤه، Forty weeks and beyond، ص٢٩١؛ Rand وزملاؤه، Post-term induction of labor revisited، ص٧٧٩.

(٢) انظر: Yudkin وزملاؤه، Risk of unexplained stillbirth at different gestational ages، ص١١٩٢؛ Feldman، Prospective risk of stillbirth، ص٥٤٧؛ Ingemarsson وزملاؤه، Stillbirths and rate of neonatal deaths in 76,761 post-term pregnancies، ص٦٥٨.

(٣) انظر: Divon وزملاؤه، Fetal and neonatal mortality in the post-term pregnancy، ص٧٢٦؛ Hilder وزملاؤه، Prolonged pregnancy، ص١٦٩.

(٤) انظر: Tunon وزملاؤه، Fetal outcome in pregnancies defined as post-term، ص١٢.

(٥) انظر: Musci & Caughey، Complications of term pregnancies beyond 37 weeks of gestation، ص٥٧.

(٦) انظر: Heimstad وزملاؤه، Women's experiences and attitudes towards expectant management، ص٩٥٠.

ومن خلال الاستعراض السَّابق، يمكن ملاحظة أنَّه لا يوجد في القرآن الكريم ما يدلُّ على أقصى مدَّة الحمل، وقد يُظَنُّ للوهلة الأولى أنَّ عدم ذكر القرآن لهذه المدَّة يعود فقط إلى عدم تعلُّق الأحكام الشرعيَّة بها، ولكن عند البحث، يمكن الكشف عن وجه آخر للحكمة من ذلك، وهو أنَّ أيَّ زيادة لمدَّة الحمل عن المدَّة الطبيعيَّة غير مقبولة؛ إذ تبدأ المخاطر بالازدياد فورًا وبشكل طرديٍّ مع تجاوزها، كما تشير الحقائق العلميَّة المستنِدة إلى العلم التَّجريبيّ إلى أنَّ الجنين لا يمكن أن ينجو إذا زادت مدة الحمل أكثر من أسابيع قليلة. وبناءً على هذه الحقائق، يمكن ترجيح مذهب القائلين بأنَّ أقصى مدَّة الحمل هي تسعة أشهر، واستبعاد الأقوال الأخرى.

الفصل السَّادس: مكان الحمل والولادة

تمهيد.

المبحث الأوَّل: مكان الحمل.

المطلب الأوَّل: الخلق في البطون والأرحام.

المطلب الثَّاني: معنى القرار المكين.

المطلب الثَّالث: الخلق في الظُّلمات الثَّلاث.

المطلب الرَّابع: عِلْم الله بما في الأرحام.

المبحث الثَّاني: مفهوم الولادة والألفاظ الدَّالة عليها في القرآن الكريم.

المطلب الأوَّل: الولادة والوَضْعُ وتيسير السَّبيل.

المطلب الثَّاني: استعمال الفعل (يخرج) في القرآن الكريم للدَّلالة على الولادة.

المبحث الثَّالث: الخروج من بين الصُّلْب والتَّرائب.

المطلب الأوَّل: معنى الصُّلْب والتَّرائب.

المطلب الثَّاني: عود الضَّمير في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.

تمهيد:

يصف القرآن الكريم بدقةٍ وإعجازٍ رحلة الإنسان منذ لحظة تكوينه الأولى، متناولًا المراحل الَّتي يمرُّ بها في رحم الأمّ، من بدء الخلق إلى لحظة الولادة. ويُبرز القرآن عظمة الصُّنع الإلهيّ من خلال تصوير الرَّحم بوصفه قرارًا مكينًا، في إشارةٍ إلى كونه موضعًا آمنًا ومناسبًا لتكوُّن الجنين ونمائه، كما يسلِّط الضَّوء على الظُّلمات الثَّلاث الَّتي تحيط به خلال مراحل خلقه، مؤكِّدًا إحاطة علم الله المحيط بتفاصيل تكوينه منذ اللحظة الأولى. ثمَّ ينتقل إلى لحظة الولادة الَّتي تمثِّل بداية حياة الإنسان المستقلَّة، مستخدمًا ألفاظًا دقيقة متعدِّدة تعبِّر عن أهميَّة هذا الحدث. ويمضي القرآن إلى الحديث عن الخروج من بين الصُّلْب والتَّرائب، وهو تعبير أثار اهتمام العلماء والمفسِّرين، لما يحمله من إشارات لغويَّة وعلميَّة تحتاج إلى دراسة معمَّقة. ويتناول هذا الفصل موضوع مكان الحمل والولادة عبر ثلاثة مباحث؛ يركِّز الأوَّل منها على مكان الحمل، ويتناول الثَّاني الألفاظ القرآنيَّة الدَّالة على الولادة ودلالاتها، ويناقش المبحث الثَّالث معنى الخروج من بين الصُّلْب والتَّرائب في ضوء التَّفسير اللغويّ والعلميّ.

المبحث الأوَّل: مكان الحمل:

أشار القرآن الكريم في مواضع متعدِّدة إلى مكان خلق الجنين، متدرِّجًا في تحديده وتوصيفه بدقَّة. فقد ذكر أنَّ الخلق يتمُّ في بطون الأمَّهات، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، وقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]. كما جاء الحديث عن الأرحام باعتبارها المكان الَّذي يحتضن الجنين ويشهد مراحل تكوُّنه، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]، وقوله: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الحج: ٥]. ثمَّ جاء الوصف الدَّقيق لهذا المكان بكونه قرارًا مكينًا، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]، وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [المرسلات: ٢١، ٢٢]، وهو تعبير يحمل دلالات الأمان والثَّبات والاستقرار الملائم لنموّ الجنين. وأخيرًا، يشير القرآن إلى إحاطة هذا الخلق بظروف خاصَّة، فيذكر وجود الجنين في ظلمات ثلاث، كما في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، وهو وصف يتطلَّب التَّأمل في أبعاده العلميَّة واللغويَّة. ويناقش هذا المبحث مكان الحمل عبر أربعة مطالب تتناول الخلق في البطون والأرحام، ومعنى القرار المكين، والظُّلمات الثَّلاث الَّتي تحيط بالجنين، إضافة إلى بيان إحاطة علم الله بهذه المرحلة من الخلق الإنسانيّ.

المطلب الأوَّل: الخلق في البطون والأرحام:

ذكر الله تعالى أنَّ خلق الإنسان يكون في بطن أمِّه، فقال: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، فقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ بدل من قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وضمير المُخاطَبين يرجع إلى النَّاس[١]، فجاء قوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ﴾ بصيغة المضارع جريًا على عادة العرب في الاستعمال؛ إذ يُعبّرون عن الماضي والمستقبل كما يُعبّرون عن الشَّيء الحاضر؛ بغية إحضاره في الذِّهن حتَّى كأنَّه مُشاهَد حالة الإخبار[٢].

وتكرَّر ذِكْرُ خلق الإنسان في بطن أمِّه في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]. وقوله: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾، فهذه حال أخرى من أحوال الإنسان، وهي كَوْنه جنينًا في بطن أمِّه ضعيفًا عاجزًا فامتدَّت إليه يد الله لِتُخرجه من هذا الضَّعف إلى القوَّة، كما أخرجه من عالم التُّراب، وألحقه بِعَالَمَ الحقِّ والنُّور[٣].

والرَّحِم هو المكان المخصَّص للحمل، وليس كلُّ البطن، وذَكَر ابن فارس أنَّ الرَّاء والحاء والميم أصلٌ واحد يدلُّ على العَطْف والرِّقَّة. والرَّحِم هي علاقة القرابة، ومنه سُمِّيَت رَحِمُ الأنثى رَحِمًا؛ لأنَّ منها يمكن أن يكون ما يُرحَم ويُرَقُّ له مِن وَلَد[٤].

وجاء لفظ (الرَّحِم) في القرآن الكريم بصيغة الجمع؛ أرحام، وذلك في آيات عِدَّة، منها:

- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، فالله هو الَّذِي يجعل النَّاس على صور مختلفة وَهُم في الأرحام من النُّطف إلى العلق إلى المضغ، ومن ذكورة وأنوثة، ومن حسن وقبح إلى غير ذلك[٥]، وكلُّ هذا يجري على أتمّ ما يكون إحكامًا ونظامًا، ومن المستحيل أن يكون من قبيل الاتِّفاق والمصادفة، بل هو من صنع عليم خبير بالدَّقائق[٦].

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/ ٣٣٣.

(٢) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ص٦٤٧.

(٣) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٤/ ٦١٣.

(٤) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢/ ٤٩٨، مادة: (رَحِمَ).

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان، ٦/ ١٦٦؛ تفسير المراغي، ٣/ ٩٨؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢/ ٣٩٧- ٣٩٨.

(٦) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٧/ ١٣٤؛ تفسير المراغي، ٣/ ٩٨؛ رضا، تفسير المنار، ٣/ ١٣٤.

– قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، فقوله: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾؛ أي: تبقى الأجنَّة الَّتِي شاء الله لها البقاء إلى الوقت الَّذِي قُدِّر فيه أن تَلِد المرأة[١]. وَمِن الأجنَّة ما يبقى ستَّة أشهر، ومنها ما يزيد على ذلك، وهو الَّذِي أفاده الإجمال في قوله تعالى: ﴿أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. وجملة ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معطوفة على جملة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾. وَعَدَل عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع للدَّلالة على استحضار تلك الحالة؛ لِمَا فيها من التَّشابه بين استقرار الأجساد في الأجداث ثمَّ إخراجها منها بالبعث، وَبَيْنَ إخراج الطفل من قرارة الرَّحم، مع تفاوت القرار، والاستدلال في هذا كلِّه بأنَّه إيجاد بعد العدم وإعدام بعد الوجود لِتَبْيين إمكان البعث بِالنَّظير وَبِالضِّد[٢].

ويقع الرَّحم بين المستقيم والمثانة، وهو المكان الَّذِي سيستقبل النُّطفة الأمشاج أو اللَّاقحة، حيث ستبدأ بالانقسام، وسيتمُّ التَّعشيش على جدار الرَّحم، وتشكيل المضغة، وَمِن ثمَّ الجنين. ويتكوَّن الرَّحم من جزئين رئيسين هما عنق الرَّحم (cervix) وجسمه (corpus)، ويفصل بينهما برزخ (isthmus) أضيق. ويكون عنق الرَّحم أسطوانيَّ الشَّكل نسبيًّا، في حين يأخذ جسم الرَّحم الشَّكل الكمثريَّ قاعدته العريضة في الأعلى، ويكون سطحه الأماميُّ مسطَّحًا بينما يكون سطحه الخلفيُّ محدَّبًا. وتكون الأطوال النِّسبيَّة لِجسم الرَّحم وعنق الرَّحم متساوية تقريبًا قبل البلوغ، وتتغيَّر نسبة الجسم إلى عنق الرَّحم فتصبح ما بين (٢: ١) و (٣: ١) بعد البلوغ تحت تأثير زيادة مستويات هرمون الاستروجين. ويبلغ طول الرَّحم عند المرأة الَّتِي لم تحمل سابقًا حوالي (٧ إلى ٨ سم) وعرض (٤ إلى ٥ سم) في أوسع جزء، بينما يبلغ طول عنق الرَّحم (٢ إلى ٣ سم). ويتألَّف جدار الرَّحِم من طبقات ثلاث؛ أوَّلها: بطانة الرَّحم (endometrium) أو الغشاء المخاطيُّ الدَّاخليُّ الَّذِي يطرأ على بُنْيَتِه تغيراتٌ في أثناء الدَّورة الشَّهريَّة، ويتكوَّن من ظَهارة عموديَّة بسيطة مع بعض النَّسيج الضَّامّ المبطِّن، وثانيها: عضلة الرَّحم (myometrium) أو الطَّبقة الوسطى الَّتِي تصبح قابلة للتَّمييز بِشَكلٍ كبير أثناء الحمل، وهي مكوَّنة من العضلات الملساء الَّتِي تنقبض أثناء المخاض استجابة للتَّحفيز الهرمونيّ، وثالثها: ظهارة الرَّحم (perimetrium) وهي الطَّبقة الخارجيَّة المحيطة بجدار الرَّحِم وتتكوَّن من طبقة رقيقة من النَّسيج الضَّامّ[٣].

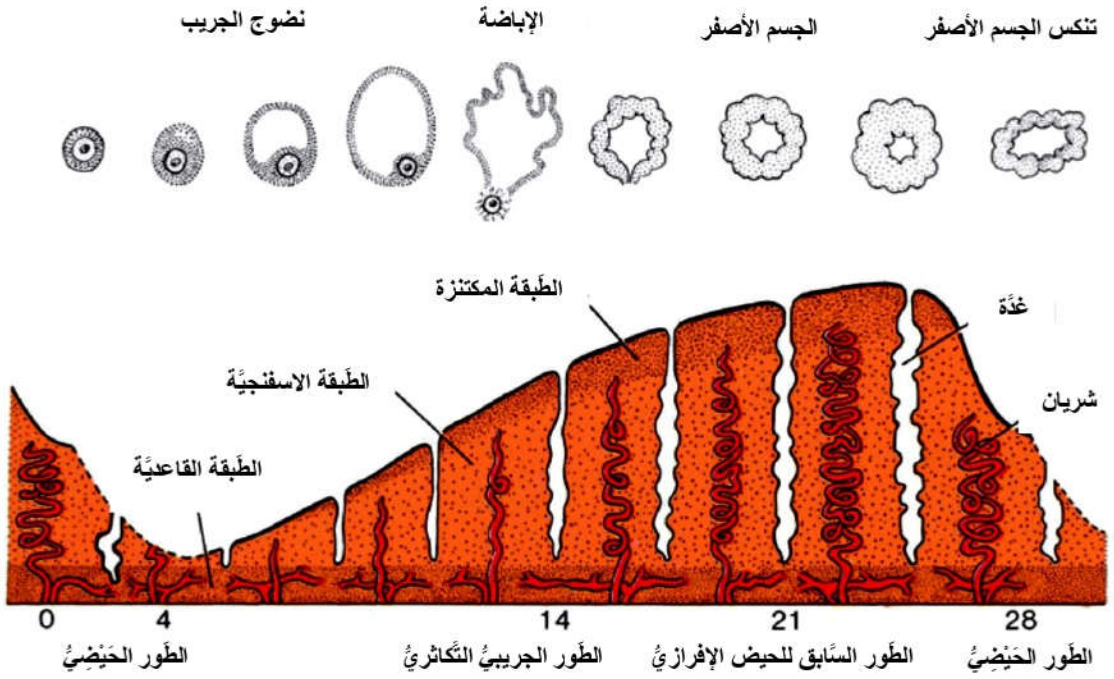
---

(١) انظر: تفسير المراغي، ١٧/ ٨٩.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧/ ١٩٩.

(٣) انظر: Beckmann وزملاؤه، Obstetrics and gynecology، ص٣٧.

ومنذ بلوغ الأنثى وحتَّى ســـن الإياس (menopause) تعتري بطانةَ الرَّحم تغيُّراتٌ في دورات، تبلغ مدَّة الواحدة منها (٢٨) يومًا تقريبًا، وفي أثناء هذه الدَّورات الشَّـهرية تمرُّ بطانة الرَّحم بثلاث مراحل، هي: الطَّور الجُريبيُّ أو التَّكـاثريُّ (follicular or proliferative phase)، والطَّور الإفرازيُّ أو المؤهِّـب للحمل (secretory or progestational phase)، والطَّور الحيضـيُّ (menstrual phase). وإذا لم يحدث الإخصـاب تتمزَّق بطانة الرَّحم مُشـيرةً إلى بداية الطَّور الحيضـيِّ، أمَّا إذا حدث الإخصـاب فإنَّ بطانة الرَّحم تساعد في الانغراس (implantation) وتشارك في تكوين المشيمة (placenta). ولا بُدَّ من الإشـــارة إلى أنَّه عندما يحدث الانغراس يكون الرَّحم في الطَّور الإفرازيِّ. وفي هذا الطَّورِ يمكن تمييز ثلاث طبقات في بطانة الرَّحم: طبقة ســطحيَّة مُكْتَنِزَة، وطبقة وســطى إســفنجيَّة، وطبقة قاعديَّة رفيعة. وإذا لم تُخصَّب البُيَيْضَة يبدأ الطَّور الحيضيُّ، حيث يتمُّ طرد الطَّبقتين الـمُكْتَنِزَة والاسفنجيَّة من الرَّحم، ولا تبقى إلَّا الطَّبقة القاعديَّة الَّتِي تعمل كَطَبقة تجدُّديَّة في الطَّور التَّكاثريِّ القادم[١]، الشَّكل رقم (١٤).



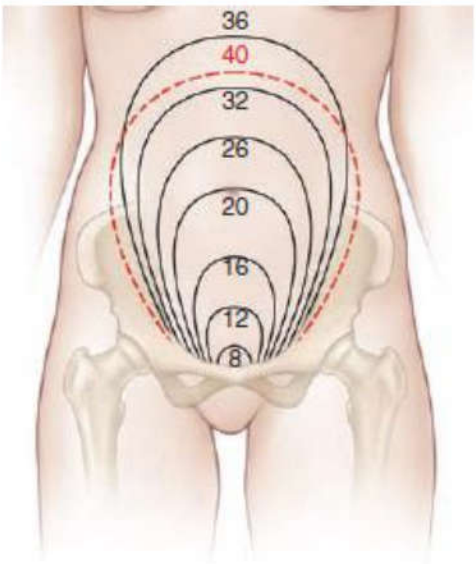
الشَّكل رقم (١٤) التَّغيُّرات في بطانة الرَّحم والتَّغيرات المقابلة في المبيض أثناء دورة حيضيَّة منتظمة من غير إخصاب[٢].

وتزداد أبعاد الرَّحم بِشَكلٍ مطَّرد أثناء الحمل لِيَبلغ نصف المسافة بين السُّرة وعظم العانة في الأسبوع السَّادس عشر، وَلِيَصل إلى مستوى السُّرة في الأسبوع العشرين، وفي نهاية الأسبوع السَّادس والثَّلاثين من

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٣٩-٤١.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

الحمل يملأ الرَّحم المساحة داخل البطن، ويكون الجزء العلويُّ من الرَّحم قد وصل إلى عظم القصِّ، ثمَّ يهبط بعد ذلك قليلًا مع زيادة في انتفاخ البطن[١]، الشَّكل رقم (١٥).



الشَّكل رقم (١٥) التَّغيرات الطَّارئة على ارتفاع الرَّحم انطلاقًا من قاع الحوض، وتمثِّل الأرقام عدد أسابيع الحمل[٢].

المطلب الثَّاني: معنى القرار المكين:

القرار يُطلَق على المكان الَّذِي يمكن الإقامة فيه بِشَكلٍ مريح[٣]، أمَّا كلمة مكين فتأتي بمعنى أنْ تجعل للشَّيء على الشَّيء سلطانًا وقدرة[٤]. وَيُطلِق القرآن الكريم على الرَّحِم اسم (القرار المكين) في آيات عِدَّة، منها:

– قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]، وللمفسِّرين في معنى القرار المكين هنا قولان؛ أوَّلهما: الرَّحِم الَّذِي تستقرُّ فيه النُّطفة[٥]، فيكون المعنى: جعلناها في حِرْزٍ حصين من وقت الحمل إلى حِيْن الولادة[٦]، والفعل (جَعَلْنَاهُ) المتعدي بـ (فِي) بِمَعنى (وضعناه). ومقتضى الظَّاهر أنْ يُوصَف بالمكين الشَّيءُ الحالُّ في المكان الثَّابت فيه. وقد وقع هنا وصفًا لِنَفس المكان الَّذِي استقرَّت فيه النُّطفة،

---

(١) انظر: Beckmann وزملاؤه، Obstetrics and gynecology، ص٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٨٥، مادة: (قرر).

(٤) انظر: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٥٧٧، مادة: (مكن).

(٥) انظر: تفسير المراغي، ١٨/ ٧– ٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٢– ٢٣؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩/ ١١١٨– ١١١٩.

(٦) انظر: تفسير المراغي، ١٨/ ٧– ٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٢– ٢٣.

على طريقة المجاز العقليّ[١] للمبالغة، وحقيقته: مكينٌ حالُه[٢]. وثانيهما: الحبل المنويُّ المودَعة فيه النُّطفة، والَّذِي يمتدُّ بين فقار الظَّهر وأضلاع الصَّدر، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥- ٧][٣]. والقول الأوَّل هو الصَّحيح، وهو ما ذهب إليه المفسِّرون الأقدمون، والمعنى: ثمَّ جعلنا الإنسان الَّذِي جعلناه من سلالة من طين، بعد ذلك نطفة في أصلاب الآباء، فقذفها الصُّلب بالجِماع إلى الرَّحم، فصار الرَّحِم قرارًا مكينًا لهذه النُّطفة[٤].

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠، ٢١]، فقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ قوله: ﴿قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو رَحِم الأمّ[٥]، حيث جُعِل الماء المهين في رحمٍ فاستقرَّ فيها وتمكَّن[٦]، وقد وُصِف القرار بالمكين مجازًا؛ أي: مكين الحال والمستقَرُّ فيه. فالتَّقدير: مكين فيه"[٧]. فالرَّحم مستقَرٌّ مناسب للنُّطفة الأمشاج تصبح فيه علقة فمضغة فجنينًا فإنسانًا مكتملًا، ويكون موضع الانغراس عادةً على طول الجدار الأماميّ أو الخلفيّ لِجسم الرَّحم. وقد تحدث في بعض الأحيان بعض الانغراسات الشَّاذة في داخل الرَّحم أو خارجه؛ فقد تنغرس الكيسة الأريميَّة أحيانًا في جدار الفوَّهة الباطنة لِعُنق الرَّحم وعندما تنمو المشيمة فإنَّها تَسُدُّ هذه الفوهة مُسَبِّبَةً نزفًا خطيرًا في الجزء الثَّاني من الحمل أو في أثناء الولادة. وقد يحدث الانغراس خارج الرَّحم أحيانًا ممَّا يؤدِّي إلى الحمل خارج الرَّحم (extrauterine pregnancy) أو الحمل المُنْتَبَذ (ectopic pregnancy). وقد يحدث الحمل المُنْتَبَذ في أيّ مكان من جوف البطن أو في المَبِيْض أو في البوق (الأنبوب الرَّحميّ uterine tube)، ومع ذلك تحدث (٩٥٪) من حالات

---

(١) المجاز العقليُّ: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة بينهما، مع وجود قرينة مانعة من الإسناد الحقيقيّ. انظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ١/ ١٢٢ وما بعدها.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٢- ٢٣.

(٣) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٩/ ١١١٨- ١١١٩. ولا يتطابق هذا القول مع الحقائق التَّشريحيَّة كما سيأتي عند الحديث عن الصُّلب والتَّرائب في هذا الفصل.

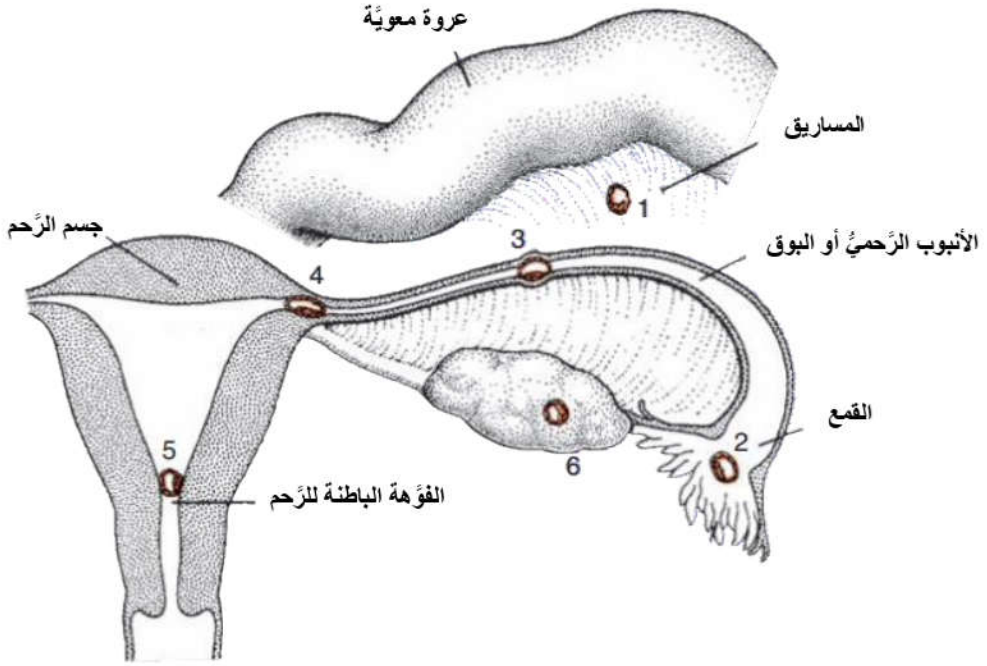
(٤) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٩/ ١٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٣/ ٢٦٤.

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ١٣٢؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٠/ ٧٧٢؛ تفسير المراغي، ٢٩/ ١٨١؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٤٣١؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٥/ ١٣٩٩.

(٦) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ١٣٢؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٠/ ٧٧٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٤٣١.

(٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٤٣١.

الحمل الـمُنْتَبَذ في البوق (قناة فالوب)، ويكون معظمها في القمع (ampulla)[١]، وهو الجزء الأوَّل منها المقابل للمَبِيْض، الشَّكل رقم (١٦).



الشَّكل رقم (١٦) الأوضاع الشَّاذَّة لانغراس الكيسة الأريميَّة:

(١) انغراس في تجويف البطن، (٢) انغراس في القمع، (٣) انغراس بوقيٌّ، (٤) انغراس خلاليٌّ في الجزء الضَّيِّق من البوق، (٥) انغراس في منطقة الفوَّهة الباطنة للرَّحم، (٦) انغراس في المبيض[٢].

وَتَموت المضغة في أغلب حالات الحمل الـمُنتبَذ (ectopic pregnancies) في الشَّهر الثَّاني من الحمل مُسبِّبة ألـمًا بطنيًّا ونزفًا شديدًا عند الأمّ. ومن ناحية أخرى، تكون الكيسات الأريميَّة الشَّاذة شائعة الحدوث، ولا تُظْهِر أغلب هذه الكيسات الأريميَّة الشَّاذة أيَّ أعراض للحمل؛ لأنَّ الأرومة الغاذية (trophoblast) تكون دون مستوى استمرار الجسم الأصفر[٣] (luteum corpus)، وربما تُجْهَض هذه الـمُضَغ مع الحيض التَّالي، ولذلك لا يُعْلَم بحدوث الحمل[٤]. وباعتبار أنَّ (٥٠٪) من جينات المضغة المنغرسة تُشتَقُّ من الأب، فإنَّ المضغة هي جسم غريب يجب لفظه عبر أنظمة الأمّ المناعيَّة، إلَّا إنَّ الأدلَّة الحديثة تشير إلى وجود العديد من العوامل المتداخِلة الَّتي تحمي الحمل (conceptus) والَّتي تشمل إنتاج

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٨.

(٣) الجسم الأصفر (Corpus luteum): بنية تتشكَّل في مَبِيْض الأنثى البالغة، وتنتج عن الانقسامات العديدة الَّتي تطرأ على الخلية الأمّ في المَبِيْض، والَّتي تعطي في النهاية بُيَيْضَة وجسمًا أصفرًا وظيفته إفراز الهرمونات في حالة حدوث الحمل. انظر: Niswender، Molecular control of luteal secretion of progesterone، ص٣٣٣.

(٤) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٤٨.

العديد من المواد الكيميائيَّة المثبِّطة للمناعة، إضافةً إلى معقد التَّوافق النَّسيجيّ الأكبر غير العاديّ (unusual major histocompatibility complex) الَّذِي يمنع التَّعرف على محصول الحمل كجسم غريب. وأمَّا إذا كانت الأمُّ مصابةً بأحد أمراض المناعة الذَّاتيَّة فإنَّ الأضداد الَّتِي يُوَلِّدها المرض قد تهاجم الجنين وتؤدِّي إلى لفظه[١]، وَبِالنَّتيجة فإنَّ الرَّحم مكان يكون الجنين مكينًا فيه.

وبالمقابل، يمكن أن تكون (مكين) على سبيل الحقيقة، فالرَّحم مكين في البطن والحوض بفضل الأربطة المختلفة الَّتِي تدعمه، فَيَربط الرِّباط العريض (broad ligament) البنى والأنسجة الضَّامة المجاورة مباشرة مع الرَّحم، وهو يحتوي على الشَّرايين والأوردة الرَّحميَّة والحالِبين، ويربط الرِّباط القمعيُّ الحوضيُّ (infundibulopelvic ligament) الرَّحم بالجدار البطنيّ الخلفيّ، ويتكوَّن بِشَكلٍ رئيسيّ من أوعية المَبِيْض، ويربط الرِّباط الرَّحميُّ العجزيُّ (uterosacral ligament) الرَّحم على مستوى عنق الرَّحم بالعجز، وهو بالتَّالي دعمُه الأساسيُّ، ويرتبط الرِّباط الرَّئيسيُّ (cardinal ligament) إلى جانب الرَّحم أدنى شريان الرَّحم مباشرة، وأمَّا الرِّباط العجزيُّ الشَّوكيُّ (sacrospinous ligament) فَيَربط العجز بالعمود الفقريّ الحرقفيّ وهو غير متَّصل بالرَّحم، وكثيرًا ما يُستخدَم هذا الرِّباط جراحيًا لِدَعم أحشاء الحوض[٢].

المطلب الثَّالث: الخلق في الظُّلمات الثَّلاث:

بعد أن أشار القرآن الكريم إلى مكان الحمل، وأنَّه يكون في بطون الأمَّهات، وفي أرحامهنَّ الَّتِي تكون قرارًا مكينًا يتشكَّل فيه الجنين وينمو، أشار إلى خاصِّيَّة دقيقة تتعلَّق بمكان الحمل وهي خلق الجنين في مكان مظلم، ولم يكتفِ القرآن بِذِكْرِ ذلك بَلْ فصَّل في ذِكْر هذه الظُّلمات الَّتِي يُخْلَق الجنين ضِمْنها، بقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، وفي ذِكْرِها "تنبيهٌ على إحاطة عِلْم الله تعالى بالأشياء ونفوذ قُدْرته إليها في أشدِّ ما تكون فيه من الخفاء"[٣]؛ "أي : لا تمنعه الظُّلمة كما تمنع المخلوقين"[٤]. فما تلك الظُّلمات الثَّلاث؟ وما هي أقوال المفسِّرين فيها؟ وما رأي العلم التَّجريبيّ في ذلك؟

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٤٧.

(٢) انظر: Beckmann وزملاؤه، Obstetrics and gynecology، ص ٣٧.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/ ٣٣٤.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥/ ٢٣٦.

لقد تعدَّدت الأقوال في معنى الظُّلمات الثَّلاث، ويمكن حصر الأقوال الأكثر قبولًا وانتشارًا بالأقوال الثَّلاثة الآتية[١]:

القول الأوَّل: أنَّ الظُّلمات هي ظلمة البطن، وظلمة الرَّحِم، وظلمة المشيمة، وبهذا قال معظم المفسِّرين[٢].

المناقشة: يؤخذ على هذا القول مأخذان؛ أمَّا أوَّلهما: فهو اعتبار ظلمة البطن إحدى الظُّلمات الثَّلاث، وذلك أنَّ حَرْف الجرِّ (في) في قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ يدلُّ على الاحتواء، وهو بمعنى الظَّرفيَّة المكانيَّة[٣]. ولا يصحُّ عَدُّ البطن من الظُّلمات الثَّلاث؛ لأنَّ حرف الجرِّ (في) تكرَّر مرَّتين في الآية: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، وَ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾، وهو يدلُّ -كما ذُكِر- على الظَّرفيَّة المكانيَّة والاحتواء؛ أي: إنَّ البطن يحتوي الجنين وتكون الظُّلمات الثَّلاث محيطة به، ومِن ثمَّ فإنَّ بطن الأمِّ تحتوي الظُّلمات الثَّلاث الَّتي يتمُّ فيها خلق الجنين، وليست بطنها إحدى تلك الظُّلمات المقصودة في قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾. وقد بَيَّن العِلْم التَّجريبيُّ أنَّ الحمل خارج الرَّحِم؛ أي: في البطن، تَتْبَعُه وفاةُ الجنين، كما يتسبَّب بِحَالاتٍ مرضيَّة بالغة عند الأمِّ الحامل[٤]، ما يعني أنَّ البطن خارج نطاق تخليق الجنين؛ إذ لو كانت ضِمْنه لَعَاش فيها الجنين إلى وقت ولادته بِشَكلٍ طبيعيٍّ ولم تحدث خلال هذا الحمل مشاكل للأمِّ. وأمَّا الآخر: فهو اعتبار المشيمة إحدى الظُّلمات الثَّلاث؛ إذ لا يتوافق هذا مع سياق الآية الكريمة الَّتي تقول إنَّ مراحل الخلق المتتالية تكون في ظلمات ثلاث، فمرحلة النُّطفة ومرحلة العلقة، وكذلك المرحلة الأولى من المضغة قبل تخلُّق المشيمة كلُّها لا ينطبق عليها وصف الخلق في الظُّلمات الثَّلاث وفق هذا القول؛ لأنَّ المشيمة لم تُخلق بعد وهي إحدى الظُّلمات الثَّلاث.

---

(١) توجد العديد من الأقوال الأخرى الضَّعيفة، ومنها على سبيل المثال القول بأنَّ الظُّلمات الثَّلاث هي طبقات جدار الرَّحِم، فَكَوْن جدار الرَّحم مؤلَّفًا من ثلاث طبقات لا ينفي أنَّه جدارٌ واحِدٌ، فالأعضاء في الجسم مؤلَّفة من طبقات نسيجيَّة ولا يُقال عن هذه الطَّبقات أنَّها جُدُر، وعلى سبيل المثال يتألَّف جدار المعدة من عِدَّة طبقات ولا يُقال: إنَّ المعدة مُكوَّنة من عِدَّة جُدر، وبهذا يبقى الرَّحم عضوًا واحدًا وتخرج طبقاته من الحسبان. انظر: نجا، مُعجزات باهرات في آية الخلق من بعد خلق في ظلمات ثلاث،
https://www.facebook.com/Miracles.in.the.Quran1/posts/2610022615715306?__tn__=K-R

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢١/ ٢٥٨؛ القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٢٨٠؛ تفسير المراغي، ٢٣/ ١٤٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/ ٣٣٤؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٢/ ١١٢٠- ١١٢١.

(٣) انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، ٣/ ١٧٩- ١٨١.

(٤) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٤٨. وقد سبق تفصيل ذلك في المطلب السَّابق: (القرار المكين).

القول الثَّاني: هي الأغشية الثَّلاثة الَّتِي تحيط بالجنين في أطوار تكوينه، وهي: الغشاء الأمنيوسيُّ أو السَّلويُّ، فالغشاء الكوريونيُّ أو المشيميُّ، فالغشاء السَّاقط، وبه قال بعض الأطباء(١).

المناقشة: تتكوَّن الأغشية المحيطة بالجنين طِبيًّا من ثلاث طبقات، هي:

١- غشاء السَّلى أو الأمنيون (amnion): وهو الطَّبقة الدَّاخلية الأقرب للجنين، ويُشكِّل كيسًا لامعًا وأملسًا يتطوَّر فيه الجنين، ويتكوَّن هذا الكيس من نسيج رقيقٍ وشفافٍ وَقَوِيٍّ في الوقت نفسه. ويحتوي الكيس السَّلويُّ داخله سائلًا يدعى بالسَّائل الأمنيوسيِّ أو السَّلويِّ يحيط بالجنين وَيُلطِّف من الصَّدمات الَّتِي قد يتعرَّض لها.

٢- غشاء الكوريون (chorion) أو المشيمة (placenta): تتألَّف المشيمة من قسمين رئيسين مميَّزين، هما: المشيمة الخَمِلَة أو الزُّغابيَّة (chorion frondosum) وهي الجزء من المشيمة الواقع في القطب الجنينيِّ وتتميَّز بِوُجود الزَّغابات الكثيفة والمتطوِّرة، والمشيمة الملساء (chorion leave) وهي الجزء من المشيمة الَّذِي يقع في الجانب البعيد عن الجنين وتتميَّز بِضُمور زغاباتها ومظهرها الأملس.

٣- السَّاقط (decidua): وهو الطَّبقة الوظيفيَّة من البطانة الرَّحميَّة الَّتِي تنفصل أثناء الولادة، ويتألَّف من ثلاثة أقسام؛ أوَّلها: السَّاقط القاعديُّ (decidua basalis) وهو الجزء من السَّاقط الملاصق للمشيمة الخَمِلَة، ويتألَّف من طبقة كثيفة من الخلايا الكبيرة هي الخلايا السَّاقطيَّة، وكميَّة وفيرة من الدُّهون والغليكوجين (سلسلة من السكاكر الأحاديَّة)، وترتبط هذه الطَّبقة السَّاقطيَّة بالمشيمة بِشِدَّة. وثانيها: السَّاقط المحفظيُّ (decidua capsularis) وهو الجزء من السَّاقط الواقع في الجزء البعيد عن الجنين. وثالثها: السَّاقط الجداريُّ (decidua parietalis) وهو الجزء من السَّاقط المبطن لِجدار الرَّحم(٢).

وَمَع استمرار نموِّ الجنين يتماسُّ السَّاقط المحفظيُّ مع السَّاقط الجداريّ، ويلتحمان ما يؤدِّي لِسَدِّ اللُّمْعَة الرَّحِميَّة (uterine lumen) وَمَلء الرَّحِم بِشَكلٍ كامل. ويؤدِّي استمرار نموِّ الجنين أيضًا لالتحام السَّلى والمشيمة ما يُسبِّب سدَّ الجوف المشيميّ.

---

(١) انظر: تفسير المراغي، ٢٣/ ١٤٧، نقلًا عن الدكتور عبد العزيز باشا إسماعيل في كتابه الإسلام والطب الحديث؛ البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص٤٢٣؛ ضيف الله، خلق الإنسان كما تعرضه آيات القرآن الكريم، ص٣٦.

(٢) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص١٠٢؛ Beckmann وزملاؤه، Obstetrics and gynecology، ص٣٧.

وبالنَّتيجة: تتشكَّل الأغشية المحيطة بالجنين المؤلَّفة من ثلاث طبقات متتالية هي السَّلى ثمَّ المشيمة أو الكوريون ثمَّ السَّاقط[١]، ويكون غشاء السَّلى أو الأمنيون شفافًا، فيخرج عن كَوْنه من الظُّلمات المقصودة في الآية، إضافة إلى أنَّ بعض مراحل الخلق كالنُّطفة والعلقة لا تحدث ضمن هذه الأغشية، وبذلك يُسْتبعَد هذا القول الَّذِي عَدَّ أغشية الجنين هي الظُّلمات الثَّلاث.

القول الثَّالث: "ظلمة صلب الرَّجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرَّحِم"[٢].

المناقشة: من الواضح أنَّ الآية الكريمة تشير إلى أنَّ خلق الإنسان في الظُّلمات الثلاث مرتبطٌ بِبُطون الأمَّهات؛ أي إنَّ الظُّلمات الثلاث يجب أن تكون في بطون الأمهات، وبذلك يكون القول بأنَّ إحدى الظُّلمات هي ظلمة صلب الرَّجل أو ظلمة الخصية، مردودًا.

معنى الظلمات الثَّلاث:

للتَّوصُّل إلى معنى الظُّلمات الثَّلاث الواردة في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ يجب فَهْمُ معاني أجزائه الثَّلاثة؛ الخلق في البطون، وخلق من بعد خلق، وفي ظلمات ثلاث، وربط تلك المعاني المُستخلَصة مع حقائق العلم التَّجريبيّ.

وأمَّا الخَلْق لغةً: فالله تعالى "هُوَ الَّذِي أَوجد الأَشياءَ جَميعَها بَعْدَ أنْ لَمْ تَكُنْ مَوجودةً، وأَصل الخَلْقِ التَّقديرُ، فَهُوَ بِاعْتبار تقديرِ مَا مِنْهُ وجودُها وَبِالِاعْتبارِ للإيجادِ على وَفْقِ التَّقديرِ خالقٌ"[٣]، فَمَعْنَى الخلق في الآية إيجاد مخلوقٍ من مخلوقٍ سابق، وأمَّا معنى (بطون) فإنَّ "الباء وَالطَّاء وَالنُّون أَصلٌ واحدٌ لا يكادُ يُخْلِفُ، وَهُوَ أُنْسِيُّ الشَّيءِ وَالمقْبِلُ مِنْهُ"[٤]، و"البَطْنُ مِن الإنسان وسائِر الحيوان: معروفٌ خِلَافَ الظَّهْر... وَجَمعُ البَطْنِ أَبطُنٌ وبُطُونٌ وبُطْنانٌ"[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ وردتْ (خَلْق) الأولى نكرة وكذلك (خَلْق) الثَّانية جاءت نكرة، ما يشير إلى أنَّ معنى (خَلْق) الأولى غير معنى (خَلْق) الثَّانية؛ لأنَّ النَّكرة تفيد التَّنوع والاختلاف،

---

(١) انظر: Edmonds، ٢٠٠٧، ص٢٠؛ Sadler، Langman's medical embryology، ص١٠٢؛ Steegers وزملاؤه، Textbook of obstetrics and gynaecology، ص١٢٦.

(٢) وهذا مذهب أبي عبيدة. نقله: القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن، ١٥/ ٢٣٦. وأبو عبيدة هو: مُعَمَّر بن المثنَّى التَّيميُّ البصريُّ، النَّحْويُّ العلَّامة، تُوُفِّيَ حوالي سنة تسع ومئتين للهجرة. انظر: الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص٨٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٨٥، مادة: (خلق).

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١/ ٢٥٩، مادة: (بَطَنَ).

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٥٢، مادة: (بَطَنَ).

كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]؛ إذ جاءت (يسر) في الموضعين نكرة، فكانت (يسر) الأولى غير (يسر) الثَّانية؛ لأنَّ النَّكرة إذا أُريد تكريرها جيء بِضَميرها، أو بالألف واللَّام، وَمِن ثَمَّ قِيل: لن يغلب عُسر يُسرين[١]. وقول الله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ فَصَل (خَلْق) الأولى عن (خَلْق) الثَّانية، وَمِن المعلوم أنَّ (بعد) مِن الظُّروف الَّتِي تصلُحُ أن تكون ظرفًا للزَّمان أو ظرفًا للمكان، وذلك بحسب ما يُضاف إليه، وقد يُجَرُّ بِحَرف مِن كما في الآية الكريمة[٢]. والكلمة (بَعْدِ) في الآية الكريمة ظرف زمان، فـ (خَلْق) الأولى كانت في الزَّمن الأوَّل ثمَّ جاءت (خَلْق) الثَّانية في الزَّمن الثَّاني؛ أي: بعدها. وهذا يعني أنَّ الجنين يتكوَّن في بطن أمِّه خلقًا من بعد خلق عبر الزَّمان. و"الظُّلْمَة، بِضَمِّ اللَّام: ذهابُ النُّورِ، وَهِي خِلَافُ النُّورِ، وَجَمعُ الظُّلْمةِ ظُلَمٌ وَظُلُماتٌ وَظُلَماتٌ وَظُلْمات"[٣].

وممَّا سبق يتَّضح أنَّ الآية تحتمل معنيين؛ الأوَّل: يخلقكم في بطون أمَّهاتكم خلقًا من بعد خلق، في ظلمات ثلاثة متراكبة، والثَّاني: يخلقكم في بطون أمَّهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاثة متعاقبة. ولتحديد المعنى الصَّحيح منهما يجب تحديد أماكن الخلق، فإن كانت مراحل الخلق كلُّها تحدث في مكان واحد فالظُّلمات متراكبة، وإن كانت مراحل الخلق تحدث في أماكن مختلفة فالظُّلمات متعاقبة.

وقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ هي أطوار خلق الإنسان[٤]، وَلِلتَّعرُّف على تلك الأطوار يُنْظَر في الآيات الَّتِي فصَّلت في مراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤]، وَمِن المعروف أنَّ الخلق من تراب أو طين هو لآدم عليه السَّلام، وأمَّا الخلق من نطفة فَهُوَ لِنَسْلِه[٥]. وَبِالتَّمعُّن بمراحل خلق نسل آدم في الآيتين يُلاحَظ أنَّ الخلق يبدأ من نطفة، والمراد هنا النُّطفة الأمشاج، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]؛ أي: من اللاقحة[٦]، وبذلك يخرج المَبِيْض، وهو مصدر النُّطف الأنثويَّة،

---

(١) انظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ٢/ ١٢٩٣.

(٢) انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية، ٣/ ٥٧- ٥٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ٣٧٧، مادة: (ظَلَم).

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢١/ ٢٥٧؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٧/ ٢٤٣؛ تفسير المراغي، ٢٣/ ١٤٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/ ٣٣٣.

(٥) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٦/ ١٢٦، ١٢٧.

(٦) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٨٨.

عن كَوْنه ظلمة، فضلًا عن استبعاد الخصية؛ لأنَّها خارج بطون الأمهات أصلًا. واستُعمِل حرف (ثُمَّ) أو (الفاء) للدَّلالة على تعاقب المراحل في الآيتين السَّابقتين، فَبَعْدَ النُّطفة الأمشاج علقة، ثمَّ مضغة وهكذا. وبإسقاط مراحل خلق الإنسان الواردة في هاتين الآيتين على قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ تكون بداية خلق الإنسان من النُّطفة الأمشاج هي الخلق الأوَّل، وأمَّا العلقة فهي الخلق الثَّاني، وأمَّا المضغة فهي الخلق الثَّالث ويستمرُّ التَّخليق خلقًا بعد خلق كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. وجميع مراحل خلق الإنسان تكون في الظَّلام، قال تعالى: ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾، وهذا موافق لِمَا قال به العِلم التَّجريبيُّ؛ إذ إنَّ بداية خلق الجنين في بطن أمِّه تكون بخلقه نطفة أمشاج في قناة فالوب عند تلقيح البُيَيْضَة (النُّطفة الأنثويَّة) من قبل الحيوان المنويّ (النُّطفة الذَّكريَّة)؛ وهذا هو الخلق الأوَّل، ثمَّ تتحرك النُّطفة الأمشاج داخل قناة فالوب وهي تتابع انقساماتها المتتالية، وتستمرُّ بالحركة إلى أنْ تصل إلى جوف الرَّحم في اليوم الثَّالث أو الرَّابع ثمَّ تعلق بجداره على صورة كتلةٍ خلويَّة في حوالي اليوم السَّادس؛ وهنا ينتهي الخلق الأوَّل ويبدأ الخلق الثَّاني وهو مرحلة العلقة، حيث تنغرس ضمن جدار الرحم تدريجيًّا إلى أن يكتمل اتغراسها ويكون ذلك في اليوم الثَّالث عشر من الحمل فيكتمل الخلق الثَّاني وهو مرحلة العلقة، ويبدأ بعد ذلك الخلق الثَّالث وهو خلق المضغة ضمن جدار الرحم بجزئيها المُخلَّق (الجنين بالخاصَّة) وغير المُخلَّق (النُّسج المُلحَقة بالجنين بما فيها المشيمة)، وضمن هذا الجدار سوف يتابع الجنين تخلُّقه[1]، الشَّكل رقم (٦).

وبناء على ما تقدَّم فإنَّ النُّسج المُلحَقة بالجنين والمشيمة هي جزء من الجنين يتخلَّق في الظُّلمات وليست هي ذاتها الظلمات، وهذا يؤكِّد عدم صحَّة تفسير الظُّلماتِ الثَّلاث بأنَّها المشيمة والرَّحم والبطن، كما في القول الأوَّل، أو أنَّها الأغشية الثَّلاثة المحيطة بالجنين (بما فيها المشيمة)، كما في القول الثَّاني.

ويمكن القول أنَّ الظُّلمة الأولى هي ظلمة قناة فالوب (القناة النَّاقلة للبُيَيْضات)، حيث يتمُّ الإلقاح، فَيَخْلِق الله النُّطفة الأمشاج من النُّطفة الأنثويَّة والذَّكريَّة، وأمَّا الظُّلمة الثَّانية فهي ظلمة تجويف الرَّحم، حيث يكون خلق العلقة، وأمَّا الظُّلمة الثَّالثة فهي ظلمة جدار الرَّحم، وفيه تتخلَّق المضغة وما بعدها. وَمِن المعلوم تشريحيًّا أنَّ الرَّحم (جوفًا وجدارًا) تقع داخل بطن المرأة، وكذلك قناة فالوب تقع داخل البطن أيضًا، وهي مِن ملحقات الرَّحم (adnexa of uterus)[2]؛ أي: إنَّ الخلق يكون في الرَّحم وملحقاته، والتَّعبير القرآنيّ بقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ تعبيرٌ دقيقٌ، فالبطن يشمل الرَّحم وغيره من الأعضاء التَّناسليَّة، ممَّا يجعل فَهْم قوله تعالى: ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أوسع مِن أنْ يكون في الرَّحم فقط، فالرَّحم عضو واحد من أعضاء البطن الَّتِي لها صلة بِخَلق الجنين، وأمَّا الخلق في البطون فيشمل الخلق في قناة فالوب وفي جوف

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٤٠.

(٢) انظر: Beckmann وزملاؤه، Obstetrics and gynecology، ص ٣٧.

الرَّحم وضمن جداره. وبناءً على ما تقدَّم فقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ يَصِف مراحل تخلُّق الجنين في ظلماتٍ ثلاث، وهو يُثْبِت تخلُّق الجنين خلقًا من بعد خلق عِبْرَ الزَّمان، وفي ظلمة من بعد ظلمة في أماكن التَّخليق الثلاثة: قناة فالوب وتجويف الرَّحم وضمن جدار الرَّحم.

المطلب الرَّابع: عِلْم الله بما في الأرحام:

بعد أن أشار القرآن الكريم إلى كَوْن الأرحام هي مكان الحمل، أكَّد عِلْم الله بما يكون في هذه الأرحام من أمورٍ عظيمة تدلُّ على قُدْرَته تعالى، وقد وردت الآيات المؤكِّدة لذلك مُتضمِّنةً أسلوب القصر[١]؛ لِتَدلَّ على عِلْم خاصٍّ بالله تعالى بِمَا في هذه الأرحام، فكيف فَهِمَ المفسِّرون هذه الآيات؟ وكيف يمكن فَهْمُها في ضوء حقائق العِلْم التَّجريبيّ؟

– قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، المعنى: ولا تحمل الأنثى ولا تضع إلَّا والله عليم بذلك لا يخفى عليه شيء من ذلك[٢]، ولو لم يكن كذلك وكانت المصادفة العمياء هي المسيطِرة في هذا العالَم، لم يحصل التَّوازن في العدد بين الذُّكور والإناث، فَيَفْنى الإنسان والحيوان[٣]. وفي الآية تنبيهٌ على إحاطة عِلم الله بالكائنات الخفيَّة والظَّاهرة، ونظرًا لِكَون العِلم بالخفيَّات أعلى مرتبةً قَدَّمَ ذِكْرَ الحمل على ذِكْرِ الوَضع[٤]، وعطف الوضع على الحمل هنا لِدَفْعِ توهُّم اقتصار علمه تعالى على الخفيَّات الَّتِي هي من الغيب دون الظَّواهر[٥].

– قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]، تنوَّعت أقوال المفسِّرين في نوع (ما)، ودلالتها:

---

(١) القصر: ويقال له: الحصر، وهو تخصيص أمر بِآخر بِطريق مخصوص، ويقال أيضًا إنَّه إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمَّا عداه. انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣/ ١٦٦.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٠/ ٤٤٧؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٦/ ٢٢٧؛ تفسير المراغي، ٢٢/ ١١٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٧٦– ٢٧٧؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١١/ ٨٦١.

(٣) انظر: تفسير المراغي، ٢٢/ ١١٤.

(٤) كما يتناسب تقديم ذكر الحمل على ذكر الوضع مع تسلسل هذين الحدثين.

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٧٦– ٢٧٧.

القول الأوَّل: أنَّ (ما) مصدريَّة، والمعنى: أنَّه يعلم حملَ كُلِّ أنثى، وغيضَ الأرحام وازديادها، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وَمِن أوقاته وأحواله[١]. وغَيْضُ الأرحام كناية عن العلوق؛ فغيض الأرحام انحباس دم الحيض عنها، وازديادها هو فيضان الحيض منها[٢]، كما أنَّ ازدياد الرَّحم وغيضها إشارة إلى الحمل والولادة؛ فالرَّحم حين يشتمل على الجنين، إنَّما يحمل في كيانه حياة، فإذا سكن الجنين إلى الرَّحم، زاد الرَّحم ونما وامتلأ، وإذا وُلِدَ الجنين غاض الرَّحم وانكمش[٣].

القول الثَّاني: أنَّ (ما) مصدريَّة، والمقصود: غُيُوض ما في الأرحام وزيادته، فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لِمَا فيها؛ فتكون الغَيْضُوضة أنْ تضع لِثَمانية أشهر أو أقل من ذلك، والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر، أو أن الغيض هو السَّقط قبل التَّمام، والازدياد ما وُلِدَ لِتَمامٍ بِقَدَرٍ واحدٍ لا يجاوزه ولا ينقص عنه[٤].

القول الثَّالث: أنَّ (ما) موصولة[٥]، والمعنى: أنَّه يعلم ما تحمله كلُّ أنثى من الولد في بطنها من حِين العلوق إلى زمن الولادة، لا بعد تكامل الخلق فقط[٦]؛ على أي حال هو من ذكورة وأنوثة، وتمام وخداج، وحسن وقبح، وطول وقصر، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقَّبة[٧]. ويعلم ما تغيضه الأرحام؛ أي:

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦٢؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧؛ الألوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٠٩؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٧/ ٧٨.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣/ ٩٧.

(٣) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٧/ ٧٨. والكناية: "أن يُريد المتكلِّمُ إثباتَ معنًى من المعاني، فلا يذكُرُه باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ وردِفُه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعلهُ دليلًا عليه". الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٦٦.

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧.

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٦/ ٣٥٨؛ الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/ ١٨٢؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧؛ الألوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٠٩؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣/ ٩٧.

(٦) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧؛ الألوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٠٩.

(٧) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/ ١٨٢؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ تفسير المراغي، ١٣/ ٧٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣/ ٩٧.

تنقصه[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤][٢]. وما تزداده: أي تأخذه زائدًا[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥][٤]. واختلفوا فيما تغيضه الأرحام وتزداده على أقوال: فقيل: هو عدد الولد، فإنَّ الأرحام قد تشتمل على واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة[٥]، وقيل: هو جسد الولد، فإنَّه يكون تامًّا ومخدَّجًا، وقيل: هي مدَّة الحمل، فإنَّها قد تكون أقل من تسعة أشهر وقد تزداد[٦]، وقيل: هو دم الحيض، فإنَّه يقلُّ ويكثر[٧]، وقيل: ما تغيضه الأرحام هو ما تسقطه، وما تزداده هو ما يتمُّ وقت حمله ويولد لِوَقته، وقيل: إنَّ دم الحيض فُضْلَة تجتمع في بطن المرأة فإذا امتلأت عروقها من تلك الفضلات فاضت وخرجت، ثمَّ امتلأت تلك العروق مرَّة أخرى[٨]، وقيل: هو ما ينقص من الجنين بِظُهور دم الحيض، فتزداد أيام الحمل لِتَجبر ذلك النقصان[٩].

القول الرَّابع: أنَّ (ما) استفهاميَّة مبتدأ، و(تحمل) خبرها، و(تغيض وتزداد) معطوفان على الخبر، و(يعلم) متعلَّقُها، وجملة (مَا تَحْمِلُ) في موضع المفعول، وجملتا (مَا تَغِيضُ) وَ(مَا تَزْدَادُ) معطوفتان عليها[١٠].

القول الخامس: أنَّ (ما) نكرة موصوفة؛ وجملة (تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى) صفة لها[١١].

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٦/ ٣٥٨؛ الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/ ١٨٢؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٦/ ٣٥٨؛ الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/ ١٨٢؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧.

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧.

(٥) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/ ١٨٢؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣/ ٩٨.

(٦) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/ ١٨٢؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ الألوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٠٩؛ تفسير المراغي، ١٣/ ٧٤.

(٧) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٨٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/ ١٨٢؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧؛ الألوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٠٩.

(٨) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤.

(٩) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٦/ ٣٥٨؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/ ١٤.

(١٠) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٦١؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥/ ٧؛ الألوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٠٩.

(١١) انظر: الألوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٠٩.

وَلَمَّا كان عِلم الله محيطًا بِكُلِّ شيءٍ صَحَّ أن يشمل غيض الأرحام وازديادها، وغيض ما في الأرحام وازدياد ما فيها، وجميع أحوال ما في الأرحام، وغير ذلك من الأمور الَّتِي تدلُّ عليها الآية الكريمة.

– قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]؛ يُفِيد التَّأكيد بحرف (إِنَّ) تحقيق علم الله تعالى بوقت السَّاعة، وتأكيد وقوعها، وتشير كلمة (عِنْدَهُ) إلى اختصاصه تعالى بذلك العلم؛ لأنَّ العنديَّة شأنها الاستئثار، وتقديم (عند) وهو ظرف مسنَد على المسنَد إليه يفيد التَّخصيص. وعطف ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ على ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾؛ أي: عطف على ما قُصِد منه القصر، فكان المسند الفعليُّ المتأخِّر عن المسند إليه مفيدًا للاختصاص بالقرينة، فَكَان المعنى: ينفرد بِعِلْم جميع أطواره من نطفة وعلقة ومضغة ثمَّ من كَوْنِه ذكرًا أو أنثى وغير ذلك، وَجِيء بالمضارع لإفادة تَكَرر العِلْم بِتَبدُّل تلك الأطوار والأحوال[١]. وقد مثَّل أكثر المفسِّرين لهذا العلم بنوعيّة الكائن في الرَّحم؛ أهو ذكر أم أنثى، أتامّ الخلق أم ناقصه، أو نحو ذلك من الأحوال العارضة له[٢]. والحقيقة أنَّ "علم الله علمٌ كاشفٌ لِكُلِّ ما في الأرحام؛ ما كان منها وما سيكون، ثمَّ هو علم كاشف لِكُلِّ مولود يُولَد منها، والصُّورة الَّتِي سيكون عليها، والمكان الَّذي يأخذه في الحياة، والخطِّ الَّذي يسير عليه المولود من مولده إلى مماته"[٣].

– قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، فالمعنى: الله "بصيرٌ بأحوالكم، عليمٌ بأقوالكم وأفعالكم حين ابتدأ خلقكم من التُّراب، وحين صوَّركم في الأرحام، على أطوار مختلِفة، وصورٍ شتَّى"[٤]؛ إذ الأجنَّة: جمع جنين، وهو نسل الحيوان ما دام في الرَّحم، وأمَّا بعد الخروج منها فَلَا يسمَّى جنينًا، والغاية من قوله: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ هي التَّذكير باختلاف أطوار الأجنَّة من وقت العلوق إلى الولادة، والإشارة إلى إحاطة علم الله تعالى بتلك الأطوار[٥].

---

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني، ١١/ ١٠٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/ ١٩٦، ١٩٧؛ تفسير المراغي، ٢١/ ١٠٠.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/ ١٩٦، ١٩٧.

(٣) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١١/ ٥٩٥، ٥٩٦. والتَّوكيد: "لفظ يتبع الاسم المؤَكَّد لرفع اللبس وإزالة الاتِّساع وإنَّما تُؤَكَّد المعارف دون النَّكرات". ابن جني، اللمع في العربية، ص٨٤. والقرينة: أمرٌ يشير إلى المطلوب، ولها أنواع عدَّة؛ منها: اللفظيَّة، والمعنويَّة، والحاليَّة. انظر: التعريفات، الشريف الجرجاني (ص ١٧٤). والمسنَد: هو المحكوم به؛ أي: الحكم المراد إسناده، والمسنَد إليه هو المحكوم له. انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص١٦٧. وقد أُطلِق على القصر قبل السكاكيّ مصطلح الاختصاص. انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٣٢٨.

(٤) تفسير المراغي، ٢٧/ ٦٠.

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٢٤، ١٢٥.

وَيُعَدُّ حدوث الفشل الإنجابيّ (reproductive failure) أمرًا شائعًا سواء أكان ذلك قبل الانغراس أم بعده، فحَتَّى عند النِّساء الخصيبات وفي الظُّروف المثاليَّة للحمل يُلاحَظ أنَّ (١٥٪) من الخلايا البيضيَّة لا تُخصَّب، وأنَّ (١٠- ١٥٪) تبدأ بالانقسام لكنها تفشل في الانغراس، وأنَّه من أصل (٧٠- ٧٥٪) من الكيسات الأريميَّة المنغرسة يبقى فقط (٥٨٪) حتَّى الأسبوع الثَّاني، وأنَّ (١٦٪) منها تكون شاذَّة؛ لذلك فإنَّه عند غياب أوَّل حيضٍ متوقَّعٍ يكون احتمال نجاة اللاقحات (٤٢٪) فقط، ومن بين هذه النِّسبة المئويَّة هناك عدد يتعرَّض للإجهاض في الأسابيع اللاحقة، وعدد آخر يولد مع عيوب صبغيَّة[١]. وتشير الإحصاءات إلى أنَّ قرابة نصف الحمول تنتهي بإجهاض تلقائيٍّ، وأنَّ نصف الأجنَّة المجهَضة تقريبًا تحمل اضطرابات صبغيَّة، الأمر الَّذي يجعل الإجهاض التِّلقائيَّ آليَّة طبيعيَّة للحدِّ من استمرار الأجنَّة الشَّاذَّة وتقليل التَّشوُّهات الولاديَّة؛ إذ لولا هذه الظَّاهرة لبلغت نسبة العيوب الخَلقيَّة نحو (١٢٪) بدلًا من (٢- ٣٪)[٢]. وممَّا سبق يتبيَّن أنَّ الكثير من الأحداث تحدث في الأرحام، وأنَّ العدد اليسير منها فقط هو ما يلحظه الأطبَّاء فضلًا عن المرأة ذاتها.

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٥٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٩.

المبحث الثَّاني: مفهوم الولادة والألفاظ الدالة عليها في القرآن الكريم:

تمثِّل الولادةُ الحدثَ الَّذي ينتقل فيه الإنسان من عالم الأرحام إلى الحياة المستقلَّة، وقد اعتنى القرآن الكريم بتصوير هذا الحدث من خلال استخدام ألفاظ متعدِّدة، فهو يستعمِل فعل الولادة في بعض الحالات الخاصَّة، بينما يُشير إليها غالبًا بالوَضع، أو تيسير السَّبيل، أو الإخراج. ويسعى هذا المبحث إلى دراسة مفهوم الولادة في القرآن الكريم من خلال تحليل دلالات ألفاظها المختلفة من خلال مطلبين اثنين؛ يتناول الأوَّل منهما مفهوم الولادة والوضع وتيسير السَّبيل، بينما يبيّن الثَّاني كيفيَّة استخدام الفعل (يخرج) للتَّعبير عن الولادة.

المطلب الأوَّل: الولادة والوضع وتيسير السَّبيل:

الوِلادة في اللغة: "الوَاوُ وَاللَّامُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ دليلُ النَّجْلِ وَالنَّسْلِ، ثُمَّ يُقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. ومِنْ ذَلِكَ الوَلَدِ، وَهُوَ لِلْوَاحِدِ وَالجَمِيعِ، وَيُقَالُ لِلْوَاحِدِ وُلْدٌ أَيْضًا، وَالوَلِيدَةُ الأُنْثَى، وَالجَمْعُ وَلَائِدُ. وَتَوَلَّدَ الشَّيْءُ عَنِ الشَّيْءِ: حَصَلَ عَنْهُ. وَاللِدَةُ نُقْصَانُهُ الوَاوُ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ وِلْدَةٌ"(١).

وأمَّا طبِّيًّا، فتُعرَّف الولادة المهبليّة الطَّبيعيَّة (Normal vaginal delivery) بأنَّها عملية خروج الطِّفل من رحم الأمّ عبر المهبل بشكل تلقائيٍّ، دون تدخُّلات طبِّيَّة أو جراحيَّة، وإنَّما بالاعتماد على آليَّات الجسم الفيزيولوجيَّة الطَّبيعيَّة، حيث يبدأ المخاض بشكل تلقائيٍّ ويستمرُّ حتَّى ولادة الجنين بوضعيَّة رأسيَّة بين الأسابيع (٣٧ و٤٢) من الحمل، مع بقاء الأمّ والطِّفل في حالة صحيَّة جيدة، وقد يُسمَح ببعض التَّدخُّلات البسيطة، مثل استخدام المسكِّنات أو تسريع المخاض، دون التَّأثير على اعتبارها ولادة طبيعيَّة(٢).

وقد استعمَل القرآن الكريم فعل الولادة في بعض الحالات الخاصَّة، وهي:

١- قوله تعالى عن عيسى عليه السَّلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]، فقد حَظِي سيدنا عيسى بالسَّلامة من الله تعالى يوم ولادته في الدُّنيا من همز الشَّيطان، ويوم الموت في القبر، ويوم البعث في الآخرة. وقوله هذا إثبات منه لِعُبوديَّته لله عزَّ وجلَّ، وأنَّه مخلوق من خَلْق الله، فهو كَسَائر الخلائق يحيى ويموت ويُبعَث، وَلَكِنْ له السَّلامة في هذه الأحوال الثَّلاثة الَّتي هي أشقُّ ما يكون على العباد(٣).

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٦/ ١٤٣، مادة: (وَلَدَ).

(٢) انظر: White، What is normal birth?، ص٤٦٣.

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير، ١٦/ ٨٦.

٢- قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، وهذا نصٌّ صريح بعدم الولادة، وأنَّه سبحانه لم يَلِد ولم يولد، وهذا من المسلَّمات عند المسلمين جميعًا دون شكٍّ ولا نزاع، ولكنَّ غير المسلمين لم يسلِّموا بذلك، فاليهود قالوا: عزير ابن الله، والنَّصارى قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، فاتَّفقوا على ادِّعاء الولد لله، ولم يدَّعِ أحدٌ منهم أنَّه سبحانه مولود. وهذا النَّصُّ أخصُّ من النُّصوص الأخرى الَّتي جاءت ردًّا من الله على ادِّعاءاتهم باتِّخاذ الولد، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]؛ لأنَّ نفي اتِّخاذ الولد لا يستلزم نفي الولادة، فقد يكون بدون ولادة كالتَّبني أو غيره، كما في قصة يوسف عليه السَّلام في قوله تعالى عن عزيز مصر: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١][(١)].

وأمَّا الوَضْع في اللُّغة فإنَّ "الواو وَالضَّاد وَالعَيْن أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ على الخَفْضِ لِلشَّيْءِ وَحَطِّهِ، وَوَضَعْتُهُ بِالأرضِ وَضْعًا، وَوَضَعَتِ المرأةُ وَلَدَهَا، وَوُضِعَ في تِجَارَتِهِ يُوضَعُ: خَسِرَ"[(٢)]. وَيُشِير القرآن الكريم إلى الولادة بالوضع في آياتٍ عِدَّة، منها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: ٤٧]، وقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ فعل الوضع في الآيات الكريمات يدلُّ على الولادة[(٣)].

ولمعرفة معنى (تيسير السَّبيل) في اللُّغة، سيُعَرَّف كلٌّ من مفرديه: (تيسير)، و (السَّبيل)، ثمَّ سيُعَرَّف المركب الإضافيُّ. وَتَيْسِير مصدر من (يَسَّرَ)، و"اليَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ: أَصْلَان يدلُّ أَحَدُهما على انْفِتاحِ شَيءٍ وَخِفَّتِهِ، وَالآخرُ على عُضوٍ من الأعضاء. فَالأوَّل: اليُسْرُ: ضِدُّ العُسْرِ. وَاليَسَرَاتُ: القوائِمُ الخِفَافُ...وَيُقالُ رَجُلٌ يَسْرٌ وَيَسَرٌ؛ أي: حَسَنُ الِانْقِيَادِ. وَاليَسَارُ: الغِنَى. وَتَيَسَّرَ الشَّيءُ وَاسْتَيْسَرَ. وَيُسْرٌ: مَكَانٌ...وَالكلمةُ الأخرى: اليَسَارُ لِلْيَدِ. يُقالُ: تَيَاسَرُوا إذا أخذوا ذاتَ اليَسَارِ. وَيُقالُ: يَاسَرُوا، وَهُوَ أَجودُ"[(٤)]، والمقصود بالتَّيسير في الآية هو الأصل الأوَّل، فالتَّيسير فيها يشير إلى التَّسهيل والتَّهيئة[(٥)]. وأمَّا السَّبيل فهو اسم مِن

---

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ٩/ ١٥٠.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٦/ ١١٧، مادة: (وضع).

(٣) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٢/ ٢٨، ٢٢/ ٢٧٧؛ القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ٣١٠، ٣١١؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ١٢٩، ٧٨١؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢/ ٤٣٥، ٤٣٦، ١٣/ ٥، ١١/ ٨٦١، ١٣/ ٢٧٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣/ ٢٣٢، ٢٦/ ٢٩؛ الشنقيطي، أضواء البيان، ٣/ ٣٨٥، ٧/ ٢٢٣.

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٦/ ١٥٥، ١٥٦، مادة: (يَسَرَ).

(٥) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٨٩٢، مادة: (يَسَرَ).

(سَبَلَ) وَ"السِّينُ وَالبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ واحدٌ يدلُّ على إرسالِ شَيءٍ مِنْ عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ، وَعَلى امتدادِ شَيءٍ. فَالأَوَّلُ مِنْ قِيلِكَ: أَسْبَلْتُ السِّتْرَ، وَأَسْبَلَتِ السَّحَابَةُ مَاءَهَا وَبِمَائِهَا. وَالسَّبَلُ: المطرُ الجودُ. وَسِبَالُ الإنسانِ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ شَعْرٌ مُنْسَدِلٌ... وَالمُمْتَدُّ طُولًا: السَّبِيلُ، وَهُوَ الطَّرِيقُ، سُمِّيَ بِذلك لِامْتدادِهِ. وَالسَّابِلَةُ: المختلِفةُ فِي السُّبُلِ جَائِيَةً وَذَاهِبَةً"[1]. وبذلك يكون المقصود من المركب الإضافيّ (تيسير السَّبيل) انْفِتاحَ الطَّرِيقِ المُمْتَدِّ طُولًا، وقد وردت الإشارة إلى تيسير السَّبيل في قوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ١٩- ٢٣]، وللمفسِّرين فيه قولان:

القول الأوَّل: يَسَّرَ له سبيل الخروج من بطن أمِّه عند الولادة[2]، فالسَّبيل على هذا القول هو ذلك الممرُّ الَّذِي يخرج منه المولود من بطن أمِّه، وتوجد بهذا مناسبة بين الآيات لقوله بعد ذلك: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾؛ فـ ﴿أَمَاتَهُ﴾ مقابل ﴿خَلَقَهُ﴾، و﴿فَأَقْبَرَهُ﴾ مقابل ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾؛ لِأنَّ الإقبار إدخال في الأرض وهو عكس الولادة الَّتِي هي خروج إلى الأرض[3].

القول الثَّاني: يَسَّرَ له السَّبيل بأنْ وَهَبَه العقل الَّذِي يختار به سلوكه في الحياة من طريقي الخير والشَّر، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وكقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، فتيسير السَّبيل يشمل الإقدار على التَّمييز بين كلِّ خيرٍ وشرٍّ يتعلَّق بالدُّنيا أو الدِّين، والتَّمكين من سلوك سبيل الخير والشَّرِّ[4].

ويؤيِّد السِّياقُ القولَ الأوَّلَ، فالآيات الكريمات تقول: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ١٩ - ٢٢]، فهي تُعَدِّد المراحل الأربعة الكبرى الَّتِي يمرُّ بها الإنسان من المرحلة الجنينيَّة، إلى الحياة الدُّنيا، ثمَّ الموت والحياة البرزخيَّة، ثمَّ البعث بعد الموت بسبك موجز رائع، كما أنَّه لا مانع من قَبول القول الأوَّل، فالولادة هي إيذان بِبَدْءِ الحياة، ويكون في ذِكْرِ الولادة وتعقيبها بالموت إشعار وتنبيه على قصر الحياة الدُّنيا.

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣/ ١٢٩، ١٣٠، مادة: (سَبَلَ).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٢٢٣؛ الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٧٠٤؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٣١/ ٥٧؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/ ٢٨٧؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٨/ ٤٢٠؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٩/ ١١٠؛ الألوسي، روح المعاني، ٣٠/ ٤٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ١٢٣.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ١٢٣.

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٢٢٣؛ الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٧٠٤؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٣١/ ٥٧؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/ ٢٨٧؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٨/ ٤٢٠؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٩/ ١١٠؛ الألوسي، روح المعاني، ٣٠/ ٤٤؛ عبده، تفسير جزء عم، ص١٩؛ تفسير المراغي، ٣٠/ ٤٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ١٢٣؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٦/ ١٤٥٥.

وأمَّا من النَّاحية الطِّبِّيَّة فهناك العديد من العوامل المؤثِّرة والمؤدِّية إلى تسهيل الولادة، ومن أهمها كيفيَّة توضُّع الجنين في الرَّحم، فرحم المرأة يتوضَّع ضمن حوضها، وهو يَميل في الوضع الطَّبيعيّ للأمام والأعلى[١]، وَتُصنَّف توضُّعات الجنين في الرَّحم عند الولادة اعتمادًا على العلاقة بين المحور الطوليّ للجنين والمحور الطوليّ لِرَحِم الأمّ إلى ثلاثة توضُّعات؛ التَّوضُّعات الطُّولانيَّة: ويكون فيها المحور الطُّوليُّ لجسم الجنين منطبقًا على المحور الطُّوليّ لِرَحِم الأمّ، وَتُشاهَد في (٩٩٪) من الحالات، وتكون إمَّا توضعات رأسيَّة أو مقعديَّة. والتَّوضُّعات المعترضة: ويكون فيها المحور الطُّوليُّ لجسم الجنين متعامدًا مع المحور الطُّوليّ للرَّحِم. والتَّوضُّعات المائلة: وتشير إلى توضُّعات غير مستقرَّة، تتحوَّل إمَّا إلى طولانيَّة أو عرضانيَّة خلال المخاض[٢]. وتكون التَّوضُّعات الطُّولانيَّة الرَّأسيَّة هي المفضَّلة والأكثر شيوعًا.

كما أنَّ هناك العديد من التَّغيرات الَّتي تطرأ على الجنين وتتعلَّق بتسهيل الولادة بشكل مباشر، حيث يكتسب الجنين أثناء الشَّهرين الأخيرَين حُدودًا مُدوَّرة نتيجة ترسُّب الدُّهون تحت الجلد، وَيَتغطَّى الجلد في نهاية الحياة الجنينيَّة بمادة بيضاء دُهْنيَّة تتألَّف من مواد مُفرَزة من الغدد الدُّهنيَّة (sebaceous)، وتكون الجمجمة في نهاية الشَّهر التَّاسع ذات محيط أكبر من جميع مقاسات محيط الجسم، وهي حقيقةٌ تتعلَّق بمروره من القناة الولاديَّة أثناء الولادة. ويتراوح وزن الجنين الطبيعيّ في زمن الولادة (٣٠٠٠- ٣٤٠٠غ)، ويبلغ الطُّول التَّاجيُّ المقعديُّ حوالي (٣٩ سم)، كما يبلغ الطُّول التَّاجيُّ العقبيُّ حوالي (٥٠ سم)[٣].

ولا تستجيب العضلة الرَّحميَّة لِأَيِّ إشاراتٍ تحريضيَّة خلال الأسابيع (٣٤- ٣٨) من الحمل، ولكنَّ هذا النَّسيج يبدي طَورًا انتقاليًّا في آخر (٢-٤) أسابيع من الحمل، يخضع خلاله للعديد من التَّغيُّرات والتَّحضيرات للولادة (parturition)، وَيَنتهي بِتَثخُّن عضلة الرَّحم في المنطقة العلويَّة وَتَرقُّقِها ونعومتها في المنطقة السُّفليَّة وفي عنق الرَّحم. وَيُقسَم المخاض إلى ثلاث مراحل؛ أوَّلها: انمحاء عنق الرَّحم (effacement)، أي: تَرقُّقه وتقاصُره، وتنتهي هذه المرحلة بِتَوسُّع عنق الرَّحم بِكَامله، الشَّكل رقم (١٧)، وَثَانيها: خروج الجنين، وَثَالثها: خروج المشيمة وأغشية الجنين. وتحدث في المرحلة الأولى انقباضات بالرَّحم تدفع الكيس السَّلويَّ باتجاه قناة العنق بِمَا يُشبِه الوتد، وعند تمزُّق الغشاء السَّلويّ فإنَّ الأجزاء المتقدِّمة من الجنين (رأس الجنين عادةً) سوف تُوَسِّع العنق. وتحدث المرحلة الثَّانية بمساعدة التَّقلُّصات الرَّحميَّة، والأهمُّ أن يزداد الضَّغط داخل البطن بمساعدة تَقلُّص عضلات البطن. وأمَّا المرحلة الثَّالثة فَتَتطلَّب انقباضات الرَّحم بمساعدة زيادة الضَّغط داخل البطن. وعندما تنقبض الرَّحم يصغر جوفها من الأعلى قليلًا بينما تتوسَّع الأقسام السُّفليَّة منها مُحْدِثةً توجيهًا للقُوَّة الضَّاغِطة، وتبدأ التَّقلُّصات الرَّحميَّة في البَدْء بِفَاصلِ عشر دقائق ثمَّ

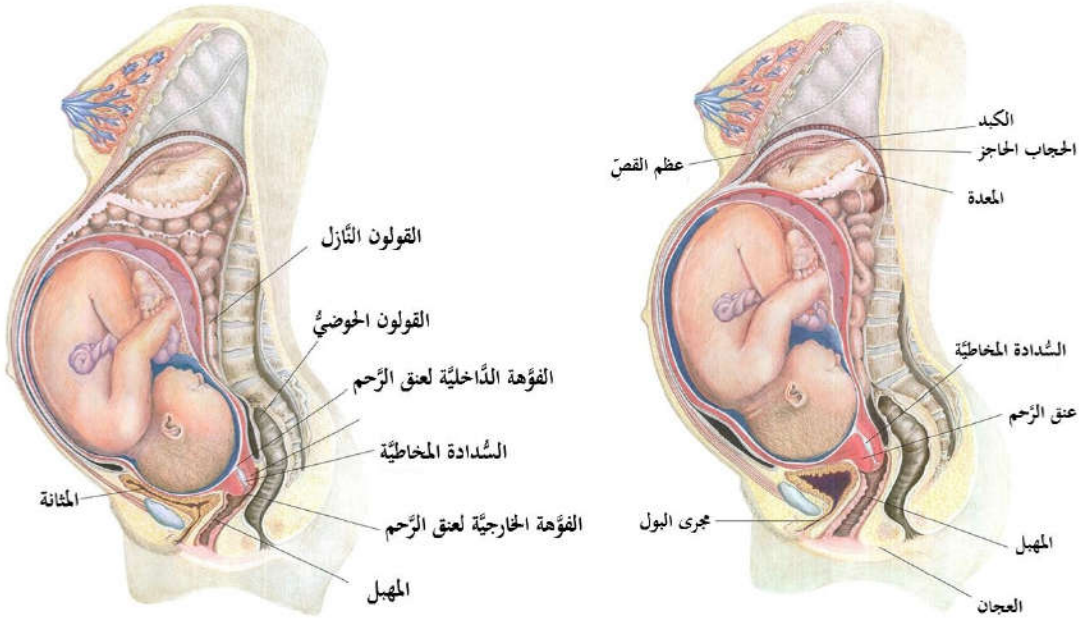
---

(١) انظر: Beckmann وزملاؤه، Obstetrics and gynecology، ص ٣٩.

(٢) انظر: Morgan and Seddighi، Obstetrics and gynecology، ص ٢٤.

(٣) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٩٩.

تتقارب لِتُصبح في المرحلة الثَّانية من المخاض بِفَاصل دقيقةٍ واحدةٍ بين التَّقلُّصات وَتَدوم من (٣٠- ٩٠) ثانية. وَإنَّ حدوث هذه التَّقلُّصات بأسلوب النَّبضات أمرٌ هامٌّ جدًا لِحَياة الجنين؛ لِأنَّه مع كُلِّ تقلُّص يتأثَّر جريان الدَّم الرَّحميّ المشيميّ بِاتِّجاه الجنين[١].



الأسبوع ٣٦ الأسبوع ٤٠

الشَّكل رقم (١٧): التَّغيُّرات الطَّارئة على حجم الجنين وامتداده خلال أواخر الحمل:
في الأسبوع (٣٦): يملأ الرَّحم كامل الفراغ في البطن تقريبًا، وفي الأسبوع (٤٠): يهبط الرَّأس إلى قاع الحوض ويشغل معظم الفراغ فيه[٢].

المطلب الثَّاني: استعمال الفعل (يخرج) في القرآن الكريم للدَّلالة على الولادة:

الإخراج في اللُّغة: "الخَاءُ وَالرَّاءُ وَالجِيمُ أَصْلَانِ...فَالأَوَّلُ: النَّفَاذُ عَنِ الشَّيءِ، وَالثَّاني: اخْتِلَافُ لَوْنَيْنِ. فَأَمَّا الأَوَّلُ فَقَوْلُنا: خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجًا، وَالخُرَاجُ بِالجَسَدِ، وَالخَرَاجُ وَالخَرْجُ: الإتاوةُ؛ لِأَنَّهُ مَالٌ يُخْرِجُهُ المُعْطِي...وَفُلانٌ خِرِّيجُ فُلانٍ إذا كانَ يتعلَّمُ مِنْهُ، كأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِّ الجَهْلِ. وَيُقالُ: نَاقَةٌ مُخْتَرِجَةٌ إذا خَرَجَتْ عَلَى خِلْقَةِ الجَمَلِ، وَالخَرُوجُ: النَّاقةُ تَخْرُجُ مِنَ الإبلِ، تَبْرُكُ نَاحِيَةً؛ وَهُوَ مِنَ الخُرُوجِ... وَأَمَّا الأَصْلُ الآخرُ: فَالخَرَجُ لَوْنَانِ بَيْنَ سَوادٍ وَبَيَاضٍ؛ يُقالُ: نَعَامَةٌ خَرْجَاءُ وَظَلِيمٌ أَخْرَجَ. وَيُقالُ: إنَّ الخَرْجَاءَ الشَّاةُ تَبْيَضُّ رِجْلاها إلى خَاصِرَتِها، وَمِنَ البابِ أَرْضٌ مُخَرَّجَةٌ إذا كانَ نَبْتُهَا في مكانٍ دُونَ مكانٍ، وَخَرَّجَتِ الرَّاعِيَةُ المَرْتَعَ

---

(١) انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص١١٥.

(٢) Childbirth connection، Your body throughout pregnancy،
http://www.childbirthconnection.org/healthy-pregnancy/your-body-throughout-pregnancy.html

إذا أَكَلَتْ بَعْضًا وَتَرَكَتْ بَعْضًا. وَذَلِك ما ذَكَرْناهُ مِنِ اخْتِلَافِ اللَّوْنَيْن"[١]. وبذلك يُلاحَظ أنَّ مِن معاني يَخرُج ينفذ عن الشَّيء، وهذا هو معنى يُولَد؛ إذ يُقال: ولَدتِ الأرضُ النَّباتَ إذا أخْرجته، وَولَّدتِ القابِلةُ المرأةَ إذا تولَّت إخراجَ الجنينِ مِن بطنها[٢].

واستعْمِل الفعل (يخرج) في القرآن الكريم للدَّلالة على الولادة، وذلك في سِياق سَرْد مراحل خَلْق الإنسان، وَمِن الآيات الَّتي استُعمِل فيها ما يأتي:

١- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. و"عطف جملة ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بِحَرف (ثُمَّ) للدَّلالة على التَّراخي الرُّتبيّ، فإنَّ إخراج الجنين هو المقصود. وقوله: ﴿طِفْلًا﴾ حال من ضمير ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾؛ أي: حال كَوْنِكم أطفالًا، وإنَّما أفرد ﴿طِفْلًا﴾ لأنَّ المقصود به الجنس، فهو بمنزلة الجمع"[٣]. فيكون المعنى: ثُمَّ نخرجكم أيُّها النَّاس من أرحام أمَّهاتكم إذا بلغتم الأجَل الَّذِي قَدَّرْتُه لِخُروجكم منها أطفالًا صغارًا[٤]؛ إذ الأجل المسمَّى هو الوقت المحَدَّد للولادة[٥] وإخراج الأجنَّة من الأرحام أطفالًا هو الولادة.

٢- قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]، "وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ عطف وجود ذي خصائص مُمَيِّزة للإنسان على وجود آخر له خصائصه ومميِّزاته؛ فالإنسان في بطن أمِّه يعيش في عالَم، ثُمَّ يُولَد فَيكون في عالَمٍ آخر، يختلف عن عالَمه الَّذِي كان فيه، فَكَأنَّ هذا الميلاد إخراجٌ جديدٌ له من وجودٍ إلى وجود؛ لِهَذا جاء التَّعبير القرآنيُّ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢/ ١٧٥، ١٧٦.

(٢) انظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ٢٤٩١، مادة: (ولَدَ).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧/ ١٩٩.

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٨/ ٥٦٩؛ تفسير المراغي، ١٧/ ٨٩.

(٥) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٣/ ٢٠٤.

بالعطف بِثُمَّ الَّتِي تفيد التَّراخي، ثمَّ بِفِعل الإخراج الَّذِي يدلُّ على المغايرة، بَيْنَ ما كان قَبْل هذا الإخراج، وَبَعْدَه"[١]، فَبَعْد كَوْنه علقة يمرُّ بمراتب كثيرة إلى أن ينفصل عن بطن الأمِّ طِفلًا[٢].

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٢/ ١٢٦٤.

(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٧/ ٥٣١؛ تفسير المراغي، ٢٤/ ٩٢.

المبحث الثَّالث: الخروج من بين الصُّلْب والتَّرائب:

أثار تعبير (الصُّـلْب والتَّرائب) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَـانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّـلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥- ٧]، اهتمامَ العلماء والمفسِّـرين، نظرًا لما يحمله من دلالات لغويَّة وعلميَّة تستوجب التأمُّل، فقد ورد هذا التَّعبير في سياق الحديث عن الإنسان ونشأته، وتباينت أقوال المفسِّـرين حول المقصـود بهذه الألفاظ. ويتناول هذا المبحث مفهوم (الصُّـلْب والتَّرائب)، من خلال تحليل دلالتيهما في ضـوء التَّفسـيرات اللغويَّة والعلميَّة، كما يناقش مرجع الضَّـمير في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، في محاولة للوصول إلى فهم أكثر دقَّة لمعاني الآيات الكريمات.

المطلب الأوَّل: معنى الصُّلْب والتَّرائب:

الصُّـلْبُ في اللُّغة: "عظمٌ من لَدُنِ الكاهِل إلى العَجُب"(١)، وَ"كُلُّ شـيءٍ من الظَّهر فيه فَقار فذلك الصُّـلْب"(٢)؛ أي: الصُّـلْبُ هو عَظم الفَقار المتَّصل في وَسَط الظَّهْر(٣). وأمَّا التَّرائب فَجَمْع التَّريبة(٤)، وهي عِظام الصَّـدْر ما بين التَّرقُوتَين إلى الثَّندُوتَين(٥)، وقيل: هي "أعلى صَـدْر الإنسـان تحت الذَّقن"(٦)، وقيل: هي اليَدَان والرِّجْلان والعَيْنان(٧)، وذَكَر الفرَّاء أنَّ التَّرائب هي ما اكتنف لَبَّاتِ المرأة ممَّا تقع عَلَيْهِ القلائد(٨)، وَنَقَل الزَّجاج كَوْنها أربعة أضـلاع مِن يُمْنة الصَّـدر وأربع مِن يُسْـرته(٩)، وَذَكَرَ ابن سـيده أنَّ التَّرِيبَتين هما الضِّلعان اللَّتان تليان التَّرقُوَتَين، وهما ما بين الثَّدْيَين والتَّرقُوَتَين(١٠)، وقد ذهب ابن منظور إلى أنَّ التَّرائب هي مَوْضِع القلادة من الصَّدر، ونَقَلَ إجماع أهل اللغة على ذلك، مستشهدين بقول الشاعر:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٥٢٦، مادة: (صلب).

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ٣/ ٢٠١، (صلب).

(٣) انظر: الفراهيدي، العين، ٧/ ١٢٧، مادة: (صلب).

(٤) انظر: الفراهيدي، العين، ٨/ ١١٧، مادة: (ترب)؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٨٦، مادة: (ترب).

(٥) انظر: الفراهيدي، العين، ٨/ ١١٧، مادة: (ترب)؛ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١/ ٩١، مادة: (ترب). و"الثُّنْدوة: لحم الثَّدْي". ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ١٠٦، مادة: (ثند).

(٦) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٨٦، مادة: (ترب).

(٧) نقله الطَّبريُّ عن ابن عبَّاس. انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٣٥٥.

(٨) انظر: الفراء، معاني القرآن، ٣/ ٢٥٥.

(٩) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ٥/ ٣١٢.

(١٠) انظر: ابن سيده، المخصص، ١/ ١٥٤.

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ، غَيْرُ مُفاضةٍ تَرائِبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَلِ[١]

وهذا لا يدلُّ على اختصـــاص التَّرائب بالمرأة دون الرَّجُل، بل يعني أنَّ أكثر ذِكْرها عند المرأة، ومن الممكن إضـــافة الصُّـــلْبُ والتَّرائب إلى كُلٍّ من الرَّجل والمرأة. وَمِن بديع النَّظم القرآنيّ التَّعبير عن الصُّـــلْب بالإفراد وعن التَّرائب بالجمع؛ فالصُّلْب وإن أُطلِق على مجموع فقرات الظَّهر، إلَّا أنَّه مُلتحِمٌ في جسمٍ واحد؛ إذ لا يَصِحُّ أن يُقال للفقرة الواحدة صُلْب، وأمَّا التَّرائب فَذَات وجودٍ زوجيٍّ، فَلِكُلِّ ضلعٍ ضلعٌ آخر يقابله ويماثله، فضلًا عن كثرتها وتعدُّدها[٢]. والصُّلب عند المفسِّرين هو العمود الفقريُّ الكائن في وسط الظَّهر[٣]، وقد يُطلق عندهم بمعنى الظَّهر ذاته[٤] إطلاقًا لِاســـم الجزء على الكلِّ[٥]، وأمَّا التَّرائب فلم يتَّفقوا على المعنى الدَّقيق لها. وللمفسِّرين في معنى ﴿الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ أقوالٌ كثيرة، أقربها للقَبُول أربعة[٦] هي:

القول الأوَّل: ذهب الفرَّاء إلى أنَّ المراد في الآية هو صُـــلْب الرَّجُل، وترائب المرأة[٧]، وهذا ما اختاره معظم المفسِّرين[٨]، فالله "تعالى بَيَّن أنَّ ذلك الماء الَّذِي هو النُّطفة، مِنْه ما هو خارج من الصُّلْب؛ أي: وهو ماء الرَّجُل، وَمِنْه ما هو خارج من التَّرائب وهو ماء المرأة، وذلك في قوله جلَّ وعلا: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَـــانُ مِمَّ

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٢٣٠، مادة: (ترب). والبيت لامرئ القيس من ديوانه، ص٤٠، وهو من البحر الطويل.

(٢) انظر: منى رفعت، مراحل خلق الإنسان، ص ٦٥.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٤٥١؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦٢؛ تفسير المراغي، ٣٠/ ١١٣.

(٤) انظر: عبده، تفسير جزء عم، ص ٦٣؛ القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٤٥١؛ الشنقيطي، أضواء البيان، ٢/ ٣٣٠.

(٥) انظر: محمد عبده، تفسير جزء عم، ص ٦٣؛ القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٤٥١.

(٦) توجد العديد من الأقوال الأخرى الَّتي لا تدعمها اللغة ولا السِّياق، وتحتاج إلى الكثير من التَّأويل لقبولها، ومنها على سبيل المثال ما ذهب إليه داود السَّعديُّ من أنَّ الصُّلب والتَّرائب هي المكوِّنات الدَّاخليَّة التَّفصيليَّة لماء الرَّجل والمرأة، فالصُّلب هو الصِّبغيَّات الجسديَّة لِنُطفة الذَّكَر أو الأنثى، وعددها (٢٢) صبغيًّا. والتَّرائب هي الصِّبغيَّات الجنسيَّة، وعددها متطابق في نطفة الذَّكَر والأنثى. وبذلك فإنَّ الصُّلب هو أصلٌ لإيجاد الجسد ابتداءً، أمَّا التَّرائب فهي الَّتِي تُحدِّد جنس الجنين بعد ذلك سواء كان ذَكَرًا أم أنثى، فالصُّلب أصلٌ والتَّرائب ثانويَّة بالنسبة له. وبناءً عليه فإنَّ محور الآية يدور حول علم الوراثة بالمعنى الحديث الواسع، وكيف يمكن تحديد جنس الجنين ذَكَرًا كان أو أنثى من خلال دراسة مكوِّنات نطفة الرَّجل والمرأة. انظر: داود السعدي، أسرار خلق الإنسان: العجائب في الصلب والترائب، ص ٦٥-٩٠.

(٧) انظر: الفراء، معاني القرآن، ٣/ ٢٥٥.

(٨) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٣٥٦؛ السمرقندي، بحر العلوم، ٣/ ٥٤٧؛ الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٧٣٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٣١/ ١٢٠؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ٥؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/ ٣٠٣، ٥/ ٤٧٦؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨/ ٣٧٥؛ الثعالبي، الجواهر الحسان ٥/ ٥٧٥؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٩/ ١٤١؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٦/ ١٥٢٣؛ الشنقيطي، أضواء البيان، ٢/ ٣٣٠، ٣٣١.

خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥- ٨]؛ لأنَّ المراد بالصُّلب صُلْب الرَّجل وهو ظَهْره، والمراد بالتَّرائب ترائب المرأة وهي مَوضِع القلادة منها"(١). وَاستُدِلَّ على صِحَّة هذا القول بالمعروف من كلام العرب؛ إذ به جاءتْ أشعارُهم، فقال بعضهم:

وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا... شَرَقًا بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْر(٢)

المناقشة: يُرَدُّ على أصحاب هذا القول بأنَّ قولهم: إنَّ ماء الرَّجل خارج من الصُّلب فقط، وماء المرأة خارج من التَّرائب فقط، يُقَدَّر بِعَدم وجود ماء خارج من بين الصُّلب والتَّرائب، وهذا مُخالِف للآية الكريمة(٣)؛ إذ تدلُّ (بَيْنِ) على التَّوسُّط، وعليه فإنَّ معنى ﴿مِنْ بَيْنِ﴾: مِن مكانٍ واقعٍ بين الصُّلب والتَّرائب في أصل الخِلْقة، لا أنَّه يخرج من نفس الصُّلب ونفس التَّرائب، بَلْ مِن مكانٍ بينهما؛ لِهَذا قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، ولم يقل: (يخرج من الصُّلب والتَّرائب)، فيقتضي هذا أن يكون الحديث عن شخص واحد؛ الرَّجل أو المرأة أو كليهما، مَا اضطُر أصحاب هذا القول إلى التَّأويل في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ﴾، فَقالوا: "وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يقول: يخرج من بين ذلك، ومعنى الكلام: منهما، كما يُقال: سيخرج من بين هَذَين الشَّيئين خيرٌ كثير، بِمَعنى: يخرج منهما"(٤). وقالوا: "عبَّر بالصُّلب عن الرَّجل وبالتَّرائب عن المرأة، وهذا من محاسن البلاغة، فإنَّ هذا مجازٌ مُرسَلٌ(٥) في علم البيان من إطلاق الجزء الَّذِي له أهمِيَّة على الكُلِّ؛ كما تقول في العبد رقبة، وفي الكبش رأس، وأنت تقصد نفس العبد لا رقبته وتقصد نفس الكبش لا رأسه، لكن لَمَّا كانت المزيَّة ظاهرة في هذين العضوَين عَبَّر بهما عنهما، هكذا هنا في مسألة الأبوين فَمَزِيَّة كُلٍّ منهما، فَمَا ذُكِرَ مُعبَّرًا عنه حتَّى يتمُّ الفعل المؤدِّي لِحُصول الذُّرِّيَّة"(٦). وقالوا: "وكنَّى بالصُّلب عن الرَّجل وبالتَّرائب عن المرأة؛ أي: إنَّ ذلك الماء الدَّافِق إنَّما يكون مادة

---

(١) الشنقيطي، أضواء البيان، ٢/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٣٥٦؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ٥. والبيت هو للمُخَبَّل السَّعديّ نسبه له صاحب لسان العرب، وشَرِقَ الشيءُ شَرَقًا، فَهُوَ شَرِقٌ: اخْتَلَطَ، أو اشتدَّت حمرته بدم أو بحسن لون أحمر، والنَّحر: موضع القلادة من الصَّدر، واللَّبَّات (جمع لَبَّة): موضع النَّحر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٢٣٠، مادة (ترب)؛ ١٠/ ١٧٧، مادة (شرق). وهو من البحر السَّريع.

(٣) أورد الرَّازيُّ هذا الرَّدَّ في سياق مناقشته للأقوال ثمَّ أورد الإجابة عنه. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣١/ ١٢٠.

(٤) الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٣٥٤.

(٥) المجاز المرسل: هو الكلمة المُستعمَلة قصدًا في غير معناها الأصليّ لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالَّة على عدم إرادة المعنى الوضعيّ، وله علاقات كثيرة؛ أهمها: السَّببيَّة، والمُسبَّبيَّة، والكليَّة، والجزئيَّة، واللازميَّة، والملزوميَّة، والآليَّة، والتَّقييد، والعموم، والخصوص، واعتبار ما كان، واعتبار ما يكون، والحاليَّة، والمحليَّة، والبدليَّة، والمُبدليَّة، والمجاورة، والتَّعلُّق الاشتقاقيُّ. انظر: الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٢٥٢.

(٦) الثعالبي، الجواهر في تفسير القرآن، ٢٥/ ١١٤.

لِخَلق الإنسان إذا خرج من بين الرَّجل والمرأة ووقع في المحلِّ الَّذِي جَرَتْ عادة الله أن يَخْلقه فيه، وهو رحم المرأة"[١].

القول الثَّاني: اختار بعض المفسِّرين أنَّ المراد صُلْب الرَّجل وترائبه[٢]، فَلَفظ (التَّرَائِبِ) يُستعمَل في الرَّجل، وهي عنده بمنزلة الثَّديين عند الأنثى[٣]، "ومعنى الآية أنَّ المنيَّ باعتبار أصله وهو الدَّم، يخرج من شيءٍ ممتدٍّ بين الصُّلب؛ أي: فقرات الظَّهر في الرَّجل، والتَّرائب؛ أي: عِظام صَدْره. وذلك الشَّيء الممتدُّ بينهما هو الأبهر (الأورطيُّ)، وهو أكبر شريان في الجسم، يخرج من القلب خلف التَّرائب ويمتدُّ إلى آخر الصُّلب تقريبًا، ومنه تخرج عِدَّة شرايين عظيمة، منها شريانان طويلان يخرجان منه بعد شريانَي الكليتَين، وينزلان إلى أسفل البطن حتَّى يصلا إلى الخصيتين فيغذِّيانهما، وَمِن دمهما يتكوَّن المنيُّ في الخصيتَين، يُسمَّيان شريانَي الخصيتَين أو الشَّريانَين المنويَّين، فلذا قال تعالى عن المنيِّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾؛ لأنَّه يخرج من مكان بينهما، وهو الأورطيُّ أو الأبهر"[٤]. وَحُجَّة أصحاب هذا القول أنَّه سبحانه قال: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، فإنَّ الَّذِي يُوصَفُ بالدَّفْقِ والنَّضح إنَّما هو ماء الرَّجل، ولا يُقال: نَضَحَت المرأة الماء ولا دَفَقَتْه. وردُّوا على أصحاب القول الأوَّل بأنَّه تعالى قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، ولم يقل: يخرج من الصُّلْب والتَّرائب، فلا بُدَّ أن يكون ماء الرَّجل خارجًا من بين هَذَين المحلَّيْن؛ كما قال في اللَّبن: يخرج ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ [النحل: ٦٦][٥].

المناقشة: يُرَدُّ على أصحاب هذا القول بأنَّه بناء على قولهم يكون الولد مخلوقًا من ماء الرَّجل فقط، ولكنَّ ماء الرَّجل وحده لا يكفي، كما رُوِيَ أنَّ أمَّ سُلَيْم[٦] حدَّثت أنَّها سألت نبيَّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرَّجل، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «إذا رأتْ ذلك المرأةُ

---

(١) محمد عبده، تفسير جزء عم، ص ٦٣.

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٦٥؛ القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٤٥١؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٢٠؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦٣.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٢٠.

(٤) القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٤٥١. وقد نقل الطَّبريُّ عن قتادة، قوله: "﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يقول: يخرج من بين صُلب الرَّجل ونحره". الطبري، جامع البيان، ٢٤/ ٣٥٥. وقتادةُ هو: قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ، أبو الخطَّاب، بصريٌّ، تابعيٌّ، ثقة، وكان ضرير البصر، ومن علماء النَّاس بالقرآن والفقه، وكان من حفَّاظ أهل زمانه، جالس سعيد بن المُسَيَّب، وتُوُفِّيَ حوالي سنة سبع عشرة ومئة للهجرة. انظر: ابن حبان، الثقات، ص٨٤.

(٥) انظر: ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، ٢/ ٢٦٥.

(٦) هي الرُّمَيْصَاء (أو الغُمَيْصَاء) بنت مَلْحَان بن خالد بن زيد بن حَرَام الأنصاريَّة الخزرجيَّة، من بني النَّجار، وتعرف بأمِّ سُلَيْم، صحابيَّة، وهي أمُّ أنس بن مالك، وتُوُفِّيَت نحو سنة ثلاثين للهجرة. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٦/ ٢١٢؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٨/ ١٤٤.

فَلْتَغْتَسِل» فقالت أمُّ سُلَيْم: واستحييتُ من ذلك، قالت: وهل يكون هذا؟ فقال نبيُّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «نعم، فَمِن أين يكون الشَّبه؟ إنَّ ماء الرَّجل غليظٌ أبيض، وماء المرأة رقيقٌ أصفر، فَمِن أيّهما علا، أو سبق، يكون منه الشَّبه»(١). وبذلك فإنَّ الولد مخلوق من مجموع الماءين، وقد جعل الله تعالى في الآية خلق الإنسان من ماء واحد رغم أنَّهما ماءان اثنان؛ لامتزاجهما معًا في الرَّحم(٢). وقوله: ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ من باب إطلاق اسم البعض على الكُلِّ، فَلَمَّا كان أحد قسمي الماء دافقًا أُطلِق هذا الاسم على المجموع. ولأنَّ الرَّجل والمرأة عند اجتماعهما يصيران كالشَّيء الواحد، يَحْسُن قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ﴾ في الآية الكريمة(٣). وقد ثبت في الطِّبِّ أنَّ ماء المرأة الَّذي يكون منه الولد يوصف بأنَّه دافق أيضًا، كما هو حال ماء الرَّجل، فالاندفاع فيه وفي أصله منذ خروجه من المَبِيْض إلى تمام التَّلقيح ثابت(٤).

القول الثَّالث: اختار بعض المفسِّرين أنَّ المرادَ صُلبُ كُلِّ واحدٍ من الرَّجل والمرأة وترائبُ كُلٍّ منهما(٥)، والمعنى: "يخرج من صُلب الرَّجل وترائب الرَّجل، ومن صُلب المرأة وترائب المرأة"(٦). فصُلب الإنسان هو عموده الفقريُّ، وترائبه هي عِظام صدره، ويكاد معناها يقتصر على حافَّة الجدار الصَّدريِّ السُّفليِّ(٧)، "وإذا رجعنا إلى علم الأجنَّة وجدنا في منشأ خصية الرَّجل ومَبِيْض المرأة ما يُفسِّر لنا هذه الآيات... ذاك أنَّه في الأسبوع السَّادس والسَّابع من حياة الجنين في الرَّحم ينشأ فيه ما يُسمَّى (جسم وُوْلْف وقناته) على كُلِّ جانبٍ من جانبي العمود الفقريِّ، وَمِن جزء من هذا تنشأ الكُلى وبعض الجهاز البوليّ، ومن جزء آخر تنشأ الخصية في الرَّجل والمَبِيْض في المرأة. فَكُلٌّ من الخصية والمَبِيْض في بدء تكوينهما يجاور الكُلى ويقع بين الصُّلب والتَّرائب؛ أي: ما بين منتصف العمود الفقريِّ تقريبًا ومقابل أسفل الضُّلُوع. كما أنَّ الخصية والمَبِيْض يعتمدان في نموِّهما على الشَّريان الَّذِي يمدُّهما بالدَّم، وهو يتفرَّع من الشَّريان الأبهريِّ في مكان يقابل مستوى الكُلى الَّذِي يقع بين الصُّلب والتَّرائب، ويعتمدان على الأعصاب الَّتِي تمدُّ كلًّا منهما وتتَّصل بالضَّفيرة الأبهريَّة ثمَّ بالعصب الصَّدريِّ العاشر، وهو يخرج من النُّخاع من بين الضِّلع العاشر والحادي عشر، وكُلُّ هذه الأشياء تأخذ موضِعَها في الجسم فيما بين الصُّلب والتَّرائب"(٨). فلمَّا ثبت أنَّ تغذية الخصيتين والمَبِيْضين بالدِّماء والأعصاب واللَّمف تبقى من حيث أصلها؛ أي: بين الصُّلب

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المنيّ منها، ١/ ٢٥٠، رقم ٣١١.

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ٤.

(٣) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣١/ ١٢٠.

(٤) البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٥) انظر: تفسير المراغي، ٣٠/ ١١٣؛ البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ١١٦؛ دحدوح، نشأة الذرية، ص١٣.

(٦) نقله القرطبيُّ عن الحسن البصريّ. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ٧.

(٧) انظر: تفسير المراغي، ٣٠/ ١١٣.

(٨) المرجع السابق، ٣٠/ ١١٣، ١١٤.

والتَّرائب، وأنَّ الأعصاب المغذيَّة للخصية أو للمَبِيْض تأتي من المجموعة العصبيَّة الموجودة تحت المعدة من بين الصُّلب والتَّرائب، وكذلك الأوعية اللَّمفاويَّة، فقد ثبت أنَّ الحيوانات المنويَّة لدى الرَّجل أو البُيَيْضَة لدى المرأة إنَّما تستقي مواد تكوينها من منطقة ما بين الصُّلب والتَّرائب، كما أنَّ منشأها ومبدأها من بين الصُّلب والتَّرائب[١]. ويؤكِّد العلم أنَّ الأصول الخلويَّة للخصية في الذَّكر أو المَبِيْض في الأنثى تجتمع في ظهر الأبوين خلال نشأتهما الجنينيَّة، ثمَّ تخرج من الظَّهر من منطقة بين بدايات العمود الفقريّ وبدايات الضُّلوع، ليهاجر المَبِيْض إلى الحوض بجانب الرَّحم وتهاجر الخصية إلى كيس الصَّفن. والتَّعبير بقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يفي بوصف تاريخ نشأة الذُّريَّة، ويستوعب كافَّة الأحداث الدَّالَّة على سبق التَّقدير والاقتدار والإتقان والإحكام في الخلق منذ تكوين البدايات في الأصلاب وهجرتها خلف أحشاء البطن ابتداءً من المنطقة بين الصَّلب والتَّرائب إلى المستقرّ، وحتى يُولَدَ الأبوان ويبلغان ويتزاوجان وتُخلَق الذُّريَّة، ويستمرُّ فعل الإخراج ساري المفعول ليحكي قصَّة جيل آخر لجنين يتخلَّق ويخرج للدُّنيا[٢].

المناقشة: تؤكِّد الحقائق العلميَّة صحَّة ما استند إليه أصحاب هذا القول فيما يتعلَّق بالنَّشأة الجنينيَّة للخلايا الجنسيَّة والغدد التناسليَّة في الذَّكر والأنثى[٣]، ولكن ضُعِّف هذا القول بأنَّ ما ذهب إليه أصحابه وإن استند إلى الحقائق العلميَّة فإنَّه لا يحلُّ الإشكال، فمنشأ الغدد التَّناسليَّة وإن كان من بين الصُّلب والتَّرائب إلَّا إنَّه في الحقيقة يكون من الأصلاب على جانبي العمود الفقريّ أقرب، وهذا ما يؤكِّده قوله تعالى: ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، أمَّا الترائب فهي في الأمام، فالمنشأ وإن كان من منطقة بينهما فهو بالأصلاب ألصق وعن التَّرائب أبعد، وبهذا، فالقول بأنَّ تلك الغدد تخرج من بين الصُّلب والتَّرائب فيه تهافت لا يليق بكتاب الله تعالى؛ إذ من غير الفصاحة أن يُشار إلى مكان أنَّه يقع بين مدينتين، وهو يلاصق إحداهما وبعيد كلَّ البعد عن الأخرى، فهو مع صحَّته لا يليق بكتاب الله تعالى، ولو أراد الله أصل منشأ الغدد التَّناسليَّة لما أعجزه سبحانه اختيار الألفاظ الَّتي تؤدِّي هذا المعنى بدقَّة[٤]. ومن الواضح أنَّ هذا التَّضعيف لا يرقى إلى درجة دحض القول وردِّه، وبالتَّالي فمن الممكن قبوله في حال عود الضَّمير في (يخرج) إلى الماء ما دامت اللغة تحتمله والحقائق العلميَّة تسانده.

---

(١) انظر: البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ١١٦.

(٢) انظر: دحدوح، نشأة الذرية، ص١٣.

(٣) تؤكِّد المراجع الطبيَّة المعتمدَة في علم الأجنَّة الحقائق العلميَّة الَّتي أوردها أصحاب هذا القول. انظر: Sadler، Langman's medical embryology، ص٢٤٣.

(٤) انظر: الشَّقفة، القرار المكين، ص٢٨٠.

القول الرَّابع: ذهب مأمون الشَّقفة[١] إلى أنَّ التَّرائب في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٧]، هي عظام صدر المرأة السُّفلى في القفص الصَّدريّ، وليست العظام العليا الأربعة من القفص الصَّدريّ، وأنَّ الصُّلب هو أسفل ظهر المرأة وليس الرَّجل، فَكُلٌّ من الصُّلب والتَّرائب يعودان على المرأة فقط، وأنَّ الضَّمير في قوله: ﴿يَخْرُجُ﴾ يرجع إلى الإنسان وليس إلى الماء الدَّافق، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥- ٧]، وَمِن ثَمَّ فالمراد أنَّ الجنين يكون عند تمام الحمل (قبل الولادة، وَحِيْنَ خروجه في الولادة) واقعًا بين أسفل ظهر المرأة وبين أضلاع صدرها السُّفلى، وأشار إلى أنَّ أضلاع القفص الصَّدريّ السُّفليَّة من الأمام مبدأٌ لخطٍّ أو محورٍ يقع فيه الجنين، وفي الآية تنبيه إلى عمليَّة الولادة المعقَّدة[٢].

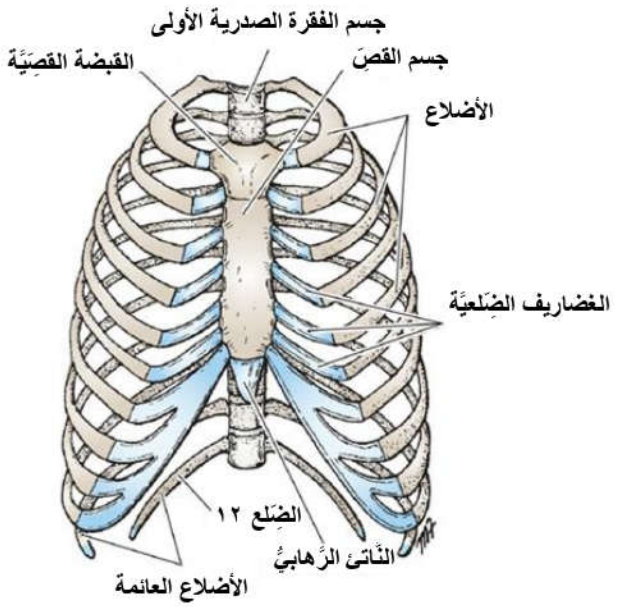
المناقشة: يمكن من خلال النَّظر إلى القفص الصَّدريّ ملاحظة أنَّه يتكوَّن من (١٢) زوجًا من الأضلاع، ويمتدُّ عظم القصِّ في الأمام عموديًّا حتَّى مستوى الضِّلع السَّابع، وذلك لِأنَّ الأضلاع السُّفلى (٨، ٩، ١٠) ترتفع إلى الأعلى لِتَتَّصل بالأضلاع الَّتِي فوقها بدلًا من أنْ تمتدَّ أفقيًّا إلى الأمام وتَتَّصل بِعَظم القصِّ، كما أنَّ الضِّلعين الأخيرَين من الأسفل (١١، ١٢) لا يمتدَّان لأبعد من جانبي الصَّدر، فَهُمَا حُرَّان لا يتَّصلان من الأمام بِأَيِّ ضِلعٍ[٣]، الشَّكل رقم (١٨).

---

(١) الدكتور مأمون الشَّقفة، طبيب متخصِّص في التَّوليد وأمراض النِّساء، وشاعر وأديب إسلاميٌّ، وُلِد في مدينة حماة السُّوريَّة سنة ستٍّ وثلاثين وتسعمئة وألف للميلاد، ودرس الطِّبَّ في جامعة دمشق، ثمَّ حصل على شهادات تخصُّصيَّة من بريطانيا، وشغل مناصب أكاديميَّة في سوريا والإمارات، وله مؤلَّفات بارزة، منها كتاب (القرار المكين)، وله مجموعة شعريَّة بعنوان: (رمضانيَّات)، وتُوُفِّيَ سنة اثنتي عشرة وألفين للميلاد. انظر:
https://www.odabasham.net/تراجم/١٣٤٠٣٩-الشاعر-الطبيب-الداعية-مأمون-الشَّقفة

(٢) انظر: الشَّقفة، القرار المكين، ص٢٨٢.

(٣) انظر: Wineski، Snell's clinical anatomy by regions، ص٢٧٤.



الشَّكل رقم (١٨) منظر أماميٌّ للقصِ والأضلاع الَّتِي تُشكِّل القفص الصَّدريَّ[١].

وبما أنَّ الرَّحم يصل في أواخر الحمل (في الأسبوع ٣٦) إلى مستوى القصِ؛ أي: إلى ما يقارب منتصف أضلاع القفص الصَّدريِ، وبالتَّالي فإنَّ الجنين في المراحل الأخيرة من الحمل[٢] يكون محاطًا بالأضلاع الصَّدريَّة السُّفليَّة (ستَّة أزواج من أضلاع الأمِّ؛ أي: ترائبها) من الأمام والجوانب.

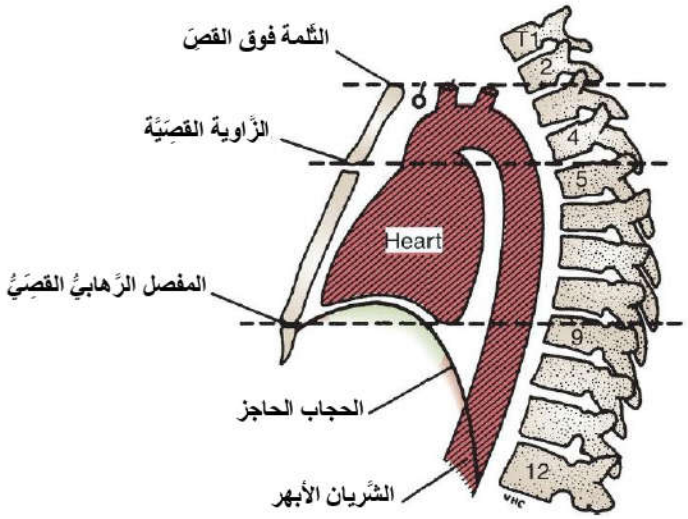
ويتكوَّن العمود الفقريُّ من (٣٣) فقرة موزَّعة في خمس مناطق: (٧) عنقيَّة، و(١٢) صدريَّة، و(٥) قطنيَّة، و(٥) عجزيَّة (ملتحمة لتكوين العجز)، و(٤) عصعصيَّة (ملتحمة عادة)[٣]. ويقع النَّاتئ الرَّهابيُّ في مستوى الفقرة الصَّدريَّة التَّاسعة، الشَّكل رقم (١٩)، وبذلك يكون الجنين في المراحل الأخيرة من الحمل مُحاطًا بالجزء المتوسِّط والسُّفليِّ من الصُّلب في الخلف؛ أي: بالفقرات الصَّدريَّة الأربعة السُّفليَّة، والقطنيَّة الخمسة والعجزيَّة الخمسة والعصعصيَّة الأربعة.

---

(١) Wineski، Snell's clinical anatomy by regions، ص٢٧٤.

(٢) انظر: Beckmann وزملاؤه، Obstetrics and gynecology، ص٦٣.

(٣) انظر: Wineski، Snell's clinical anatomy by regions، ص١٢٤.



الشَّكل رقم (١٩) منظر جانبيٌّ للصَّدر يُظهِر علاقة عظم القصِّ بمستويات الفقرات[١].

وبما أنَّ الآية تتحدَّث عن الإنسان، والضَّمير في (يخرج) يعود عليه، وبما أنَّ توضُّعه في بطن أمِّه عند الولادة يصحُّ أن يُوصَف بأنَّه ﴿بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، فيمكن قبول هذا القول.

وَبِالنَّتيجة: فإنَّ القول الأوَّل قائم على التَّأويل؛ لذلك لا يُرَجَّح في حال أمكنت الحقيقة، وأمَّا القول الثَّاني فهو يخالف السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة وحقائق العلم التَّجريبيُّ كما اتَّضح سابقًا، وأمَّا القول الثَّالث فهو مقبول في حال عود ضمير ﴿يَخْرُجُ﴾ إلى الماء الدَّافق، وأمَّا في حال عود الضَّمير إلى الإنسان فالقول الرَّابع هو المقبول.

المطلب الثَّاني: عود الضَّمير في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾:

اختلف المفسِّرون في عود ضمير ﴿يَخْرُجُ﴾ في الآية الكريمة، وذهب أكثرهم إلى أنَّ الضَّمير يعود إلى أقرب مذكورٍ، وهو الماء الدَّافق في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦][٢]، وَذَكَر ابن عاشور أنَّ جملة ﴿يَخْرُجُ﴾ حالٌ من ماء دافق؛ أي: أنَّ أصل تكوُّنِ ذلك الماء وتنقُّلِه من بين الصُّلب والتَّرائب، فالخروج مستعمَلٌ في ابتداء التَّنقُّل من مكان إلى مكان ولو دُونَ بروز، فإنَّ بروز هذا الماء لا يكون من تلك

---

(١) Wineski، Snell's clinical anatomy by regions، ص٤٧٦.

(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣١/ ١٢٠؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/ ٥؛ الثعالبي، الجواهر في تفسير القرآن ٢٥/ ١١٤؛ عبده، تفسير جزء عم، ص٦٣؛ القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٤٥١؛ تفسير المراغي، ٣٠/ ١١٢؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٩٢٠؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٦/ ١٥٢٣؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦٣.

المنطقة. وقد أطنب تعالى في وصف هذا الماء الدَّافق؛ لإدماج التَّعليم والعِبْرة بدقائق التَّكوين، لعلَّ النَّاس يتفطَّنوا لذلك[١]. وذهب بعض المفسِّرين والكثير من الأطبَّاء إلى عود الضمير في (يخرج) على الإنسان[٢].

وَلِفَهْم هذا الاختلاف في عَود الضَّمير في الفعل ﴿يَخْرُجُ﴾ لا بُدَّ من دراسة سياق هذه الآيات، وهو قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۞ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٥- ١٠]، وتحديد عَود الضَّمائر الواردة فيها، فَضَمِير ﴿خُلِقَ﴾ الوارد مرَّتين في قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ يعود على الإنسان، وضمير ﴿إِنَّهُ﴾ في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ يعود إلى الله تعالى، واسمه جلَّ وعلا وإن لم يسبق له ذِكْر صريح، فَإِنَّ بِنَاء الفعل للمجهول في قوله: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ يُؤذِن بأنَّ الخالق معروف لا حاجة إلى ذِكْر اسمه، وضمير ﴿رَجْعِهِ﴾ يعود إلى الإنسان المذكور في قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، وضمير ﴿لَهُ﴾ في قوله: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ يعود أيضًا إلى الإنسان المذكور[٣]. وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ "استئنافٌ بيانيٌّ[٤] ناشئ عن قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾؛ لأنَّ السَّامع يتساءل عن المقصد من هذا الأمر بالنَّظر في أصل الخلقة، وإذ قد كان ذلك النَّظر نظر استدلال فَهَذا الاستئناف البيانيُّ له يتنزَّل منزلة نتيجة الدَّليل"[٥]، فصار المعنى: إنَّ اللهَ تعالى الَّذِي خلق الإنسان من ماء دافق، قادرٌ على إعادته إلى الحياة بعد الموت[٦]، وبذلك يتقرَّر إمكان إعادة الخلق بعد الممات، ويزول ما زعمه الكفَّار من استحالة تلك الإعادة[٧]، وهذا يتحقَّق سواء عاد ضمير ﴿يَخْرُجُ﴾ إلى الماء الدَّافق أو إلى الانسان. وَمَعَ أنَّ هؤلاء المفسِّرين لم يُرْجِعوا ضمير ﴿يَخْرُجُ﴾ إلى الإنسان إلَّا أنَّ السِّياق يسمح بذلك، وَمِن ثَمَّ يَصحُّ القول بأنَّ هذه الآيات لِتَذكير الإنسان بِأَصل نشأته، وخلقه من ذلك الماء الدَّافق، وأنَّ الَّذِي خلقه على هذه الصُّورة بِقُدْرَته قادر على إعادة بعثه للحساب، وهذا يتوافق مع القول بِعَود الضَّمير إلى

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) انظر: تفسير المراغي، ٣٠/ ١١٣؛ البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ١١٦؛ الشَّقفة، القرار المكين، ص٢٨٣؛ دحدوح، نشأة الذرية، ص١٣.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٧٣٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦١، ٢٦٥.

(٤) "يخصُّ البيانيُّون الاستئناف بما كان جوابًا لسؤال مقدَّر نحو قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} [الذاريات: ٢٤، ٢٥]، فإنَّ جملة القول الثَّانية جواب لسؤال مقدَّر تقديره: فماذا قال لهم؟ ولهذا فَصِلت عن الأولى فلم تَعطَف عليها". ابن هشام، مغني اللبيب، ص٣٦٤.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦٥.

(٦) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٧٣٦؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٩/ ١٤١؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٦/ ١٥٢٣؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦٥.

(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٦٥.

أقرب مذكور، وهو الماء الدَّافق. كما يَصحُّ القول بأنَّ هذه الآيات لِتَذكير الإنسان بأصل خَلْقِه (من الماء الدَّافق)، وبإخراجه من بين الصُّلب والتَّرائب بالولادة، وَكُلُّ ذلك بِقُدْرَته، وَكَمَا أنَّه سبحانه قادر على خَلْقه وإخراجه فهو قادر على رَجْعه، وهذا يتوافق مع القول بِعَود الضَّمير إلى الإنسان، وَيُقوّي هذا استعمالُ الفعل ﴿يَخْرُجُ﴾ للدَّلالة على الولادة في القرآن الكريم، كما اتَّضح في المبحث الثَّاني من هذا الفصل. وبالتَّالي فليس عود الضمير في الفعل (يخرج) إلى الماء بأولى من عوده إلى الإنسان، بل "الأصل توافق الضَّمائر في المرجع اتِّقاءً للتَّشتيت"[١].

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢/ ٣٣٨.

الفصل السَّابع: أحكام الرَّضاعة

تمهيد.

المبحث الأوَّل: أهميَّة الرَّضاعة الطَّبيعيَّة.

المطلب الأوَّل: الرَّضاعة من الأمِّ.

المطلب الثَّاني: الرَّضاعة من المرضِع.

المبحث الثَّاني: مدَّة الرَّضاع.

المطلب الأوَّل: مدَّة تمام الرَّضاع.

المطلب الثَّاني: العلاقة بين مدَّة الحمل ومدَّة الرَّضاعة.

المبحث الثَّالث: التَّحريم بالرَّضاع.

المطلب الأوَّل: تحريم الأمَّهات والأخوات من الرَّضاعة.

المطلب الثَّاني: من يَحْرُم بالرَّضاع.

المطلب الثَّالث: علَّة التَّحريم.

المطلب الرَّابع: شروط التَّحريم.

تمهيد:

اعتنت الشَّريعة الإسلاميَّة ببناء الطِّفل منذ ولادته، وبتنشئته التَّنشئة القويَّة، وبتغذيته الغذاء المناسب، حيث أكَّد القرآن الكريم على أهميَّة الرَّضاعة من الأمّ، ووضع العديد من الضَّوابط الَّتي تحمي مصالح الأطراف ذوي العلاقة؛ وهم: الطِّفل والأمُّ والأب، وتُوزِّعُ الحقوق والواجبات بينهم. كما وَضَعَ بدائل تحمي الوليد من الآثار النَّاتجة عن عجز الأمّ عن إرضاعه؛ فجعل الخيار البديل هو لبن المُرضِع، وصرَّح بالمدَّة الَّتي يمكن اعتبار الإرضاع فيها تامًّا، ولفت إلى أهميَّة زيادة هذه المدَّة في بعض الحالات الخاصَّة كما في حالات الأطفال الخُدُج، وقد رتَّب الشَّرع الحكيم على الرَّضاعة أحكامًا عديدة من أهمِّها تحريم النِّكاح بالرَّضاع. ويستعرض هذا الفصل أقوال المفسِّرين في تفسير الآيات القرآنيَّة الكريمة الَّتي تناولت أحكام الرَّضاعة، كما يعرض أهمَّ الحقائق المتعلِّقة بالرَّضاعة الَّتي يقف العلم التَّجريبيُّ عندها اليوم، والاستعانة بها للوصول إلى فهم أعمق لمعاني الآيات الكريمات، وبالتَّالي: التَّرجيح بين بعض الأقوال التَّفسيريَّة وبعض الآراء الفقهيَّة، إضافة إلى محاولة استكشاف بعض وجوه الحكمة الَّتي تشتمل عليها الأحكام الشَّرعيَّة، وذلك من خلال ثلاثة مباحث؛ هي: أهميَّة الرَّضاعة الطَّبيعيَّة، ومدَّة الرَّضاع، والتَّحريم بالرَّضاع.

المبحث الأوَّل: أهميَّة الرَّضاعة الطَّبيعيَّة:

حضَّ القرآن الكريم على الرَّضاعة الطَّبيعيَّة بوصفها الخيار الأمثل لتغذية الطِّفل، ووضع أحكامًا تفصيليَّة تضمن حصوله على أفضل مصدر لغذائه؛ وهو لبن أمِّه، فأشار إلى ضرورة أن تُرضِع الأمُّ وليدها، وحدَّد البدائل الأنسب لهذا المصدر عند تعذُّر الحصول عليه، ألا وهو لبن المُرضِع، وبذلك تكون الرَّضاعة الَّتي أوجبها القرآن الكريم للطِّفل هي الرَّضاعة الطَّبيعيَّة، وقد رتَّبها لتشمل الرَّضاعة من الأمّ ثمَّ الرَّضاعة من المُرضِع، وفق ضوابط محدَّدة تراعي مصلحة الطِّفل والأسرة. ويتناول هذا المبحث الجوانب المتعلِّقة بأهميَّة الرَّضاعة الطَّبيعيَّة كما وردت في القرآن الكريم، من خلال مطلبين رئيسين هما: الرَّضاعة من الأمّ، ثمَّ الرَّضاعة من المُرضِع.

المطلب الأوَّل: الرَّضاعة من الأمّ:

أمر القرآن الكريم الأمَّ أن تُرضِع أولادها، ووضع الضَّوابط اللازمة الَّتي تنظِّم حقوق وواجبات الأمّ والأب طَرَفَيِ العلاقة بالإرضاع، وتحمي مصالحهما، وتفصل في النِّزاعات بينهما، وتضمن عدم شطط أيِّ طرف أو تعدِّيه على حقوق الطَّرف الآخر، فراعى مصلحة الأمّ المُرضِع، وضَمِنَ لها عدم الإضرار بها؛ وذلك بإعطائها حقَّ الأوَّلويَّة بالإرضاع مع الحفاظ على خيارها ورضاها، بل تعدَّى ذلك بأن فرض لها مقابلًا للرَّضاعة على صورة نفقة أو أجر. وجعل الأب هو المسؤول عن إرضاع الطِّفل وصاحب المنفعة، ففرض عليه النَّفقة، كما أوجب عليه استئجارَ مرضِع في حال لم ترضع الأمُّ طفلها لسبب من الأسباب،

وقد ضَمِن له في الوقت ذاته عدم التَّعدِّي عليه بأن جعل له الحقَّ في استئجار مرضِع لولده في حال لم ترضَ الأمُّ المطلَّقة بأجر مثيلاتها. وسيستعرض هذا المطلب هذه المسائل من خلال ثلاثة فروع؛ يُبيِّن أوَّلها حثَّ الشَّرعِ الأمَّ على إرضاع أولادها، ويؤكِّد ثانيها وجوبَ أجر الرَّضاع على الوالد، ويفصِّل ثالثها في حكم إرضاع الأمِّ لوليدها وإجبارها عليه عند الفقهاء.

الفرع الأوَّل: حثُّ الأمِّ على إرضاع أولادها:

حضَّ القرآن الكريم على إرضاع الأمَّهات لأولادهنَّ بقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وللمفسِّرين في قوله: (والوالدات) ثلاثة أقوال:

القول الأوَّل: لفظ الوالدات عامٌّ، والمقصود: جميع الوالدات، فتدخل فيه المطلَّقات والزَّوجات(١)، ولا دليل على تخصيصه فوجب تركه على عمومه(٢).

والقول الثَّاني: المراد منه الوالدات المطلَّقات(٣)؛ إذ إنَّ الكلام السَّابق في أحكامهن، والتَّالي عنهن، وقد خُصَّ الكلام بهنَّ لأنَّ المطلَّقة قد تهمِل رعاية طفلها وتترك إرضاعه رغبةً في التَّزوُّج(٤) أو نكاية بمطلِّقها، كما أنَّ إيجاب رزقهن وكسوتهن على الوالد يدلُّ على كونهنَّ مطلَّقات؛ لأنَّ النفقة على الزَّوجة الَّتي في العصمة واجبة للزَّوجيَّة لا للرَّضاع(٥).

والقول الثَّالث: يُحمَل على الوالدات في حال بقاء النِّكاح؛ أي: الزَّوجات؛ لأنَّ المطلَّقة لا تستحقُّ الكسوة، وإنَّما تستحقُّ الأجرة(٦).

والقول الثَّاني هو الرَّاجح؛ أي: إنَّ المراد هو الوالدات من المطلَّقات بقرينة سياق الآيات الَّتي قبلها، قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقد عُطِف الشَّاهد بالواو دلالة على اتِّحاد السِّياق؛ فقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

---

(١) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٤؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥.

(٢) أورد صاحب المنار هذا القول وأدلَّته ثمَّ ردَّه بقوله: "ونحن لا نستفيد من جَعْلِ الآية عامَّة زيادة عمَّا نستفيد بجعلها خاصَّة". رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٤.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٤؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٢٩. وهذا هو اختيار صاحب المنار.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٤؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٢٩.

(٥) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٤.

(٦) نقل صاحب المنار هذا القول وحجَّة أصحابه، ثمَّ قال: "هذا التَّرجيح مرجوح لا يُلتفَت إليه؛ لأنَّه مبنيٌّ على الاحتجاج بقول الفقهاء على القرآن، وهذا القول أضعف الأقوال". رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٤.

فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقوله: و(الوالدات) معناه: والوالدات منهنَّ؛ أي: من المطلَّقات المتقدِّم الإخبار عنهنَّ. وقال تعالى بعدها: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ولو كانت الزَّوجيَّة باقية لوجب ذلك على الزَّوج بالزَّوجيَّة لا بالولادة، ويقوِّي هذا أنَّ الخلاف في مدَّة الإرضاع لا يقع بين الأب والأمِّ إلَّا بعد الفراق غالبًا؛ إذ من المعروف أنَّ الأمَّهات يرضعن أولادهن في مدَّة العصمة، ولا يمتنعن منه إلَّا طلبًا للتزوُّج بزوج آخر بعد طلاقهن؛ لأنَّ الرجل لا يرغب بالمرأة المُرضِع لأنَّها تشتغل برضيعها عنه، ويمنعها إرضاعه من الإنجاب[١]، كما أن تعليل الحكم الوارد في الآية بالنهي عن مضارَّتهنَّ بالولد يرجِّح أنَّهنَّ المطلَّقات؛ فإنَّما تضارُّ بذلك المطلَّقة دون الَّتي في العصمة[٢].

واختلف المفسِّرون في المراد من قوله تعالى: (يرضعن)، على قولين:

١- أنَّهنَّ أحقُّ برضاع أولادهن، وليس ذلك بإيجاب الرَّضاع من الله تعالى عليهن، فهي مندوبة إلى ذلك[٣]، ويكون على وجه الوجوب في بعض الوالدات؛ فيُخَصُّ بما إذا لم يرضع الصَّبي إلَّا من أمِّه، أو لم توجد له مرضِع، أو كان الأب عاجزًا عن الاستئجار[٤].

٢- يجب على الأمِّ إرضاع ولدها[٥] إن لم يكن هناك عذر مانع من مرض ونحوه، وكما يجب على الأمِّ الإرضاع يجب لها ذلك؛ أي: ليس للوالد أن يمنعها منه[٦].

والقول الأوَّل هو الرَّاجح بقرينة السِّياق؛ فقد قال تعالى بعدها: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، أي: إن فطام المولود مباح إذا اتفق الوالدان على ذلك، وقال بعدها أيضًا: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وفيه دلالة على جواز استرضاع المراضع للأولاد، ويؤكِّد ذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦]، أي:

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٢٩.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٤.

(٣) انظر: جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣٠؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٧.

(٤) انظر: جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٤٠.

(٥) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥.

(٦) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥.

إنَّ الوالدة والمولود له إن تعاسرا في الأجرة الَّتي ترضع بها المرأة ولدها، ترضِعْه أخرى سواها، فلم يوجِب الله عزَّ وجلَّ عليها رضاع ولدها[١].

ولكن: **هل أثبت العلم التَّجريبيُّ أنَّ للبن الأمِّ خصائص فريدة أو مزايا تميّزه؟**

تؤكِّد نتائج العلم التَّجريبيِّ أنَّ لبن الأمِّ يشكِّل الغذاء المثاليَّ للرَّضيع، وهو عبارة عن مزيج حيويٍّ نشط يوفِّر للطفل جميع العناصر اللازمة لنموٍّ صحِّيٍّ[٢]، ويتميَّز بتركيبة متغيِّرة تتكيَّف مع احتياجات الطِّفل المتجدِّدة؛ إذ إنَّه يختلف من رضعة لأخرى، ولا سيما خلال الأشهر الثَّلاثة الأولى من الرَّضاعة. كما يتأثر تركيبه بالعمر الحمليِّ للمولود[٣]، وتتبدَّل مستويات العوامل الاستقلابيَّة فيه بالانتقال من اللبأ (colostrum) إلى اللبن الانتقاليِّ (transition) ثمَّ إلى اللبن النَّاضج (mature)[٤]. واللبأ هو سائل سميك مائل إلى الصُّفرة يُفرَز في الأيَّام الأولى بعد الولادة، ويمتلك أهميَّة خاصَّة لغناه بالبروتين والأجسام المضادة الَّتي تساعد في الحفاظ على صحَّة الطفل وتعزيز مناعته، ولكونه يؤمِّن للطِّفل الغذاء الَّذي يحتاجه في أيَّامه الأولى[٥]. ومع استمرار عملية الرَّضاعة الطَّبيعيَّة يتغيَّر تركيب اللبن، ويزداد مقدار ما يقوم الثَّدي بتكوينه منه، ممَّا يُلبّي احتياجات الطِّفل النَّمائيَّة بشكل مستمرٍّ[٦].

ويتميَّز لبن الأمِّ باحتوائه على العديد من المكوِّنات الفاعلة المهمَّة الَّتي تؤثِّر خلال الفترة المبكِّرة من عمر الوليد على حياته بشكل كامل؛ نظرًا لدورها في تنشيط العديد من العمليَّات الاستقلابيَّة، والتَّأثير على تكوين البُنى العضويَّة الدَّقيقة، والنُّموِّ، والتَّمثيل الغذائيِّ، إضافة إلى دوره في إنضاج الزُّمرة الجرثوميَّة المعويَّة الطَّبيعيَّة، وتطوُّر الجهاز المناعيِّ، وتطوُّر الدِّماغ وتنظيم عمله[٧]. كما تشير الدِّراسات الحديثة إلى انخفاض

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٠.

(٢) انظر: Fanos وزملاؤه، Miracles and mysteries of breast milk، رقم ٢.

(٣) انظر: Wu وزملاؤه، NMR-based metabolite profiling of human milk، ص٦٢٦؛ Fanos وزملاؤه، Miracles and mysteries of breast milk، رقم ٢.

(٤) انظر: Spevacek وزملاؤه، Infant maturity at birth reveals minor differences in the maternal milk metabolome in the first month of lactation، ص١٦٩٨.

(٥) انظر: Anatolitou، Human milk: difference in nitrogen concentration in milk from mothers of term and premature infants، ص٦٧؛ Fanos، Metabolomics, milk-oriented microbiota (MOM) and multipotent stem cells، رقم ٤؛ Sundekilde وزملاؤه، The effect of gestational and lactational age on the human milk metabolome، ص٣٠٤.

(٦) انظر: Bardanzellu وزملاؤه، Omics in human colostrum and mature milk، ص٨٤٣.

(٧) انظر: Fanos، Metabolomics, milk-oriented microbiota (MOM) and multipotent stem cells، رقم ٤؛ German وزملاؤه، Metabolomics and milk، ص١٤٧.

حالات الإصابة بالأمراض الـمُـعْدِية، وانخفاض مظاهر الحساسيَّة لدى الأشخاص الَّذين رضعوا رضاعة طبيعيَّة[١]، إضافة إلى انخفاض انتشار الدَّاء السُّكَّريّ المعتمِد على الأنسولين[٢]، والأمراض الخبيثة[٣]، وأمراض الرِّئة المزمنة[٤].

ولقد كان يُعتقَد خطأً في الماضي أنَّ لبن الثَّدي البشريَّ معقَّم، ولكن تمَّ التَّأكيد في الوقت الحاضر وباستعمال التِّقنيَّات الحديثة أنَّه ملوث (contaminated)، ويُعتقَد أنَّ الرَّضيع يبتلع ما يصل إلى عشرة ملايين من البكتيريا الحيَّة كلَّ يوم، تتوزّع على ما يصل إلى (٦٠٠) نوع[٥]، وأحد أهمّ الأدوار الفسيولوجيَّة المفترَضة لهذه التَّجمُّعات البكتيريَّة هو تعديل وتحسين جهاز المناعة عند الوليد؛ فقد لوحظ أنَّ المواليد الَّذين يعتمدون على لبن الثَّدي في تغذيتهم يكونون أقل عرضة للحساسيَّة (allergies) والرَّبو (asthma)[٦]. كما أكَّدت الدِّراسات أنَّ المواليد الَّذين يرضعون من الثَّدي لديهم نشاط جرثوميٌّ مِعَويٌّ مختلف عن أولئك الَّذين يتغذَّون على اللبن الصِّناعيّ، وقد يعود ذلك إلى تركيب اللبن والكائنات الدَّقيقة (microbiota) الَّتي يحتويها[٧].

ويُوصَى بالرَّضاعة من الثَّدي باعتبارها الطَّريقة المعياريَّة لتغذية الرُّضَّع وخاصَّة الخُدَّج منهم (preterm babies)، وتستند هذه التَّوصية إلى الفوائد الكثيرة الَّتي يوفِّرها اللبن البشريُّ لهذه الفئة الضَّعيفة، ومن أهمّ هذه الفوائد: انخفاض معدلات خَمَج الدَّم المتأخِّر (late-onset sepsis)[٨]، والتهاب الأمعاء والقولون النَّاخر (necrotizing enterocolitis)[٩]، واعتلال الشَّبكيَّة الخِداجيُّ

---

(١) انظر: Sakaguchi وزملاؤه، Breast-feeding regulates immune system development via transforming growth factor beta in mice pups، ص٢٢٤.

(٢) انظر: Garofalo، Cytokines in human milk، ص٣٦؛ Brenmoehl وزملاؤه، Cytokines in milk and the role of TGF beta، ص٤٧.

(٣) انظر: Fanos وزملاؤه، Miracles and mysteries of breast milk، رقم ٢.

(٤) انظر: Bardanzellu وزملاؤه، Human breast milk، ص١.

(٥) انظر: Fanos وزملاؤه، Miracles and mysteries of breast milk، رقم ٢.

(٦) انظر: Langseth & Cleugh، Fifteen-minute consultation on the healthy child، ص٨.

(٧) انظر: Liu وزملاؤه، Human breast milk and infant formulas differentially modify the intestinal microbiota in human infants and host physiology in rats، ص١٩١.

(٨) انظر: Schanler وزملاؤه، Feeding strategies for premature infants، ص١١٥٠.

(٩) انظر: Boyd وزملاؤه، Donor breast milk versus infant formula for preterm infants، ص١٦٩؛ Sisk وزملاؤه، Early human milk feeding is associated with a lower risk of

(retinopathy of prematurity)[١]، ومراجعات أقلُّ للمستشفى في السَّنة الأولى من الحياة[٢]، وتحسين النُّموِّ العصبيِّ[٣]، وتحسين النُّضج الحركيِّ والقدرة المعرفيَّة[٤]. بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ الأطفال الخُدُج الَّذين يتغذَّون بالرَّضاعة الطَّبيعيَّة لديهم معدلات أقل من متلازمة التَّمثيل الغذائيِّ، وانخفاض ضغط الدَّم[٥]، ومستويات أقلُّ من البروتين الدهنيِّ منخفض الكثافة الضارِّ[٦]، ومقاومة أقلُّ للأنسولين[٧]، عندما يصلون إلى مرحلة المراهقة مقارنة بالرُّضَّع الخُدُج الَّذين يعتمدون في غذائهم على لبن الأطفال البديل.

ولا تنحصر فوائد الرَّضاعة الطَّبيعيَّة بالطِّفل بل تؤثر بشكل إيجابيٍّ على الأمِّ المُرضِع أيضًا[٨]، وقد أكَّدت العديد من الدِّراسات أنَّه من الممكن التَّمييز بين الأطفال الَّذين يتلقَّون الرَّضاعة الطَّبيعيَّة والَّذين

---

(١) انظر: Okamoto وزملاؤه، Human milk reduces the risk of retinal detachment in extremely low-birthweight infants، ص٨٩٤؛ Maayan-Metzger وزملاؤه، Human milk versus formula feeding among preterm infants، ص١٢١.

(٢) انظر: Vohr وزملاؤه، Beneficial effects of breast milk in the neonatal intensive care unit، ص١١٥.

(٣) انظر: Vohr وزملاؤه، Beneficial effects of breast milk in the neonatal intensive care unit، ص١١٥؛ Vohr وزملاؤه، Persistent beneficial effects of breast milk ingested in the neonatal intensive care unit، ص٩٥٣؛ Isaacs وزملاؤه Impact of breast milk on intelligence quotient, brain size, and white matter development، ص٣٥٧.

(٤) انظر: Blaymore وزملاؤه، Human milk improves cognitive and motor development of premature infants during infancy، ص٣٦١؛ Feldman & Eidelman، Direct and indirect effects of breast milk on the neurobehavioral and cognitive development of premature infants، ص١٠٩؛ Vohr وزملاؤه، Persistent beneficial effects of breast milk ingested in the neonatal intensive care unit، ص٩٥٣.

(٥) انظر: Singhal وزملاؤه، Early nutrition in preterm infants and later blood pressure، ص٤١٣.

(٦) انظر: Singhal وزملاؤه، Breastmilk feeding and lipoprotein profile in adolescents born preterm، ص١٥٧١.

(٧) انظر: Singhal وزملاؤه، Early nutrition and leptin concentrations in later life، ص٩٩٣.

(٨) انظر: Fanos وزملاؤه، Miracles and mysteries of breast milk، رقم ٢.

يتلقَّون اللبن الاصـطناعيَّ من خلال تحليل العوامل الاسـتقلابيَّة في دم وبول حديثي الولادة(١)، كما يمكن التَّمييز بين الأمَّهات اللواتي يُرضِـعن واللواتي لا يفعلن ذلك بتحليل بولهنَّ(٢). وبالنَّتيجة، يمثِّل لبن الأمّ الغذاء المثاليَّ لتغذية الأطفال حديثي الولادة، ويوفِّر أفضل الفرص للنُّموِّ الصَّحيح(٣)، وهو من جهة أخرى يؤدِّي أيضًا إلى فوائد عقليَّة وبدنيَّة للأمَّهات المُرضِعات(٤).

الفرع الثَّاني: وجوب أجر الرَّضاع على الوالد:

نظَّم القرآن الكريم العلاقة بين طرفي الإرضاع، وهما الأمُّ والأب، فأوجب الرَّضاعة على الأمّ، وبالمقابل فرض لها أجراً متوجّباً على الأب بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْـوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطَّلاق: ٦].

والمراد بقوله تعالى: (الْمَوْلُودِ لَهُ) هو الوالد(٥)، ووجه اختيار هذا التَّعبير أنَّ الأوَّلاد يولدون للآباء ويُنسَـبون إليهم(٦)، أو أنَّه مقابل التَّعبير بالوالدات الوارد في بداية الآية الكريمة، فالولد في الإسـلام لوالديه يتقاسمان تربيته بحسب فطرة كلٍّ منهما(٧).

واختلف المفسرون في سبب ذِكر الوالد بلفظ (المولود له) على قولين:

١- للتَّنبيه على أنَّ منافع الولد منجرَّة إليه، فكان نقصه عائدًا إليه، ورعاية مصالحه واجبة عليه(٨).

---

(١) انظر: Dessi وزملاؤه، Exploring the role of different neonatal nutrition regimens during the first week of life، ص٢٦٥؛ Acharjee وزمـلاؤه، The translation of lipid profiles to nutritional biomarkers in the study of infant metabolism، ص٢٥.

(٢) انظر: Sachse وزملاؤه، Urine NMR metabolomics analysis of breastfeeding biomarkers during and after pregnancy، ص٢٦٤.

(٣) انظر: Yang وزملاؤه، Nutritional composition of breast milk in Chinese women، ص٤٩١؛ Pecoraro وزملاؤه، Behind human milk and breastfeeding، ص٦٤١.

(٤) انظر: Bardanzellu وزملاؤه، Human breast milk، ص١.

(٥) انظر: القاسمي، محاسـن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ رضـا، تفسـير المنار، ٢/ ٣٢٦؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٢؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٧.

(٦) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٧.

(٧) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦.

(٨) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٢.

٢- للإشارة إلى علَّة وجوب الإرضاع ومؤونة المُرضِع عليه من الرِّزق والكسوة[١].

وكلا الأمرين مستفادان من استعمال القرآن الكريم للفظ (المولود له)، إذ فيه تنبيه على أنَّ منافع الوالد منجرَّة للوالد، إضافة إلى أنَّ النصَّ يشير إلى حكم شرعيٍّ فذُكِرت علَّته، ومن المعروف أنَّ العلل هي مناط الأحكام الشَّرعيَّة.

ويَحتمِل (الرِّزق) في قوله تعالى: (رِزْقُهُنَّ) وجهين: أحدهما: الطَّعام[٢]، وثانيهما: النَّفقة[٣]، ويُقصَد بقوله: (وَكِسْوَتُهُنَّ)؛ أي: لباسهنَّ[٤].

والمراد من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: على الآباء رزق وكسوة الأمَّهات المُرضِعات مدَّة إرضاعهنَّ لأولادهم[٥]، وتشمل هذه النَّفقة كلَّ ما يكفل للأمَّهات الحياة المناسبة من مسكن ومطعم وملبس وغيرها[٦]. والمقصود هو تأمين كلِّ ما تحتاجه الأمُّ المُرضِع من حاجات المعاش لتتفرَّغ للقيام بواجبها حقَّ القيام، فإنَّه إن كان ما تحصل عليه أقلَّ من قدر الكفاية لَحِقَها الضَّرر، وضررها قد يتعدَّى إلى الولد، وكلُّ ذلك حسب قدرة الوالد لقوله تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، فقد ذهب المفسِّرون إلى أنَّ المراد بقوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ ما يجب لمثلها على مثله عرفًا، فينفق على قدر ميسرته دون إسراف ولا تقتير[٧]، ولقوله: ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٧]، فالرزق والكسوة اللذان تأخذهما الوالدة المُرضِع هما

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦. وأضاف صاحب البحر المحيط قولًا ثالثًا وهو أنَّ لفظ (المولود له) يفيد في إعلام الوالد بما منحه الله وأعطاه؛ إذ تفيد اللام في (له) شبه التَّمليك، وفي ذلك امتنان بعطاء الله له. انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٢/ ٢٢٤.

(٢) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤.

(٣) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٧؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٢؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٧.

(٤) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٢.

(٥) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٢.

(٦) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٧.

(٧) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٧؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٢؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٧. وذكر الإمام الرَّازيُّ أنَّ (المعروف) هنا قد يكون محدودًا بشرط وعقد، أو من جهة العرف، وذكر البيضاويُّ وأبو السُّعود والآلوسيُّ أنَّ (المعروف) يحدِّده ما يراه الحاكم. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٦/ ٤٦١؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ١/ ١٤٤؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١/ ٢٣٠؛ الألوسي، روح المعاني، ١/ ٥٢٠. والرَّاجح ما ورد أعلاه.

أجرة إرضاعها لولدها[١]، ولم يكن أغلب قبائل العرب أهل ذهب وفضة، بل كانوا يتعاملون بالأشياء، وكذلك كانت غالب أجورهم، وكان الأُجَراء يطلبون كفاية ضروراتهم، ولذلك أحال الله تعالى تقديرها على المعروف عندهم من مراتب النَّاس وسِعَتِهم، وقال بعده: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣][٢].

وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦] ففيه يأمر الله تعالى بإيتاء المُرضِعات أجورهنَّ؛ أي: أجر الرَّضاع[٣]، والمُرضِعات المستحِقَّات للأجر هنَّ الزَّوجات المطلَّقات البائنات[٤]، ولهنَّ أن يرضعن الأوَّلاد أو أن يمتنعن، فإن أرضعن فلهنَّ أجر المثل ويتَّفقن مع الآباء أو الأوَّلياء عليه، وفيه إشارة إلى أنَّهنَّ أحقُّ بالحضانة[٥]، فإذا طلبت الأمُّ إرضاع طفلها بأجرة المثل وجب على الأب دفعها إليها، وليس له أن يسترضع غيرها[٦].

وفي أمر الآباء بدفع الأجر للأمَّهات على الرَّضاعة دليل على أنَّ الرَّضاع والنَّفقة على الأوَّلاد واجب عليهم لا على الأمَّهات المطلَّقات[٧]، فالأمُّ في العصمة تُرضِع ولدها تَبَعًا لإنفاق أبيه عليها، وعند الطَّلاق يكون الرَّضاع واجبًا على الأب لأنَّه كالنَّفقة[٨]، والمطلَّقة بوجود الأب تعدُّ كالأجنبيَّة، ومن هنا كان استحقاقها للأجر[٩].

---

(١) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٢. وقد تقدَّم أنَّ الرَّاجح بالمراد بالوالدات هنَّ المطلَّقات منهنَّ.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٢.

(٣) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٨/ ١٤٥؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٤/ ١٠١١.

(٤) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٢٦٠؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٨/ ١٤٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨/ ٣٢٨. ورأى البعض أنَّ وجوب أجرة الرَّضاع لا يختصُّ بالمطلَّقات، بل يشمل الزَّوجات أيضًا. انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٨/ ٢٨١. والسِّياق يؤيِّد اختصاص وجوب أجرة الرَّضاع بالمطلَّقات؛ فالآيات الكريمات تتحدَّث عن أحكام تتعلَّق بالمطلَّقات وعدَّتهنَّ وسكنهنَّ، وعدَّة الحوامل منهنَّ ونفقتهنَّ، ثمَّ قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: أولئك المعتدَّات الحوامل اللاتي تنتهي عدَّتهنَّ وواجب النَّفقة عليهن بالوضع إن أرضعن مولودهنَّ فلهنَّ الأجر على الرَّضاع. انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٨/ ١٤٥.

(٥) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢٨/ ١٤٦.

(٦) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٢٦١.

(٧) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٨/ ١٤٦؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٤/ ١٠١١.

(٨) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٢٩.

(٩) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٢٨؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٤/ ١٠١١.

الفرع الثَّالث: حكم إرضاع الأمِّ لوليدها وإجبارها عليه عند الفقهاء:

وجدنا أنَّ المفسِّرين قد توسَّعوا في تفسير الآيات المتعلِّقة بالرَّضاعة، وفي عرض الأحكام المختلفة منها. ومن المفيد هنا أن يُوجَزَ القول في أثر هذه الآيات الكريمات في الأحكام الفقهيَّة ورأي الفقهاء في حكم إرضاع الأمِّ لوليدها.

ذهب الفقهاء في حكم إرضاع الأمِّ لوليدها وإجبارها عليه إلى قولين:

١- القول الأوَّل وهو مذهب الظَّاهريَّة: الواجب على الأمِّ سواء أكانت حرَّةً أم أَمَةً، في عصمة زوج أو في ملك سيِّد أو خُلْوًا منهما أن تُرضِعَ ولدها، أحبَّت أم كرهت ولو أنَّها بنتُ الخليفة، وتُجبَر على ذلك لعموم قول الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فهذا عموم لا يحلُّ لأحد أن يخصَّ منه شيئًا إلَّا ما خصَّه نصٌّ ثابت وإلَّا فهو كذب على الله تعالى. وإن قيل: هذا خبرٌ لا أمرٌ، فيكون أشدَّ؛ إذ أخبر عزَّ وجلَّ بذلك، فمخالفُ خَبَرِهِ ساعٍ في تكذيب ما أخبر الله عزَّ وجلَّ به، إلَّا أن تكون مطلَّقة فإنَّها لا تُجبَر على إرضاع ولدها، فإن شاءت هي ذلك فذلك لها[١].

٢- القول الثَّاني هو قول الشَّافعيَّة والحنابلة والمفتى به عند المالكيَّة والحنفيَّة: وهو التَّمييز بين حالين؛ أوَّلهما: إذا تعيَّنت الأمُّ للإرضاع فلا خلاف بينهم في أنَّها تُجبَر على إرضاع وليدها. وثانيهما: إذا لم تتعيَّن، ووُجِدت مرضِعات أخريات، فقال الحنفيَّة: الرَّضاع واجب على الأمِّ ديانة لا قضاء، فلا تُلزَم به إذا كان يوجد من ترضعه لأنَّها عساها لا تقدر عليه لعذر، أمَّا إذا لم توجد من ترضعه فتُجبَر الأمُّ على الإرضاع صيانة للولد عن الضَّياع[٢]. وقال المالكيَّة: تُجبَر به إلَّا إن كانت شريفة في قومها ممَّن لا تُرضِع أمثالها[٣]، وقال الشَّافعيَّة والحنابلة: لا تُجبَر مطلقًا[٤]. ويرجِّح قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦]، قول الشَّافعيَّة والحنابلة في عدم الإجبار.

المطلب الثَّاني: الرَّضاعة من المُرضِع:

لئن أكَّد القرآن الكريم أهميَّة رضاعة الأمِّ لطفلها، فقد راعى كذلك الحالات الخاصَّة الَّتي يتعذَّر فيها ذلك، ووَضَعَ بدائل تحمي الوليد من الآثار النَّاتجة عن تعذِّر الرَّضاعة من الأمِّ. وكان من حكمة الشَّرع

---

(١) انظر: ابن حزم، المحلى، ١٠/ ١٧٠.

(٢) انظر: المرغيناني، الهداية، ٢/ ٢٩١.

(٣) انظر: الخرشي، شرح مختصر خليل، ٤/ ٢٠٦.

(٤) انظر: الشربيني، مغني المحتاج، ٥/ ١٨٧؛ ابن قدامة، المغني، ٨/ ٢٥٠.

الكريم أن جعل البديل المقبول هو استعمال اللبن البشريّ من الـمُرضِعات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا البديل وإلى طلب الـمُرضِع عند تعاسر الزَّوجين وعدم اتفاقهما بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦]، كما أوجب على الأب تأمين الـمُرضِع المناسبة للطِّفل ودفع الأجر لها بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وسيتناول هذا المطلب هاتين النُّقطتين من خلال مناقشة طلب المراضع عند تعاسر الزَّوجين، وتبيان وجوب أجر الـمُرضِع على الوالد.

الفرع الأوَّل: طلب المراضع عند تعاسر الزَّوجين:

وجَّه القرآن الكريم الأبَ عند تعاسر الزَّوجين إلى البحث عن مرضع آخرَ لولده، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦]، وقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ معنى الآية هو: إذا وقع خلاف بين الأبوين، وجب على الأب أن يستأجر مرضعةً غير الأمِّ لإرضاع الطِّفل(١). كما اتَّفقوا على أنَّ معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي: اختلفتم وضيَّق بعضكم على بعض(٢)، سواء امتنعت الأمُّ عن الرَّضاع(٣)، أو وقع الخلاف بين الطَّرفين حول الأجر(٤). وتتعدَّد الأسباب الَّتي قد تدفع الأمَّ إلى الامتناع عن الإرضاع، كأن تكون مريضة أو عاجزة، أو أن ترغب في الزَّواج من رجلٍ آخر(٥).

وقال بعضهم: إنَّ في الآية الكريمة عتابًا على المعاسرة، ثمَّ اختلفوا في تحديد الطَّرف المعاسِر المقصود بالآية على قولين:

القول الأوَّل: إنَّ في الآية طرفًا من معاتبة الأمِّ على المعاسرة، كما يقال لمن يُستقضَى حاجة فيتوانى: سيقضيها غيرك؛ أي: لن تبقى الحاجة غير مقضيَّة إذا لم تقضِها، وأنت ملوم(٦). وخُصَّت المرأة بالعتاب لأنَّ المبذول من جهتها هو لبنها لولدها، وهو غير مضنون به في العرف وخصوصًا من الأمِّ على الولد، على خلاف المبذول من جهة الأب؛ فإنَّه المال المضنون به عادة، فالأمُّ إذن أجدر باللوم وأحقُّ بالعتب(٧).

---

(١) انظر: جوهري، الجواهر، ٢٤/ ١٨٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨/ ٣٢٩.

(٢) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٢٦١؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٨/ ١٤٥؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٤/ ١٠١٢.

(٣) انظر: جوهري، الجواهر، ٢٤/ ١٨٨.

(٤) انظر: جوهري، الجواهر، ٢٤/ ١٨٨؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٨/ ١٤٥.

(٥) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٩/ ٢٦١.

(٧) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٢٦١؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٨/ ١٤٧.

القول الثَّاني: إنَّ في الآية عتابًا وموعظةً للأب والأمِّ معًا[١]، وعلى كلٍّ منهما أن يُنزِل نفسه منزلة ما لو وُجِدت مرضِعٌ للطِّفل، فعندها لن تسأل الأمُّ أكثر من أجر مثيلتها، ولن يُنقِص الأب أجر أمِّ الطِّفل عن أجر المُرضِع[٢]، وفي إسناد التَّعاسر إلى الأبوين -وإن كان ذلك من أحدهما غالبًا- إشارةٌ إلى أنَّ التَّعاسر الَّذي وقع محسوب عليهما معًا؛ إذ لو تلطَّف أحدهما ولم يقابل التَّعنُّت بالتَّعنُّت كان من الممكن أن يتمَّ الاتِّفاق[٣].

وفي الكلام إشارةٌ إلى العتاب بذكر التَّعاسر الَّذي هو عكس التَّيسير الَّذي جاءت به الشَّريعة، واستعمال الفعل (تعاسرتم) الَّذي يدلُّ على المفاعلَّة بين طرفين؛ وهما هنا الأب والأمُّ، يرجِّح أنَّ المعاتبة موجَّهة لهما معًا لأنَّهما طرفا التَّعاسر، وبذا يكون القول الثَّاني هو الرَّاجح.

ويتبيَّن ممَّا سبق أنَّ الرَّضاعة حقٌّ ثابت للرَّضيع لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، حيث أوجب الله تعالى على الأب الإنفاق على مرضِع ولده، باعتبار أنَّ الغذاء يصل إلى الرَّضيع من خلالها، فالنَّفقة على المرضِع في حقيقتها نفقةٌ على الطِّفل نفسه. والأصل أن تقوم الأمُّ بإرضاع وليدها، فإن تعذَّر ذلك، جاز الاسترضاع من غيرها، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦].

الفرع الثَّاني: وجوب أجر المُرضِع على الوالد:

أمر القرآن الكريم بإيجاد مرضع للوليد عند الحاجة، وأوجب على الوالد دفع أجر لها مقابل الإرضاع بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقد اختلف المفسِّرون في المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ على قولين:

١- وإن أردتم أن تطلبوا المراضعَ لتُرضِع أولادكم[٤].

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٩/ ٢٦١؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨/ ٣٢٩؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٤/ ١٠١٢.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨/ ٣٢٩.

(٣) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٤/ ١٠١٣.

(٤) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٩؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥، ١٨٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٨.

٢- "وإن أردتم أن تطيلوا مدَّة الرَّضاعة بعد العامين"[١].

ويظهر أنَّ القول الأوَّل هو الرَّاجح لاعتبارين؛ أوَّلهما: من النَّاحية اللغويَّة، فإنَّ قولهم: (استُرضِع الولد) يعني: طُلِب له مرضع[٢]. وثانيهما: أنَّ الآية ذاتها قد حدَّدت المدَّة الكاملة للرَّضاعة بعامين، فقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ممَّا يدلُّ على أنَّ الزِّيادة على هذه المدَّة ليست محلًّا للبحث.

واختلف المفسِّرون في المخاطَب على قولين:

١- الآباء؛ أي: الرِّجال[٣].

٢- الآباء والأمهات، وليس الرِّجال وحدهم[٤].

والرَّاجح هو القول الأوَّل؛ لقوله تعالى: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: إذا أعطيتم الأجرة أو النَّفقة، ونفقة المُرضِع إنَّما تكون على الوالد لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وللمفسِّرين في المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ قولان:

١- جواز الاسترضاع[٥].

٢- جواز إطالة مدَّة الرَّضاعة بعد العامين[٦].

---

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٨.

(٢) انظر: الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ص٧٢٢، مادة (رضع).

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٩.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٩؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٨.

(٥) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٩؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٨.

(٦) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٨، ٢٧٩.

والقول الرَّاجح هو جواز الاسترضاع خلال العامين الأوَّلين من حياة الولد؛ لقوله تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، ولاتفاق المفسِّرين على أنَّ المراد من قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] بيان تمام الرَّضاع(١).

واختلف المفسِّرون في المراد بالتسليم في قوله تعالى: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ لمن يكون؟ على قولين:

١- إلى المُرضِعات، تُدفَع لهن الأجرة على الرَّضاعة(٢)، وتسليم الأجرة للمرضِع الَّتي ستتولَّى إرضاع الولد بعد أمِّه يكون بطيب نفس وسرور حتَّى تطيب نفسها فيُؤمَن من تفريطها(٣).

٢- إلى الوالدات، إذا قمن بإرضاع أولادهن(٤).

والقول الأوَّل هو الرَّاجح بدلالة السِّياق؛ إذ إنَّ جواب الشَّرط في قوله تعالى: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ﴾ محذوف، وقد دلَّ عليه الشَّرط الأوَّل وجوابه(٥)؛ أي: نفي الجناح عن طلب المراضع للأولاد. ويُقوِّي هذا التَّرجيح أيضًا سَبْقُ الحديث عن نفقة الأمِّ المطلَّقة المرضِع، حيث أوجب الله تعالى لها النَّفقة بقوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فدلَّ ذلك على أنَّ التَّسليم المذكور لاحق للحديث عن استرضاع غيرها.

وقُرِئ قوله تعالى: ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ بمدِّ الألف؛ أي: (ما آتيتم)، والتَّقدير: ما أردتم إيتاءه والتزمتم به من الأجرة(٦)، وقُرِئ بقصر الألف؛ أي: (ما أتيتم)، والتَّقدير: ما فعلتم(٧)، كما قُرِئ (ما أُوتيتم)، والتَّقدير: ما آتاكم الله من الخير؛ أي: من الأجرة، وقيل: من الولد(٨).

---

(١) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٤؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٢٩؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٧.

(٢) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٤٠.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥.

(٤) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٩.

(٥) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ٢/ ٤٧٤.

(٦) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٩؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥. وهي قراءة العشرة ما عدا ابن كثير. انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٢٨.

(٧) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٩؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٤٠. وهي قراءة ابن كثير. انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٢٨.

(٨) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٩. ولم أقف على هذه القراءة في كتب القراءات المتواترة أو الشَّاذة الَّتي اطَّلعتُ عليها. انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٢٨؛ ابن جني، المحتسب، ١/ ١٢٥.

وللمفسِّرين في المراد من قوله تعالى: (مَا آتَيْتُمْ) ثلاثة أقوال:

١- أجرة الرَّضاع للمرضعات[١].

٢- نفقة الأمِّ[٢].

٣- ما أوتيتم من الولد[٣].

والرَّاجح هو أجر الـمُرضِع لا نفقة الأمِّ لما بُيِّنَ من تفسير قوله: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾، ولا يؤيِّد السِّياق القول الثَّالث، إضافة إلى أنَّه يعتمِد على قراءة لم يثبت تواترها كما مرَّ.

وللمفسِّرين في المراد من قوله تعالى: (بِالْمَعْرُوفِ) ثلاثة أقوال:

١- بالقول الجميل مطيِّبين لأنفس المراضع، فيصير ذلك سببًا لصلاح حال الولد وحُسْنِ نشأته[٤].

٢- "بالوجه المتعارَف المستحسَن شرعًا وعادةً"[٥].

٣- دون حيف ولا مَطْلٍ[٦].

ويبدو أنَّ الأقوال يكمل بعضها بعضًا، وهي أقرب إلى اختلاف التَّنوُّع والتَّمثيل، وفيها جميعًا مصلحة الـمُرضِع والولد والوالد؛ لأنَّ الـمُرضِع إذا عُومِلت المعاملة الحسنة كان ذلك سببًا في استصلاح شؤون الولد، وبالتَّالي شؤون أبيه.

والسُّؤال الَّذي يمكن طرحه هنا هو: **هل يمتاز لبن الـمُرضِع بخصائص تجعله مفضَّلًا على غيره من الألبان الحيوانيَّة أو الصِّناعيَّة؟**

تشير الدِّراسات العلميَّة الحديثة إلى أنَّ تركيبة لبن الأمِّ تتغيَّر باستمرار خلال مراحل الرَّضاعة لتواكب

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٩؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٤٠.

(٢) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٩.

(٣) ذكره صاحب المنار ولم يرجِّحه. انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٩.

(٤) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥.

(٥) رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٩؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٤٠؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٩.

احتياجات الرَّضيع النَّمائيَّة والغذائيَّة، ممَّا يجعله الغذاء الأمثل[١]، ولا سيما للرُّضَّع الخُدُج (المولودين قبل أوانهم). وإذا تعذَّر على الأمِّ توفير الكميَّة المناسبة من اللبن، فإنَّ التَّوصيات الصَّادرة عن قسم الرَّضاعة الطَّبيعيَّة في الأكاديميَّة الأمريكية لطبِّ الأطفال (American Academy of Pediatrics) تشدِّد على ضرورة إعطاء الأطفال لبنًا بشريًّا من متبرعات، بدلاً من استخدام اللبن الصِّناعيِّ البديل[٢]. ويُعَدُّ لبن المتبرِّعات موردًا بالغ القيمة، خاصة لهؤلاء الرُّضَّع الَّذين لا تستطيع أمَّهاتهم توفير كفايتهم الغذائيَّة[٣].

ويمتاز اللبن البشريُّ بسهولة هضمه مقارنةً باللبن الصِّناعيِّ، كما أنَّه يحمي بطانة الأمعاء غير النَّاضجة من التَّعرض لبروتينات لبن البقر الموجودة في لبن الأطفال المُبَسْتَر، وهو ما يقلل من خطر الإصابة بالعدوى المعويَّة، الَّتي يكون الرُّضَّع الخُدُج أكثر عرضة لها. ويتميَّز اللبأ (colostrum)، الَّذي يُنتَج في الأيام الأولى بعد الولادة، بتركيزٍ عالٍ من الأجسام المضادَّة الَّتي تعزِّز مناعة الطِّفل وتساعده على مقاومة العدوى[٤]. وهكذا، فإنَّ نتائج العلم التَّجريبيِّ تتضافر لتكشف بعضًا من أوجه الحكمة في جَعْلِ القرآن الكريم لبن المرضع هو الخيار الأمثل والبديل الأَوْلى عند تعذُّر رضاعة الطِّفل من أمِّه.

---

(١) انظر: Anatolitou، Human milk: difference in nitrogen concentration in milk from mothers of term and premature infants، ص٦٧؛ Fanos، Metabolomics, milk-oriented microbiota (MOM) and multipotent stem cells، رقم ٤٤؛ Sundekilde وزملاؤه، The effect of gestational and lactational age on the human milk metabolome، ص٣٠٤.

(٢) انظر: American Academy of Pediatrics، Breastfeeding and the use of human milk، ص٨٢٧.

(٣) انظر: Underwood، Human milk for the premature infant، ص١٨٩.

(٤) انظر: Meek، New mother's guide to breastfeeding، ص ٢٢-٣٣.

المبحث الثَّاني: مدَّة الرَّضاع:

يُعَدُّ تحديد مدَّة الرَّضاعة من المسائل الَّتي حظيت بعناية بالغة في النُّصوص الشَّرعيَّة، لما لها من أثر بالغ على صحَّة الطِّفل ونموُّه. وقد بيَّن القرآن الكريم الحدَّ الأعلى لتمام الرَّضاعة، وأجاز في الوقت ذاته تقصير تلك المدَّة عند الحاجة أو باتِّفاق الوالدين، بما يراعي مصلحة الطِّفل ويرفع الحرج عن الأبوين. كما ربط بين مدَّتَي الحمل والرَّضاع، في إشارة قرآنيَّة بليغة تستوقف النَّاظر في دقَّة التَّشريع الإلهيّ وحكمته. وسيتناول هذا المبحث مدَّة الرَّضاع من خلال مطلبين؛ يبيّن الأوَّل منهما مدَّة تمام الرَّضاع، ويوضِّح الثَّاني العلاقة بين مدَّة الحمل ومدَّة الرَّضاعة.

المطلب الأوَّل: مدَّة تمام الرَّضاع:

وضع القرآن الكريم إطارًا زمنيًّا واضحًا لتمام الرَّضاعة، وهو عامان كاملان. كما بيَّن جواز الفطام المبكِّر باتفاق الأبوين وتشاورهم، ممَّا يعكس مرونة التَّشريع. وسيتناول هذا المطلب هاتين النُّقطتين من خلال بيان مدّة تمام الرَّضاع، ومناقشة مسألة الفصال قبل الحولين.

الفرع الأوَّل: مدَّة تمام الرَّضاع حولان كاملان:

حدَّد القرآن الكريم مدَّة تمام الرَّضاعة بحولين كاملين بقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

واختلف المفسِّرون في المراد من قوله تعالى: (أولادهنَّ)، على قولين:

١- العموم؛ فالحولان غاية لإرضاع كلِّ الأوَّلاد؛ أي: المولود لستَّة أشهر أو لسبعة أو لتسعة[١].

٢- المولود الَّذي مكث في بطن أمه ستَّة أشهر[٢]، فإن مكث سبعةً فرَضاعه ثلاثة وعشرون، أو ثمانية فاثنان وعشرون، أو تسعة فواحد وعشرون، وهذا ما قاله ابن عبَّاس[٣] رضي الله عنهما معتمدًا على

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٤٤٤. وهذا القول هو قول جمهور قدامى المفسِّرين. انظر: الطبري، جامع البيان، ٥/ ٣٩؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٢/ ٢٢٢؛ وغيرهم.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦.

(٣) هو عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطَّلب القرشيُّ الهاشميُّ، أبو العبَّاس، الصَّحابيُّ الجليل وابن عمِّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وحبر الأمَّة. نشأ في بدء عصر النُّبوَّة، فلازم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وروى عنه الأحاديث، وتُوُفِّيَ سنة ثمان وستين للهجرة. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ١٢١؛ الزركلي، الأعلام، ٤/ ٩٥.

قول الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ حيث رأى أنَّ ذلك حكم على الإنسان عمومًا(١).

وهم مع خلافهم هذا، اتَّفقوا على أنَّ مدَّة الحولين مرجع عند اختلاف الأبوين، فلو اختلفا في مدَّة الرَّضاعة فالقول لمن يريد الإتمام إلى العامين(٢)، فلا يحقُّ للأمِّ إيقاف الرَّضاعة ولا يحقُّ للأب التَّوقُّف عن تقديم النَّفقة للأمِّ المُرضِع قبل تمام السَّنتين إلَّا إذا اتَّفقا على ذلك، وبشرط ألَّا يضرَّ ذلك بالولد(٣)، وفي ذلك أيضًا تغليب لمصلحة الطِّفل في الحصول على الغذاء المناسب لاحتياجاته.

وفي قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾(٤) [البقرة: ٢٣٣]، وقوله: و﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، بيان لوقت تمام حدِّ الرَّضاع(٥)، وفي المستفاد منه وجوه:

الوجه الأوَّل: للرَّضاع حكم خاصٌّ في الشَّريعة؛ لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضاع مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»، والمقصود من تحديد المدَّة بيان أنَّ الرَّضاع ما لم يقع في هذا الوقت لا يفيد هذا الحكم(٦).

الوجه الثَّاني: قطع التَّنازع بين الوالدين إذا اختلفا في مدَّة الرَّضاع(٧).

---

(١) انظر: جوهري، الجواهر، ٢١/ ١٢٣.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ٥/ ٧٠؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٦/ ٤٦٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ١/ ١٤٥؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٢/ ٢٢٧؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١/ ٢٣١؛ الألوسي، روح المعاني، ١/ ٥٤١؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٨؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٨.

(٣) انظر: جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٣.

(٤) سبق التَّفصيل في تفسير قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، والفائدة من وصف الحولين بأنَّهما كاملان عند الحديث عن أدنى مدَّة الحمل في الفصل الخامس.

(٥) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٤؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٢٩؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٧.

(٦) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥. والحديث رواه الشَّيخان، صحيح البخاري، كتاب الشَّهادات، باب الشَّهادة على الأنساب والرَّضاع المستفيض والموت القديم، ٣/ ١٧٠، رقم ٢٦٤٥، واللفظ له؛ صحيح مسلم، كتاب الرَّضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرَّضاعة، ٢/١٠٧١، رقم ١٤٤٧.

(٧) انظر: جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٣؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣١.

الوجه الثَّالث: العناية بشؤون الطِّفل؛ فإنَّ اللبن هو الغذاء المناسب له في هذه السن[١]، بالإضافة إلى حاجته إلى شفقةٍ وعناية تامَّة في هذه المدَّة لا تتوافران عند غير الأمِّ[٢].

وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعةَ﴾، بيان لمن يتوجَّه إليهم هذا الحكم؛ أي: ذلك لمن أراد إتمام الرَّضاعة من الوالدين[٣]، وفيه دليل على أنَّ الإرضاع لتمام الحولين ليس بواجب، وإنَّما ذلك لمن أراد الإتمام، وأمَّا من لم يُرِد ذلك فله أن يفطم ولده قبل بلوغ الحولين، بشـــرط ألَّا يترتَّب على ذلك ضـــررٌ بالولد[٤]، فأقصى مدَّة الإرضاع حولان، ويجوز أن تنقص المدَّة[٥] إذا رأى الوالدان أنَّ في ذلك مصلحة، والأمر موكول إلى اجتهادهما مع مراعاة مصلحة الطِّفل وصحَّته، فَمِنَ الأوَّلاد من يستغني عن اللبن بالطَّعام اللطيف قبل تمام الحولين[٦]. وقد جعل الله الحولين حدًّا عند اختلاف الوالدين في تلك المدَّة، فمن دعا منهما إلى إكمال الحولين فله ذلك، ولا يجب على الزَّوج دفع أجرة الرَّضاع لأكثر من حولين، ويجوز الفطام قبل تمامهما، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وهنا يبرز تساؤل مهم: **هل حدَّدت الجهات الصِّحيَّة الوِصائيَّة ونتائج الدِّراسات العلميَّة، المدَّةَ المثاليَّةَ لتمام الرَّضاعة؟**

يدرك كلُّ من يعمل عن قرب مع الرُّضَّع الجدد ما تنطوي عليه تغذيتهم من تعقيدات متعدِّدة؛ إذ إنَّ الرَّضـــاعة ليســـت مجرَّد عمليَّة فســـيولوجيَّة، بل تتداخل فيها عوامل اجتماعيَّة وعاطفيَّة متنوِّعة. ولتحقيق الأهداف الَّتي وضعتها مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها، وكذلك منظَّمة الصِّحَّة العالميَّة، بشأن مدّة الرَّضاعة الطَّبيعيَّة، ينبغي على الممرِّضات والعاملين الصِّحيِّين فَهمُ المتغيِّرات المؤثِّرة في مدَّتها، واستخدام هذا الفهم في توجيه الرِّعاية الـمُقدَّمة للنِّساء وأُسَرِهِنَّ[٧]. كما أوصت منظَّمة الصِّحَّة العالميَّة بحصر تغذية الرَّضيع خلال الأشهر السِّتَّة الأولى بعد الولادة على الرَّضاعة الطَّبيعيَّة فقط، مع الاستمرار بها حتى نهاية العام الثَّاني

---

(١) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣١؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٦؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣١.

(٤) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤.

(٥) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٤؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣١.

(٦) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٥؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٥، ١٨٦.

(٧) انظر: Thulier & Mercer، Variables associated with breastfeeding duration، ص٢٥٩.

من العمر أو أكثر[١]. وقد اعتُبِرت الرَّضاعة الطَّبيعيَّة الحصريَّة من أبرز الوسائل الفعَّالة في تقليل معدلات وَفَيَات الأطفال[٢]. كما أصدرت الأكاديميَّة الأمريكيَّة لطبِّ الأطفال (American Academy of Pediatrics) بيانًا بسياسةٍ واضحةٍ بشأن الرَّضاعة الطَّبيعيَّة واستخدام اللبن البشريّ، أوصت فيه بالاستمرار في الرَّضاعة الطَّبيعيَّة خلال العام الأوَّل على الأقل، مع إمكانية استمرارها بعد ذلك ما رغبت الأمُّ والطِّفل في ذلك[٣].

وتحظى مدَّة الرَّضاعة الطَّبيعيَّة بأهميَّة بالغة، أثبتتها وأكَّدت عليها العديد من الدِّراسات العلميَّة، فقد أشارت الأبحاث إلى أنَّ الامتداد الكافي للرَّضاعة الطَّبيعيَّة يترك أثرًا إيجابيًّا واضحًا على التَّطوُّر المعرفيّ للطِّفل[٤]، كما يُسهِم في تحسين الأداء العقليّ، والتَّربويّ، والحركيّ النَّفسيّ، والعصبيّ النَّفسيّ[٥]، وتُظهر النَّتائج أيضًا تأثير الرَّضاعة على الأداء السُّلوكيّ[٦]، بالإضافة إلى دورها في دعم التَّطوُّر الطَّبيعيّ للأقواس السِّنيَّة والعلاقات الإطباقيَّة خلال مرحلة الإطباق المؤقت[٧]. كما تُعَدُّ الرَّضاعة الطَّبيعيَّة وسيلةً وقائيَّةً ضد العديد من الأمراض لدى الأطفال، كمرض الرَّبو[٨]، وتُسهِم في تقليل معدَّلات وَفَيَات وأمراض حديثي الولادة[٩]. أمَّا على صعيد صحَّة الأمَّهات، فقد ثبت أنَّ للرَّضاعة الطَّبيعيَّة أثرًا وقائيًّا في تقليل خطر الإصابة بسرطان الثَّدي وسرطان المَبِيْضِ[١٠].

الفرع الثَّاني: الفصال قبل الحولين:

أباح القرآن الكريم للوالدين الاتفاقَ على فطام الطِّفل قبل تمام العامين بشروط، بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ

---

(١) انظر: WHO، Global strategy for infant and young child feeding، ص١٥.

(٢) انظر: Claeson وزملاؤه، Knowledge into action for child survival، ص٣٢٣.

(٣) انظر: Gartner وزملاؤه، Breastfeeding and the use of human milk، ص٤٩٦.

(٤) انظر: Horta & Victora، Long-term effects of breastfeeding، ص٦١.

(٥) انظر: Julvez وزملاؤه، Thyroxine levels during pregnancy in healthy women and early child neurodevelopment، ص١٥٠.

(٦) انظر: Horta & Victora، Long-term effects of breastfeeding، ص٦١.

(٧) انظر: AL-Duliamy، The impact of breastfeeding duration on the development of normal occlusal features of the primary dentition، ص١.

(٨) انظر: Lodge وزملاؤه، Breastfeeding and asthma and allergies، ص٣٨.

(٩) انظر: Chowdhury وزملاؤه، Breastfeeding and maternal health outcomes، ص٩٦.

(١٠) انظر: Khan وزملاؤه، Timing of breastfeeding initiation and exclusivity of breastfeeding during the first month of life، ص٤٦٨.

أَرَادَا فِصَـالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَـاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وفيما يأتي عرض لما جاء في تفسير هذه الآية.

اتَّفق المفسِّرون على أنَّ الضَّمير في قوله تعالى: (أرادا) عائد على الوالدين[١].

واختلفوا في المراد بقوله تعالى: (فصالًا) على قولين:

١- المقصود هو الفطام؛ لأنَّ المولود ينفصل عن التَّغذية بلبن أمِّه إلى غيره من الأقوات[٢].

٢- المراد هو فصـل المولود عن الأمِّ، بعد التَّشـاور والتَّراضـي في ذلك، ودون أن يلحق بالولد أيُّ ضرر، وذلك بأن ترضى الأمُّ بضمِّه إلى أبيه شريطة أن يستأجر له مرضِعًا ترضعه، ويرضى هو بذلك فلا يُضارُّ أيٌّ منهما[٣].

والرَّاجح هو أنَّ المراد بـ(فصالًا) هو الفِطام عن لبن الأمِّ، لا فصلُه عنها، وذلك بقرينة السِّياق؛ إذ إنَّ ما قبل الآية يتحدَّث عن تحديد مدَّة الرَّضاعة بحولين كاملين، مع بيان أنَّ الحقَّ في الرَّضاعة للأمِّ، ولها النَّفقة من الأب مقابل إرضاعها. ثمَّ بيَّن السِّياقُ أنَّ هذا الحقَّ مقترن بعدم الإضرار بها أو بالأب، فإذا وَجَدَ الأبوان ضررًا في إتمام مدَّة الرَّضاع، جاز لهما التَّعجيل بالفِصال بالتشاور والتَّراضي. ومن صور الضَّرر: أن تطلب الأمُّ نفقة أكثر من المعتاد فيُضارَّ الأب، أو أن ترغب الأمُّ في الزَّواج والإنجاب مجدَّدًا، والإرضاع يمنعها من ذلك فتُضارَّ هي بولدها، ومن ثمَّ، فقد شرع الله لهما الفِصال دفعًا للضَّرر، وبيَّن بعده جواز استئجار مُرضعة للولد إنْ أراد الأب ذلك.

والمراد بـ (تشاور) في قوله تعالى: ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: استخراج واستجماع الرَّأي في عملٍ يريد أن يعملَه من يشاور[٤]، ويرى المفسِّرون أنَّ التَّراضيَ والتَّشاورَ يكونان بين والدي المولود[٥]، أمَّا الأب

---

(١) انظر: القاسمي، محاسـن التأويل، ٢/ ١٥٥؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ المراغي، تفسـير المراغي، ٢/ ١٨٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣٧؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٨.

(٢) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥؛ رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٨؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣٨؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٨.

(٣) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٨.

(٤) انظر: جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣٨.

(٥) انظر: القاسمي، محاسـن التأويل، ٢/ ١٥٥؛ جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢؛ المراغي، تفسـير المراغي، ٢/ ١٨٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣٨؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٨.

فلأنَّه الوليُّ، وأمَّا الأمُّ فلأنَّها أحقُّ بتربية ولدها وأعلم بحاله[١]، وقد اعتُبِر تراضيهما مراعاة لمصلحة الطِّفل، وحذرًا من إقدام أحدهما على ما يضرُّ به؛ إذ يبعد اتِّفاقهما على ما يكون فيه إضرار بالولد[٢].

والجُنَاح هو الحَرَجُ[٣]، وأفاد قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أنَّ الفِصَال مباحٌ، وأنَّ حقَّ الإرضاع لحولين قد رُوعي فيه حقُّ الأبوين وحقُّ الولد[٤]، واختلف المفسِّرون في الوقت الَّذي أسقط الله الجُنَاحَ عنهما إن فَطَمَا ولدهما عن تراضٍ منهما وتشاوُرٍ على قولين:

١- قبل تمام الحولين[٥]؛ لأنَّ تمام الحولين غاية لتمام الرَّضاع وانقضائه، ويكون التَّشاور والتَّراضي قبل انقضائه وليس بعده[٦].

٢- في أي وقت أرادا ذلك، قبل الحولين أو بعد ذلك[٧]، وهذه توسعة بعد التَّحديد[٨]، فقد يكون الولد ضعيفًا فيحتاج إلى الرَّضاع ويضرُّ به الفطام عند تمام الحولين كما يضرُّه ذلك قبل تمامهما[٩].

والقول الأوَّل هو الرَّاجح؛ إذ إنَّ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ معطوف على قوله: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، وبالتَّالي فقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ تفصيل للقول المعطوف عليه، فهو متفرّع عنه، وبيان لحكم إرادة عدم الإتمام.

---

(١) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٨.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٨؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣٨. ورأى الإمام الرَّازيُّ رحمه الله أنَّ التَّشاور يكون مع أرباب التَّجربة؛ وذلك لأنَّ الأمَّ قد تملُّ من الرَّضاع فتسعى إلى الفطام، كما أنَّ الأب قد يضيق بنفقة الإرضاع فيرغب في التَّعجيل بالفطام دفعًا لذلك، ولذا اعتُبِرت المشاورة مع غيرهما. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٦/ ٤٦٤. والتَّشاور المقصود في الآية يكون بين الأبوين نفسيهما، وذلك لأنَّه معطوف على التَّراضي، وإنَّما يكون التَّراضي بين الطَّرفين المعنيَّين بالأمر، وهما الأبوان، فكذا التَّشاور يكون بينهما. والآية صريحة في أنَّ التَّراضي والتَّشاور منسوبان إليهما، ولا مانع من الاستئناس برأي أهل الخبرة، غير أنَّ الآية لم تُلزم بذلك، بل اكتفتْ بإثبات المشاورة بين الوالدين.

(٣) انظر: جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣٨.

(٥) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٢/ ١٥٥؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢/ ٤٣٨؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٨.

(٦) انظر: الطبري، جامع البيان، ٥/ ٧٠.

(٧) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٨؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢/ ١٨٨.

(٨) انظر: جوهري، الجواهر، ١/ ٢١٢.

(٩) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٦/ ٤٦٤.

المطلب الثَّاني: العلاقة بين مدَّة الحمل ومدَّة الرَّضاعة:

أشار القرآن الكريم إشارة مذهلة إلى ضرورة الرَّبط بين مدَّة الحمل ومدَّة الإرضاع؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وستتمُّ تجلية أهميَّة هذا الرَّبط من خلال جمع هذه الآية الكريمة مع الآيات الأخرى الَّتي تتحدَّث عن الرَّضاعة؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

لقد ذهب أكثر المفسِّرين في العصر الحديث إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ يدلُّ على أنَّ مجموع مدَّة حمل الأمِّ لجنينها في بطنها ومدَّة إرضاعه اللبن ثلاثون شهرًا[١]، وإلى أنَّ في هذا إشارة إلى أنَّ كمال أحدهما يكون على حساب نقص في الآخر؛ فإن ولدت الأمُّ لتسعة أشهر كما هو الغالب أرضعت لعامين إلا ربعًا؛ وذلك أدنى مدَّة الرَّضاع[٢]، وإنْ ولدت لستَّة أشهر أرضعت لعامين؛ وذلك أقصى مدَّة الرَّضاع لمن أراد أن يتمَّ الرَّضاعة، ففي جمع مدَّة الحمل إلى الفصال في ثلاثين شهرًا بيان لمدد الرَّضاع باختلاف مدد الحمل[٣]. وأوَّل من تنبَّه لأهميَّة هذا الرَّبط بين العمر الحمليِّ ومدَّة الإرضاع هو الصحابيُّ الجليل ابن عبَّاس رضي الله عنهما، فقد رُوِي عنه أنَّه قال: «إِذَا حَمَلَتْهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، أَرْضَعَتْهُ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ شَهْرًا، وَإِنْ حَمَلَتْهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، أَرْضَعَتْهُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَهْرًا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٤]، وقال ابن حزم: "فمن ادَّعى أنَّ حملًا وفصالًا يكون في أكثر من ثلاثين شهرًا فقد قال الباطل والمحال، وردَّ كلام الله عزَّ وجلَّ جهارًا"[٥].

وبالمقابل، يُلاحَظ أنَّ جمهور قدامى المفسِّرين وبعض المفسِّرين في العصر الحديث قالوا: إنَّ قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، وقوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ يعطيان حكمًا عامًّا وهو حدُّ تمام الرَّضاعة وأكثرها لكل مولود مهما كانت مدَّة حمله[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ يفيد بتحديد أقلِّ مدَّة

---

(١) انظر: جوهري، الجواهر، ٢١/ ١٢٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٦/ ١٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٣٠؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٣/ ٢٧٧.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٢٦؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٣٠.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦/ ٣٠.

(٤) أخرجه الحاكم وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبيُّ في التلخيص: صحيح. الحاكم، المستدرك، كتاب التَّفسير، باب من سورة البقرة، ٢/ ٣٠٨، رقم ٣١٠٨.

(٥) انظر: ابن حزم، المحلى، ١٠/ ١٣٢.

(٦) هذا القول هو قول جمهور المفسِّرين. انظر: الطبري، جامع البيان، ٥/ ٣٩؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٢/ ٢٢٢.

الحمل[١]، وإن مجموع مدَّة تمام الحمل ومدَّة تمام الرَّضاع ثلاث وثلاثون شهرًا، وفي الآية اكتفاء بذكر العقود وحذف الكسور، جريًا على عادة العرب في الخطاب[٢].

والخلاف لفظيٌّ لا تنبني عليه أحكام عمليَّة كما يبدو؛ إذ يرى الجميع ارتباط الحقوق والتَّحريم وأحكام النَّسب بالأجلين ذاتيهما؛ فلو اختلف الوالدان في مدَّة الرَّضاعة فالقول لمن يريد الإتمام إلى العامين[٣]، ولو كان بعد الحولين لم تثبت به أحكام التَّحريم بالرَّضاع، ويرتبط حكم ثبوت النَّسب بأقلِّ مدَّة الحمل؛ فلو كان دون السِّتَّة أشهر لم يثبت النَّسب، ولو كان أكثرَ ثَبَتَ وبرأت الأمُّ من الزِّنا[٤].

وهنا تجدر الإشارة إلى توجيه لطيف في آية الأحقاف، ففيها تحديد لأدنى مدَّة كمال الرَّضاع، فمن كان حمله تسعة أشهر كان أدنى الكمال لرضاعته واحدًا وعشرين شهرًا وتمام رضاعته أربعةً وعشرين شهرًا، وأمَّا من كان حمله ستَّة أشهر كان أدنى الكمال لرضاعته أربعة وعشرين شهرًا وهو ذاته تمام مدَّة رضاعته، وفي هذا تنبيه إلى أنَّ رعاية خاصَّة يجب أن تُولى للخُدُج، فيكون خيار الوالدين بالفصال أكثر تقييدًا عند هذه الفئة الخاصَّة من المواليد الَّذين هم بحاجة لمزيد من التَّغذية والرِّعاية والاهتمام، وبالتَّالي لإتمام مدَّة الرَّضاع.

ولكن: **هل يوجِّه العلم التَّجريبيُّ بمعاملة خاصة للخُدُج فيما يتعلَّق بمدَّة الرَّضاع؟**

تؤكِّد نتائج البحوث والدِّراسات ضرورة إيلاء اهتمامٍ خاصٍّ بالأطفال الخُدُج، ويظهر هذا الاهتمام جليًّا في تصنيفات طب الأطفال للأعمار المستعمَلة في توصيف نموِّ الخُدُج المولودين قبل الأوان، فبدلًا من الاعتماد على العمر الزمنيّ (chronological age) الَّذي يشير إلى الوقت المنقضي منذ الولادة، يولي طبُّ الأطفال اهتمامًا أكبر بما يُسمَّى بالعمر المصحَّح (corrected age) الَّذي يساوي العمر الزمنيَّ للمولود منقوصًا منه عدد الأسابيع الَّتي وُلِد الطِّفل قبل أن يُتِمَّها في رحم أمِّه؛ أي: الأسابيع الَّتي تكمل ما يُسمَّى بالعمر الحمليّ (gestational age)، والَّذي يعبِّر بدوره عن الوقت المنقضي بين اليوم الأوَّل من

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٣٠٦؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٨/ ١٥؛ المراغي، تفسير المراغي، ٢٦/ ١٨.

(٢) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٨/ ٤٤٤.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان، ٥/ ٧٠؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ٦/ ٤٦٤؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ١/ ١٤٥؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٢/ ٢٢٧؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١/ ٢٣١؛ الألوسي، روح المعاني، ١/ ٥٤١؛ جوهري، الجواهر، ٢١/ ١٢٣؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٨؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٢٧٨.

(٤) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/ ١١٤؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٨/ ٨٢؛ الألوسي، روح المعاني، ١٣/ ١٧٥؛ جوهري، الجواهر، ٢١/ ١٢٣.

آخر حيض ويوم الولادة، ويساوي في الحالات المثاليَّة أربعين أسبوعًا[١]. ويبدو بهذا أنَّ طبَّ الأطفال يأخذ بعين الاعتبار الفروق النَّمائيَّة النَّاتجة عن الولادة قبل الأوان، فيربط عند التَّعامل مع الولادات المبكِّرة عمر الطِّفل الزَّمنيّ بعمره الحمليّ، ولا يُعامَل هؤلاء المواليد كغيرهم ممَّن اكتملت مدَّة حملهم، فللخُدُج أنماط نموٍّ مختلفةٌ عن المواليد النَّاضجين. ويُعَدُّ التَّخطيط لنموِّ الخُدُج باستعمال العمر المصحَّح عنصرًا أساسيًّا في الرِّعاية حتَّى يبلغوا (٣٦) شهرًا، وعند تقويم نموِّ الأطفال الخُدُج وتحديد ما يُعَدُّ طبيعيًّا بالنِّسبة لأعمارهم، يجب تعديل عمر الطِّفل من خلال طرح الفترة الزَّمنيَّة الَّتي وُلِد فيها قبل أوانه من عمره الزَّمنيّ بعد الولادة، ويُستعمَل هذا العمر المصحَّح لتحديد النَّماء الطَّبيعيّ لهؤلاء الأطفال.

ويُلاحظ من توصيات الجمعيَّتين الأمريكيَّة والكنديَّة لطبِّ الأطفال أنَّ العمر المصحَّح هو العمر المُعتمَد عند تقييم نموِّ المواليد الخُدُج، فعلى سبيل المثال: إذا وُلِد طفل في نهاية الأسبوع الثَّلاثين من الحمل، يُحسَب عمره المصحَّح بطرح عشرة أسابيع من عمره الزَّمنيّ، وبالتَّالي تتمُّ مقارنة قياساته مع المخطَّطات الطَّبيعيَّة للأطفال بالعمر المصحَّح، ويشير هذا إلى أنَّ المعيار الأساسيَّ في تقويم نموِّ هؤلاء المواليد ليس أعمارهم الزَّمنيَّة بل العمر النَّاتج عن مجموع ما قَضَوه في الرَّحم (العمرِ الحمليّ) وما قَضَوه بعد الولادة (العمرِ الزَّمنيّ)، أي: العمر المصحَّح[٢]. وبتعبير آخر، فإنَّ ما يعتمد عليه الطِّب الحديث عند الحديث عن النُّموِّ هو مجموع العمر الحمليّ والعمر الزَّمنيّ، وهو ما يُشير إليه قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، حيث جُمِع في الآية بين هذين العمرين.

ويختلف تركيب لبن الأمِّ وفقًا لاحتياجات المولود اعتمادًا على العمر الحمليّ[٣]، وتُعَدُّ التَّغذية بلبن الأمِّ استمرارًا للغذاء الَّذي كان يحصل عليه الطفل من السَّائل الأمنيوسيّ، حيث يحتوي هذا السَّائل على الأحماض الأمينيَّة والبروتينات والفيتامينات والمعادن والهرمونات وعوامل النُّموِّ. ومع أنَّ تركيز هذه العناصر الغذائيَّة أقلُّ بكثير من الموجود في لبن الإنسان، فإنَّ الكميَّات الكبيرة من السَّائل الأمنيوسيّ الَّتي تبتلعها الجنين في الرَّحم لها تأثير كبير على نموِّ ونُضْجِ كلٍّ من الجنين والأمعاء الجنينيَّة[٤]، حيث تشير الدِّراسات التَّجريبيّة على الحيوانات، والدِّراسات الرَّقابيَّة على البشر، إلى أنَّ السَّائل الأمنيوسيَّ الَّذي يُبتلَع يُسهِم في

---

(١) انظر: American Academy of Pediatrics، Age terminology during the perinatal period، ص١٣٦٢.

(٢) انظر: Canadian Paediatric Society، A health professional's guide for using the new WHO growth charts، ص٨٤.

(٣) انظر: Fanos وزملاؤه، Miracles and mysteries of breast milk ، رقم ٢.

(٤) انظر: Underwood وزملاؤه، Amniotic fluid: not just fetal urine anymore، ص٣٤١.

حوالي (١٥٪) من نموِّ الجنين[١]. ويكون لبن الأمِّ مصمَّمًا لتلبية الاحتياجات الغذائيَّة الخاصَّة بطفلها، وبما أنَّ الأطفال الخُدُج لديهم احتياجات مختلفة بالمقارنة مع المواليد النَّاضجين، فإنَّ لبن أمَّهات الخُدُج يختلف في تركيبه عن لبن الأمَّهات اللواتي يلدن في الوقت الطَّبيعيِّ[٢]. وقد تمَّ تأكيد حدوث نموٍّ أسرع في الرُّضَّع الخُدُج الَّذين يتغذَّون على اللبن من الأمَّهات اللواتي يلدن قبل الأوان مقارنة بالرُّضَّع الخُدُج الَّذين يتغذَّون على لبن الأمَّهات اللواتي يلدن في الوقت الطَّبيعيِّ[٣]، ويحتوي اللبن البشريُّ لأمَّهات الخُدُج على نسبة أعلى من النِّيتروجين[٤] والبروتين[٥] والدُّهون[٦] بالمقارنة مع لبن الأمَّهات اللواتي يلدن في الوقت الطَّبيعيِّ، كما يحتوي هذا اللبن على نسب عالية من المعادن. وتتألَّف الدهون الموجودة في لبن أمَّهات الخُدُج من أنواع مختلفة يسهل هضمها وامتصاصها مقارنة بالدُّهون الموجودة في لبن أمَّهات الأطفال النَّاضجين، وتساعد هذه الدُّهون في تعزيز نموِّ دماغ الطِّفل وأنسجته العصبيَّة، وهو أمر مهمٌّ لهؤلاء الأطفال[٧]. كما يبدو أيضًا أنَّ الخلايا الجذعيَّة تختلف في لبن الولادات المبكِّرة مقارنة باللبن النَّاضج[٨]، ممَّا يؤكِّد الأهميَّة الفائقة للرَّضاعة لهذه الفئة الخاصَّة من المواليد، ويكشف عن بعض وجوه الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾.

---

(١) انظر: Cellini وزملاؤه، Effect of esophageal ligation on small intestinal development in normal and growth-retarded fetal rabbits، ص٢٩١؛ Burjonrappa وزملاؤه، The role of amniotic fluid in influencing neonatal birth weight، ص٢٧.

(٢) انظر: O'Brien وزملاؤه، Relationships among plasma zinc, plasma prolactin, milk transfer, and milk zinc in lactating women، ص١٧٩؛ De Figueiredo وزملاؤه، Zinc and copper concentrations in human preterm milk، ص١؛ Harding، Advances in nutrition of the newborn infant، ص١٦٦٠.

(٣) انظر: Gross، Growth and metabolic response of preterm infants fed preterm and mature milk، ص٥٣٣.

(٤) انظر: Atkinson وزملاؤه، Human milk: difference in nitrogen concentration in milk from mothers of term and premature infants، ص٦٧.

(٥) انظر: Gross وزملاؤه، Nutritional composition of milk produced by mothers delivering preterm، ص٦٤١.

(٦) انظر: Guerrini وزملاؤه، Human milk: relationship of fat content with gestational age، ص١٨٧.

(٧) انظر: Meek، New mother's guide to breastfeeding، ص ٢٢-٣٣.

(٨) انظر: Fanos وزملاؤه، Miracles and mysteries of breast milk، رقم ٢.

المبحث الثَّالث: التَّحريم بالرَّضاع:

تحرِّم الشَّريعة الإسلاميَّة بالرَّضاع ما تحرِّمه بالنَّسب، فتمنع نكاح[١] المحرَّمات بالرَّضاع اللواتي أشار إليهنَّ القرآن الكريم، ونصَّ على تحريم نكاحهن صراحة، ثمَّ جاءت السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة لتبيِّن وتفسِّر وتقيِّد وتخصِّص، فوضعت الضَّوابط الدَّقيقة لهذا التَّحريم، وبيَّنت من يَحرُم بالرَّضاع، كما بيَّنت علَّة التَّحريم وشروطه، وقد بُنِيت على هذه الضَّوابط أحكام فقهيَّة عديدة تنظِّم حياة المسلمين والعلاقات بينهم. ويستعرض هذا المبحث قضيَّة التَّحريم بالرَّضاع من خلال أربعة مطالب؛ يتناول أوَّلها تحريم الأمَّهات والأخوات من الرَّضاع، ويبيِّن الثَّاني من يَحرُم بالرَّضاع، ويناقش الثَّالث علَّة التَّحريم، ويعرض الرَّابع شروط التَّحريم.

المطلب الأوَّل: تحريم الأمَّهات والأخوات من الرَّضاعة:

أشار القرآن الكريم في مواضع عدَّة منه إلى آثار الرَّضاعة وإلى الأحكام الشَّرعيَّة الَّتي تُبنى عليها، ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣].

ويُحمَل تعلُّق التَّحريم بأسماء الذَّوات على تحريم ما يُقصَد من تلك الذَّوات غالبًا[٢]، فليس المراد تحريم ذواتهنَّ بل تحريم نكاحهنَّ[٣]؛ والمعنى: حُرِّم عليكم نكاح أمَّهاتكم، فتُرِك ذكر النِّكاح اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، ولأنَّه معظم ما يُقصَد منهنَّ، ولأنَّه أيضًا المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، ولأنَّ ما قبله وما بعده في النِّكاح[٤]، وقد سمَّى الله المُرضِعات أمَّهات لأجل الحرمة، كما أنَّه تعالى سمَّى أزواج النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أمَّهات المؤمنين في قوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] لأجل الحرمة[٥].

---

(١) النِّكاح: لغةً: "الوطء والعقد له". الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ص٢٤٦، مادة (نكح). وشرعًا: عقد يتضمَّن إباحة الوطء، وهو حقيقة في العقد ومجاز في الوطء، وقيل عكسه، وقيل: حقيقة فيهما. انظر: ابن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج، ٧/ ١٨٣.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢٩٤؛

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٦٣؛ جوهري، الجواهر، ٣/ ٢٩.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢٩٤.

(٥) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٠/ ٢٦؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٣/ ٢١٩.

وأمَّا المقصود بالأمَّهات والأخوات من الرَّضاعة فقد جرت عادة العرب على تسمية المراضع أمَّهات وعلى إطلاق اسم الأخت على الَّتي رضعت من ثدي الـمُرضِع ذاتِها[١]، وأمُّ الإنسان من الرَّضاع هي الَّتي أرضعته، وكذلك كلُّ امرأة انتسبت إلى تلك الـمُرضِع بالأمومة، إمَّا من جهة النَّسب أو من جهة الرَّضاع، والحال في الأب كما في الأمّ، وإذا عُرِفت الأمُّ والأب فقد عُرِفت البنت أيضًا بذلك الطريق[٢]. والأخوات من الرَّضاعة ثلاثة: الأولى أخت لأب وأمّ، وهي الصغيرة الأجنبيَّة الَّتي أرضعتها الأمُّ بلبن الأب، سواء أرضعتها مع الأخ نفسه أو مع ولد قبله أو بعده، والثَّانية أخت لأب دون أمّ، وهي الَّتي أرضعتها زوجة الأب بلبن الأب، والثَّالثة أخت لأمّ دون أب، وهي الَّتي أرضعتها الأمُّ بلبن رجل آخر، وإذا عُرِف ذلك سهلت معرفة العمَّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت[٣]، وأمَّا إخوة الرَّضيع وأخواته فلا يحرم عليهم أحد ممَّن حُرِّم عليه؛ لأنَّهم لم يرضعوا مثله، فلم يدخل في تكوين بنيتهم شيء من المادَّة الَّتي دخلت في بنيته، فيباح للأخ أن يتزوَّج من أرضعت أخاه، أو أمَّها، أو ابنتها، ويُباح للأخت أن تتزوَّج صاحب اللبن الَّذي رضع منه أخوها أو أختها، أو أن تتزوَّج أباه أو ابنه مثلًا[٤].

المطلب الثَّاني: من يَحْرُم بالرَّضاع:

اقتضت حكمة الشَّريعة الإسلاميَّة أن تَجْرِي أحكامُ المحرَّمات في النِّكاح بالرَّضاع مجرى نظيراتها في النَّسب، تحقيقًا لمقاصد الشَّريعة في حماية الأسرة، وصيانة الأنساب، وتوثيق العلاقات الاجتماعيَّة. وقد ورد ذلك منصوصًا عليه في القرآن الكريم، وبيَّنته السنَّة النبويَّة، وقرره الفقهاء ضمن القواعد الكليَّة والأحكام التَّفصيليَّة. ولا يقتصر التَّحريم بالرَّضاع على جهة المرضعة، بل يمتدُّ أيضًا إلى جهة زوجها، إذ يُعدُّ اللبن النَّاتج عن العلاقة بينهما سببًا في حصول التَّحريم. ويُبيِّن هذا المطلب من يَحرُم بالرَّضاع من خلال فرعين اثنين؛ يؤكِّد أوَّلهما أنَّ التَّحريم بالرَّضاع كالتَّحريم بالنَّسب، ويعرض الثَّاني التَّحريمَ من جهة زوج الـمُرضِع.

الفرع الأوَّل: التَّحريم بالرَّضاع كالتَّحريم بالنَّسب:

أجمع المفسِّرون على أنَّ التَّحريم بالرَّضاع كالتَّحريم بالنَّسب[٥]، واختلفوا في دلالة الآية الكريمة على ذلك على قولين:

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢٩٦.

(٢) انظر: جوهري، الجواهر، ٣/ ٢٩.

(٣) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٠/ ٢٦.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٤.

(٥) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٦٥؛ رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٣؛ جوهري، الجواهر، ٣/ ٢٩؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ٢٢٠؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢٩٥؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢/ ٧٣٥.

القول الأوَّل: إنَّ مفهوم الآية يدلُّ على هذا التَّحريم، فقد نزَّل الله الرَّضاعة منزلة النَّسب حتَّى سمَّى المُرضِع أمًّا للرَّضيع والمُراضَعة أختًا، فأعلمَنا بذلك أنَّ جهة الرَّضاعة كجهة النَّسب؛ تأتي فيها الأنواع الَّتي جاءت في النَّسب كلُّها[١]. ونبَّهت الآية على أنَّه تعالى أجرى الرَّضاع مجرى النَّسب، وذلك لأنَّه تعالى حرَّم بسبب النَّسب سبعة أصناف من النِّساء: اثنان منهم هما المنتسبتان بطريق الولادة، وهما الأمَّهات والبنات، وخمسة منهم بطريق الأخوَّة، وهنَّ الأخوات والعمَّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت، ثمَّ إنَّه تعالى لمَّا شرع بعد ذلك في بيان أحوال الرَّضاع ذكر من كلِّ واحد من هذين القسمين صنفًا واحدًا تنبيهًا به على الباقي، فذكر الأمَّهات من قسم قرابة الولادة، وذكر الأخوات من قسم قرابة الأخوَّة، ونبَّه بذكر هذين المثالين من هذين القسمين على أنَّ الحال في باب الرَّضاع كالحال في النَّسب، وقد أكَّد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هذا البيان بصريح قوله: «إِنَّ الرَّضاعةَ تُحَرِّمُ مَا يَحْرُمُ مِنَ الوِلاَدَةِ»[٢]، وقوله: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضاع مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»، فكان صريح الحديثين مطابقًا لمفهوم الآية[٣].

القول الثَّاني: يدلُّ صريح الآية على أنَّ التَّحريم خاصٌّ بالمُرضِع، وينتشر في أصولها وفروعها لتسميتها أمًّا، وتسمية ابنتها أختًا، ولا يلزم من ذلك أن يكون زوجها أبًا من كلِّ وجه بأن تحرم جميع فروعه من غير المُرضِع على ذلك الرَّضيع، كما أنَّ تسمية أزواج النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أمَّهات المؤمنين لا يترتَّب عليه جميع الأحكام المتعلِّقة بالأمَّهات؛ فالتَّسمية يُراعَى فيها الاعتبار الَّذي وُضِعت لأجله، وأمَّا شمول التَّحريم بالرَّضاع لكلِّ ما يحرم بالنَّسب فقد دلَّت عليه الأحاديث الشريفة[٤].

والصَّحيح أنَّ الآية الكريمة تدلُّ على تحريم الأمِّ من الرَّضاعة والأخت من الرَّضاعة، مع سريان التَّحريم إلى أصولهما وفروعهما لتسمية المُرضِع أمًّا، وتسمية ابنتها أختًا، وأمَّا شموله لكلِّ ما يحرم بالنَّسب فقد دلَّت عليه الأحاديث الشَّريفة.

الفرع الثَّاني: التَّحريم من جهة زوج المُرضِع:

اختلف المفسِّرون في التَّحريم من جهة زوج المُرضِع على قولين:

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٦٥؛ رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ٢٢٠.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٣؛ والحديث رواه الشَّيخان، صحيح البخاريّ، كتاب الشَّهادات، باب الشَّهادة على الأنساب والرَّضاع المستفيض والموت القديم، ٣/ ١٧٠، رقم ٢٦٤٦؛ صحيح مسلم، كتاب الرَّضاع، باب يحرم من الرَّضاعة ما يحرم من الولادة، ٢/ ١٠٦٨، رقم ١٤٤٤.

(٣) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٦٥. والحديث سبق تخريجه.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٣.

القول الأوَّل: وهو قول الجمهور، يكون زوج المُرضِع أبًا للرَّضيع، وأبواه جدَّيه، وأختُه عمَّته، وكلُّ من وُلِدَ له من غير المُرضِع، قبل الرَّضاع وبعده، فهم إخوة وأخوات للرَّضيع لأبيه. وتُعَدُّ أمُّ المُرضِع جدَّته، وأختها خالته، وكلُّ من وُلِدَ للمُرضِعة من هذا الزَّوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمِّه، ومن وُلِدَ لها من زوجٍ آخر فهم إخوته وأخواته لأمِّه، لقوله صلَّى الله عليه وسلم: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضاع مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»[١]، وهو حكم كليٌّ جارٍ على عمومه[٢]. وقد رُوي عن ابن عبَّاس أنَّه سُئل عن رجل له جاريتان أرضعت إحداهما جارية والأخرى غلامًا، أيحلُّ للغلام أن يتزوَّج الجارية؟ قال: لا، اللقاح واحد[٣]، وعلى هذا جرى جماهير المسلمين، فجعلوا زوج المُرضِع أبًا للرَّضيع تحرم عليه أصوله، وفروعه، ولو من غير المُرضِع؛ لأنَّه صاحب اللقاح الَّذي كان سبب اللبن الَّذي تغذَّى منه الرَّضيع[٤].

القول الثَّاني: رُوِيَ عن بعض الصَّحابة كالزُّبير[٥]، وعن بعض علماء التَّابعين، أنَّ التَّحريم من جهة المُرضِع دون زوجها، فالمسألة لم تكن إجماعيَّة[٦].

والقول الأوَّل هو القول الرَّاجح لقوَّة الأدلَّة النَّقليَّة والعقليَّة الَّتي استدلُّوا بها، وقد حملوا قول المخالفين في ذلك على عدم وصول ما ورد في السُّنَّة الصَّحيحة فيه إليهم، على أنَّ مَنْ حَفِظَ حجَّةٌ على من لم يحفظ، أو على تأويل ما وصل إليهم لقيام ما يعارض حمله على ظاهره عندهم، وهو اجتهاد منهم عارضته النُّصوص الظَّاهرة، ومتى ثبتت السُّنَّة الصَّحيحة امتنع العدول عنها لاجتهاد المجتهدين[٧].

---

(١) انظر: جوهري، الجواهر، ٣/ ٢٩. والحديث سبق تخريجه.

(٢) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٤؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ٢٢٠.

(٣) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ٢٢٠. والحديث رواه التِّرمذيُّ في سننه، كتاب أبواب الرَّضاع، باب ما جاء في لبن الفحل، ٣/ ٤٤٦، رقم ١١٤٩، وسكت عنه. وقال المُبَارَكْفُورِيُّ: وقوله: جاريتان؛ أي: أَمَتَان، وقوله: جارية؛ أي: صبيَّة. وأَثَرُ ابن عبَّاس هذا سكت عنه التِّرمذيُّ، والظَّاهر أنَّ إسناده صحيح. انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٤/ ٢٥٧.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٣.

(٥) هو الزُّبير بن العوَّام بن خُويلدٍ الأَسَدِيُّ القُرشيُّ، أبو عبد الله، الصَّحابيُّ الجليل، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وهو ابن عمَّة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم. وشهد بدرًا وأُحُدًا وغيرهما، وجعله عُمَرُ فيمن يصلح للخلافة من بعده. وكان موسرًا، كثير المتاجر. وتُوُفِّيَ سنة ستٍّ وثلاثين للهجرة. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٤٥٧؛ الزركلي، الأعلام، ٣/ ٤٣.

(٦) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٤.

(٧) انظر: المرجع السابق.

المطلب الثَّالث: علَّة التَّحريم:

أشار بعض المفسِّرين إلى علَّة التَّحريم بالرَّضاع، فقالوا: إنَّ من رضع من امرأة كان بعض بدنه جزءًا منها؛ لأنَّه تكوَّن من لبنها، فصارت في هذا كأمِّه الَّتي ولدته، وصار أولادها إخوة له؛ لأنَّ لتكوين أبدانهم أصلًا واحدًا هو ذلك اللبن(١)، ومع وضوح هذه العلَّة في هذه الصورة فإنَّها لا تظهر بالوضوح ذاته في أولاد زوجها من امرأة أخرى إلَّا أن يقال: "إنَّ هذا الرَّجل الَّذي كان بلقاحه سببًا لتكوُّن اللبن في المرأتين قد صار أصلًا لأولادهما؛ إذ في كلٍّ واحد منهما جزء من لقاحه تناوله مع اللبن، فاشتركا في سبب اللبن أو في هذا الجزء من اللبن الَّذي تكوَّن بعض بدنهما منه فكانا أخوين لا يحلُّ أحدهما للآخر"(٢).

والسُّؤال هنا: **هل استطاع العلم التَّجريبيُّ بيان علَّة التَّحريم؟**

يحتوي لبن الأمِّ على مواد غذائيَّة عديدة؛ مثل: الدُّهون والكربوهيدرات والبروتينات والفيتامينات والمعادن، إلى جانب مواد نشطة بيولوجيًّا؛ كعوامل النُّموِّ والهرمونات وغيرها(٣)، ووفقًا لأحدث الأبحاث، فإنَّ لبن الأمِّ يحتوي أيضًا على بكتيريا (bacteria) تمثِّل الزُّمرة الجرثوميَّة الطَّبيعيَّة (microbiome) الموجودة فيه، إضافة إلى خلايا مرتبطة بالرَّضاعة من الثَّدي، مثل: الخلايا الظِّهاريَّة، والخلايا المناعيَّة، والخلايا الجذعيَّة، والَّتي لها دور أساسيٌّ في نماء أعضاء الجنين وتمايزها(٤).

وبسبب التَّركيب الفريد للبن الثَّدي فإنَّه يقوم بدورٍ رئيسٍ في برمجة حديثي الولادة (programming of the neonates)؛ إذ يحسِّن أداء الجهاز المناعيَّ، ويخفض معدَّل الإصابة بالتهاب الأمعاء والقولون النَّاخر، كما أنَّه يُسهم في تعزيز التَّطوُّر المعرفيَّ العصبيَّ (neurocognitive) على المدى

---

(١) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٦٦؛ رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٣.

(٢) رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٣.

(٣) انظر: Cesare وزملاؤه، A metabolomic study of preterm human and formula milk by high resolution NMR and GC/MS analysis، ص٦٢.

(٤) انظر: Fanos، Metabolomics, milk-oriented microbiota (MOM) and multipotent stem cells، رقم ٤؛ Cesare وزملاؤه، Clinical impact of human breast milk metabolomics، ص١٠٣؛ Kaingade وزملاؤه، Breast milk cell components and its beneficial effects on neonates، رقم ١؛ Garwolińska وزملاؤه، Chemistry of human breast milk، رقم ١١٨٨١.

الطَّويل، لذا يمكن القول: إنَّ الوجبة الأولى لا تقلُّ أهميَّة عن النَّفس الأوَّل[١]. وتأتي الأهميَّة الكبيرة للبن الثَّدي من احتوائه على العديد من العوامل النَّشطة بيولوجيًّا، ومن أبرزها:

- الغلوبولينات المناعيَّة (immunoglobulins): وهي بروتينات تلعب دور الأجسام المضادَّة وتقوم بتعطيل الأجسام الغريبة المُعْدِيَة.
- اللاكتوفيرين (lactoferrin): وهو بروتين له دور مهم في مقاومة العدوى والالتهابات، ويعمل كمضادٍ للأكسدة، وله دور في علاج السَّرطان والوقاية منه.
- الليزوزيمات (lysozymes): وهي إنزيمات تحلُّ الجراثيم وتساعد في الحماية المناعيَّة.
- السيتوكينات (cytokines): بروتينات تفرزها الخلايا اللمفاويَّة لتنظيم الاستجابة المناعيَّة.
- الكيموكينات (chemokines): نوع خاصٌّ من السِّيتوكينات، وظيفته جذب خلايا الدَّم البيضاء إلى مواضع الإنتان (infection).

كما يحتوي لبن الثَّدي على عوامل مناعيَّة أخرى تشارك في تفعيل المسارات المضادَّة للعدوى والالتهاب، وتشارك بشكل كبير في نضج جهاز المناعة للوليد، وتكوين أعضائه (organogenesis)[٢].

ويُعَدُّ لبن الثَّدي سائلًا بالغ القيمة، لما له من تأثير مباشر على الأعضاء والأنسجة الوليديَّة أثناء مراحل النُّموِّ، وذلك بسبب طبيعته الفريدة ومكوِّناته النَّشطة[٣]. وتتغيَّر أنواع وكميَّات الخلايا الجذعيَّة والمكوِّنات النَّشطة حيويًّا باختلاف مراحل الرَّضاعة[٤]، كما تختلف نسب هذه المكوِّنات بين العينات المأخوذة من لبن الأمَّهات اللواتي ولدن في الموعد الطَّبيعيّ، وتلك المأخوذة من الأمَّهات اللواتي ولدن ولادات مبكرة[٥]، وتُعَدُّ الخلايا الجذعيَّة وعوامل النُّموِّ من أبرز المكوِّنات المؤثِّرة؛ إذ تتداخل بشكل مباشر في تكوين المولود وتشكيل أعضائه، وفيما يأتي تعريف بهذين المكوِّنين:

---

(١) انظر: Fanos، Metabolomics, milk-oriented microbiota (MOM) and multipotent stem cells، رقم ٤.

(٢) انظر: Witkowska-Zimny & Kaminska-El-Hassan، Cells of human breast milk، ص١١؛ Brenmoehl وزملاؤه، Cytokines in milk and the role of TGF beta، ص٤٧.

(٣) انظر: Briere وزملاؤه، Breast milk stem cells، ص٤١٠.

(٤) انظر: Twigger وزملاؤه، Gene expression in breastmilk cells is associated with maternal and infant characteristics، رقم ١٢٩٣٣؛ Briere وزملاؤه، Breast milk stem cells، ص٤١٠؛ Cacho & Lawrence، Innate immunity and breastmilk، رقم ٥٨٤.

(٥) انظر: Briere وزملاؤه، Breast milk stem cells، ص٤١٠.

أوَّلًا: الخلايا الجذعيَّة:

يحتوي لبن الثَّدي على تجمُّعات خلويَّة متنوِّعة بأعداد ضخمة، تتراوح بين عشرة آلاف إلى ثلاثة عشر مليون خليَّة في الميليمتر الواحد، ومن أبرز هذه الخلايا: الخلايا الظِّهاريَّة (epithelial cells)، والكريات البيض، والخلايا البالعة (phagocytes)، والخلايا اللبنيَّة (lactocytes)، وتختلف مستويات هذه الخلايا باختلاف مراحل الرَّضاعة[١]، فضلًا عن وجود تباينات كبيرة في أعدادها وأنواعها بين الأفراد[٢]. كما تبيَّن أنَّ لبن الثَّدي يُعَدُّ أيضاً مصدرًا غنيًّا بالخلايا الجذعيَّة (stem cells)، وذلك بعد ظهور أوَّل دليل علميٍّ على وجودها فيه عام (٢٠٠٧م)[٣]. ومن أبرز أنواع الخلايا الجذعيَّة الَّتي يحتويها هي الخلايا متعدِّدة القدرات (multipotent)، وهي خلايا قادرة على التَّمايز إلى أكثر من نوع من الخلايا الَّتي تنتمي إلى الطبقة الإنتاشيَّة الخلويَّة الجنينيَّة نفسها[٤]. ويمكن لهذه الخلايا أن تشارك في بناء أنسجة الجنين المختلفة وتشكيلها[٥]؛ إذ يبتلع الرَّضيع من خلال الرَّضاعة الطَّبيعيَّة ملايين الخلايا الجذعيَّة الأموميَّة يوميًّا. وإنَّ الخاصيَّة الأكثر تميُّزًا لهذه الخلايا هي قدرتها على عبور الحاجز المعويِّ، والبقاء على قيد الحياة في مجرى الدَّم، والوصول إلى مختلف أعضاء الجسم. وبمجرد وصول هذه الخلايا إلى وجهتها تبدأ

---

(١) انظر: Hassiotou وزملاؤه، Cells in human milk، ص١٧١؛ Ballard & Morrow، Human milk composition: nutrients and bioactive factors، ص٤٩؛ Hassiotou وزملاؤه، Breastmilk stem cell transfer from mother to neonatal organs، رقم ٤؛ Pichiri وزملاؤه، Human breast milk stemcells: a new challenge for perinatologists، رقم ٥٠١٢٠.

(٢) انظر: Reali وزملاؤه، Multipotent stem cells of mother's milk، رقم e50103؛ Pichiri وزملاؤه، Human breast milk stemcells: a new challenge for perinatologists، رقم ٥٠١٢٠.

(٣) انظر: Cregan وزملاؤه، Identification of nestin-positive putative mammary stem cells in human breastmilk، ص١٢٩؛ Patki وزملاؤه، Human breast milk is a rich source of multipotent mesenchymal stem cells، ص٣٥؛ Hassiotou وزملاؤه، Breastmilk is a novel source of stem cells with multilineage differentiation potential، ص٢١٦٤؛ Hosseini وزملاؤه، Differentiation of human breast-milk stem cells to neural stem cells and neurons، رقم ٨٠٧٨٩٦؛ Kakulas وزملاؤه، Breastmilk is unlikely to be a source of mesenchymal stem cells، ص١٥٠.

(٤) انظر: Bardanzellu وزملاؤه، Regenerating the womb، ص٣٣.

(٥) انظر: Hennighausen & Robinson، Signaling pathways inmammary gland development، ص٤٦٧؛ Wiseman & Werb، Stromal effects on mammary gland development and breast cancer، ص١٠٤٦؛ Pichiri وزملاؤه، Human breast milk stemcells: a new challenge for perinatologists، رقم ٥٠١٢٠.

بالتَّكاثر والتَّمايز (differentiation)، وتندمج في الأنسجة المستهدَفة. فعلى سبيل المثال، تشير الدِّراسات إلى قدرتها على عبور الحاجز الدَّمويّ الدِّماغيّ، والتَّمايز إلى خلايا عصبيَّة (neurons)، وخلايا نجميَّة (astrocytes)، وخلايا دبقيَّة قليلة التَّغصُّن (oligodendrocytes)[١]. كما أظهرت دراسات زراعة الخلايا قابليَّتها للتَّمايز إلى سلالات دهنيَّة، وغضروفيَّة، وعظميَّة، بينما تمايزت هذه الخلايا في الدِّراسات الحيوانيَّة إلى خلايا كبديَّة[٢]. وبذلك، فالطِّفل الَّذي يرضع من امرأة لا يتغذَّى منها فحسب، بل يحمل في جسده خلايا هذه المرأة، وكأنَّها أمُّه البيولوجيَّة، ويصبح جزءًا منها بالفعل.

ثانيًا: عوامل النُّموّ:

من المعروف حاليًّا أنَّ لبن الثَّدي يحتوي على مستويات ثابتة من العديد من عوامل النُّموّ (growth factors)، والَّتي يبدو أنَّ لها دورًا أساسيًّا في تكيُّف حديثي الولادة مع الحياة بعد الولادة، وتعزيز نموِّهم، وتمايز أعضائهم، وضمان سير العمليَّات الفسيولوجيَّة لديهم بشكلٍ صحيح. ومن أهمِّ وظائف هذه العوامل تأثيرها في الجهاز العصبيّ، والجهاز الهضميّ، وتكوين الدَّم، والأوعية الدَّمويَّة[٣]، بالإضافة إلى دورها في دعم الجهاز التَّنفسيّ، ولا سيَّما في تعزيز إفراز العامل المعزِّز السَّطحيّ (surfactant)، وهو مادَّة شحميَّة فوسفوريَّة تؤدِّي دورًا رئيسًا في تقليل التَّوتُّر السَّطحيّ للأسناخ الرِّئويَّة، ممَّا يُسهِم في تأمين وظيفة تنفسيَّة سليمة[٤]. وأدَّى قياس العديد من عوامل النُّموّ في لبن الثَّدي إلى تأكيد قدرته على تعديل جهاز المناعة

---

(١) انظر: Fanos وزملاؤه، Miracles and mysteries of breast milk، رقم ٢.

(٢) انظر: Hartmann & Hassiotou، At the dawn of new discovery: the potential of breast milk stem cells، ص٧٧٠.

(٣) انظر: Hamosh، Bioactive factors in human milk، ص٦٩؛ Jones وزملاؤه، Expression profiling of purified normal human luminal and myoepithelial breast cells، ص٣٠٣٧؛ Castellote وزملاؤه، Premature delivery influences the immunological composition of colostrum and transitional and mature human milk، ص١١٨١؛ Kaingade وزملاؤه، Assessment of growth factors secreted by human breastmilk mesenchymal stem cells، ص٢٦؛ Bardanzellu وزملاؤه، Omics in human colostrum and mature milk، ص٨٤٣.

(٤) انظر: Nikadi وزملاؤه، An overview of pulmonary surfactant in the neonate، ص٩٥؛ Jimenez وزملاؤه، Hepatocyte growth-factor as an indicator of neonatal maturity، ص٧٠٩؛ Kaingade وزملاؤه، Assessment of growth factors secreted by human breastmilk mesenchymal stem cells، ص٢٦.

لدى الأطفال حديثي الولادة وتوجيهه[١]. كما يمكن لهذه العوامل أن تصل إلى الأمعاء دون أن تخضع لتغييرات تُفقدها فاعليتها أثناء الهضم، بل يمكنها الانتقال إلى مجرى الدَّم الوليديّ، ومن ثمَّ الوصول إلى الأعضاء المستهدَفة وهي لا تزال نشطة بيولوجيًّا، وقادرةً على ممارسة تأثيراتها[٢]. ومن المثير للاهتمام أنَّ مستويات بعض عوامل النَّمو تكون في العيّنات المأخوذة من لبن الثَّدي للأمَّهات المُرضِعات أعلى من مستوياتها في مصل دمهنَّ، بل وأعلى من مستوياتها في دم الحبل السُّرّي أيضًا[٣].

المطلب الرَّابع: شروط التَّحريم:

لم يتعرَّض قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ [النساء: ٢٣]، لبيان سنِّ الرَّضيع، ولا عدد الرَّضعات الموجبة للتَّحريم، وقد وقع في ذلك خلاف بين الفقهاء، تناوله المفسِّرون في تفاسيرهم، وبيَّنوه مقرونًا بأقوال الفِرَقِ وأدلَّتهم وردودهم[٤]. ونظرًا لأنَّ كتب الفقه المعتمَدة أدقُّ في عرض الأقوال وضبطها من كتب التَّفسير، فقد اعتُمِد في هذا المطلب على نقل الأقوال الفقهيَّة من مظانِّها، دون التَّوسُّع في تفصيل الأدلَّة، مع الإحالة إلى المصادر لمن أراد الاطلاع على الاستدلالات والمناقشات. ويتناول هذا المطلب شروط التَّحريم بالرَّضاع من خلال فرعين اثنين؛ يتناول أوَّلهما العمر المحرِّم للرَّضاع، ويعرض الثَّاني المقدار المحرِّم من الرَّضاع.

---

(١) انظر: Ruiz وزملاؤه، What's normal? Immune profiling of human milk from healthy women living in different geographical and socioeconomic settings، رقم ٦٩٦.

(٢) انظر: Moles وزملاؤه، Bacteriological, biochemical and immunological properties of colostrum and mature milk from mothers extremely preterm infants، ص١٢٠.

(٣) انظر: Michaelsen & Schack، Breastfeeding and future health، ص٢٨٩؛ Patki وزملاؤه، Comparison of the levels of the growth factors in umbilical cord serum and human milk، ص٣٠٥؛ Kaingade وزملاؤه، Breast milk cell components and its beneficial effects on neonates، رقم ١.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٣؛ جوهري، الجواهر، ٣/ ٢٩؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ٢٢٠؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢٩٦.

الفرع الأوَّل: العمر المحرِّم للرَّضاع:

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفيَّة والمالكيَّة والشَّافعيَّة والحنابلة إلى أنَّ الرَّضاع المحرِّم يكون في الصِّغر، مع تفاوتهم في تحديد المدَّة المحرِّمة للرَّضاع، فحدَّد أبو حنيفة[١] المدَّة بثلاثين شهرًا، وقال أبو يوسف[٢] ومحمَّد[٣] بأنَّها حولان، وأمَّا زُفَرُ[٤] فرأى أنَّها ثلاثة أحوال[٥]، وقال المالكيَّة بالتَّحريم بالرَّضاع في الحولين مع الزِّيادة اليسيرة عن الحولين كشهر أو شهرين لمن لم يُفطَم[٦]، وأمَّا الشافعيَّة والحنابلة فذهبوا إلى أنَّه في الحولين فقط، وهذا التَّحريم يكون فقط في هذه المدَّة سواء أفطم أم لا؛ لأنَّ المعتبَر المدَّة لا الفطام، فإن رَضَعَ بعد

---

(١) هو النَّعمان بن ثابتٍ، التَّيميُّ بالولاء، الكوفيُّ، أبو حنيفة، إمام الحنفيَّة والفقيه المجتهد المحقِّق، وأحد الأئمَّة الأربعة. وكان إماماً في القياس، قويَّ الحجَّة، ومن أحسن النَّاس منطقًا. وله مسند في الحديث جمعه تلاميذه، وكتاب (المخارج) في الفقه رواه عنه تلميذه أبو يوسف. وتُوُفِّيَ سنة خمسين ومئة للهجرة. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/ ٤٠٥؛ الزركلي، الأعلام، ٨/ ٣٦.

(٢) هو يعقوبُ بن إبراهيمَ بن حبيبٍ الأنصاريُّ الكوفيُّ البغداديُّ، أبو يوسف. صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه وأوَّل من نشر مذهبه، وكان فقيهًا، علَّامة، من حُفَّاظ الحديث. ومن أشهر كتبه: (الخراج) و(الآثار) و(أدب القاضي) و(الفرائض) و(الأمالي في الفقه). وتُوُفِّيَ سنة اثنتين وثمانين ومئة للهجرة. انظر: القرشي، الجواهر المضية، ٢/ ٢٢٠؛ الزركلي، الأعلام، ٨/ ١٩٣.

(٣) هو محمَّد بن الحسن بن فَرْقَد الشَّيْبَانِيُّ، أبو عبد الله. إمام في الفقه والأصول، وهو الَّذي نشر علم أبي حنيفة. وله كتب كثيرة؛ من أشهرها: (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) و(الآثار) و(الأمالي). وتُوُفِّيَ سنة تسع وثمانين ومئة للهجرة. انظر: القرشي، الجواهر المضية، ٢/ ٤٢؛ الزركلي، الأعلام، ٦/ ٨٠.

(٤) هو زُفَرُ بن الهُذيل بن قيس العَنبريُّ البَصريُّ، أبو الهُذيل. فقيه كبير من أقيس أصحاب الإمام أبي حنيفة، وإمام من أئمَّة المسلمين، وعَلَمٌ من أعلامهم في شرفه وحسبه وعلمه. وتُوُفِّيَ سنة ثمان وخمسين ومئة للهجرة. انظر: القرشي، الجواهر المضية، ١/ ٢٤٣؛ الزركلي، الأعلام، ٣/ ٤٥.

(٥) انظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ٤/ ٦.

(٦) انظر: الحطاب، مواهب الجليل، ٤/ ١٧٩.

المدَّة لا يحرم[١]، وهذا القول هو اختيار بعض المفسِّرين كالقاسميّ[٢] والمراغيّ[٣] وابن عاشور[٤]، فحرمة الرَّضاع لأنَّه الغذاء الَّذي يعيش به الطِّفل، فكان للمرضِع من الأثر في دوام حياة الطِّفل ما يماثل أثر الأمِّ في أصل حياة طفلها، ولا يُعَدُّ الرَّضاع سببًا في التَّحريم إلَّا ما استوفى هذا المعنى من حصول تغذية الطِّفل، وهذا لا يكون إلَّا في مدَّة عدم استغناء الطِّفل عنه[٥]. وقد شذَّ البعض فقال بالتَّحريم بالرَّضاع سواء أكان ذلك في حال الكبر أم في حال الصِّغر كأصحاب المذهب الظَّاهريّ، مستدلِّين بظاهر عموم الآية الكريمة وبعض الأحاديث الأخرى[٦]، والرَّاجح هو قول الجمهور لتوارد الأدلَّة الكثيرة من السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة على أنَّ المراد من الآية الكريمة رضاعة الصَّغير دون الكبير[٧].

---

(١) انظر: النووي، المجموع، ١٨/ ٢٠٧؛ ابن النجار، منتهى الإرادات، ٤/ ٤٢٨.

(٢) هو جمال الدِّين بن محمَّد سعيد بن قاسم الحلَّاق، إمام الشَّام في عصره، له الكثير من المصنَّفات؛ منها: (محاسن التَّأويل) و(موعظة المؤمنين) اختصر به (إحياء علوم الدِّين) للغزاليّ، و(شرف الأسباط) و(قواعد التَّحديث من فنون مصطلح الحديث). وتُوُفِّيَ سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة وألف للهجرة. انظر: البيطار، حلية البشر، ص٤٣٥؛ الزركلي، الأعلام، ٢/ ١٣٥.

(٣) هو أحمد بن مصطفى المراغيُّ، مفسِّرٌ مصريٌّ من أعلام الأزهر، له كتب عديدة؛ منها: (تفسير المراغيّ)، و(الحسبة في الإسلام)، و(الوجيز في أصول الفقه)، و(علوم البلاغة). وتُوُفِّيَ سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة وألف للهجرة. انظر: الزركلي، الأعلام، ١/ ٢٥٨؛ يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، ١/ ٩٣.

(٤) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٦٤؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ٢٢٠؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢٩٦.

(٥) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٦٤؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢٩٦.

(٦) انظر: ابن حزم، المحلى، ١٠/ ٢٠٢.

(٧) بيَّنت السُّنَّة النَّبويَّة الحدود والضَّوابط للرَّضاع المحرِّم، فقد رُوِيَ عن أمِّ المؤمنين أمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الثَّدي، وَكَانَ قَبْلَ الفِطَامِ». سنن التِّرمذيّ، كتاب أبواب الرَّضاع، باب ما جاء أنَّ الرَّضاعة لا تحرِّم إلَّا في الصِّغر دون الحولين، ٣/ ٤٥٠، رقم ١١٥٢. قال التِّرمذيُّ: هذا حديث حسن صحيح. وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعِ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْحَوْلَيْنِ». السُّنن الكبرى للبيهقيّ، كتاب الرَّضاع، باب ما جاء في تحديد ذلك بالحولين، ٧/ ٧٦١، رقم ١٥٦٦٩. رواه البيهقيُّ من حديث سعيد بن منصور، ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عبَّاس، ثمَّ قال: "هذا هو الصَّحيح موقوف"، ثمَّ ذكره من حديث الهيثم بن جميل، قال: ثنا سفيان، فذكره بسنده عن ابن عبَّاس مرفوعًا. قال ابن التُّركمانيّ: "الهيثم هذا وثَّقه ابن حنبل وغيره، وقال الدارقطنيُّ: حافظ. فعلى هذا الحكم له على ما هو الأصحُّ عندهم، لأنَّه ثقة وقد زاد الرَّفع". الجوهر النقيُّ لابن التُّركمانيّ، ٧/ ٤٦٢. وغيرها من الأحاديث الكثيرة الَّتي فسَّر فيها النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم الرَّضاع المحرِّم بكونه دافعًا للجوع، مُنبِتًا للَّحم، مُنشِزًا للعظم، فاتقًا للأمعاء، وهذا وصف رَضاع الصَّغير لا الكبير.

الفرع الثَّاني: المقدار المحرِّم من الرَّضاع:

تنوَّعت آراء الفقهاء في المقدار المحرِّم من الرَّضاع، وأشهر ما ذهبوا إليه قولان:

القول الأوَّل: إنَّ قليل الرَّضاع وكثيره يُحرِّم، وهو قول الحنفيَّة والمالكيَّة ورواية عن الإمام أحمد(١)، وعمدَّة أدلَّتهم أنَّ إطلاق الرَّضاع في الآية يدلُّ على أنَّ الرَّضاع المحرِّم يقع بالقليل والكثير، كما استدلُّوا بعموم الرَّضاع في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضاع مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»(٢)، وهذا القول هو اختيار بعض المفسِّرين كصاحب المنار(٣) والمراغيِّ وابن عاشور(٤).

والقول الثَّاني: يثبت تحريم الرَّضاع بخمس رضعات متفرِّقات فأكثر، وبه قال الشَّافعيَّة والحنابلة في المعتمَد عندهم، وعمدَّة أدلَّتهم ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: «كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى لِلَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ»(٥)، وهذا القول هو اختيار القاسميِّ(٦).

والقول الثَّاني هو القول الرَّاجح؛ وهو التَّحريم بخمس رضعات متفرِّقات لما يأتي:

١- قوَّة الأدلَّة الَّتي استند إليها أصحاب هذا القول، وأهمُّها الحديث المرويُّ في صحيح مسلم عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأمَّا ما استَدَلَّ به أصحاب القول الأوَّل من إطلاق الرَّضاع في الآية الكريمة،

---

(١) هو أحمد بن حنبل الشَّيبانيُّ الوائليُّ، أبو عبد الله. إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمَّة الأربعة. وله العديد من المؤلَّفات؛ منها: (المسند) ويحتوي على ثلاثين ألف حديث، و(النَّاسخ والمنسوخ) و(فضائل الصَّحابة) و(المناسك). وتُوُفِّيَ سنة إحدى وأربعين ومئتين للهجرة. انظر: الأصبهاني، حلية الأولياء، ٩/ ١٦١؛ الزركلي، الأعلام، ١/ ٢٠٣.

(٢) انظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ٤/ ٧؛ العيني، البناية شرح الهداية، ٥/ ٢٥٦؛ ابن رشد، بداية المجتهد، ٣/ ٥٩؛ الحطاب، مواهب الجليل، ٤/ ١٧٨؛ ابن قدامة، المغني، ٨/ ١٧١. والحديث سبق تخريجه.

(٣) هو محمَّد رشيد بن عليٍّ رضا القلمونيُّ الحُسينيُّ، أحد رجال الإصلاح الإسلاميّ، ومن الكتَّاب العلماء بالحديث والأدب والتَّاريخ والتَّفسير. لازم الشَّيخ محمَّد عبده وتتلمذ له، وأصدر مجلَّة (المنار) لبثِّ آرائه في الإصلاح الدِّينيّ والاجتماعيّ، وأصدر منها أربعةً وثلاثين مجلدًا، و(تفسير القرآن الكريم) ولم يكمله، و(الوحيُ المحمَّديُّ). وتُوُفِّيَ سنة أربع وخمسين وثلاثمئة وألف للهجرة. انظر: الزركلي، الأعلام، ٦/ ١٢٦؛ يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، ٢/ ٥٩٢.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٨٨؛ المراغي، تفسير المراغي، ٤/ ٢٢٠؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢٩٧.

(٥) انظر: النووي، المجموع، ١٨/ ٢١٠؛ ابن قدامة، المغني، ٨/ ١٧١. والحديث في صحيح مسلم، كتاب الرَّضاع، باب التَّحريم بخمس رضعات، ٢/ ١٠٧٥، رقم ١٤٥٢.

(٦) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ٣/ ٦٣.

وعموم قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضاع مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»، فيُرَدُّ عليه بتقييد الآية وتخصيص الحديث بحديث مسلم.

٢- جرت عادة الشَّارع على ضبط الأحكام التَّكليفيَّة المعلَّلة بما تتحقَّق به علَّتُها، وعلَّة التَّحريم بالرَّضاع كما تبيَّن هي مشاركة لبن المُرضِع ومكوِّناته في تكوين الجنين وأعضائه، وإنما يُتَصوَّر هذا الضَّبط بالمقدار أو بالوقوع أو بالعدد، ولـمَّا كان ضبط المقدار متعذِّرًا ، والوقوع لا يحرِّم لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «لا تُحَرِّمِ المصَّةُ وَالْمَصَّتَانِ»[١]، وقوله: «لَا تُحَرِّمُ الإمْلاجَة والْإِمْلَاجَتَانِ»[٢]، وقوله: «لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضاع، إِلَّا مَا أَنْبَتَ اللَّحْمَ، وَأَنْشَزَ الْعَظْمَ»[٣]، كان الضَّبط بعدد الرَّضعات متعيِّنًا، وأقوى الأدلَّة في تحديد عدد الرَّضعات هو حديث مسلم عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب في المصَّة والمصَّتين، ٢/ ١٠٧٣، رقم ١٤٥٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرَّضاع، باب في المصَّة والمصَّتين، ٢/ ١٠٧٤، رقم ١٤٥١.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصَّحابة، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ٧/ ١٨٥، رقم ٤١١٤.
قال محقِّقو الكتاب: حديث صحيح بشواهده، وهذا إسناده ضعيف للانقطاع بين والد أبي موسى الهلاليّ وعبد الله بن مسعود، وبقيَّة رجاله ثقاتٌ رجال الشَّيخين.

خاتمة البحث

أوَّلًا: نتائج البحث.

ثانيًا: توصيات البحث.

نتائج البحث:

أسفر هذا البحث عن جملةٍ من النَّتائج الَّتي تسلِّط الضَّوء على الجوانب المختلفة للتَّفسير العلميّ لخلق الإنسان في القرآن الكريم، وذلك من خلال استقراء أقوال المفسِّرين في الآيات المتعلِّقة بمراحل الخلق، وربطها بما توصَّلت إليه العلوم الحديثة. وقد تناولت هذه النَّتائج كلًّا من البُعد التَّفصيليّ المتعلِّق بكل مرحلة من مراحل الخلق على حدة، والبُعد الإجماليّ الَّذي يُبرِز الرُّؤية المتكاملة للتَّفسير العلميّ لخلق الإنسان ضمن الإطار الأوسع للتَّفسير العلميّ للقرآن الكريم، وفيما يأتي عرضٌ لأبرز هذه النَّتائج:

١- الصَّحيح أنَّ المقصود بالنَّفس الواحدة في القرآن الكريم هو آدم عليه السَّلام، ولا يصحُّ أن يَختلِف المرادُ بها باختلاف المخاطَب فيكون تارة قُصيًّا وتارة قريشًا وتارة غيرهم، كما لا يصحُّ أنَّها تشير إلى أكثر من أب للبشر، ولا أن يكون المقصود بها حوَّاء، أو أنثى كائن أُخِذ منه آدم، أو مادَّة مهيَّأة لخلق البشر أو كائنًا في أوَّل سلسلة الحياة، أو أن يكون أمرها مبهمًا.

٢- الصَّحيح في معنى الزَّوج وكيفيَّة خلقه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، والآيات الأخرى المشابهة، أنَّ المقصود بالزَّوج هو حوَّاء، وأنَّها خُلِقت ابتداءً من آدم، وأنَّ خَلْقَها كان بعد خَلْق آدم وليس مزامنًا له، كما أنَّها خُلِقت من جنسه ليكون بينهما ما يوجب التَّآلف والمودَّة. ولا يوجد في الآية الكريمة تصريح بخلق حوَّاء من ضلع آدم، ولا تحتمل الآية أن يكون المقصود منها أنَّ حوَّاء خُلِقتْ مع آدم من مادَّة مهيَّأة لخلق البشر أو من بقيَّة الطِّينة الَّتي خُلِق منها آدم عليه السَّلام، والله أعلم.

٣- منَ المقبولِ أنْ يكونَ الخَلْقُ والتَّصويرُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، عائدَيْنِ على آدمَ عليهِ السَّلامُ، وأنْ يكونَ ضميرُ المخاطَبينَ قد جاءَ باعتبارِ أنَّ الأفعالَ قد وَقَعَتْ على أصلِ نوعِهِمُ الأوَّلِ، كما أنَّ منَ المقبولِ أنْ يكونَ الخَلْقُ والتَّصويرُ هو للذُّرِّيَّة على الحقيقةِ لا على المجازِ، ويكون فيه تنبيه إلى أنَّ في خَلْقِ آدمَ وتصويرِهِ خَلْقٌ لذُرِّيَّتِهِ وتصويرٌ لهُم. وأمَّا القَوْلُ بأنَّ المقصودَ بالتصويرِ في الآيةِ الكريمةِ هوَ تصويرُ الذُّرِّيَّةِ في بُطونِ الأُمَّهاتِ، فَسِياقُ الآيةِ هنا لا يَحْتَمِلُ هذا المعنى، ومَحلُّ التَّصويرِ في الأرحامِ هو في آياتٍ أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

٤- الصَّحيح في معنى الإذْهَابِ والاستخلافِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، هوَ أنَّ الخطاب مُوَجَّهٌ للكافرين برسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بإفنائهم واستخلاف غيرهم من الأقوام الأخرى إن هم أصَرُّوا على الكفر والعناد. وليس في الآية الكريمة تصريح بإهلاك الكافرين والاستبقاء على المؤمنين لاستخلافهم

هم وذُرِّيَّاتِهِمْ، كما أنَّها لا تَحْتَمِلُ أن يكون التَّهديدُ مُوَجَّهًا للجنس البشـريِّ كُلِّهِ بالإفناء واستخلافِ خَلْقٍ آخَرَ غيرهم.

٥- قد يعود الذَّكر والأنثى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات:١٣]، إلى آدم وحوَّاء، وقد يعودان إلى أيِّ ذكر وأيِّ أنثى، واختلاف القولين هو من اختلاف التَّنوع العائد لاحتمال الألفاظ لكلا المعنيَيْن، ولا مانع من اجتماعهما في الآية الكريمة؛ فكلُّ البشر خُلِقوا من ذكر واحد وأنثى واحدة هما آدم وحواء، وكلُّ إنسان مخلوق أيضًا من ذكر وأنثى.

٦- من المقبول أن يكون المقصود بالنُّطفة الأمشاج في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]، تلك النُّطفة الَّتي تشكَّلت باجتماع نطفة الرجل مع نطفة المرأة، كما أنَّ من المقبول أنَّ وَصْفَ النُّطفة بالأمشاج يشير إلى أنَّها مكوَّنة من أجزاء وعناصر متباينة، ولكن من المستبعَد أن يكون المقصود بالأمشاج عناصر كيميائيَّة محدَّدة نوعًا وعددًا تُشكِّل النُّطفة، أو أن يكون المقصود بها المراحل الَّتي يمرُّ بها الجنين خلال تَشكُّله في رحم أمِّه.

٧- الصَّحيح في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النَّجم: ٤٥- ٤٦]، أنَّه يشير إلى مشاركة الوالدين في تكوين الجنين سواء أكان ذكرًا أم أنثى، دون أنْ يحدِّد المسؤول منهما عن تحديد جنسه، وأنَّ فيه إشارةً إلى أنَّ لكلٍّ من الزَّوجين حظًّا من النُّطفة الَّتي منها يُخلَق الإنسان. وأمَّا القول بأنَّ القرآن يُخْبِر أنَّ المرأة لا علاقة لها بتحديد نوع المولود، وأنَّ النُّطفة هي مَنِيّ الرَّجل وليس المرأة، وأنَّ (منه) في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٩]، تعود على الرَّجل ونطفته، وأنَّ الرَّجلَ هو المسؤول وحدَه عن تحديد جنس الجنين، فكلُّ ذلك مردود بقواعد تفسير النُّصوص وبنتائج العلم التَّجريبيّ.

٨- فيما يتعلَّق بتوقيت تحديد جنس الجنين، يتحدَّث قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النَّجم: ٤٥، ٤٦]، عن توقيت تحديد الجنس الصِّبغيّ للجنين، الَّذي يحدث مع إمْنَاء النُّطفة وحدوث الإلقاح، أمَّا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: ١١]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٧ - ٣٩] فيشيران إلى توقيت تحديد الجنس العُضويّ للجنين المتمثِّل بتشكُّل أعضائه التَّناسليَّة الَّتي تميِّزه عن الجنسِ الآخرَ، والَّذي يحدث في مراحل لاحقة من النَّماء الجنينيّ.

٩- أشار القرآن الكريم في القرن السَّابع الميلاديّ إلى أنَّ البشر يُخلَقون من اختلاط ماء الرَّجل مع ماء المرأة، وأنَّ تكوُّن الجنين يتمُّ على مراحل، مع تفصيله لتلك المراحل، وذلك قبل أن يشير العلم التَّجريبيُّ إلى هذه الحقائق بمئات السِّنين.

١٠- وصف القرآنُ الماءَ الذي يُخلَق منه الإنسان، في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، بأنَّه ذو طبيعة دافقة، كما أشار إلى أنَّ خلق الإنسان يبدأ من النُّطفة الأمشاج، الَّتي تتشكَّل من اندماج النُّطفة المذكَّرة مع البُيَيْضَة المؤنَّثة لتكوين البيضة الملقَّحة. وهذا ينسجم مع الحقائق العلميَّة الَّتي تؤكِّد أنَّ الجنين يتشكَّل من اتحاد ماء المرأة وماء الرجل معًا، وأنَّ كليهما دافق.

١١- خصَّ القرآن الكريم العلقة بالذِّكر من بين كلِّ المراحل الَّتي يمرُّ بها خلق الإنسان بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، فأشار إلى أنَّ خَلْق الإنسان يكون من العلقة. وتشير الأبحاث العلميَّة إلى أنَّ العلوق والتَّعشيش هما البداية الفعليَّة لتكوُّن الجنين؛ حيث تَسقط الكثير من اللاقحات قبل أن تتمكَّن من العلوق في جدار الرَّحم، وبالتَّالي، فإنَّ انتقال الجنين من مرحلة النُّطفة الأمشاج إلى مرحلة العلقة من الأهميَّة بمثابة خلق جديد، ولذا عبَّر القرآن الكريم عن هذا الانتقال بفعل الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤].

١٢- يعكس اختيار القرآن الكريم للفظ (المضغة) وصفًا بالغ الدِّقَّة لحالة الجنين في هذه المرحلة؛ إذ يُشير إلى التَّشابه الشَّكليّ النَّاتج عن أزواج الكُتل النَّسيجيَّة المقسَّمة، المتشكِّلة على جانبَي الأنبوب العصبيّ، والَّتي تُكسِب الجنين الشَّكل المميِّز للمضغة (قطعة اللحم الممضوغة)، إضافةً إلى التَّشابه الحجميّ، إذ يبلغ طول الجنين في نهاية هذه المرحلة (٣,١٧٥) سنتيمترًا.

١٣- الرَّاجح في معنى (المضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]، أنَّ المضغة المخلَّقة هي الَّتي ستكوِّن الجنين، بينما المضغة غير المخلَّقة تمثِّل الأنسجة الملحَقة بالجنين وأهمُّها المشيمة، حيث يكون الجنين في هذه المرحلة عبارةً عن مضغة تتكوَّن من هذين الجزأين المتميِّزين.

١٤- يقدِّمُ القرآنُ الكريم وصفًا دقيقًا لتحوُّل المضغة إلى عظام، ثمَّ كِسوتها باللحم، كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾. وقد أثبتت الدِّراساتُ العلميةُ توافق هذا الوصف مع مراحل تكوُّن الجهاز الهيكليّ العضليّ، فعظام الأطراف مثلًا تتشكَّل في صورة غضروفيَّة أولًا، ثمَّ تتصلَّب، وتليها مباشرة نشأة العضلات، فمع بداية الأسبوع السَّادس من النُّمو، تبدأ الخلايا الغضروفيَّة في تشكيل أوَّل نموذج من الغضروف الزُّجاجيّ إيذانًا ببدء تكوُّن عظام الأطراف، وتظهر

في الأسبوع السَّابع الدَّلائلُ الأولى على تكوُّن عضلاتها. ويعكس هذا التَّوافق بين العلم والوصف القرآنيّ عظمة البلاغة القرآنيَّة في تقديم صورة إجماليَّة واضحة عن مراحل الخلق.

١٥- يبدو من خلال الجمع بين دلالات الآيات الكريمات ذات الصِّلة وأحداث النَّماء كما تؤكِّدها الحقائق العلميَّة أنَّ توقيت نفخ الرُّوح يتطابق مع حديث حذيفة في رواية «بِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، مع عدم تعارضه مع روايات الحديث الأخرى الَّتي حدَّدت الزَّمن بأربعين ليلة، إلى بضع وأربعين ليلة؛ إذ إنَّ التَّوقيت الطَّبيعيَّ لأحداث النَّماء يكون مجالًا زمنيًّا عادة وليس نقطة زمنيَّة محدَّدة. وبالمقابل، فإنَّ توقيت نفخ الرُّوح وفق دلالات الآيات وأحداث النَّماء لا يتوافق مع حديث الأربعينات عن ابن مسعود، إذ إنَّ الأخذ به يخلق فجوة زمنيَّة كبيرة بين تسوية الجنين ونفخ الرُّوح، وهو ما لا تنسجم معه دلالات العطف في الآيات. إضافةً إلى ذلك، فإنَّ تحديد توقيت كلٍّ من مراحل النُّطفة والعلقة والمضغة بأربعين يومًا في الحديث يتعارض مع الحقائق العلميَّة القطعيَّة. وبناءً على ذلك، يُرجَّح أنَّ نفخ الرُّوح يحدث في بضع وأربعين يومًا، وليس عند مئةٍ وعشرين يومًا، وهو ما يجب مراعاته في الأحكام الشرعيَّة المتعلِّقة بالجنين.

١٦- أشار القرآن الكريم إلى مُدَد الحمل المختلفة بأسلوبٍ بالغ الدِّقَّة، وقد أظهرت نتائجُ العلم التَّجريبيّ مدى توافق هذه الإشارات مع الحقائق العلميَّة، ممَّا يُبرِز بعض وجوه الحكمة الإلهيَّة الكامنة فيها. فقد أشار القرآن الكريم إلى وجود مدَّة طبيعيَّة للحمل دون تقييدها بزمن محدَّد، وهو ما يتوافق مع وجود مجال زمنيّ مقبول لمدَّة الحمل وليس قيمة محدَّدة لا يمكن الانزياح عنها. كما أمكن استنباط الحدِّ الأدنى لمدَّة الحمل من القرآن الكريم وهو ستَّة أشهر، في تطابق دقيق مع الحقائق العلميَّة. وفي المقابل، لم يتطرَّق القرآن الكريم إلى مدَّة قصوى للحمل، وهو ما ينسجم مع الحقائق الطبيَّة؛ إذ تبدأ المخاطر الصحيَّة بالظُّهور بمجرد تجاوز المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل (أربعون أسبوعًا)، ممَّا يجعل زيادة مدَّة الحمل عن هذه الفترة أمرًا غير مقبول طبيًّا. وهذا التَّوافق المذهل بين الوحي والعلم يؤكِّد أنَّ الإشارات القرآنيَّة تحمل أبعادًا علميَّة وتشريعيَّة دقيقة وتعكس إعجازًا متجدِّدًا على مرِّ العصور.

١٧- يُعَدُّ علم الله بما يكون في أرحام الأمَّهات من أعظم دلائل قدرته تعالى، وقد أشارت إليه آيات القرآن بأسلوب القصر، توكيدًا لانفراده تعالى بهذا العلم المطلق. ويَذْكُرُ القرآن الكريم أنَّ خَلْقَ الإنسان يكون في بطن أمِّه، ثمَّ يُخصِّص موضعَه بأنَّه في رحِمها، ثمَّ يصف هذا الموضع بأنَّه (قرار مكين)، مُحاطٌ بـ (ظلمات ثلاث)، ممَّا يعكس دقَّة التَّصوير القرآنيّ لموطن التَّكوين الجنينيّ.

١٨- يُشير قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ من النَّاحية اللُّغويَّة إلى خلق من بعد خلق، في ظلمة من بعد ظلمة؛ أي: إنَّ خلق الإنسان يحدث في ثلاثة أماكن مظلمة متعاقبة عبر الزَّمان، وليست البطن من الظُّلمات الثَّلاثة المقصودة في الآية، بل

إنَّها تحتوي تلك الظُّلمات. وهذا يتَّفق مع حقائق العلم التَّجريبيّ؛ إذ تكون الظُّلمات الثَّلاث في مراحل الخلق المتتالية، بداية من اللَّاقحة ومرورًا بأطوار خلق الجنين، في قناة فالوب، ثمَّ في تجويف الرَّحم، وأخيرًا ضمن جداره، وهي جميعًا في البطن؛ أي: إنَّ الظُّلمات الثَّلاث هي: قناة فالوب، وتجويف الرَّحم، وجدار الرَّحم.

١٩- يُشير القرآن الكريم إلى الولادة غالبًا بألفاظ مثل (الوَضع)، أو (تيسير السَّبيل)، أو (الإخراج)، وقد يَستعمِل فعل (الولادة) في بعض السِّياقات الخاصَّة. وفي قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، يُرَجَّح أن يعود الضَّمير في الفعل ﴿يَخْرُجُ﴾ على الإنسان نفسه، ويكون المقصود منه ولادته، وعَوْدُهُ على الماء الدَّافق له وجه معتبر، ولكن السِّياق يرجِّح الأوَّل. وبناءً على ذلك، يكون المرادُ من الصُّلب والتَّرائب هو صُلب المرأة وترائبها فقط في حال عودة الضَّمير في الفعل ﴿يَخْرُجُ﴾ على الإنسان، بينما يكون المراد هو صُلب الرَّجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها معًا إذا كان الضمير عائدًا على الماء.

٢٠- أكَّد القرآن الكريم أهميَّة لبن الأمِّ، وجَعَلَهُ الخيارَ الأوَّل لتغذية المولود، دون أن يقيِّد الحكمة من الرَّضاعة بسبب محدَّد، في إشارة إلى تعدُّد فوائدها. وقد كشفت البحوث التَّجريبيّة عن بعض هذه الفوائد، حيث أثبتت تفوُّق لبن الأمِّ على غيره، نتيجةً للفوائد العديدة للرَّضاعة الطَّبيعيَّة لكلٍّ من الأمِّ والرَّضيع. وقد جعل القرآن الكريم بديلًا للبن الأمِّ عند تعذُّره هو لبن المرضِع، دون أنواع اللبن الأخرى، وقد أكَّدت نتائج البحوث التَّجريبيّة تفوُّقَ اللبن البشريّ على أيِّ نوع آخر من اللبن، وملاءمته لاحتياجات المولود، إضافةً إلى دوره الَّذي لا يقتصر على التَّغذية، بل يمتدُّ ليشمل الوقاية من العديد من الأمراض.

٢١- وضع القرآن الكريم ضوابطَ دقيقة لتنظيم العلاقة بين أطراف الرَّضاع، موضِّحًا حقوق كلٍّ منهم وواجباته، كما حدَّد الطَّرائق المناسبة لحلِّ النِّزاعات، متقدِّمًا بذلك على جميع التَّشريعات الوضعيَّة، فمع تأكيده على حقِّ الطِّفل في الرَّضاعة من أمِّه، لم يسمح بأن يكون ذلك وسيلةً لظلمها أو الإضرار بها، فجعل الإرضاع مشروطًا برضاها، معوِّلًا على العاطفة الَّتي أودعها الله فيها، بحيث لا تمتنعُ عن الإرضاع إلَّا لأسبابٍ وجيهةٍ. وفي المقابل، أوجب على الأب نفقة الأمِّ حتَّى ولو كانت مطلَّقةً، مع منحه خيارَ إيجاد مرضِعة لطفله إذا لم ترض الأمُّ بنفقة أمثالها، وفي هذا تجسيد لمراعاة الأحكام الشَّرعيَّة للتَّوازن الدَّقيق بين مصالح جميع الأطراف. وعلى النَّقيض من ذلك، يُلاحَظ أنَّ الجِّهات الصِّحيَّة الدُّوليَّة اكتفت بالتَّوصية بالرَّضاعة الطَّبيعيَّة دون وضع أسس ملزِمة لتنظيمها.

٢٢- حدَّد القرآن الكريم مدَّة تمام الرَّضاعة بسنتين، وبنى على هذه المدَّة أحكامًا عديدة؛ منها: الفصل في النِّزاعات بين الزَّوجين حول مدَّة الرَّضاع، وأحكام التَّحريم بالرَّضاع، وغيرها. وتُعَدُّ هذه المدَّة

كافية لضمان حصول الطِّفل على ما يحتاجه من غذاء مصدره الوحيد هو لبن الأمّ، وهذا ما أكَّدته توصيات الجهات الصِّحيَّة الدُّوليَّة الَّتي اختلفت فيما بينها في تحديد المدَّة المثلى، فأوصتْ بحدودٍ دنيا مختلفة تراوحت بين السِّتَّة أشهر والسَّنتين أو أكثر من ذلك، لكنَّها اتَّفقت على أنَّ زيادة مدَّة الرَّضاعة ضمن هذا المدى الزَّمنيّ تعود بالنَّفع على الطِّفل. ولم تجعل الشريعةُ الإرضاعَ حتَّى تمام الحولين واجبًا، وإنَّما جعلته حدًّا يُرجَع إليه عند اختلاف الزَّوجين، بحيث يكون لمن أراد إكمالَه منهما الحقُ في ذلك، مع جواز اتِّفاقهما على الفِطام قبل بلوغ هذه المدَّة.

٢٣- ربط القرآن الكريم ربطًا مذهلًا بين العمر الحَمْليّ ومدَّة الرَّضاع؛ حيث قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، فجَعَلَ وقتَهما معًا ثلاثين شهرًا، ويُفهَم من ذلك إيلاءُ أهمِّيَّة خاصَّة لرضاعة الأطفال الخُدُج، وهو ما أكَّدته نتائج البحوث التَّجريبيّة الَّتي أثبتتْ الفوائدَ الكبيرة للرَّضاعة الطَّبيعيَّة عند هؤلاء الأطفال على وجه الخصوص. وقد استنبط المفسِّرون من الجمع بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، تحديد أدنى مدَّة الحمل، إلَّا أنَّ فيه أيضاً تحديدًا لأدنى مدَّة كمال الرَّضاع الَّتي يجب أن تزداد كلَّما قصرت مدَّة الحمل، فإذا كانت مدَّة الحمل ستَّة أشهر كانت مدَّة كمال الرَّضاع سنتين، وإذا كانت مدَّة الحمل تسعة أشهر يتبقَّى لأدنى مدَّة كمال الرَّضاع واحدٌ وعشرون شهراً.

٢٤- تحرِّم الشَّريعة الإسلاميَّة بالرَّضاع ما تحرِّمه بالنَّسب، فقد نصَّ القرآن الكريم على هذا التَّحريم ثمَّ جاءت السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة فوضعت ضوابطه الدَّقيقة وعلَّلته بأسلوب واضح. وقد أثبتت البحوث التَّجريبيَّة غنى لبن الأمّ بالكثير من المكوِّنات والعوامل الحيويَّة الَّتي تشارك في تكوين جسم الرَّضيع وأجهزته المختلفة. ويُلاحَظ أنَّ قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ يدلُّ على تحريم نكاح الأمَّهات والأخوات من الرَّضاعة، كما يدلُّ على أنَّ هذا التَّحريم يسري إلى أصولهما وفروعهما. وذهب جمهور المفسِّرين إلى اعتبار زوجِ المرضِع أبًا للرَّضيع، ممَّا يترتَّب عليه تحريم أصوله وفروعه عليه، ولو من غير المرضِع، باعتباره صاحب اللقاح الَّذي كان سببًا في تكوُّن اللبن الَّذي تغذَّى منه الرَّضيع. وذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ الرَّضاع المحرِّم يثبت في الصِّغر دون الكِبَر، والرَّاجح هو ما قال به الشَّافعيَّة والحنابلة في المعتمَد عندهم من كون التَّحريم بالرَّضاع يثبت بخمس رضعات متفرِّقات فأكثر.

٢٥- القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، وقد عُدَّ نظمه أحد أبرز أوجه إعجازه، بل هو الأصل الَّذي تتفرَّع عنه سائر وجوه الإعجاز الأخرى، من هداية دينيَّة، وتوجيهات أخلاقيَّة، وتشريعات، وإشارات غيبيَّة وعلميَّة وغيرها. وتُعَدُّ الإشارات العلميَّة لخلق الإنسان في القرآن الكريم من أبرز مظاهر الإعجاز العلميّ فيه.

٢٦- تناولت آياتُ القرآن الكريم خلقَ الإنسان ونماءَه الجنينيَّ، وتمتاز هذه الآيات بمرونة دلالتها واتِّساع معانيها، ممَّا يسمح بتضمُّنها لإشارات علميَّة دقيقة دون فَرْضِ تأويلات قطعيَّة. وقد سمح امتياز الآيات بحمل هذه المعاني غير القطعيَّة للبشريَّة بتلقِّي القرآن على مرِّ العصور دون أن تُشَكِّل الإشارات العلميَّة عائقًا أمام فهمه، بل كانت دائمًا مجالًا مفتوحًا للتأمُّل والاستنباط. وكما هو الحال في سائر أوجه الإعجاز الأخرى، فإنَّ الغاية من هذه الإشارات هي إقامة الحجَّة دون سلب الاختيار في الإيمان. وإنَّ احتواء القرآن على إشارات علميَّة تتوافق معها الحقائق الثَّابتة في العصر الحديث لا يعني حَصْرَ دلالات الآيات في تفسيرٍ علميٍّ محدَّدٍ، بل ينبغي إبقاؤه ضمن الأوجه المحتمَلة للمعاني، مع الحفاظ على المعاني اللغويَّة والبلاغيَّة والتَّشريعيَّة للنُّصوص.

٢٧- يتجلَّى الإعجاز العلميُّ الحقيقيُّ للقرآن في خلُوِّه من أيِّ تناقض مع الحقائق العلميَّة الثَّابتة، رغم نزوله في عصر لم يكن فيه للعلم الحديث أيُّ وجود، في حين أنَّ الكتب العلميَّة، مهما بلغت دقَّتها، تخضع للتَّنقيح المستمرِّ والتَّعديلات الدَّوريَّة، ويُعَدُّ ذلك دليلًا إضافيًّا على مصدر القرآن الإلهيِّ.

٢٨- يتطلَّب التَّفسير العلميُّ للقرآن أدوات منهجيَّة خاصَّة يجب أن يمتلكَها كلُّ من يتصدَّى له، فإضافةً إلى أدوات المفسِّر المعروفة لا بدَّ من أن يكون ملمًّا بالعلوم التَّجريبيَّة ذات الصِّلة، حتَّى يكون كأعلم أهلها بها. وقد وقع بعض المفسِّرين في أخطاء في تفسيرهم لآيات خلق الإنسان بسبب نقص المعرفة العلميَّة بفروع طبِّ النِّساء والتَّوليد وعلم الجنين. ومن جهة أخرى، فإن امتلاك المعرفة العلميَّة لا يؤهِّل صاحبها للخوض في التَّفسير دون الالتزام بضوابطه المنهجيَّة الَّتي تحمي من الوقوع في التَّأويلات الخاطئة، ممَّا يبرز أهميَّة التَّوازن بين العلوم الشَّرعيَّة والعلوم التَّجريبيَّة في هذا المجال.

والله تعالى أعلم.

توصيات البحث:

بناءً على ما توصَّـل إليه البحث من نتائج، يمكن تقديمُ التوصـيات الآتية لتعزيز منهجيَّة التَّفسـير العلميِّ للقرآن الكريم، وضمان سلامته من النواحي الشَّرعيَّة واللغويَّة والعلميَّة:

١- إنشـاء هيئة عالميَّة متخصِّـصة في التَّفسير العلميِّ للقرآن تضـمُّ نخبةً من العلماء في التَّفسير، واللغة، والعلوم التَّجريبيَّة، مع تكوين لجان اسـتشـاريَّة علميَّة تابعة لها لمراجعة التَّفسـيرات العلميَّة الجديدة واعتمادها قبل نشرها.

٢- إطلاق مجلة علميَّة محكَّمة متخصِّصة في التَّفسير العلميِّ، واعتماد التَّحكيم العلميِّ والشَّرعيِّ كشرط أسـاسـيٍّ لنشـر أيِّ بحث في هذا المجال، مع إلزام المفسِّـرين بعزو المعلومات العلميَّة إلى مصـادرها الأكاديميَّة وتوضيح مدى استقرارها علميًّا وتبيان قوَّة دليلها العلميِّ.

٣- إدراج التَّفسير العلميِّ ضمن المناهج الجامعيَّة، وتنظيم دورات وورش عمل دوريَّة لتعزيز فهم الطُّلاب والمفسِّرين للعلوم الحديثة وآليَّات التَّفسير العلميِّ المنضبط.

٤- إنشـاء قاعدة بيانات رقميَّة شـاملة تحتوي على جميع الدِّراسـات المعتمَدة، ممَّا يُسـهِّل على الباحثين الوصول إلى المعلومات الدَّقيقة الخاضعة للمراجعة.

٥- الاسـتفادة من الذَّكاء الاصـطناعيِّ بتصـميم برامج لتحليل التَّفسـير العلميِّ، بحيث تقوم بمقارنة التَّفسيرات العلميَّة بالنُّصوص الشَّرعيَّة والحقائق العلميَّة المثبَتة، ممَّا يقلِّل الأخطاءَ المحتمَلةَ.

وفي الختام، أسـأل الله تعالى التَّوفيق والقَبول، وأن يجعل هذا العمل خالصًـا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليم، وصلَّى الله وسلمَّ وبارك على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.



الفهارس العلميَّة

أوَّلًا: فهرس الآيات القرآنيَّة المدروسة.

ثانيًا: فهرس الأحاديث النَّبويَّة والآثار.

ثالثًا: فهرس الأشعار.

رابعًا: فهرس الأعلام المسلمين.

خامسًا: فهرس الأعلام الغربيين.

سادسًا: فهرس المصطلحات الشَّرعيَّة واللغويَّة والاجتماعيَّة.

سابعًا: فهرس المصطلحات المتعلِّقة بالعلوم الطِّبيَّة والطَّبيعيَّة.

ثامنًا: فهرس الأشكال.

تاسعًا: قائمة المصادر والمراجع.

عاشرًا: فهرس المحتويات.

فهرس الآيات القرآنيَّة المدروسة

الآية	السُّورة	رقم الآية	رقم الصَّفحة
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾	البقرة	٣٠	٦٥
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	البقرة	٣٥	٦٤
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾	البقرة	١١٦	٢٠٤
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾	البقرة	٢٢٨	٢٢٣
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾	البقرة	٢٣٢	٢٢٤
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾	البقرة	٢٣٣	١٧٥، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٤
﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾	البقرة	٢٣٣	٢٢٨، ٢٣٤
﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾	البقرة	٢٣٣	٢٢٤
﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾	البقرة	٢٣٣	٢٣٢
﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	آل عمران	٦	١٨٥
﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾	آل عمران	٣٦	٢٠٤
﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	آل عمران	٤٩	١٥٩
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	آل عمران	٥٩	٦٥، ٧٦
﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾	النِّساء	١	٥٦، ٧١،
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾	النِّساء	٢٣	٢٤٨، ٢٥٦

الآية	السُّورة	رقم الآية	رقم الصَّفحة
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾	النِّساء	٨٢	٣٦
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾	المائدة	٣	٢٤٨
﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾	المائدة	١١٠	١٥٩
﴿وَهُوَ الَّذي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	الأنعام	٩٨	٥٦
﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾	الأنعام	١٣٣	٧٩
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾	الأعراف	١١	٧٥، ٧٩
﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	الأعراف	١٩	٦٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾	الأعراف	١٧٢	٥٩
﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾	الأعراف	١٨٩	٥٤، ٥٦، ٧١
﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	هود	٦١	٥٣
﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾	يوسف	٢١	٢٠٤
﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾	الرَّعد	٨	١٦٧، ١٩٨
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	الحجر	٢٨، ٢٩	١٥٩
﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	النَّحل	٤	١٢٩
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾	النَّحل	٧٨	١٨٥
﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾	الإسراء	٣	٧٩
﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾	الإسراء	٦٢	٧٩
﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾	الكهف	٣٧	١٢٩
﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾	مريم	٣٣	٢٠٣
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۞ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾	طه	١١٦، ١١٧	٦٤
﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	الأنبياء	٩١	١٥٩

الآية	السُّورة	رقم الآية	رقم الصَّفحة
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾	الحج	٥	١١١، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٠، ١٨٥، ١٩٦، ٢٠٨
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	المؤمنون	١٣، ١٤	٩٠، ١١١، ١٣٠، ١٥٥، ١٦٣
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾	المؤمنون	١٣	١٨٩
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	المؤمنون	١٤	١٣٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٠، ١٥٦
﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾	القصص	٥٣	١٠٢
﴿وَهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَرًا، فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾	الفرقان	٥٤	١٢٢
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	الرُّوم	٢١	٧٢
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾	لقمان	٧	١٠٢
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾	لقمان	١٤	١٧٥، ٢٣٨، ٢٤٤
﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾	لقمان	٣٤	٢٠١

الآية	السُّورة	رقم الآية	رقم الصَّفحة
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾	السَّجدة	٧ – ٩	١١٩، ١٢٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٣
﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾	الأحزاب	٦	٢٤٨
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	فاطر	١١	٨٧، ١٠١، ١٣٠، ١٧٠، ١٩٨، ٢٠٤
﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾	يس	٣٦	٨٩
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾	يس	٦٠	٥٩
﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	يس	٧٧	١٣٠
﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۞ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾	الصَّافات	٧٧ – ٧٩	٧٩
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	ص	٧٢	٦٤، ١٥٩
﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾	الزُّمر	٦	٥٤، ٥٦، ٧١، ١١٠، ١٨٥، ١٩٢
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	غافر	٦٧	١٣١، ١٣٨، ٢٠٨
﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾	فصّلت	٤٧	٢٠٤

الآية	السُّورة	رقم الآية	رقم الصَّفحة
﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾	الأحقاف	١٥	١٧٥، ٢٠٤، ٢٣٩، ٢٤٤
﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾	محمَّد	٣٨	٨٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	الحجرات	١٣	٨٤
﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾	النَّجم	٣٢	١٨٦، ٢٠١
﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا۞ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى۞ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى۞ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى۞ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾	النَّجم	٤٢- ٤٩	٩٢
﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى۞ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾	النَّجم	٤٥، ٤٦	٨٧، ٩٢، ١٠١، ١٣١
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	القمر	٤٩	١٦٨
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾	الحشر	٢٤	٧٥
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	التَّغابن	٣	٧٥
﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾	الطَّلاق	٦	٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢
﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾	التَّحريم	١٢	١٥٩
﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾	الملك	٢٣	١٦٣
﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾	نوح	١٤	١١٠
﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾	القيامة	٣٧-٣٩	٩٢، ١٠١
﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾	القيامة	٣٧	٨٧، ١٣١

الآية	السُّورة	رقم الآية	رقم الصَّفحة
﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾	القيامة	٣٨	١٣٨
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	الإنسان	٢	٨٧، ١٣١
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	الإنسان	٣	٢٠٥
﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾	المرسلات	٢٠ – ٢٣	١٢٢، ١٦٧، ١٨٥، ١٩٠
﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾	عبس	١٩، ٢٠	١٣١، ١٦٧
﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾	عبس	١٩– ٢٣	٢٠٥
﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾	الطَّارق	٥– ٧	١٢٢، ١٩٠، ٢١٠، ٢١٢
﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۞ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾	الطَّارق	٥– ١٠	٢١٩
﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ﴾	العلق	٢	١٣٦، ١٣٩، ١٤١
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾	الإخلاص	٣	٢٠٤

فهرس الأحاديث النَّبويَّة والآثار

الحديث	رقم الصَّفحة
«إِذَا اسْتَقَرَّتْ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بَعَثَ إِلَيْهَا مَلَكًا...»	١٦٢
«إِذَا حَمَلَتْهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، أَرْضَعَتْهُ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ شَهْرًا...»	٢٤٤
«إِذَا رَأَتْ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ فَلْتَغْتَسِلْ... إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ...»	٨٧، ١٢٤، ٢١٤
«إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا...»	١٠٦، ١٦٢
«اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ...»	٧١
«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ... وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ...»	٣١
«أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ... وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ...»	٩٧
«أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ... وَأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ...»	٨٧، ٩٧
«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ...»	١٥٧، ١٦١
«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ...»	١٦٢
«إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ... مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا...»	٩٨
«أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أُتِيَ بِامْرَأَةٍ قَدْ وَلَدَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فَهَمَّ بِرَجْمِهَا فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا...»	١٧٥
«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ...»	١٢٩
«تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى...»	٣١
«غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ...»	٣٠
«كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ...»	٢٥٩
«لَا تُحَرِّمُ الْإِمْلَاجَةُ وَالْإِمْلَاجَتَانِ»	٢٦٠
«لَا تُحَرِّمُ الْمَصَّةُ وَالْمَصَّتَانِ»	٢٦٠
«لاَ تَحِلُّ لِي، يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ...»	٢٣٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٠
«لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعِ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْحَوْلَيْنِ»	٢٥٨
«لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضاع، إِلَّا مَا أَنْبَتَ اللَّحْمَ، وَأَنْشَزَ الْعَظْمَ»	٢٦٠
«لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ، وَكَانَ قَبْلَ الفِطَامِ»	٢٥٨
«لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ... كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»	٨٥
«مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ...»	٧٢
«مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ...»	١٣٤
«نَعَمْ، إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا يَحْرُمُ مِنَ الوِلاَدَةِ»	٢٥٠
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ...»	٨٥

فهرس الأشعار

البيت	الشاعر	البحر	رقم الصَّفحة
أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْلِ لا مَحَالَهْ | هِيَ الوُجوبُ ثُمَّ الاسْتِحَالَهْ	الدَّردير	الرجز	٢٣
تَخَالُفٌ للغيْرِ وحدانيهْ | في الذَّاتِ أو صِفَاتِهِ العليَّهْ	الدَّردير	الرجز	٢٤
ثُمَّ الجَوازُ ثَالِثُ الأقْسَامِ | فافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأفْهامِ	الدَّردير	الرجز	٢٣
غَضْبَانَ أَلَّا نَلِدَ البَنِينَا | لَا اللَّهِ ما ذَاكَ في أَيْدِينَا	امرأة أبي حمزة الضَّبِّيّ	الرجز	٩٢
فالواجبُ العقليُّ ما لم يَقْبَلِ | الانتِفا في ذاتِه فابتَهِل	الدَّردير	الرجز	٢٣
ما لِأَبِي حَمْزَةَ لا يَأْتِينَا | يَظَلُّ في البَيْتِ الَّذِي يَلِينَا	امرأة أبي حمزة الضَّبِّيّ	الرجز	٩٢
مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ، غَيْرُ مُفاضةٍ | تَرائِبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَلِ	امرؤ القيس	الطويل	٢١١
وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا | شَرَقًا بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْر	المُخَبَّل السَّعديُّ	السريع	٢١٢
والفِعلِ فالتأثيرُ ليسَ إلا | للواحِدِ القَهَّار جلَّ وعَلا	الدَّردير	الرجز	٢٤
والمُسْتَحيلُ كلُّ ما لم يَقْبَلِ | في ذاتِه الثُّبوتَ ضِدّ الأوَّلِ	الدَّردير	الرجز	٢٣
وَإِنَّمَا نَأْخُذُ ما أُعْطِينَا | وَنَحْنُ كَالأَرْضِ لِزَارِعِينَا	امرأة أبي حمزة الضَّبِّيّ	الرجز	٩٢
وكُلّ أَمْرٍ قَابِلٍ للانْتِفا | وللثُبوتِ جائِزٌ بلا خَفا	الدَّردير	الرجز	٢٤
وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا | وآفتُهُ من الفهمِ السَّقيمِ	المتنبّي	الوافر	١٢٧
ومن يَقُل بالطَّبعِ أو بالعلَّهْ | فذاكَ كُفرٌ عند أهلِ المِلَّهْ	الدَّردير	الرجز	٢٤
ومَن يَقُل بِالقُوَّةِ المُودَعَةِ | فَذَاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلتَفِتِ	الدَّردير	الرجز	٢٤

فهرس الأعلام المسلمين

اسم الشهرة	اسم العلم	رقم الصَّفحة
ابن تيميَّة	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن الخضر بن محمَّد بن تيميَّة	٢٥
ابن دريد	محمَّدٌ بن الحسنِ بن دريد بن عَتَاهِيَةَ الأَزْدِيُّ البصريُّ، أبو بكرٍ	١٢١
ابن سِيْدَه	عليُّ بن إسماعيلَ، المعروف بابن سِيدَه الضَّريرِ الأندلسيّ، أبو الحسن	١٢٠
ابن عابدين	محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقيُّ	١٦١
ابن عاشور	محمَّد الطَّاهر بن محمَّد الشَّاذليُّ بن عبد القادر بن محمَّد بن عاشور	١٧
ابن عامر	عبدُ الله بنُ عامرِ بنِ يزيدَ بنِ تميمَ بنِ ربيعةَ بنِ عامرٍ اليحصبيُّ، أبو عمران	١٦٩
ابن عبَّاس	عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطَّلب القرشيُّ الهاشميُّ، أبو العبَّاس	٢٣٨
ابن عقيل	عليٌّ بن عقيل بن محمَّد بن عقيل بن عبد الله البغداديُّ الظفريُّ	٣٠
ابن فارس	أحمد بن فارس بن زَكَرِيَّاءَ القَزْوِينِيُّ الرَّازِيُّ، أبو الحسين	١١٩
ابن قتيبة	عبدُ اللهِ بنُ مسلمٍ بنُ قتيبةَ الدِّينَوَرِيُّ، أبو محمَّدٍ	١٢٩
ابن مسعود	عبدُ اللهِ بن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذَلِيُّ، أبو عبد الرحمن	١٦١
ابن منظور	محمَّدُ بن مُكْرَمَ بن عليٍّ، ابنُ منظورَ الأنصاريُّ الرُّويفعيُّ الإفريقيُّ، أبو الفضل	١١٩
أبو حنيفة	النُّعمان بن ثابتٍ، التَّيميُّ بالولاء، الكوفيُّ، أبو حنيفة	٢٥٧
أبو عبيدة	مُعَمَّر بن المثنَّى التَّيميُّ البصريُّ	١٩٥
أبو يوسف	يعقوبُ بن إبراهيمَ بن حبيبٍ الأنصاريُّ الكوفيُّ البغداديُّ، أبو يوسف	٢٥٧
أمُّ سُلَيْم	الرُّمَيْصَاء بنت مَلْحَان بن خالد بن زيد بن حَرَام الأنصاريَّة الخزرجيَّة	٢١٣
الإمام أحمد	أحمد بن حنبل الشَّيبانيُّ الوائليُّ، أبو عبد الله	٢٥٩
الباقلَّانيُّ	محمَّد بن الطيِّب بن محمَّد، المعروف بالقاضي الباقلَّانيّ	٢١
البخاريُّ	محمَّدٌ بن إسماعيلَ بن إبراهيم بن المغيرة البُخاريُّ، أبو عبد الله	١٦١
البيضاويُّ	عبد الله بن عمر بن محمَّد بن عليٍّ البيضاويُّ الشَّافعيُّ، أبو سعيد	٣٦
جابر	جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريُّ السُّلَميُّ، أبو عبد الله	٨٥
الجاحظ	عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، أبو عثمان	٢٩
الجوهريُّ	إسماعيلُ بنُ حَمَّادٍ الجوهريُّ، أبو نصرٍ	١٢٨
الجُوَيْنِيُّ	عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف الجُوَيْنِيُّ النَّيسابوريُّ	٢٨
حُذَيْفَةُ	حُذَيْفَةُ بن أَسِيدٍ بن خالد الْغِفَارِيُّ، أبو سَرِيْحَة	١٦١
الحَضْرَميُّ	يعقوبُ بن إسحاقَ بن زيدِ بن عبد الله الحضرميُّ، مولاهم البصريُّ، أبو محمَّد	١٧٧
الدَّردير	أحمد بن محمَّد بن أحمد بن أبي حامد العَدَويُّ المالكيُّ الأزهريُّ الخَلْوَتِيُّ	٢٣
الرَّاغب الأصفهانيُّ	الحسين بن محمَّد بن المُفَضَّل	٥٣
رضا	محمَّد رشيد بن عليٍّ رضا القلمونيُّ الحُسينيُّ	٢٥٩
الزَّبيديُّ	محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ عبد الرَّزاقِ الحُسَيْنِيُّ الزَّبِيدِيُّ، أَبُو الفَيْضِ	١٢٨

اسم الشهرة	اسم العلم	رقم الصَّفحة
الزُّبير	الزُّبير بن العوَّام بن خُويلدٍ الأَسَدِيُّ القُرشيُّ، أبو عبد الله	٢٥١
الزَّجَّاج	إبراهيمُ بنُ السَّرِيِّ بنِ سَهْلٍ الزَّجَّاجُ، أبو إسحاق	١١٩
الزُّرقانيُّ	محمَّد عبد العظيم الزُّرقانيُّ	١٧
الزَّركشيُّ	محمَّد بن عبد الله بن بهادر المصريُّ الزَّركشيُّ	١٦
زُفَرُ	زُفَرُ بن الهُذيل بن قيس العَنبريُّ البَصريُّ، أبو الهُذيل	٢٥٧
سِيبَوَيْه	عَمْرُو بن عثمان بن قُنْبُرَ الحَارِثِيُّ بالولاء، أبو بشرٍ	١١٢
الشَّاطبيُّ	إبراهيم بن موسى بن محمَّد اللخميُّ الغُرناطيُّ المالكيُّ الشَّهير بالشَّاطبيِّ	٥١
الشَّقفة	مأمون الشَّقفة	٢١٦
الصَّابونيُّ	محمَّدُ عليٌّ بن جميلٍ الصَّابونيُّ الحلبيُّ	١٢٠
العزُّ	عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السُّلَميُّ الدِّمشقيُّ	٥١
العسكريُّ	الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بن سعيد بن إسماعيل العَسْكَريُّ، أبو أحمد	١٢٩
العضد الإيْجِيُّ	عبد الرَّحمن بن أحمد بن عبد الغفَّار بن أحمد الإيْجِيُّ	٢٢
العينيُّ	محمودُ بن أحمدَ بن موسى بن أحمد العَيْنِيُّ الحنفيُّ، أبو محمَّد	١٦٠
الغَزَّاليُّ	محمَّد الغَزَّاليُّ الطُّوسِيُّ النَّيْسَابُوريُّ الصُّوفيُّ الأشعريُّ، أبو حامد	٢٥
فخر الدِّين الرَّازيُّ	محمَّد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن عليٍّ التَّيميُّ البَكريُّ	٢١
الفرَّاء	يَحْيَى بنُ زيادِ بن عبدِ اللهِ بنِ منظورٍ الدَّيْلَمِيُّ المعروف بالفَرَّاءِ، أبو زكريَّا	١٢١
الفراهيديُّ	الخليلُ بن أحمدَ بن عمرِو بن تميمٍ الفراهيديُّ الأَزْديُّ البصريُّ، أبو عبدِ الرحمنِ	١٢١
الفيروزأباديُّ	محمَّد بن يعقوبَ بن محمدٍ بن إبراهيمَ بن عمرَ الشِّيرَازِيُّ الفيرُوزَآبَادِيُّ، أبو طاهرٍ	١٣٦
القاسميُّ	جمال الدِّين بن محمَّد سعيد بن قاسم الحلَّاق	٢٥٨
القاضي عبد الجبَّار	عبد الجبَّار بن أحمد بن عبد الجبَّار بن أحمد الهمذانيُّ الأسداباذيُّ	٢١
القاضي عياض	عِيَاضُ بن موسى بن عِيَاضُ اليَحْصَبِيُّ ، أبو الفضل	١٦٠
قَتَادَةُ	قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ، أبو الخطَّاب	٢١٣
القرضاويُّ	يوسف عبد الله القرضاويُّ	٣٦
القرطبيُّ	محمَّدُ بن أحمدَ بن أبي بكرٍ الأنصاريُّ القرطبيُّ، أبو عبد الله	١٦٠
الكسائيُّ	عليٌّ بن حمزةَ بن عبد الله الأسديُّ مولاهم، أبو الحسن الكِسائيِّ	١٦٩
الكَفَويُّ	أيُّوب بن موسى الحنفيُّ القريميُّ الكَفَويُّ، أبو البقاء	١٩
مجاهد	مُجَاهِدُ بن جَبْرٍ، أبو الحجَّاج المكِّيُّ، مولى بني مَخْزُومٍ	٨٦
محمَّد الشَّيْبَانيُّ	محمَّد بن الحسن بن فَرْقَد الشَّيْبَانِيُّ، أبو عبد الله	٢٥٧
المراغيُّ	أحمد بن مصطفى المراغيُّ	٢٥٨
مسلم	مسلمُ بن الحجَّاجِ بن مسلمٍ القُشَيريُّ النَّيسابوريُّ، أبو الحسين	١٦٢
نافع	نافع بن عبد الرَّحمن بن أبي نعيم اللَّيثيُّ مولاهم، أبو رُوَيم	١٦٩
النَّسفيُّ	ميمون بن محمَّد النَّسفيُّ، أبو المعين	٢١

اسم الشهرة	اسم العلم	رقم الصَّفحة
النَّوويُّ	يحيى بن شرف بن مَرِيّ بن حسن النَّوَوِيُّ، أبو زكريَّا	١٦٠

فهرس الأعلام الغربيِّين

اسم العَلَم	رقم الصَّفحة
Constantinus Africanus	١١٥
Aristotle	١١٥
Karl Ernst von Baer	١١٨
Maurice Bucaille	١٢٠
Charles Robert Darwin	٥٩
Leonardo da Vinci	١١٥
Galenus	١١٥
Regnier de Graaf	١١٦
Nicolaas Hartsoeker	١١٧
William Harvey	١١٦
Antonie van Leeuwenhoek	١١٧
Marcello Malpighi	١١٧
Gregor Mendel	٦٠
Heinz Christian Pander	١١٨
Matthias Schleiden	١١٨
Theodor Schwann	١١٨
Lazzaro Spallanzani	١١٧
Alfred Russel Wallace	٥٩
Caspar Friedrich Wolff	١١٧

فهرس المصطلحات الشَّرعيَّة واللغويَّة والاجتماعيَّة

المصطلح	رقم الصَّفحة
الإدماج	١٢١
الاستئناف البيانيُّ	٢١٩
الأشاعرة	٢٤
الإطناب	١٢١
أنواع العموم	٥٧
التَّذييل	٨٠
التّضاد	١٢٨
التَّعريض	٨٠
التَّفريع عند النُّحاة	١٥٢
التوكيد	٢٠١
(ثُمَّ) للتَّفاوت الرُّتبيّ وللتَّراخي الرُّتبيّ	١٥٦
الجوْهَر الفَرْد	٤٥
الشُّعوبيَّة	٢٩
(قد) ومعانيها مع الفعل الماضي	٧٧
القرينة	٢٠١
القصر	١٩٨
الكناية	١٩٩
اللوازم المعنويَّة	١١٢
المجاز	١٥١
المجاز العقليُّ	١٩٠
المجاز المرسل	٢١٢
مراعاة المقام	٥٧
المسند والمسند إليه	٢٠١
المُطلَق	٨٦
النَّصُّ عند الأصوليّين	٦٦
النِّكاح	٢٤٨
النَّكرة	٨٦

فهرس المصطلحات المتعلِّقة بالعلوم الطِّبيَّة والطَّبيعيَّة

المصطلح	رقم الصَّفحة
أجربة غراف (Graafian follicles)	١١٦
الإخصاب (Fertilization)	١٣٤
آدم الصِّبْغِيُّ وَاي (Adam Y-chromosom)	٦٧
الأرومة الغاذية (Trophoblast)	١٣٩
الأرومة المضغيَّة (Embryoblast)	١٣٩
الأضداد أو الأجسام المضادة (Antibody)	٦٣
الأليل (Allele)	٦٣
الأَمِيبَة (Amoeba)	٦٦
الانتقاء الطَّبيعي (Natural selection)	٥٩
الانقسام الخيطيُّ (Mitosis)	١٣٢
الانقسام المُنصِّف (Meiosis)	١٣٢
البِبْتِيْدَات (Peptides)	٦٣
التَّطوُّر البيولوجيُّ (Biological evolution)	٥٩
التُّوَيْتَة (Morula)	١٣٩
الجسم الأصفر (Corpus luteum)	١٩١
الجُسَيدات (Somites)	١٥٢
جسيمات بار (Barr)	١٠٠
الجِيْنَات (Genes)	٦١
الجِيْنُوم البشريّ (Human genome)	٧٧
الحمل المتأخِّر (Late-term pregnancy)	١٨١
الحمل بعد الأوان (Post-term pregnancy)	١٨١
حوَّاء المِيْتُوكُونْدْرِيَّة (Mitochondrial Eve)	٦٨
الخديج الشَّديد (Very preterm)	١٧٨
الخَدِيج المتأخِّر (Late preterm)	١٧٨
الخديج المتوسِّط (Moderately preterm)	١٧٨
الخلايا الجذعيَّة (Stem cells)	٢٥٤
الدَّاروينيَّة (Darwinism) أو نظرية التَّطوُّر (Theory of evolution)	٥٩
الدَّاروينيَّة الحديثة (Neo Darwinism)	٦٠
دور الصُّدفة في نظريَّة التَّطوُّر (The role of chance in evolution)	٦٠
السَّاقط (Decidua)	١٩٤

المصطلح	رقم الصَّفحة
الصِّبْغِيَّات (Chromosomes)	٦٢
الصِبْغِيَّات الأبويَّة (Parental chromosomes)	١٠٠
صِبْغِيَّات الأجداد (Ancestral chromosomes)	١٠٠
الطَّفَرات (Mutations)	٦١
العامل المُربِك (Confounding factor)	٦٤
عسر الولادة الكتفيّ (Shoulder dystocia)	١٨٢
العَقِيُّ (Meconium)	١٨١
علم الأحياء والوراثة السُّكانيَّة (Population genetics and biology)	٦٠
علم الوراثة المِنْدِليَّة (Mendelian genetics)	٦٠
العمر الحمليُّ (Gestational age)	٢٤٥
العمر الزمنيُّ (Chronological age)	٢٤٥
العمر المصحَّح (Corrected age)	٢٤٥
العَمْلَقَة (Macrosomia)	١٨١
عوامل النُّموّ (Growth factors)	٢٥٥
غشاء السَّلى أو الأمنيون (Amnion)	١٩٤
غشاء الكوريون (Chorion)	١٩٤
الفشل الإنجابيّ (Reproductive failure)	٢٠٢
القُسَيْمات الأروميَّة (Blastomeres)	١٣٩
القُسَيمات الجسديَّة (Somitomeres)	١٥٢
الكيسُ السَّلويُّ أو الكيس الأمينوسيُّ (Amniotic sac)	١٤١
الكيسة الأريميَّة (Blastocysts)	١١٦
اللبأ (Colostrum)	٢٢٥
المُتَقَدِّرات (Mitochondria)	٦٨
المرحلة الجَنِيْنِيَّة (Fetal stage)	١١٠
المرحلة المُضْغِيَّة (Embryonic stage)	١١٠
المُستَضِدات أو مولِّدات الضد (Antigens)	٦٣
المشيمة (Placenta)	١٩٤
نظريَّة التَّخَلُّق المتتالي (Epigenesis)	١١٧
نظريَّة الكم (Quantum theory)	٤٤
النَّظريَّة النِّسبيَّة (Theory of relativity)	٤٤
نفيْرُ فَالوب (Fallopian tube)	٩٥
الهرمون اللُّوتينِيّ (Luteinizing hormone)	١٣٣

المصطلح	رقم الصَّفحة
الوطاء أو تحت المهاد (Subthalamus)	١٣٣
الولادة المبكِّرة (Early-term delivery)	١٧٩
الولادة المهبليّة الطَّبيعيَّة (Normal vaginal delivery)	٢٠٣
الولادة قبل الأوان (Preterm delivery)	١٧٩

فهرس الأشكال

رقم الشَّكل	عنوان الشَّكل	رقم الصَّفحة
(١)	أنواعَ الدَّليل العلميّ	٤٩
(٢)	مثال يوضح كيفية وجود آدم الصِّبْغِيّ واي ابتداء من عدَّة أسلاف	٦٨
(٣)	شجرة النَّسب لشخص واحد يبين الفرق بين نمطي الوراثة النَّوويَّة والمِيْتُوكُونْدْرِيَّة	٦٩
(٤)	العناصر الكيميائيَّة الأساسيَّة المطلوبة لوجود الحياة محدَّدة على الجدول الدَّوريّ	٨٩
(٥)	التَّغيُّرات في بطانة الرَّحم والتَّغيرات المقابلة في المبيض المترافقة مع حدوث الحمل	٩٥
(٦)	الإلقاح وأحداث النَّماء خلال الأسبوع الأوَّل	٩٦
(٧)	رسم ليوناردو دافنشي في القرن الخامس عشر الميلاديّ يُظهِر جنينًا في الرحم	١١٦
(٨)	شكلٌ ترسيميٌّ للحيوان المنويّ لهَارْتْسُوْيْكَر	١١٧
(٩)	البُيَيْضَة الملقَّحة وانقساماتها حتَّى الوصول إلى مرحلة التُّوَيْتَة	١٣٩
(١٠)	بداية الانغراس في بطانة الرَّحم	١٤٠
(١١)	انغراس العلقة في جدار الرَّحم	١٤١
(١٢)	الجانب الأيسر من جنين بعمر ٢٨ يومًا معطيًا شكلًا يشبه المضغة	١٤٤
(١٣)	جنين بعمر ١٨ أسبوعًا، يتَّصل بالمشيمة بحبله السُّريّ، ويُظهِر المشيمة والسَّلى	١٤٨
(١٤)	التَّغيُّرات في بطانة الرَّحم والتَّغيرات المقابلة في المبيض أثناء دورة حيضيَّة منتظمة من غير إخصاب	١٨٨
(١٥)	التَّغيرات الطَّارئة على ارتفاع الرَّحم انطلاقًا من قاع الحوض	١٨٩
(١٦)	الأوضاع الشَّاذَّة لانغراس الكيسة الأريميَّة	١٩١
(١٧)	التَّغيُّرات الطَّارئة على حجم الجنين وامتداده خلال أواخر الحمل	٢٠٧
(١٨)	منظر أماميٌّ للقصِّ والأضلاع الَّتي تُشكِّل القفص الصَّدريَّ	٢١٧
(١٩)	منظر جانبيٌّ للصَّدر يُظهِر علاقة عظم القصِّ بمستويات الفقرات	٢١٨

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

القرآن الكريم.

ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ابن الأثير، علي بن محمد الجزري (المتوفى: ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

ابن الأثير، نصر الله بن محمد الجزري (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

ابن التركماني، علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني علاء الدين (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الجوهر النقي على السنن الكبرى للبيهقي، دار الفكر.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، الإسكندرية، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، طبع لأول مرة عام ١٣٥١هـ بعناية جوتشالك برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ابن النجار، محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي تقي الدين (المتوفى: ٩٧٢هـ)، منتهى الإرادات، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

ابن أمير حاج، محمد بن محمد بن محمد (المتوفى: ٨٧٩هـ)، التقرير والتحبير على تحرير الكمال لابن الهمام، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

ابن جني، عثمان الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

ابن جني، عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الثقات، طبع بإشراف الدكتور محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، الطبعة الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد/ الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى: ٨٥٢هـ)، موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، تحقيق حمدي السلفي، وصبحي السامرائي، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي (المتوفى: ٩٧٣هـ)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٧هـ/ ١٩٨٣م.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري أبو محمد (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت.

ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي (المتوفى: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.

ابن دريد الأزدي، محمد بن الحسن بن دريد (المتوفى: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٩٥هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، رد المحتار على الدر المختار، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ابن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، الأمثال السائرة من شعر المتنبي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السَّلام محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

ابن عقيل، علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري (المتوفى: ٥١٣هـ)، الواضح في أصول الفقه، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق الدكتور محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، غريب القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩م.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، المغني، مكتبة القاهرة، القاهرة.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (المتوفى: ٧٥١هـ)، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، تحقيق محمد إسكندر يلدا، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (المتوفى: ٧٥١ هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان وأحمد عبد الله أحمد، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي الجياني (المتوفى: ٦٧٢هـ)، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الطبعة الأولى، دار هجر، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الأفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٢م.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (المتوفى: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق زكريا عبد المجيد النوقي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق حسن هنداوي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، بيروت، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م.

أسعد، علي، مقاصد قرآنية يناط بها التمكين الأسري، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ٢٠١٠م، المجلد ٢٦، العدد الثاني: ٤٥٩-٥٠٢.

الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن (المتوفى: ٣٢٤هـ)، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ.

الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد (المتوفى: ٧٤٩هـ)، بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب)، تحقيق محمد مظهر بقا، الطبعة الأولى، دار المدني، السعودية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

الأطرش، رضوان جمال، وقائد، نشوان عبده خالد، الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الخاص الأول، ٢٠١١م: ١٨٥-٢٢١.

الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

الآمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (المتوفى: ٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت.

امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (المتوفى: ٥٤٥ م)، ديوان امرئ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، الطبعة الثالثة، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الطبعة الثامنة، الدار السعودية، جدة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

الباقلاني، محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣ هـ)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٠م.

الباقلاني، محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣ هـ)، التقريب والإرشاد (الصغير)، تحقيق عبد الحميد بن علي أبو زنيد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

البغا، مصطفى ديب، ومستو، محيي الدين، الواضح في علوم القرآن، الطبعة الثانية، دار الكلم الطيب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين الباباني (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة، استانبول، ١٩٥١م، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

بوكاي، موريس، الكتاب المقدس والقرآن الكريم والعلم، مراجعة وتقديم منذر الحايك، الطبعة الأولى، دار صفحات، دمشق، ٢٠١٥م.

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.

البيطار، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

البيهقي، أحمد بن الحسين (المتوفى: ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (المتوفى: ٧٩١هـ)، شرح العقائد النسفية، تحقيق أحمد حجازى السقا، الطبعة الأولى، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٧م.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (المتوفى: ٧٩١هـ)، شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

التكروري، أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التنبكتي السوداني (المتوفى: ١٠٣٦هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الثانية، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠م.

التهانوي، محمد بن علي بن محمد حامد الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م.

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م.

الجاحظ، عمرو بن بحر الليثي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ..

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (المتوفى: ٤٧١هـ)، الرسالة الشافية (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (المتوفى: ٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، دار المدني، جدة/ القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: ٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الجسر، حسين أفندي، الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠١٢م، طبع لأول مرة ١٨٨٨م.

الجسر، نديم، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، أبو نصر (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

جوهري، طنطاوي (المتوفى: ١٣٥٨هـ)، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

الجويني، عبد الملك بن عبد الله، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

حامدي، عبد الكريم، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٨م.

الحرالي، علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي (المتوفى: ٦٣٨هـ)، تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، تحقيق محمادي بن عبد السلام الخياطي، الطبعة الأولى، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

الحطاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي شمس الدين المعروف بالحطاب الرعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

الخالدي، صلاح بن عبد الفتاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، الطبعة الأولى، دار عمار، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

الخرشي، محمد بن عبد الله المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ)، شرح مختصر خليل وبهامشه حاشية العدوي، دار الفكر، بيروت.

الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.

الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، الطبعة الأولى، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١م.

الخياط، محمد هيثم، المعجم الطبي الموحد: إنكليزي عربي، منظمة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الرابعة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٦م.

الداوودي، محمد بن علي بن أحمد المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

دحدوح، محمد، نشأة الذرية، الطبعة الأولى، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

الدردير، أحمد بن محمد العدوي (المتوفى ١٢٠١هـ)، شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، تحقيق عبد السلام بن عبد الهادي شنار، دار البيروتي، دمشق.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الرازي الحنفي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (المتوفى: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى ٦٠٦هـ)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، راجعه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

رضا، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

رفعت، منى، مراحل خلق الإنسان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الزَّبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت.

الزَّبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (المتوفى: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الزحيلي، محمد بن مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الطبعة الثانية، دار الخير، دمشق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى (المتوفى: ١٤٣٦هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ.

الزرقاني، محمد بن عبد العظيم (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

الزركشي، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

الزمخشري، محمود بن عمرو (المتوفى: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الزمخشري، محمود بن عمرو (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، بيروت.

زيدان، عبد الجبار فتحي، (إذا) في القرآن الكريم دراسة نحوية. مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥م، المجلد الثاني، العدد الرابع: ١٣٧- ١٥٩.

السامرائي، فاضل بن صالح، الجملة العربية والمعنى، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

السبكي، بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، دار هجر، القاهرة، ١٤١٣هـ.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت.

السعدي، داود بن سلمان، أسرار خلق الإنسان: العجائب في الصلب والترائب، الطبعة الأولى، دار الحرف العربي، بيروت، ١٤١٤هـ.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

سقا، مرهف بن عبد الجبار، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، الطبعة الأولى، دار محمد الأمين، دمشق، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، بحر العلوم، تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (المتوفى: ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان/ صيدا.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق مشهور حسن، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، ١٩٩٧م.

شاكر، محمود بن محمد، مداخل إعجاز القرآن، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، مصر، ١٤٢٣هـ.

شحاته، عمرو أحمد عطيفي، واو العطف وإفادة الترتيب: دراسة دلالية على نماذج من القرآن الكريم، مجلة الزهراء، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠٢١م، المجلد ٣١، العدد ٣١: ٣٥٣٩-٣٥٩٨.

الشربيني، محمد بن أحمد شمس الدين (المتوفى: ٩٧٧هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (المتوفى: ٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠١م.

الثَّقفة، مأمون، القرار المكين، الطبعة الثانية، دار حسان، الرياض، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، تحقيق محمد صبحي حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، الطبعة الأولى، دار الصابوني، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

صالح، محمد أديب (ت١٤٣٨هـ)، تفسير النُّصوص في الفقه الإسلامي، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ.

الصباغ، محمد بن لطفي، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (المتوفى: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

ضيف الله، ضيف الله سليمان محمد، خلق الإنسان كما تعرضه آيات القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، عمان، الأردن، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

طنطاوي، محمد سيد (المتوفى: ١٤٣١هـ)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م.

الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري (المتوفى: ٧١٦هـ)، شرح مختصر الروضة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

عاشور، السعيد، الإنسان في القرآن الكريم (ديني، علمي، طبي، تربوي)، الطبعة الثانية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

عبد الباقي، محمد فؤاد (المتوفى: ١٣٨٧هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

عبده، محمد (المتوفى: ١٣٢٣هـ)، تفسير جزء عم، الطبعة الثالثة، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٤١هـ.

عتر، نور الدين (المتوفى: ١٤٤٢هـ)، علوم القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار الخير، دمشق، ١٤١٤هـ.

العراقي، أحمد بن عبد الرحيم (المتوفى: ٨٢٦هـ)، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، تحقيق محمد تامر حجازي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي (المتوفى: ٦٦٠هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩١م.

العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عثمان، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت.

العطار، حسن بن محمد بن محمود (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت.

العكبري، عبد الله، أبو البقاء (المتوفى: ٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

العمراني، منصور علي سالم ناصر، تأملات في عالمية الخطاب القرآني، مجلة المرقاة للدراسات والبحوث الإسلامية، هيئة علماء فلسطين، المجلد الخامس، العدد الخامس: ٤٣-٩١.

العيني، محمود بن أحمد بن موسى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العيني، محمود بن أحمد بن موسى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، البناية شرح الهداية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

الغزالي الطوسي، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٠٥هـ)، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة.

الغلاييني، مصطفى (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، جامع الدروس العربية، الطبعة الثامنة والعشرون، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (المتوفى: ٣٧٧هـ)، الحجة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، الطبعة الثانية، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الطبعة الأولى، دار المصرية، القاهرة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

فودة، سعيد عبد اللطيف، الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية، دار الذخائر، بيروت.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين أبو طاهر (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.

القاسمي، محمد جمال الدين (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

القاضي عبد الجبار (المتوفى: ٤١٥هـ)، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، الطبعة الثالثة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م.

القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم)، تحقيق يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس (المتوفى: ٦٨٤هـ)، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مطبعة مير محمد كتب خانه، كراتشي.

القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، الطبعة الثالثة، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر (المتوفى: ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، دار الجيل، بيروت.

القفطي، علي بن يوسف (المتوفى: ٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م.

قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، الطبعة الثانية، دار النفائس، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

القيسي، عبد القادر عبد الحميد، البرهان واستدلالاته في القرآن، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٨م، العدد السادس عشر: ٢٦١-٣١٩.

الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين (المتوفى: ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

مالك، مالك بن أنس المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، موطأ الإمام مالك، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

مبارك، محمد الصاوي محمد، معجم المصطلحات العلمية في الأحياء الدقيقة والعلوم المرتبطة بها (بالعربية والإنجليزية)، مكتبة أوزوريس، القاهرة، ٢٠٠٣م.

المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.

المتنبي، أحمد بن الحسين الجعفي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

متولي، أحمد مصطفى، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٥م.

المدني، علي خان بن أحمد الشيرازي (المتوفى: ١١٢٠هـ)، الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية، تحقيق أبو الفضل سجادي، الطبعة الثانية، مطبعة روح الأمين، قم، ١٤٣٢هـ.

المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

المرغيناني، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني أبو الحسن برهان الدين (المتوفى: ٥٩٣هـ)، الهداية في شرح بداية المبتدي، تحقيق طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

مسلم النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المصري، أحمد محمد علي، التفسير المقاصدي للقرآن الكريم خلق الإنسان نموذجًا، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، ٢٠٢٠م، العدد ٣٩: ١٦٦٧-١٧٣٦.

الميداني النيسابوري، أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، تقديم أحمد فرج، الطبعة الثالثة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٢م.

النجار، عبد الحميد، مبدأ الإنسان، الطبعة الأولى، دار الزيتونة، الرباط/ المغرب، ١٩٩٦م.

النسفي، أبو معين، ميمون بن محمد (المتوفى ٥٠٨هـ)، التمهيد لقواعد التوحيد، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب، دار الفكر.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

الهيتمي، أحمد بن محمد (المتوفى : ٩٧٣هـ)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٨٣م.

الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري (المتوفى: ٤٦٨هـ)، أسباب النزول، تحقيق عصام الحميدان، الطبعة الثانية، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٩٢م.

يوسف، محمد خير رمضان، معجم المؤلفين المعاصرين، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

Acharjee A, Prentice P, Acerini C, Smith J, Hughes IA, Ong K, Griffin JL, Dunger D, Koulman A. The translation of lipid profiles to nutritional biomarkers in the study of infant metabolism (تحويل أنماط الدهون إلى مؤشرات حيوية غذائية في سياق دراسة الاستقلاب عند الرضع). Metabolomics 2017;13(3):25.

Ajdary M, Zandieh Z, Amjadi FS, Keyhanfar F, Mehdizadeh M, Aflatoonian R. Interaction of sperm with endometrium can regulate genes involved in endometrial receptivity pathway in mice: An experimental study (تفاعل الحيوانات المنوية مع بطانة الرحم يمكن أن ينظم الجينات المشاركة في مسار استقبال بطانة الرحم عند الفئران: دراسة تجريبية). International Journal of Reproductive BioMedicine 2020;18(10):815–824.

Al-Duliamy MJ. The impact of breastfeeding duration on the development of normal occlusal features of the primary dentition among Baghdad preschool children (أثر مدة الرضاعة الطبيعية على تشكل السمات الإطباقية الطبيعية للأسنان اللبنية لدى أطفال بغداد في سن ما قبل المدرسة). Journal of Baghdad College of Dentistry 2018;30(4):1–8.

Alexander JM, McIntire DD, Leveno KJ. Forty weeks and beyond: pregnancy outcomes by week of gestation (أربعون أسبوعًا وما بعدها: نتائج الحمل حسب أسبوع الحمل الجنيني). Obstetrics and Gynecology 2000;96:291–294.

American Academy of Pediatrics. Age terminology during the perinatal period (مصطلحات العمر خلال فترة ما حول الولادة). Pediatrics 2004;114:1362–1364.

American Academy of Pediatrics. Breastfeeding and the use of human milk (الرضاعة الطبيعية واستخدام حليب الأم). Pediatrics 2012;129:e827–e841.

American College of Obstetricians and Gynecologists. Definition of term pregnancy (تعريف الحمل ضمن المدة الطبيعية). Obstetrics and Gynecology 2013;122:1139–1140. Committee Opinion No. 579.

American College of Obstetricians and Gynecologists. Practice bulletin no. 146: management of late-term and post-term pregnancies (النشرة الإرشادية رقم ١٤٦: تدبير حالات الحمل المتأخر وبعد الأوان). Obstetrics and Gynecology 2014;124:390–396.

Anatolitou F. Human milk benefits and breastfeeding .(فوائد حليب الأم والرضـــاعة الطبيعية) Journal of Pediatric and Neonatal Individualized Medicine 2012;1:11–18.

Arnold AP. A general theory of sexual differentiation .(نظرية عامة حول التمايز الجنسي) Journal of Neuroscience Research 2017;95(1–2):291–300.

Asimov I. The relativity of wrong .(نسبية الخطأ) The Skeptical Inquirer 1989;14(1):35–44.

Atkinson SA, Bryan MH, Anderson GH. Human milk: difference in nitrogen concentration in milk from mothers of term and premature infants (حليب الأم: اختلاف تركيز النيتروجين في الحليـب من أمهـات الأطفـال المولودين بموعـدهم الطبيعي والخـدج). The Journal of Pediatrics 1978;93:67–69.

Balchin I, Whittaker JC, Lamont RF, Steer PJ. Maternal and fetal characteristics associated with meconium-stained amniotic fluid (الخصـائص الأمومية والجنينية المرتبطة بالسـائل الأمنيوسي الملوث بالعقي). Obstetrics and Gynecology 2011;117:828–835.

Ballard O, Morrow AL. Human milk composition: nutrients and bioactive factors (تركيب حليب الأم: العناصـــر الغذائية والعوامل النشـــطة بيولوجيًا). Pediatric Clinics of North America 2013;60:49–74.

Bardanzellu F, Faa G, Fanni D, Fanos V, Marcialis MA. Regenerating the womb: the good, bad and ugly potential of the endometrial stem cells (تجديد الرحم: الإمكانات الجيدة والسيئة والمثيرة للجدل للخلايا الجذعية في بطانة الرحم). Current Regenerative Medicine 2017a;7:33–45.

Bardanzellu F, Fanos V, Reali A. "Omics" in human colostrum and mature milk: looking to old data with new eyes ("الدراسـات الشـاملة للجزيئات البيولوجية" في اللبأ البشـري والحليب الناضـج: نظرة جديدة إلى بيانات قديمة). Nutrients 2017b;9:843.

Bardanzellu F, Peroni DG, Fanos V. Human breast milk: bioactive components, from stem cells to health outcomes (حليب الأم البشـري: مكوناته النشـطة بيولوجيًا، من الخلايا الجذعية إلى النتائج الصحية). Current Nutrition Reports 2020;9:1–13.

Beckmann CR, Ling FW, Barzansky BM, Herbert WN, Laube DW, Smith RP. Obstetrics and Gynecology٦ .(طب التوليد وأمراض النسـاء) th ed. Philadelphia: Lippincott Williams & Wilkins, a Wolters Kluwer business; 2010.

Blaymore Bier J, Oliver T, Ferguson AE, Vohr B. Human milk improves cognitive and motor development of premature infants during infancy (حليب الأم يُحسّـــن النمو الإدراكي والحركي لدى الرضـع الخدج خلال الطفولة المبكرة). Journal of Human Lactation 2002;18(4):361–367.

Bogusławska A, Korbonits M. Genetics of acromegaly and gigantism (وراثة ضخامة الأطراف والعملقة). Journal of Clinical Medicine 2021;10(7):1377.

Boyd CA, Quigley MA, Brocklehurst P. Donor breast milk versus infant formula for preterm infants: systematic review and meta-analysis (حليب الثدي المتبرع به بالمقارنة مع الحليب الصناعي للرضع الخدج: مراجعة منهجية وتحليل تلوي). Archives of Disease in Childhood – Fetal and Neonatal Edition 2007;92:F169–F175.

Brenmoehl J, Ohde D, Wirthgen E, Hoeflic A. Cytokines in milk and the role of TGF beta (السيتوكينات في الحليب ودور عامل النمو المحول بيتا). Best Practice & Research Clinical Endocrinology & Metabolism 2018;32:47–56.

Briere CE, McGrath JM, Jensen T, Matson A, Finck C. Breast milk stem cells: current science and implications for preterm infants (الخلايا الجذعية في حليب الأم: العلوم الحالية والتطبيقات المحتملة للرضع الخدج). Advances in Neonatal Care 2016;16(6):410–419.

Burjonrappa SC, Crete E, Bouchard S. The role of amniotic fluid in influencing neonatal birth weight (دور السائل الأمنيوسي في التأثير على وزن المواليد الجدد). Journal of Perinatology 2010;30(1):27–29.

Cacho NT, Lawrence RM. Innate immunity and breastmilk (المناعة الفطرية وحليب الأم). Frontiers in Immunology 2017;8:584.

Canadian Paediatric Society. A health professional's guide for using the new WHO growth charts (دليل المهنيين الصحيين لاستخدام مخططات النمو الجديدة لمنظمة الصحة العالمية). Paediatrics & Child Health 2010;15(2):84–90.

Cann R, Stoneking M, Wilson A. Mitochondrial DNA and human evolution (الحمض النووي الميتوكوندري وأصل الإنسان). Nature 1987;325:31–36.

Castellote C, Casillas R, Ramirez-Santana C, Perez-Cano FJ, Castell M, Moretones MG, et al. Premature delivery influences the immunological composition of colostrum and transitional and mature human milk (الولادة المبكرة تؤثر على التركيب المناعي للبأ والحليب الانتقالي والناضج لدى البشر). The Journal of Nutrition 2011;141:1181–1187.

Caughey AB, Musci TJ. Complications of term pregnancies beyond 37 weeks of gestation (مضاعفات حالات الحمل ضمن المدة الطبيعية بعد الأسبوع السابع والثلاثين من الحمل). Obstetrics and Gynecology 2004;103:57–62.

Cellini C, Xu J, Buchmiller TL. Effect of esophageal ligation on small intestinal development in normal and growth-retarded fetal rabbits (تأثير ربط المريء على نمو الأمعاء الدقيقة لدى أجنة الأرانب الطبيعية ومتأخرة النمو). Journal of Pediatric Gastroenterology and Nutrition 2006;43(3):291–298.

Cesare Marincola F, Dessì A, Corbu S, Reali A, Fanos V. Clinical impact of human breast milk metabolomics (الأثر السريري للاستقلاب الغذائي في حليب الأم البشري). Clinica Chimica Acta 2015;451:103–106.

Cesare Marincola F, Noto A, Caboni P, Reali A, Barberini L, Lussu M, Murgia F, Santoru ML, Atzori L, Fanos V. A metabolomic study of preterm human and formula milk by high resolution NMR and GC/MS analysis: preliminary results (دراسة أيضية للحليب البشري للخدج والحليب الصناعي باستخدام التحليل الطيفي بالرنين المغناطيسي النووي عالي الدقة والتحليل بواسطة الكروماتوغرافيا الغازية/مطياف الكتلة: نتائج أولية). Journal of Maternal-Fetal & Neonatal Medicine 2012;25(Suppl 5):62–67.

Chen L, Ge Y, Liang Y, Yao B. Semen PH effects sperm motility and capacitation by influencing Na/K-ATPase activity and Ca concentration in spermoplasm (تأثير درجة حموضة السائل المنوي على حركة الحيوانات المنوية وقدرتها على التخصيب من خلال التأثير على نشاط إنزيم مضخة الصوديوم والبوتاسيوم وتركيز الكالسيوم داخل البلازما المنوية). Translational Andrology and Urology 2014;3(Suppl 1):AB185.

Chowdhury R, Sinha B, Sankar MJ, Taneja S, Bhandari N, Rollins N, et al. Breastfeeding and maternal health outcomes: a systematic review and meta-analysis (الرضاعة الطبيعية وتأثيرها على صحة الأم: مراجعة منهجية وتحليل تلوي). Acta Paediatrica 2015;104(Suppl 467):96–113.

Claeson M, Gillespie D, Mshinda H, Troedsson H, Victora CG; Bellagio Study Group on Child Survival. Knowledge into action for child survival (استثمار المعرفة من أجل الحفاظ على الأطفال على قيد الحياة). The Lancet 2003;362(9380):323–327.

Clausson B, Cnattingius S, Axelsson O. Outcomes of post-term births: the role of fetal growth restriction and malformations (نتائج الولادات ما بعد الأوان: أثرها في إعاقة النمو الجنيني والتشوهات). Obstetrics and Gynecology 1999;94:758–762.

Cleugh F, Langseth A. Fifteen-minute consultation on the healthy child: breast feeding (استشارة لمدة ١٥ دقيقة خاصة بالطفل السليم: الرضاعة الطبيعية). Archives of Disease in Childhood – Education and Practice Edition 2017;102(1):8–13.

Cooper TG, Noonan E, Von Eckardstein S, Auger J, Baker HWG, Behre HM, Haugen TB, et al. World Health Organization reference values for human semen characteristics (القيم المرجعية لمنظمة الصحة العالمية لخصائص السائل المنوي البشري). Human Reproduction Update 2010;16(3):231–245.

Cregan MD, Fan Y, Appelbee A, Brown ML, Klopcic B, Koppen J, et al. Identification of nestin-positive putative mammary stem cells in human breastmilk (تحديد الخلايا الجذعية الثديية المحتملة الإيجابية لبروتين النيستين في حليب الأم البشري). Cell and Tissue Research 2007;329:129–136.

De Figueiredo CS, Palhares DB, Melnikov P, Moura AJ, dos Santos SC. Zinc and copper concentrations in human preterm milk (تركيزات الزنك والنحاس في حليب أمهات الخدج). Biological Trace Element Research 2010;136(1):1–7.

Demmelmair H, Prell C, Timby N, Lonnerdal B. Benefits of lactoferrin, osteopontin and milk fat globule membranes for infants (فوائد اللاكتوفيرين، والأوستيوبونتين، وأغشية كريات الدهون في الحليب للرضع). Nutrients 2017;9:E817.

Dessì A, Murgia A, Agostino R, Pattumelli MG, Schirru A, Scano P, Fanos V, Caboni P. Exploring the role of different neonatal nutrition regimens during the first week of life by urinary GC-MS metabolomics (استكشاف دور الأنظمة الغذائية المختلفة لحديثي الولادة خلال الأسبوع الأول من الحياة باستخدام تحليل الميتابولوميات البولية بتقنية الكروماتوغرافيا الغازية – مطياف الكتلة). International Journal of Molecular Sciences 2016;17(2):265.

Devine PJ, Payne CM, McCuskey MK, Hoyer PB. Ultrastructural evaluation of oocytes during atresia in rat ovarian follicles (تقييم مجهري فائق لبنية البويضات أثناء التحلل في جريبات المبيض عند الجرذان). Biology of Reproduction 2000;63(5):1245–1252.

Divon MY, Haglund B, Nisell H, Otterblad PO, Westgren M. Fetal and neonatal mortality in the post-term pregnancy: the impact of gestational age and fetal growth restriction (الوفيات الجنينية والوليدية في الحمل ما بعد الأوان: تأثير عمر الحمل وإعاقة النمو الجنيني). American Journal of Obstetrics and Gynecology 1998;178:726–731.

Doxiadis GG, de Groot N, de Groot NG, Rotmans G, de Vos-Rouweler AJ, Bontrop RE. Extensive DRB region diversity in cynomolgus macaques: recombination as a driving force (تنوع واسع في منطقة جين دي آر بي لدى قرود المكاك السينومولغوس: التداخل الجيني كقوة دافعة). Immunogenetics 2010;62(3):137–147.

Duncan FE, Schindler K, Schultz RM, Blengini CS, Stein P, Stricker SA, Wessel GM, Williams CJ. Unscrambling the oocyte and the egg: clarifying terminology of the female gamete in mammals (فك شيفرة مصطلحي "البويضة" و"البيضة": توضيح لمفاهيم الخلية الجنسية الأنثوية في الثدييات). In: Oxford University Press; 2020. pp. 797–800.

Eden RD, Seifert LS, Winegar A, Spellacy WN. Perinatal characteristics of uncomplicated postdate pregnancies (الخصائص المتعلقة بالولادة في حالات الحمل المتأخرة غير المعقدة). Obstetrics and Gynecology 1987;69:296–299.

Edmonds DK. Dewhurst's Textbook of Obstetrics & Gynaecology (كتاب ديوهورست في طب التوليد وأمراض النساء). 7th ed. Oxford: Blackwell Publishing; 2007.

Einstein A. Relativity: The Special and the General Theory (النسبية: النظرية الخاصة والعامة). Translated by Robert W. Lawson. New York: Henry Holt and Company; 1920.

Ewens WJ. Population genetics theory – the past and the future (نظرية الوراثة السكانية – الماضي والمستقبل). In: Lessard S, editor. Mathematical and Statistical Developments of Evolutionary Theory. Dordrecht: Springer; 1990. p. 177–227.

Fahiminiya S, Gérard N. Follicular fluid in mammals (السائل الجريبي في الثدييات). Gynécologie Obstétrique & Fertilité 2010;38(6):402–404.

Fanos V. Metabolomics, milk-oriented microbiota (MOM) and multipotent stem cells: the future of research on breast milk (الاستقلاب، والميكروبيوم المرتبط بالحليب، والخلايا الجذعية متعددة القدرات: مستقبل البحث في حليب الأم). Journal of Pediatric and Neonatal Individualized Medicine 2015;4:e040115.

Fanos V, Pintus R, Reali A, Dessì A. Miracles and mysteries of breast milk: from Egyptians to the 3 M's (Metabolomics, Microbiomics, Multipotent stem cells) (معجزات وأسرار حليب الأم: من المصريين القدماء وصولًا إلى "الاستقلاب والميكروبيوم والخلايا الجذعية"). Journal of Pediatric and Neonatal Individualized Medicine 2017;6.(٢)

Feldman GB. Prospective risk of stillbirth (الخطر المتوقع للولادات الميتة). Obstetrics and Gynecology 1992;79:547–553.

Feldman R, Eidelman A. Direct and indirect effects of breast milk on the neurobehavioral and cognitive development of premature infants (التأثيرات المباشرة وغير المباشرة لحليب الأم على النمو العصبي والسلوكي والإدراكي للرضع الخدج). Developmental Psychobiology 2003;43(2):109–119.

Foster SM, Verny TR. The development of sensory systems during the prenatal period (تشكل الأنظمة الحسية خلال الفترة السابقة للولادة). Journal of Prenatal and Perinatal Psychology and Health 2007;21(3):271.

Gabbe SG, Ettinger BB, Freeman RK, Martin CB. Umbilical cord compression associated with amniotomy: laboratory observations (انضغاط الحبل السري المرتبط ببزل السلى: ملاحظات مخبرية). American Journal of Obstetrics and Gynecology 1976;126:353–355.

Garofalo R. Cytokines in human milk (السيتوكينات في حليب الإنسان). The Journal of Pediatrics 2010;156(2 Suppl):S36–S40.

Gartner L, Eidellman A, Morton J, Lawrence R, Naylor A, O'Hare D, et al. Breastfeeding and the use of human milk, American Academy of Pediatrics, Policy Statement (الرضاعة الطبيعية واستخدام حليب الأم، بيان السياسات الخاصة بالأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال). Pediatrics 2005;115(2):496–506.

Garwolińska D, Namieśnik J, Kot-Wasik A, Hewelt-Belka W. Chemistry of human breast milk: a comprehensive review of the composition and role of milk metabolites in child

development .(كيمياء حليب الأم البشري: مراجعة شاملة لتكوينه ودور مستقلباته في نمو الطفل) Journal of Agricultural and Food Chemistry 2018;66:11881–11896.

Gauger A, Axe D, Luskin C. Science and Human Origins .(العلم والأصول البشرية) Seattle, WA: Discovery Institute Press; 2012.

German BJ, Smilowitz JT, Lebrilla CB. Metabolomics and milk: the development of the microbiota in breastfed infants (الاستقلاب والحليب: تكون ونضج الزمرة الجرثومية الطبيعية في الرضع الذين يرضعون طبيعيًا). In: Kochhar S, Martin F-P, editors. Metabonomics and Gut Microbiota in Nutrition and Disease (Molecular and Integrative Toxicology). London: Humana Press (Springer); 2015. p. 147–167.

Gliboff S. Gregor Mendel and the laws of evolution .(غريغور مندل وقوانين التطور) History of Science 1999;37(2):217–235.

Greenland S, Pearl J, Robins JM. Confounding and collapsibility in causal inference .(التشويش وقابلية الانهيار في الاستدلال السببي)Statistical Science 1999;14(1):29–46.

Grigorenko AP, Borinskaya SA, Yankovsky NK, Rogaev EI. Achievements and peculiarities in studies of ancient DNA and DNA from complicated forensic specimens (الإنجازات والخصوصيات في دراسات الحمض النووي القديم والحمض النووي من العينات الجنائية المعقدة). Acta Naturae 2009;1(3):58–69.

Gross SJ, David RJ, Bauman L, Tomarelli RM. Nutritional composition of milk produced by mothers delivering preterm .(التركيب الغذائي لحليب الأمهات اللواتي يلدن قبل الأوان) The Journal of Pediatrics 1980;96:641–644.

Gross SJ. Growth and metabolic response of preterm infants fed preterm and mature milk .(النمو والاستجابة الاستقلابية للرضع الخدج الذين يتغذون على حليب أمهاتهم وعلى الحليب الناضج) Pediatric Research 1981;15:533.

Guerrini P, Bosi G, Chierici R, Fabbri A. Human milk: relationship of fat content with gestational age .(حليب الأم: العلاقة بين محتوى الدهون وعمر الحمل) Early Human Development 1981;5:187–194.

Guyton AC, Hall JE. Textbook of Medical Physiology .(كتاب الفيزيولوجيا الطبية) 8th ed. Philadelphia: W.B. Saunders Company; 1991. p. 159–169.

Hacker NF. Hacker & Moore's Essentials of Obstetrics and Gynecology (أساسيات طب التوليد وأمراض النساء لهاكر ومور). 6th ed. First South Asia Edition. Elsevier Health Sciences; 2016.

Hamosh M. Bioactive factors in human milk .(العوامل النشطة بيولوجيًا في الحليب البشري) Pediatric Clinics of North America 2001;48:69–86.

Harding JE, Cormack BE, Alexander T, Alsweiler JM, Bloomfield FH. Advances in nutrition of the newborn infant (التقدم في تغذية الرضيع حديث الولادة). The Lancet 2017;389(10079):1660–1668.

Hassiotou F, Beltran A, Chetwynd E, Stuebe AM, Twigger AJ, Metzger P, et al. Breastmilk is a novel source of stem cells with multilineage differentiation potential (حليب الأم كمصدر جديد للخلايا الجذعية ذات القدرة على التمايز إلى عدة أنسجة). Stem Cells 2012;30:2164–2174.

Hassiotou F, Geddes DT, Hartmann PE. Cells in human milk: state of the science (الخلايا في حليب الإنسان: الحالة العلمية الراهنة). Journal of Human Lactation 2013;29:171–182.

Hassiotou F, Hartmann PE. At the dawn of new discovery: the potential of breast milk stem cells (على أعتاب اكتشاف جديد: القدرات الكامنة للخلايا الجذعية في حليب الأم). Advances in Nutrition 2014;5(6):770–778.

Hassiotou F, Heath B, Ocal O, Filgueira L, Geddes D, Hartmann P, et al. Breastmilk stem cell transfer from mother to neonatal organs (انتقال الخلايا الجذعية من حليب الأم إلى أعضاء المولود). The FASEB Journal 2014;28:216.4.

Heimstad R, Romundstad PR, Hyett J, Mattsson LA, Salvesen KA. Women's experiences and attitudes towards expectant management and induction of labor for post-term pregnancy (تجارب النساء ومواقفهن تجاه الانتظار والمتابعة أو تحفيز المخاض في حالات الحمل المتأخر). Acta Obstetricia et Gynecologica Scandinavica 2007;86:950–956.

Hennighausen L, Robinson GW. Signaling pathways in mammary gland development (المسارات الإشارية في تشكل الغدة الثديية). Developmental Cell 2001;1:467–475.

Hilder L, Costeloe K, Thilaganathan B. Prolonged pregnancy: evaluating gestation-specific risks of fetal and infant mortality (الحمل المديد: تقييم المخاطر المرتبطة بأعمار الحمل المختلفة للوفيات الجنينية والوليدية). British Journal of Obstetrics and Gynaecology 1998;105:169–173.

Horta BL, Victora CG. Long-term Effects of Breastfeeding: A Systematic Review (الآثار بعيدة المدى للرضاعة الطبيعية: مراجعة منهجية). Geneva: World Health Organization; 2013.

Hosseini SM, Talaei-Khozani T, Sani M, Owrangi B. Differentiation of human breast-milk stem cells to neural stem cells and neurons (تحول الخلايا الجذعية في حليب الأم البشري إلى خلايا جذعية عصبية وعصبونات). Neurology Research International 2014;2014:807896.

Ingemarsson I, Kallen K. Stillbirths and rate of neonatal deaths in 76,761 post-term pregnancies in Sweden, 1982–1991: a register study (حالات الولادات الميتة ومعدل وفيات حديثي الولادة في ٧٦,٧٦١ حالة حمل بعد الأوان في السويد بين عامي ١٩٨٢و١٩٩١: دراسة سجلات). Acta Obstetricia et Gynecologica Scandinavica 1997;76:658–662.

Isaacs EB, Fischl BR, Quinn BT, Chong WK, Gadian DG, Lucas A. Impact of breast milk on intelligence quotient, brain size, and white matter development (تأثير حليب الأم على معامل الذكاء وحجم الدماغ وتكون المادة البيضاء). Pediatric Research 2010;67(4):357–362.

Jimenez-Gomez G, Benavente-Fernandez I, Matias-Vega M, Lechuga-Campoy JL, Saez-Benito A, Lechuga-Sancho AM, et al. Hepatocyte growth-factor as an indicator of neonatal maturity (عامل نمو الخلايا الكبدية كمؤشر على نضج حديثي الولادة). Journal of Pediatric Endocrinology & Metabolism 2013;26:709–714.

Jones C, Mackay A, Grigoriadis A, Cossu A, Reis-Filho JS, Fulford L, et al. Expression profiling of purified normal human luminal and myoepithelial breast cells: identification of novel prognostic markers for breast cancer (تحليل التعبير الجيني للخلايا الثديية الطبيعية: تحديد مؤشرات تنبؤية جديدة لسرطان الثدي). Cancer Research 2004;64:3037–3045.

Jukic AM, Baird DD, Weinberg CR, McConnaughey DR, Wilcox AJ. Length of human pregnancy and contributors to its natural variation (مدة الحمل البشري والعوامل المشاركة في التباين الطبيعي لها). Human Reproduction 2013;28(10):2848–2855.

Julvez J, Alvarez-Pedrerol M, Rebagliato M, Murcia M, Forns J, Garcia-Esteban R, et al. Thyroxine levels during pregnancy in healthy women and early child neurodevelopment (مستويات هرمون الثايروكسين خلال الحمل لدى نساء سليمات والنمو العصبي المبكر للطفل). Epidemiology 2013;24:150–157.

Kaingade P, Somasundaram I, Nikam A, Behera P, Kulkarni S, Patel J. Breast milk cell components and its beneficial effects on neonates: need for breast milk cell banking (مكونات الخلايا في حليب الأم وفوائدها لحديثي الولادة: الحاجة إلى بنوك خلايا حليب الأم). Journal of Pediatric and Neonatal Individualized Medicine 2017;6(1):060115.

Kaingade PM, Somasundaram I, Nikam AB, Sarang SA, Patel JS. Assessment of growth factors secreted by human breastmilk mesenchymal stem cells (تقييم عوامل النمو المفرزة من الخلايا الجذعية الميزنشيمية في حليب الأم). Breastfeeding Medicine 2016;11:26–31.

Kakulas F, Jeddes DT, Hartmann PE. Breastmilk is unlikely to be a source of mesenchymal stem cells (من غير المرجح أن يكون حليب الأم مصدرًا للخلايا الجذعية الميزنشيمية). Breastfeeding Medicine 2016;11:150–151.

Khan J, Vesel L, Bahl R, Martines JC. Timing of breastfeeding initiation and exclusivity of breastfeeding during the first month of life: effects on neonatal mortality and morbidity – a systematic review and meta-analysis (توقيت بدء الرضاعة الطبيعية والاقتصار عليها خلال الشهر الأول من الحياة: تأثيرها على وفيات وأمراض حديثي الولادة – مراجعة منهجية وتحليل تلوي). Maternal and Child Health Journal 2014;19(3):468–479.

Koonin EV. Defining life: an exercise in semantics or a route to biological insights (تعريف الحياة: تمرين في الدلالات اللغوية أم طريق إلى رؤى بيولوجية؟). Journal of Biomolecular Structure and Dynamics 2012;29(4):603–605.

Krebs RE. Encyclopedia of Scientific Principles, Laws, and Theories (موسوعة المبادئ، القوانين، والنظريات العلمية). Westport, CT: Greenwood Press; 2008.

Lentz GM, Lobo RA, Gershenson DM, Katz VL. Comprehensive Gynecology E-Book (كتاب إلكتروني شامل لأمراض النساء). 6th ed. Elsevier Health Sciences; 2012.

Levin FS. An Introduction to Quantum Theory (مقدمة في نظرية الكم). Cambridge: Cambridge University Press; 2002.

Lewin R. The unmasking of mitochondrial Eve (كشف النقاب عن حواء الميتوكوندرية). Science 1987;238(4823):24–26.

Liu Z, Roy NC, Guo Y, Jia H, Ryan L, Samuelsson L, Thomas A, Plowman J, Clerens S, Day L, Young W. Human breast milk and infant formulas differentially modify the intestinal microbiota in human infants and host physiology in rats (حليب الأم البشري وحليب الأطفال الصناعي يعدّلان الميكروبات المعوية بشكل مختلف لدى الرضع البشريين وفسيولوجيا المضيف لدى الفئران). The Journal of Nutrition 2016;146(2):191–199.

Lodge CJ, Tan DJ, Lau M, Dai X, Tham R, Lowe AJ, et al. Breastfeeding and asthma and allergies: a systematic review and meta-analysis (الرضاعة الطبيعية والربو والحساسية: مراجعة منهجية وتحليل تلوي). Acta Paediatrica Supplement 2015;104:38–53.

Maayan-Metzger A, Avivi S, Schushan-Eisen I, Kuint J. Human milk versus formula feeding among preterm infants: short-term outcomes (حليب الأم بالمقارنة مع الحليب الصناعي لدى الرضع الخدج: نتائج قصيرة المدى). American Journal of Perinatology 2012;29(2):121–126.

McLean FH, Boyd ME, Usher RH, Kramer MS. Post-term infants: too big or too small (الرضع بعد الأجل: هل هم أكبر من الطبيعي أم أصغر؟). American Journal of Obstetrics and Gynecology 1991;164:619–624.

Meek JY. New Mother's Guide to Breastfeeding (دليل الأم الجديدة للرضاعة الطبيعية). American Academy of Pediatrics; 2011.

Meinzen-Derr J, Poindexter B, Wrage L, Morrow AL, Stoll B, Donovan EF. Role of human milk in extremely low birth weight infants' risk of necrotizing enterocolitis or death (دور حليب الأم في الحد من خطر الإصابة بالتهاب الأمعاء الناخر أو الوفاة لدى الرضع ذوي الوزن شديد الانخفاض عند الولادة). Journal of Perinatology 2009;29(1):57–62.

Mhaske S, Yuwanati MB, Mhaske A, Ragavendra R, Kamath K, Saawarn S. Natal and neonatal teeth: an overview of the literature (الأسنان الولادية والحديثة الولادة: مراجعة عامة للأدبيات). ISRN Pediatrics 2013;2013:956269.

Miklavcic G, Flaman P. Personhood status of the human zygote, embryo, fetus (توصيف الشخصية القانونية للبييضة الملقحة والجنين في الإنسان). The Linacre Quarterly 2017;84(2):130–144.

Moles L, Manzano S, Fernández L, Montilla A, Corzo N, Ares S, et al. Bacteriological, biochemical and immunological properties of colostrum and mature milk from mothers of extremely preterm infants (الخصائص البكتيرية والكيميائية الحيوية والمناعية للبأ والحليب الناضج المأخوذ من أمهات الرضع الخدج بشكل شديد). Journal of Pediatric Gastroenterology and Nutrition 2015;60:120–126.

Mongelli M, Wilcox M, Gardosi J. Estimating the date of confinement: ultrasonographic biometry versus certain menstrual dates (تقدير تاريخ الولادة: القياسات فوق الصوتية مقابل تواريخ الحيض المحددة). American Journal of Obstetrics and Gynecology 1996;174:278–281.

Monroe J, Srikant T, Carbonell-Bejerano P, Becker C, Lensink M, Exposito-Alonso M, et al. Mutation bias reflects natural selection in Arabidopsis thaliana (انحياز الطفرات يعكس الانتقاء الطبيعي في نبات الأرابيدوبسيس ثاليانا). Nature 2022;602:101–105.

Moore KL, Persaud TVN, Torchia MG. The Developing Human: Clinically Oriented Embryology (الإنسان النامي: علم الأجنة السريري). 10th ed. Philadelphia: Elsevier Inc.; 2016.

Morgan M, Seddighi S. Obstetrics and Gynaecology (طب التوليد وأمراض النساء). th ed. Philadelphia: Lippincott Williams & Wilkins, a Wolters Kluwer business; 2005.

Morris JM, Thompson K, Smithey J, Gaffney G, Cooke I, Chamberlain P, et al. The usefulness of ultrasound assessment of amniotic fluid in predicting adverse outcome in prolonged pregnancy: a prospective blinded observational study (فائدة تقييم السائل الأمنيوسي بالموجات فوق الصوتية في التنبؤ بالنتائج السلبية في حالات الحمل المديد: دراسة رقابية تطلعية معماة). BJOG: An International Journal of Obstetrics & Gynaecology 2003;110:989–994.

Nikadi PO, Merrit TA, Pillers DA. An overview of pulmonary surfactant in the neonate: genetics, metabolism, and the role of surfactant in health and disease (نظرة عامة على العامل السطحي الرئوي لدى حديثي الولادة: الجينات، والتمثيل الغذائي، ودوره في الصحة والمرض). Molecular Genetics and Metabolism 2009;97:95–101.

Niswender GD. Molecular control of luteal secretion of progesterone (التحكم الجزيئي في إفراز الجسم الأصفر للبروجسترون). Reproduction 2002;123(3):333–339.

O'Brien CE, Krebs NF, Westcott JL, Dong F. Relationships among plasma zinc, plasma prolactin, milk transfer, and milk zinc in lactating women (العلاقات بين الزنك في البلازما،

والبرولاكتين في البلازما، وإنتاج الحليب، والزنك في الحليب لدى النســـاء المرضـــعات). Journal of Human Lactation 2007;23(2):179–183.

Okamoto T, Shirai M, Kokubo M, et al. Human milk reduces the risk of retinal detachment in extremely low-birthweight infants (حليب الأم يقلل خطر انفصـال الشـبكية لدى الرضع ذوي الوزن شديد الانخفاض عند الولادة). Pediatrics International 2007;49(6):894–897.

Pagana KD, Pagana TJ. Mosby's Manual of Diagnostic and Laboratory Tests (دليل موسبي للاختبارات التشخيصية والمخبرية). ٦th ed. St. Louis: Elsevier Health Sciences; 2018.

Partanen E, Virtala P. Prenatal sensory development (تشكل الحواس قبل الولادة). In: Goswami U, editor. Cambridge Encyclopedia of Child Development. Cambridge: Cambridge University Press; 2017. p. 231–240.

Patki S, Kadam S, Chandra V, Bhonde R. Human breast milk is a rich source of multipotent mesenchymal stem cells (حليب الأم مصـــدر غني بالخلايا الجذعية الميزنشـــيمية متعددة القدرات). Human Cell 2010;23:35–40.

Patki S, Patki U, Patil R, Indumathi S, Kaingade P, Bulbule A, et al. Comparison of the levels of the growth factors in umbilical cord serum and human milk and its clinical significance. (مقارنة مستويات عوامل النمو في مصل الحبل السري وحليب الأم وأهميتها السريرية) Cytokine 2012;59:305–308.

Pecoraro L, Agostoni C, Pepaj O, Pietrobelli A. Behind human milk and breastfeeding: not only food. (ما وراء حليب الأم والرضاعة الطبيعية: ليس مجرد غذاء) International Journal of Food Sciences and Nutrition 2018;69:641–646.

Petronczki M, Siomos MF, Nasmyth K. Un ménage à quatre: the molecular biology of chromosome segregation in meiosis (علم الأحياء الجزيئي لانفصـــال الكروموســـومات في الانقســـام الاختزالي). Cell 2003;112(4):423–440.

Pichiri G, Lanzano D, Piras M, Dessì A, Reali A, Puddu M, et al. Human breast milk stem cells: a new challenge for perinatologists (الخلايا الجذعية في حليب الأم: تحدٍ جديد لأطباء حديثي الولادة). Journal of Pediatric and Neonatal Individualized Medicine 2016;5:050120.

Pignotti MS, Donzelli G. Perinatal care at the threshold of viability: an international comparison of practical guidelines for the treatment of extremely preterm births (رعاية الحالات الواقعة عند عتبة القدرة على البقاء خلال الفترة ما حول الولادة: مقارنة دولية للإرشـادات العملية في حالات الولادة المبكرة للغاية). Pediatrics 2008;121(1):e193–e198.

Poznik GD, Henn BM, Yee MC, Sliwerska E, Euskirchen GM, Lin AA, et al. Sequencing Y chromosomes resolves discrepancy in time to common ancestor of males versus females. (تسـلسـل الصـبغيات واي يحل التناقض في زمن السـلف المشـترك بين الذكور والإناث) Science 2013;341(6145):562–565.

Pritchard JK, Seielstad MT, Perez-Lezaun A, Feldman MW. Population growth of human Y chromosomes: a study of Y chromosome microsatellites (النمو السكاني للصبغيات واي البشرية: دراسة للواسمات الدقيقة على الصبغي واي). Molecular Biology and Evolution 1999;16(12):1791–1798.

Raboch J, Škachová J. The pH of human ejaculate (درجة حموضة السائل المنوي البشري). Fertility and Sterility 1965;16(2):252–256.

Rand L, Robinson JN, Economy KE, Norwitz ER. Post-term induction of labor revisited (إعادة النظر في تحريض المخاض بعد الأوان). Obstetrics and Gynecology 2000;96:779–783.

Reali A, Puddu M, Pintus MC, Marcialis MA, Pichiri G, Coni P, et al. Multipotent stem cells of mother's milk (الخلايا الجذعية متعددة القدرات في حليب الأم). Journal of Pediatric and Neonatal Individualized Medicine 2016;5:e50103.

Rodgers RJ, Irving-Rodgers HF. Formation of the ovarian follicular antrum and follicular fluid (تكوّن الجيب الجريبي والسائل الجريبي في المبيض). Biology of Reproduction 2010;82(6):1021–1029.

Ruiz L, Espinosa-Martos I, García-Carral C, Manzano S, McGuire MK, Meehan CL, et al. What's normal? Immune profiling of human milk from healthy women living in different geographical and socioeconomic settings (ما هو الطبيعي؟ التحليل المناعي لحليب الأمهات السليمات من بيئات جغرافية واقتصادية مختلفة). Frontiers in Immunology 2017;8:696.

Rysavy MA, Li L, Bell EF, et al. Between-hospital variation in treatment and outcomes in extremely preterm infants (الاختلاف في العلاج والنتائج بين المستشفيات لدى الرضع الخدج للغاية). The New England Journal of Medicine 2015;372(19):1801–1811.

Sachse D, Bærug A, Sletner L, Birkeland KI, Nakstad B, Jenum AK, Berg JP. Urine NMR metabolomics analysis of breastfeeding biomarkers during and after pregnancy in a large prospective cohort study (تحليل الاستقلاب النووي المغناطيسي الحيوي في البول لمؤشرات الرضاعة الطبيعية أثناء الحمل وبعده: دراسة تطلعية كبيرة). Scandinavian Journal of Clinical and Laboratory Investigation 2014;74(3):264–272.

Sadler TW. Langman's Medical Embryology (علم الأجنة الطبي لانغمان). 12th ed. Philadelphia: Lippincott Williams & Wilkins, a Wolters Kluwer business; 2012.

Sakaguchi K, Koyanagi A, Kamachi F, Harauma A, Chiba A, Hisata K, et al. Breast-feeding regulates immune system development via transforming growth factor-beta in mice pups (الرضاعة الطبيعية تنظم نضج الجهاز المناعي من خلال عامل النمو المحوّل بيتا عند صغار الفئران). Pediatrics International 2018;60:224–231.

Schack-Nielsen L, Michaelsen KF. Breastfeeding and future health (الرضاعة الطبيعية والصحة المستقبلية). Current Opinion in Clinical Nutrition and Metabolic Care 2006;9:289–296.

Schanler RJ, Shulman RJ, Lau C. Feeding strategies for premature infants: beneficial outcomes of feeding fortified human milk versus preterm formula (استراتيجيات التغذية للرضع الخدج: الفوائد المرجوة من تغذية حليب الأم المدعم مقارنة مع الحليب الصناعي المخصص للرضع الخدج). Pediatrics 1999;103(6 Pt 1):1150–1157.

Shettles LB. Factors influencing sex ratios (العوامل المؤثرة في نسب الجنسين). International Journal of Gynecology & Obstetrics 1970;8(5 Pt 1):643–647.

Shetty NK. Inheritance of chromosomes, sex determination and the human genome: a new paradigm (وراثة الصبغيات، تحديد الجنس والجينوم البشري: نموذج جديد). Gender and the Genome 2018;2(1):16–26.

Singhal A, Cole TJ, Fewtrell M, Lucas A. Breastmilk feeding and lipoprotein profile in adolescents born preterm: follow-up of a prospective randomised study (الرضاعة الطبيعية والبروتين الدهني عند المراهقين الذين ولدوا قبل الأوان: متابعة لدراسة تطلعية معشاة). The Lancet 2004;363(9421):1571–1578.

Singhal A, Cole TJ, Lucas A. Early nutrition in preterm infants and later blood pressure: two cohorts after randomised trials (التغذية المبكرة للرضع الخدج وضغط الدم اللاحق: مجموعتان بعد تجارب معشاة). The Lancet 2001;357(9254):413–419.

Singhal A, Farooqi IS, O'Rahilly S, Cole TJ, Fewtrell M, Lucas A. Early nutrition and leptin concentrations in later life (التغذية المبكرة وتركيزات اللبتين في مراحل لاحقة من الحياة). The American Journal of Clinical Nutrition 2002;75(6):993–999.

Sisk PM, Lovelady CA, Dillard RG, Gruber KJ, O'Shea TM. Early human milk feeding is associated with a lower risk of necrotizing enterocolitis in very low birth weight infants (التغذية المبكرة بحليب الأم مرتبطة بانخفاض خطر التهاب الأمعاء الناخر لدى الرضع ذوي الوزن المنخفض جدًا). Journal of Perinatology 2007;27(7):428–433.

Spevacek AR, Smilowitz JT, Chin EL, Underwood MA, German JB, Slupsky CM. Infant maturity at birth reveals minor differences in the maternal milk metabolome in the first month of lactation (نضج الطفل عند الولادة يكشف عن فروقات طفيفة في استقلاب الحليب خلال الشهر الأول من الرضاعة). The Journal of Nutrition 2015;145(8):1698–1708.

Spong CY. Defining "term" pregnancy: recommendations from the Defining "Term" Pregnancy Workgroup (تعريف الحمل مكتمل المدة: توصيات من مجموعة العمل الخاصة بتعريف الحمل مكتمل المدة). JAMA 2013;309:2445–2446.

Steegers EA, Fauser BC, Hilders CG, Jaddoe VW, Massuger LF, van der Post JA, Schoenmakers S. Textbook of Obstetrics and Gynaecology (كتاب في طب التوليد وأمراض النساء). Bohn Stafleu van Loghum; 2019.

Sundekilde UK, Downey E, O'Mahony JA, O'Shea CA, Ryan CA, Kelly AL, et al. The effect of gestational and lactational age on the human milk metabolome (تأثير عمر الحمل والرضاعة على نواتج استقلاب حليب الأم). Nutrients 2016;8:304.

Takahata N. Allelic genealogy and human evolution (السلالة الجينية والتطور البشري). Molecular Biology and Evolution 1993;10(1):2–22.

Thomson R, Pritchard JK, Shen P, Oefner PJ, Feldman MW. Recent common ancestry of human Y chromosomes: evidence from DNA sequence data (السلف المشترك الحديث لكروموسومات واي البشرية: أدلة من بيانات تسلسل الحمض النووي). Proceedings of the National Academy of Sciences 2000;97(13):7360–7365.

Thulier D, Mercer J. Variables associated with breastfeeding duration (العوامل المرتبطة بمدة الرضاعة الطبيعية). Journal of Obstetric, Gynecologic & Neonatal Nursing 2009;38:259–268.

Tunon K, Eik-Nes SH, Grottum P. Fetal outcome in pregnancies defined as post-term according to the last menstrual period estimate, but not according to the ultrasound estimate (مآلات الجنين في حالات الحمل المصنفة بعد الأوان بناءً على آخر دورة شهرية، وليس بناء على التقدير بالموجات فوق الصوتية). Ultrasound in Obstetrics and Gynecology 1999;14:12–16.

Twigger A, Hepworth AR, Lai CT, Chetwynd E, Stuebe AM, Blancafort P, et al. Gene expression in breastmilk cells is associated with maternal and infant characteristics (تعبير الجينات في خلايا حليب الأم مرتبط بخصائص الأم والرضيع). Scientific Reports 2015;5:12933.

Underwood MA, Gilbert WM, Sherman MP. Amniotic fluid: not just fetal urine anymore (السائل الأمنيوسي: لم يعد مجرد بول جنيني). Journal of Perinatology 2005;25(5):341–348.

Underwood MA. Human milk for the premature infant (حليب الأم للرضيع الخديج). Pediatric Clinics of North America 2013;60:189–207.

Vohr B, Poindexter B, Dusick A, McKinley LT, Higgins RD, Langer JC, Poole KW. Persistent beneficial effects of breast milk ingested in the neonatal intensive care unit on outcomes of extremely low birth weight infants at 30 months of age (الآثار المفيدة المستمرة لحليب الأم الذي تم تناوله في وحدة العناية المركزة لحديثي الولادة عند الأطفال ذوي الوزن المنخفض جدًا عند الولادة في عمر ٣٠ شهرًا). Pediatrics 2007;120(4):e953–e959.

Vohr BR, Poindexter BB, Dusick AM, et al. Beneficial effects of breast milk in the neonatal intensive care unit on the developmental outcome of extremely low birth weight infants at 18 months of age (الفوائد الإيجابية لحليب الأم في وحدة العناية المركزة على النمو لدى الرضع ذوي الوزن المنخفض جدًا عند عمر ١٨ شهرًا). Pediatrics 2006;118(1):e115–e123.

Warren L. Review of Medical Microbiology and Immunology (مراجعة في علم الأحياء الدقيقة الطبية والمناعة). 14th ed. USA: McGraw Hill Company Inc.; 2016.

White SW. What is normal birth, and why does it matter (ما هي الولادة الطبيعية، ولماذا هي مهمة؟). Australian and New Zealand Journal of Obstetrics and Gynaecology 2022;62(4):463–465.

Wigby S, Suarez SS, Lazzaro BP, Pizzari T, Wolfner MF. Sperm success and immunity (نجاح الحيوانات المنوية والمناعة). Current Topics in Developmental Biology 2019;135:287–313.

Wilson AC, Cann RL. The recent African genesis of humans (الأصل الأفريقي الحديث للبشر). Scientific American 1992;266(4):68–75.

Wilson EB. An Introduction to Scientific Research (مدخل إلى البحث العلمي). New York: McGraw-Hill Book Company, Inc.; 1990.

Wiseman BS, Werb Z. Stromal effects on mammary gland development and breast cancer (تأثيرات الأنسجة الداعمة على نمو الغدة الثديية وسرطان الثدي). Science 2002;296:1046–1049.

Witkowska-Zimny M, Kaminska-El-Hassan E. Cells of human breast milk (خلايا حليب الأم البشري). Cellular and Molecular Biology Letters 2017;22:11.

World Health Organization. Global Strategy for Infant and Young Child Feeding (الاستراتيجية العالمية لتغذية الرضع والأطفال الصغار). Geneva: World Health Organization; 2003. 55th World Health Assembly. p. 15.

Wu J, Domellöf M, Zivkovic AM, Larsson G, Öhman A, Nording ML. NMR-based metabolite profiling of human milk: a pilot study of methods for investigating compositional changes during lactation (تحليل مكونات حليب الأم باستخدام التحليل الطيفي بالرنين المغناطيسي النووي: دراسة أولية لطُرق تتبع التغيرات التركيبية خلال الإرضاع). Biochemical and Biophysical Research Communications 2016;469(3):626–632.

Yang T, Zhang L, Bao W, Rong S. Nutritional composition of breast milk in Chinese women: a systematic review (التركيب الغذائي لحليب الأم لدى النساء الصينيات: مراجعة منهجية). Asia Pacific Journal of Clinical Nutrition 2018;27:491–502.

Yudkin PL, Wood L, Redman CW. Risk of unexplained stillbirth at different gestational ages (خطر الوفاة الجنينية غير المفسرة في أعمار حمل مختلفة). The Lancet 1987;1:1192–1194.

Zhou J, Chen L, Li J, Li H, Hong Z, Xie M, Chen S, Yao B. The semen pH affects sperm motility and capacitation (تأثير درجة حموضة السائل المنوي على حركة الحيوانات المنوية وقدرتها على الإخصاب). PLOS ONE 2015;10(7):e0132974.

Zoroddu MA, Aaseth J, Crisponi G, Medici S, Peana M, Nurchi VM. The essential metals for humans: a brief overview (المعادن الأساسية عند البشر: لمحة موجزة). Journal of Inorganic Biochemistry 2019;195:120–129.

المصادر الشبكية العربية:

إبراهيم، عدنان. حوّاء: هل خُلقت من ضلع آدم؟ [فيديو]. YouTube؛ ١٤ شباط ٢٠١٢ [تاريخ الوصول ٩ آب ٢٠٢٠]. متاح من: https://www.youtube.com/watch?v=Dijc7fiEcTc

إبراهيم، عدنان. حيوان وزيادة – ج ١ [فيديو]. YouTube؛ ٨ كانون الثاني ٢٠٢٢ [تاريخ الوصول ١٧ تموز ٢٠٢٣]. متاح من: https://www.youtube.com/watch?v=zE2KBzm9h28

أبو النجا، محمود. حديث القرآن والسنة عن الحمض النووي في الأمشاج. موقع إعجاز القرآن والسنة؛ كانون الأول ٢٠١٩ [تاريخ الوصول ٢٧ آذار ٢٠٢٢]. متاح من: https://quran-m.com/حديث-القرآن-و-السنة-عن-الحامض-النووى-فى

إسلام ويب. الشيخ العلامة القرضاوي فقيه العصر في ذمة الله. إسلام ويب؛ ٢٧ أيلول ٢٠٢٢ [تاريخ الوصول ١٢ تشرين الثاني ٢٠٢٤]. متاح من: https://www.islamweb.net/ar/article/237172

جرار، بسام. كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين. [فيديو]. YouTube؛ ٢٤ أيلول ٢٠١٧ [تاريخ الوصول ٦ أيار ٢٠٢٢]. متاح من: https://www.youtube.com/watch?v=TposI7gfFto

جرار، بسام. لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون. [فيديو]. YouTube؛ ٦ آذار ٢٠١٩ [تاريخ الوصول ١٧ أيار ٢٠٢٢].. متاح من: https://www.youtube.com/watch?v=YccAL5JJoxM

خالد، عمرو. بالحرف الواحد (لا تلوموا النساء) تحديد نوع الجنين مسؤولية الرجل – الحلقة ١٣. [فيديو]. YouTube؛ ٧ أيار ٢٠١٨ [تاريخ الوصول ٢٢ شباط ٢٠٢٣]. متاح من: https://www.youtube.com/watch?v=8aBANHKa9E4

رابطة أدباء الشام. الشاعر الطبيب الداعية مأمون الشَّقفة. رابطة أدباء الشام؛ ٢٤ أيار ٢٠٢٤ [تاريخ الوصول ٣ نيسان ٢٠٢٥]. متاح من: https://www.odabasham.net/تراجم/١٣٤٠٣٩-الشاعر-الطبيب-الداعية-مأمون-الشَّقفة

العثيمين، محمد بن صالح. وقفات مع سورة الطارق، اللقاء الشهري رقم ٤٥. إسلام ويب؛ محرم ١٤١٨هـ [تاريخ الوصول ٢٤ نيسان ٢٠٢٤]. متاح من: https://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=112349

العودة، سلمان. برنامج آدم. [فيديو]. YouTube؛ ٢٣ آب ٢٠١٤ [تاريخ الوصول ٣ تشرين الأول ٢٠٢٢]. متاح من: https://www.youtube.com/watch?v=mo1iPUca5Dw

قنيبي، إياد. سلسلة رحلة اليقين. [فيديو]. YouTube؛ ٢٢ كانون الثاني ٢٠٢٢ [تاريخ الوصول ١٩ آذار ٢٠٢٢]. متاح من: https://www.youtube.com/playlist?list=PL56IcDjrf3YJr__TEOJ2UOv3jCzht1_yc

كاتبي، محمد عدنان. محمد علي الصابوني. رابطة العلماء السوريين؛ ٢٠٢١ [تاريخ الوصول في ٢٢ آذار ٢٠٢٥]. متاح من: https://islamsyria.com/ar/محمد-علي-الصابوني/التراجم

الكحيل، عبد الدائم. هل أشار القرآن إلى تحديد نوع الجنين؟ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ بدون تاريخ [تاريخ الوصول في ١٥/ ٥/ ٢٠٢٤]. متاح من: https://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-31-08/1088-2013-03-20-14-14-47

موسوعة العيون المعرفية. سفر التكوين. موسوعة العيون المعرفية؛ ٢٠١٢ [تاريخ الوصول في ٢٤ نيسان ٢٠٢١]. متاح من: https://mandaeannetwork.com/Mandaean/bibel/1_altakween.htm

نجا، محمود عبد الله. مُعجزات باهرات في آية الخلق من بعد خلق في ظلمات ثلاث (المَبِيْض وفالوب والرحم). الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ ١٣ آب ٢٠١٩ [تاريخ الوصول في ٧ كانون الأول ٢٠١٩]. متاح من: https://www.facebook.com/Miracles.in.the.Quran1/posts/2610022615715306?__tn__=K-R

المصادر الشبكية الأجنبية:

Beckman M. The Eden Chronicles: Tracking Y Chromosome Adam (سجلات عدن: تتبع آدم كروموسوم واي). Science [Internet]. 2000 Nov 1 [cited 2019 Mar 24]. Available from: https://www.science.org/content/article/eden-chronicles-tracking-y-chromosome-adam

Brunning A. A rough guide to types of scientific evidence. (دليل مختصر لأنواع الأدلة العلمية) Compound Interest [Internet]. 2015 Apr 9 [cited 2019 Jun 19]. Available from: https://www.compoundchem.com/2015/04/09/scientific-evidence/

Childbirth Connection. Your body throughout pregnancy. (جسمكِ خلال فترة الحمل) Childbirth Connection [Internet]. 2020 [cited 2024 Aug 2]. Available from: http://www.childbirthconnection.org/healthy-pregnancy/your-body-throughout-pregnancy.html

Human Genome Project. Completion FAQ. (مشروع الجينوم البشري: الأسئلة الشائعة حول إكمال المشروع) National Human Genome Institute [Internet]. 2020 Feb 24 [cited 2022 Sep 7]. Available from: https://www.genome.gov/human-genome-project/Completion-FAQ

LibreTexts. Home. (الصفحة الرئيسية) LibreTexts [Internet]. 2023 Sep 3 [cited 2025 Feb 14]. Available from: https://chem.libretexts.org/@go/page/34

Louisiana Department of Health. Stages of fetal development: First trimester (مراحل نمو الجنين: الثلث الأول). Louisiana Department of Health [Internet]. No date [cited 2023 Apr 9]. Available from: https://ldh.la.gov/page/stages-of-fetal-development-first-trimester

Mayo Clinic. Premature birth. (الولادة المبكرة) Mayo Clinic [Internet]. No date [cited 2022 Jul 17]. Available from: https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/premature-birth/symptoms-causes/syc-20376730

National Institute of Neurological Disorders and Stroke. Brain basics: Know your brain (أساسيات الدماغ: تعرف على دماغك). National Institutes of Health [Internet]. No date [cited 20222 Mar 16]. Available from: https://www.ninds.nih.gov/health-information/your-brain/know-your-brain

O'Neil D. Biological Anthropology Tutorials. (دروس في علم الإنسان من منظور علم الحياة) Palomar College, Behavioral Sciences Department [Internet]. 2014 [cited 2021 Apr 8]. Available from: https://www2.palomar.edu/anthro/tutorials/biological.htm

Venema D. Mitochondrial Eve and Y Chromosome Adam (حواء الميتوكوندرية وآدم الكروموسوم واي). BioLogos [Internet]. 2014 Mar 13 [cited 2020 May 22]. Available from: https://biologos.org/series/evolution-basics/articles/mitochondrial-eve-and-y-chromosome-adam

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصَّفحة
العنوان	أ
الافتتاح	ب
الإهداء	ج
المستخلص	د
المقدِّمة	١ – ١٤
مشكلة البحث	١
أهميَّة البحث والجديد فيه	٢
الهدف من البحث	٣
منهج البحث	٣
الدِّراسات السَّابقة	٣
حدود البحث	٧
الصُّعوبات الَّتي واجهت الباحث	٧
الطَّريقة المتَّبعة في العمل	٨
منهج الكتابة والتَّوثيق	٩
خطَّة البحث	١١
الفصل التَّمهيديُّ :التَّفسير العلميُّ ومقاصده في آيات خلق الإنسان	١٥-٥٤
المبحث الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلمِيّ والإعجاز العِلمِيّ	١٦
المطلب الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلمِيّ	١٦
الفرع الأوَّل: تعريف التَّفسير العِلمِيّ باعتبار جزئيه	١٦
الفرع الثَّاني: تعريف التَّفسير العِلمِي باعتباره علمًا دالًّا على فنٍّ معيَّن	١٧
المطلب الثَّاني: تعريف الإعجاز العِلمِيّ	١٩
الفرع الأوَّل: تعريف الإعجاز العِلمِيّ باعتبار جزئيه	١٩
الفرع الثَّاني: تعريف الإعجاز العلمي باعتباره علمًا دالًّا على فنٍّ معيَّن	٢٠
المطلب الثَّالث: تعريف المعجزة وشروطها ونظائرها	٢٠
الفرع الأوَّل: تعريف المعجزة وشروطها	٢١
الفرع الثَّاني: مناقشة تعريف المعجزة وشروطها	٢٢
الفرع الثَّالث: نظائر لفظ (المعجزة)	٢٩
الفرع الرَّابع: تأطير الإعجاز العلميّ	٣٤
المبحث الثَّاني: العِلْم عند العلماء المسلمين والعِلْم التَّجريبيُّ	٣٨

الموضوع	رقم الصَّفحة
المطلب الأوَّل: العِلْم عند العلماء المسلمين	٣٨
المطلب الثَّاني: العِلْم التَّجريبيُّ	٣٨
الفرع الأوَّل: المنهج العلميُّ التَّجريبيُّ وخصائصه	٣٩
الفرع الثَّاني: حدود العِلْم التَّجريبيّ	٤٠
الفرع الثَّالث: تَغَيُّر العِلْم التَّجريبيّ والثِّقَة بنتائجه	٤٧
المطلب الثَّالث: مصادر العلم وأدلته عند العلماء المسلمين وفي العِلْم التَّجريبيّ	٤٨
المبحث الثَّالث: مقاصِد تفسير آيات خلق الإنسان	٥١
المطلب الأوَّل: مقاصد الشَّريعة ومقاصد القرآن	٥١
المطلب الثَّاني: التفسير المقاصديُّ والمقاصد القرآنيَّة لخلق الإنسان	٥٢
الفصل الأوَّل: أصل الإنسان	٥٥-٨٢
تمهيد	٥٥
المبحث الأوَّل: خلق آدم وحوَّاء	٥٥
المطلب الأوَّل: خلق البشر من نفس واحدة	٥٥
المطلب الثَّاني: خَلْق زوج النَّفس الواحدة	٧١
المبحث الثَّاني: خَلْق ذرِّيَّة آدم وتصويرها	٧٥
المطلب الأوَّل: خَلْق الذُّرِّيَّة وتصويرها مع خَلْق آدم عليه السَّلام وتصويره	٧٥
المطلب الثَّاني: إنشاء الذُّرِّيَّة بعضها من بعض	٧٩
الفصل الثَّاني: تكوين الجنين	٨٣-١٠٨
تمهيد	٨٤
المبحث الأوَّل: دور الوالدين في تشكيل الجنين	٨٤
المطلب الأوَّل: خَلْق النَّاس من الذَّكر والأنثى	٨٤
المطلب الثَّاني: خَلْق الإنسان من النُّطفة الأمشاج	٨٧
المبحث الثَّاني: جنس الجنين	٩٢
المطلب الأوَّل: دور الوالدين في تحديد جنس الجنين	٩٢
المطلب الثَّاني: توقيت تحديد جنس الجنين	١٠١
الفرع الأوَّل: خَلْقُ الذَّكر والأنثى من النُّطفة	١٠١
الفرع الثَّاني: تكوين الذَّكر والأنثى بعد الخَلْقِ والتَّسوية	١٠٢
الفصل الثَّالث: تشكُّل الجنين في المرحلة المضغيَّة	١٠٩-١٤٧
تمهيد	١١٠
المبحث الأوَّل: الخلق على مراحل	١١٠
المطلب الأوَّل: السِّياقات القرآنيَّة لذكر خلق الإنسان على مراحل	١١٠

الموضوع	رقم الصَّفحة
المطلب الثَّاني: دلالة اختلاف حروف العطف بين آيات مراحل الخَلْق	١١٢
المطلب الثَّالث: تطوُّر مفهوم الخلق على مراحل في العلم التَّجريبيّ	١١٥
المبحث الثَّاني: خَلْقُ الماء المَهين الدَّافق	١١٩
المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للماء المهين	١١٩
المطلب الثَّاني: المعنى اللغويُّ للماء الدَّافق	١٢١
المطلب الثَّالث: السِّياقات القرآنيَّة لذكر الماء المَهين الدَّافق	١٢٢
المطلب الرَّابع :هل الماء الدَّافق هو ماء الرَّجل أم ماء المرأة أم ماء كليهما؟	١٢٣
المبحث الثَّالث: خلق النُّطفة	١٢٨
المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للنُّطفة	١٢٨
المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر النُّطفة	١٢٩
المطلب الثَّالث: تشكُّل النُّطفة	١٣٢
الفرع الأوَّل: تشكُّل النُّطفة الذَّكريَّة	١٣٢
الفرع الثَّاني: تشكُّل النُّطفة الأنثويَّة	١٣٢
الفرع الثَّالث: تشكُّل النُّطفة الأمشاج	١٣٤
المبحث الرَّابع :خلق العلقة	١٣٦
المطلب الأوَّل: المعنى اللُّغويُّ للعلقة ومناسبة التَّسمية	١٣٦
المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر العلقة	١٣٨
المطلب الثَّالث: تشكُّل العلقة في العلم التَّجريبيّ	١٣٩
المطلب الرَّابع: مرحلة العلقة كبداية للخلق	١٤١
المبحث الخامس: خلق المضغة	١٤٣
المطلب الأوَّل: المعنى اللغويُّ للمضغة ومناسبة التَّسمية	١٤٣
المطلب الثَّاني: السِّياقات القرآنيَّة لذكر المضغة	١٤٤
المطلب الثَّالث: المضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة عند المفسِّرين	١٤٥
الفصل الرَّابع: تشكُّل الجنين في المرحلة الجنينيَّة	١٤٩-١٦٥
تمهيد	١٥٠
المبحث الأوَّل: تشكُّل العظام واللحم	١٥٠
المطلب الأوَّل: المعنى اللُّغويُّ للعظام واللحم	١٥١
المطلب الثَّاني: أقوال المفسِّرين في تشكُّل العظام واللحم	١٥١
المطلب الثَّالث: تشكُّل العظام واللحم في العلم التَّجريبيّ	١٥٢
المبحث الثَّاني: التَّسوية والإنشاء ونفخ الرُّوح	١٥٥
المطلب الأوَّل: معاني التَّسوية والإنشاء	١٥٥

الموضوع	رقم الصَّفحة
الفرع الأوَّل: التَّسوية والإنشاء والخلق لغةً	١٥٥
الفرع الثاني: أقوال المفسِّرين في قوله تعالى :﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾	١٥٦
الفرع الثَّالث: التَّسوية والإنشاء في العلم التَّجريبيّ	١٥٨
المطلب الثَّاني: نفخ الرُّوح في الجنين	١٥٨
الفرع الأوَّل: معنى نفخ الرُّوح	١٥٨
الفرع الثَّاني: أقوال علماء الشَّريعة في توقيت نفخ الرُّوح	١٦٠
الفرع الثَّالث: توقيت نفخ الرُّوح بالجمع بين دلالات الآيات وأحداث النَّماء	١٦٣
الفصل الخامس: مدَّة الحمل	١٦٦-١٨٣
تمهيد	١٦٧
المبحث الأوَّل: المدَّة الطَّبيعيَّة للحمل	١٦٧
المطلب الأوَّل: المقدار والقَدَر المعلوم للحمل	١٦٧
المطلب الثَّاني: الأجل المُسمَّى	١٧٠
المبحث الثَّاني: أدنى مدَّة الحمل وأقصاها	١٧٥
المطلب الأوَّل: أدنى مدَّة الحمل	١٧٥
المطلب الثَّاني: أقصى مدَّة الحمل	١٧٩
الفصل السَّادس: مكان الحمل والولادة	١٨٤-٢٢٠
تمهيد	١٨٥
المبحث الأوَّل: مكان الحمل	١٨٥
المطلب الأوَّل: الخلق في البطون والأرحام	١٨٦
المطلب الثَّاني: معنى القرار المكين	١٨٩
المطلب الثَّالث: الخلق في الظُّلمات الثَّلاث	١٩٢
المطلب الرَّابع: عِلْم الله بما في الأرحام	١٩٨
المبحث الثَّاني: مفهوم الولادة والألفاظ الدالة عليها في القرآن الكريم	٢٠٣
المطلب الأوَّل: الولادة والوضع وتيسير السَّبيل	٢٠٣
المطلب الثَّاني: استعمال الفعل (يخرج) في القرآن الكريم للدَّلالة على الولادة	٢٠٧
المبحث الثَّالث: الخروج من بين الصُّلْب والتَّرائب	٢١٠
المطلب الأوَّل: معنى الصُّلْب والتَّرائب	٢١٠
المطلب الثَّاني: عود الضَّمير في قوله تعالى :﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾	٢١٨
الفصل السَّابع: أحكام الرَّضاعة	٢٢١-٢٦٠
تمهيد	٢٢٢
المبحث الأوَّل: أهميَّة الرَّضاعة الطَّبيعيَّة	٢٢٢

الموضوع	رقم الصَّفحة
المطلب الأوَّل: الرَّضاعة من الأمِّ	٢٢٢
الفرع الأوَّل: حثُّ الأمِّ على إرضاع أولادها	٢٢٣
الفرع الثَّاني: وجوب أجر الرَّضاع على الوالد	٢٢٨
الفرع الثَّالث: حكم إرضاع الأمِّ لوليدها وإجبارها عليه عند الفقهاء	٢٣١
المطلب الثَّاني: الرَّضاعة من المُرضِع	٢٣١
الفرع الأوَّل: طلب المراضع عند تعاسر الزَّوجين	٢٣٢
الفرع الثَّاني: وجوب أجر المُرضِع على الوالد	٢٣٣
المبحث الثَّاني: مدَّة الرَّضاع	٢٣٨
المطلب الأوَّل: مدَّة تمام الرَّضاع	٢٣٨
الفرع الأوَّل: مدَّة تمام الرَّضاع حولان كاملان	٢٣٨
الفرع الثَّاني: الفصال قبل الحولين	٢٤١
المطلب الثَّاني: العلاقة بين مدَّة الحمل ومدَّة الرَّضاعة	٢٤٤
المبحث الثَّالث: التَّحريم بالرَّضاع	٢٤٨
المطلب الأوَّل: تحريم الأمَّهات والأخوات من الرَّضاعة	٢٤٨
المطلب الثَّاني: من يَحْرُم بالرَّضاع	٢٤٩
الفرع الأوَّل: التَّحريم بالرَّضاع كالتَّحريم بالنَّسب	٢٤٩
الفرع الثَّاني: التَّحريم من جهة زوج المُرضِع	٢٥٠
المطلب الثَّالث: علَّة التَّحريم	٢٥٢
المطلب الرَّابع: شروط التَّحريم	٢٥٦
الفرع الأوَّل: العمر المحرِّم للرَّضاع	٢٥٧
الفرع الثَّاني: المقدار المحرِّم من الرَّضاع	٢٥٩
خاتمة البحث	٢٦١-٢٦٩
نتائج البحث	٢٦٢
توصيات البحث	٢٦٩
الفهارس العلمية	٢٧٠-٢٨٥
فهرس الآيات القرآنيَّة المدروسة	٢٧١
فهرس الأحاديث النَّبويَّة والآثار	٢٧٧
فهرس الأشعار	٢٧٨
فهرس الأعلام المسلمين	٢٧٩
فهرس الأعلام الغربيين	٢٨١
فهرس المصطلحات الشَّرعيَّة واللغويَّة والاجتماعيَّة	٢٨٢

الموضوع	رقم الصَّفحة
فهرس المصطلحات المتعلِّقة بالعلوم الطِّبيَّة والطَّبيعيَّة	٢٨٣
فهرس الأشكال	٢٨٥
قائمة المصادر والمراجع	٢٨٦
فهرس المحتويات	٣١٨
المستخلص الانكليزي	٣٢٤
العنوان الانكليزي	٣٢٣

The Scientific Tafsir of the Physical Creation of the Human Being in the Noble Qur'an in the Modern Era: A Critical Analytical Study

ABSTRACT

This study addresses the scientific Tafsir of the physical creation of the human being in the Noble Qur'an, where the Qur'an, as a book of guidance and divine revelation, intersects with modern empirical sciences, which are the product of human intellect in its pursuit to understand the universe and humankind. The significance of the topic emerges in light of frequent observations regarding methodological inconsistencies found in many contemporary studies that have examined human creation from a scientific perspective, whether through the unregulated use of scientific data or through interpreting the Qur'anic text without strict adherence to the principles of Tafsir. This necessitates a critical analytical pause characterized by balance and objectivity, one that engages the frameworks of both Sharʿī (Islamic legal-theological) and empirical knowledge. The study seeks to achieve two main objectives: first, to understand the issues related to the physical creation of the human being as mentioned in the Qur'an through a critical analytical study of contemporary views that have approached the relevant verses through a scientific lens; and second, to assess these exegetical perspectives in light of both Sharīʿah and empirical scientific standards, in a manner that respects exegetical principles and the norms of scientific inquiry, thus leading to a more balanced and accurate reading of the related verses. The research adopts a descriptive-analytical method to trace and analyze contemporary exegetical perspectives in accordance with Islamic and scientific standards; a thematic method to classify and analyze verses concerning human creation within their Qur'anic contexts; a comparative method to contrast different interpretations and evaluate their alignment with modern science; and a critical method to assess the extent to which interpretations adhere to methodological rigor and verify the accuracy of the scientific data used in interpreting the verses. The study yields a set of findings that shed light on various dimensions of the scientific Tafsir of the stages of human creation in the Qur'an, in addition to the following general conclusions: the Qur'an is distinguished by its unique linguistic composition, which constitutes the foundation of its inimitability (iʿjāz), from which all other forms of miraculousness, including scientific indications related to human creation, are derived. The Qur'anic verses indicate the stages of human creation and embryological development in a manner that aligns with established modern scientific facts. These indications exhibit a degree of flexibility that allows for multiple interpretations across different eras, with the primary objective being the establishment of proof and the deepening of faith, rather than enforcing a definitive scientific interpretation. The true scientific inimitability of the Qur'an lies in its complete absence of contradiction with established scientific facts, despite its revelation in an era devoid of such scientific knowledge. Scientific Tafsir of human creation in the Qur'an requires precise methodological tools. The exegete must be well-versed in both the Sharʿī sciences and the relevant empirical sciences, particularly in the fields of Obstetrics, Gynecology, and Embryology. Achieving a balance between these disciplines is paramount for maintaining the accuracy of interpretation and consistency with scientific facts, without departing from the intended meanings of the Qur'anic text.

Keywords: Scientific Tafsir, Empirical Science, Human Creation, Embryological Development, Critical Tafsir.

Syrian Arab Republic

University of Damascus

Faculty of Sharia

Department of Tafsir and Qur'anic Sciences

The Scientific Tafsir of the Physical Creation of the Human Being in the Noble Qur'an in the Modern Era

A Critical Analytical Study

A Dissertation Submitted in Fulfillment of the Requirements for the Degree of PhD in Tafsir and Qur'anic Sciences

Prepared by

Ahmad Sharafeddin Burhan

Supervised by

Prof. Abdulaziz Hajji

Professor of Tafsir and Qur'anic Sciences, Faculty of Sharia

Co-supervisor

Prof. Marwan Alhalabi

Professor of Embryology, Faculty of Medicine

1446 AH – 2025 AD